

القامرة

تفسيرالقرآن الكريم

الجزء الثالث عشرمن القرآن الكريم

الدكتور

عبد الله شحاته



بنسيالة والتحاية

﴿ وَمَا أَبُرِيُ مُنْسِى ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَارَهُ ۚ إِلسَّنَّ وِ إِلَّا مَارَحِمَ رَبِّ ۚ إِنَّ رَبِّ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ٢٠٠٠

التفسير

٥٣ - وَمَا أَبْرُ عُا نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارِةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رُحِيمٌ .

هذه الآية يُحتمل أنها من كلام امرأة العزيز بعد أن اعترفت بأنها راودت يوسف عن نفسه ؛ واعترفت بأنه من الصادقين .

قَالَتِ ٱمْرَاتُ ٱلْغَوِيرِ ٱلشَّنَ حَصْحَصَ الْحَقُ أَنَا زُودَتُهُ عَن تَفْسِهِ وَإِنْهُ لَعِنَ ٱلصَّنْدِقِينَ • ذَلِكَ يَهْلَمَ أَنَى لَمُ أَخَتُهُ بِٱلْغَسِهِ وَأَنَّ اللَّهُ لاَ يَفْهِي كَيْدَ الْخَالِينَ (يوسف: ١٥٠ / ٥).

ثم قالت امرأة العزيز: وَمَا أَبْرَى أَنفُسِي إِنَّ ٱلنَّفْسَ لأَمَّارةُ بالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ.

أي: أننى است ملاكا ، بل أنا بشر فيه الضعف ، وفيه وسوسة النفس والهوى ، والنفس أمارة بالسوء، دامية إلى الهوى ، إلا من عصمه الله بالتقوى والإيمان ، مثل : يوسف ، وإنى أتوب إلى الله وأرغب فى فضله ورحمته ومغفرته : إن ربى غفور رحيم : لمن تاب وأناب ، وهذه الآية يحتمل أن تكون من كلام يوسف الصديق ، والمعفى : لا أزكى نفسى ولا أنزهها ، فإن النفس البشرية ميالة إلى الشهوات ، إلا من رحمه الله بالعصمة ، إن ربّى واسع المغفرة ، عظيم الرحمة : قال ذلك يوسف : توإضعا، وهضما لنفسه .

+ + +

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ النَّوْفِ بِهِ مِ اَسْتَخْلِصَهُ لِنَفْسِي فَلَمَا كُلَّمَهُ وَقَالَ إِنَّكَ ٱلْيُزُمُ لَدَيْنَامِكِينُ أَمِينٌ ٥٠٠ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَامِ بِنَ ٱلْأَرْضِ إِنِّ حَفِيظً عَلِيدٌ ۞ ﴾

المضردات:

أستخلصه لنفسى، أجعله خالصًا لي ، أي : خاصًا بي .

مكين أمين ، ذو مكانة رفيعة مؤتمن على كل شيء .

حقيظ عليم، قوى الحفظ، كثير العلم.

تفسير

٤٥- وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱتْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ...

أى: ولما ثبتت براءة يوسف ، مما نسبته إليه امرأة العزيز : ارتفع قدره عند الملك ، وطلب أن يخرج من السجن ، وأن يُعَرِّب إلى الملك ، وجعله مستشارًا ، وأمينا ، ومساعدًا له في تدبير أمور مملكته ، وكان مساحب مكانة خاصة عنده .

وإذا نظرت إلى طلب الملك حضور يوسف؛ فإنك تراه أولا قال: ٱلتُونِي بِهِ. ولم يزد على ذلك.

فلما ظهر إباؤه ، ووضحت أمانته وعفّته في قصة امرأة العزيز ، وظهر تجلده وصبره على السجن ، إلى أن تثبت براءته ؛ ازداد تعلق الملك به ، وعظمت منزلته عند الملك ؛ فطلبه ؛ ليكون من خلصاء الملك ، بحيث لا يكون لأحد سلطان عليه سواه ، وذلك بقوله : أتُوني به أَسْتَخْلِهمُ لِشُعِي

وهكذا يرفع الله أهل العلم والأمانة والعفة درجات عالية.

فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنْكَ ٱلْيُوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ .

فلما حضر يوسف مقابلة الملك ، وتبين للملك من الكلام معه رجحان عقله ، وأتساع مواهبه ، ومعرفته بتأويل الأحلام : والاستعداد للأحداث وفي تفسير النسفي : أنه أعاد عليه تفسير الرؤيا ، وما ينبغي الاحتياط به ؛ للتغلب على جفاف النيل ، ولبيع الزرع والثمار للبلاد المجاورة ، وكيف تعبر بلاد مصر للمحنة ، وفي رصيدها فائض من الأراعات ، وألمان المبيعات ، وما يعرف بالتجارة الخارجية .

٥٥- قَالَ آجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ ٱلأَرْضِ إِلِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ .

أى: مكنًى من إدارة خيرات مصر: زراعة ، وحصادًا ، وإيرانًا ، وسرفًا ، ويبعًا ، وهزنًا ، وتدزيًا ، وتدبيرًا ، فإنى خَبِيطٌ . لأرض مصر وخراجها من التبذير والتقتير ، والإفراط والتفريط ، عَلِيمٌ . نو علم بوجوه التصرف فيها والحفظ لها وفى الآية دليل على جواز طلب الولاية إذا كان طالبها على أهلية متميزة ، ومقدرة بإقامة العدل وإحقاق الحق .

وأما ما ورد فى الصحيح من النهى عن طلب الولاية : فمحمول على ما إذا كان طالبها لا يقدر على القيام بتبعاتها ، والنجاة من مأثمها .

روى مسلم : عن عبد الرحمن بن سمرة قال : قال لى رسول ال ﷺ : « يا عبد الرحمن ، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة : وكلت إليها ، وإن أعطيتها عن غير مسألة ؛ أعنت عليها » (أ . ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَنَا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَسَبَوَّ أَمِنَهَا حَيْثُ يَشَأَهُ نُصِيبُ مِرْحَمَنَا مَنْ شَآةً وَلَانُضِيعُ أَجَرًا لَلْمُحْسِنِينَ ۞ وَلَأَجْرُ ٱلْآيِنَ وَغَرَّ لِلَّيْنَ اَمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ۞ وَجَانَهَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُ وَهُمْ مَلَّهُ مُنكِرُونَ۞﴾

المفردات:

مكنا ليوسف في الأرض: جعلنا له في أرض مصر مكانة رفيعة أقدرناه بها على ما يريد.

يتبوأ منها حيث يشاء ، ينزل من بلادها ومن أمورها وقلوب أهلها ، حيث يشاء .

الصيب بسرحم تساء نجود بنعمتنا

التفسب

٥ - وَكَلَالِكَ مَكَّنَا لِيُوسُفَ فِي ٱلأَرْضِ يَتَبَوُّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ...

وهكذا مكنّا ليوسف في أرض مصر ، وجعلنا له العزّ والسلطان بعد المحنة والاتهام والسجن ، وأصبح طليق اليد في أرض مصر ، وشطها سلطانه ، فكأنها منزله : يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله ومكانه ، وكان ذلك بعدل وحكمة .

روى: أنّ الملك لما فوض أمر مصر إلى يوسف ، تلطف يوسف بالناس ، وكان يدعوهم إلى الإسلام ، ويقيم فيهم العدل ؛ فأحبُّ الناس ، وكانت له بذلك منزلة رفيعة بينهم .

نُصِيبُ بِرَحَمَتِنَا مَن نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرُ الْمُحْسِينَ . نخص بإنعامنا وفضلنا من نشاء من عبادنا ، وَلا نُصِيعُ أَجْرُ الْمُحْسِئِينَ . الذين يحسنون الإيمان بالله والتوكل عليه ، والالتجاء إليه ، ويحسنون السلوك والعمل والتصرف مع الناس .

٥٧ - وَلاَ جُرُ آلآ خِرَةٍ خَيْرٌ لّلَّالِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ .

وثواب الآخرة وما فيها من الجنة ونعيمها ، ورضوان الله ورحمته ، خير وأفضل كثيرا من ثواب

الدنيا، للذين آمنوا واطمأنوا في إيمانهم إلى ربهم ؛ فاتقوا الله وأخلصوا له العمل ، وهكذا عرِّض الله يوسف على صبره وإيمانه ؛ الجزاء الحسن في الدنيا والآخرة .

٥٨- وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ .

كان القحط الذي هل بمصر في السنين العجاف : قد أصاب المنطقة كلُها ، وامتدُّ إلى أرض كنعان بالشام ، وتسامع الناس بأشبار يوسف ، وعرقوا أنه خزَّن الحبوب ، والقمع في سنابله ، وأنه يوزِّعها بعدل ورحمة ، فلا يعطي الطعام لمن يدفع الثمن الأكثر ، بل يعطي لكل فرد قدرًا معينا على مقدار حاجته ، وحاجة من يشتري لهم ، لعلَّه مقدار حمل بعير .

وكان يوسف يشرف على التوزيع بنفسه : ضمانا للعدالة والنَّقة ، وجاء أخوة يوسف : امتثالا لأمر أبيهم ، فدخلوا عليه فعرفهم ، فهم لم يتغيروا كثيرًا . أما هو فقد تغيِّر : فقد اُلقوره في الجب صغيرا ، لكنَّه الأن ملكًا مقيحًا ، في حاشية وخدم ، وقد تزيًّا بزيًّ أهل مصر ، وعليه مظاهر النعمة والسلطان .

* * *

﴿ وَلَمَّا جَهَزَهُم بِحَهَا ذِهِمْ قَالَ ٱتْتُونِ بِأَخِ لَكُمْ مِّنْ أَبِيكُمُّ ٱلاَتَرَوْكَ أَنِّ أُوفِ ٱلْكَيْلَ وَأَنَاخَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ۞ فَإِنلَّا تَأْتُونِيهِ مَلَا كَيْلَ لَكُمُّ عِندِى وَلاَنَفَّرَيُونِ ۞ قَالُواْ سَنْرُوهُ عَنْهُ أَبَاهُ وَلِنَالْفِيلُونَ ۞ ﴾

المفردات:

جهزهم بجهازهم؛ أعد لهم حاجتهم من الطعام الذي حضروا لجلبه من مصر فى السنين العجاف، والجهاز فى اللغة: ما يحتاج إليه المسافر والعروس والميت. وتجهيزه: إحضاره، وقد أجمع القراءُ على فتح الجيم فى الآية الكريمة، ويجوز فيها الكسر لغة وإن كان الفتح أشهر.

خير المنزلين، أى: خير المضيفين – مأخوذ من النُّزل، وهو الطعام الذي يقدم للضيوف الذين ينزلون. أو خير من ينزلون الناس في منازلهم، مأخوذ من المنزل بجهازهم، وهو الدار.

ستراود عنه أياه ، سنطليه من أبيه ؛ ليرسله معنا .

٩٥ - وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱلْتُونِي بِأَخِ لَّكُم مِنْ أَبِيكُمْ ...

استدرج يوسف إخرته فى الحديث عن أنفسهم ، وعن أبيهم ، وعن أخيهم بنهامين ، كما أنه أكرم وفادتهم، وقام بالولجب نحوهم ، ونحو دوابيّهم ، وجهّن لكل فرد منهم حمل يعير ، وهو مقدار يعطى للفرد فى المدة المحدودة ، أشبه ببطاقات التموين ، ويذلك تتم السيطرة على توزيع الغلال والحبوب طوال مدة المجاعة .

والمعنى:

ولما هيأ لهم الطعام والميرة وأعطى كل واحد منهم حمل بعير، وما يحتاجون إليه في سفرهم.

قَالَ ٱلْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ . أي : أحضروا معكم في المرَّة القادمة أخاكم بنيامين .

أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَّا خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ .

أى: وقد رأيتم أنَّى أوفى الكيل فسأوفيه نصيبه : حين يجىء معكم ، ورأيتم أنى أكرم النزلاء : فلا خوف عليه ، بل سيلقى منَّى الإكرام الممهود .

٩ - فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونَ .

أراد يوسف تهديدهم ؛ فترعدهم بالحرمان من الكيل للطعام ، ومن إعطاء كل واحد منهم حمل بعيد، وتوعدهم بالحرمان من الضيافة : ما لم يحضروا معهم أضاهم بنيامين في المرة القابمة ! .

جاء في البحر المحيط:

والظاهر أن كل ما فعله يوسف عليه السلام ، كان بوحى من الله ؛ وإلا فمقتضى البر أن يبادر إلى أبهه، ويستيعيه ، لكنّ الله أراد تكميل أجر يعقوب ومحنته ، ولتفسير الرؤيا الأولى .

١ ٧- قَالُواْ سَنْرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَقَاعِلُونَ .

كانوا يطمون أن حضور بنيامين ؛ شاقٌ متعب لأبيهم ، خصوصا بعد غياب يوسف عنه ؛ لذلك قالوا: سنحاول إقتاع أبيه ، بالسماح له بالحضور معنا ، وسنجتهد في هذه المحاولة ، ونفعل كل ما نستطيع لإحضار بنيامين . ﴿ وَقَالَ لِفِنْيَنِيهِ الْجَمَلُواْ بِضَعَهُمُ فِي رِحَافِهُمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُوْ ثَهَآ إِذَا اَنْصَلَهُواْ إِلَّنَ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُوْ ثَهَاۤ إِذَا اَنْصَلَهُواْ إِلَنَ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَتَمْ مِنَا ٱلْكَيْتُ فَأَرْسِلَ مَعَنَا ٱلْحَانَانَكُمُ عَلَيْانَانَدَ الْمَالَحُوفُظُونَ ۞ قَالَ هَلْ عَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّاكَمَا الْمِد أَمِنْ تُكُمُّ عَلِيَّ أَخِسِيهِ مِن قَبِلُّ فَاللَّهُ مَثْيِرُ حَفِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِينَ ۞ ﴾

المفردات ،

فتيانه الكيالين ، جمع فتى .

بضاعت سهم، ما جاءوا به من المتاع : ليشتروا به الطعام .

فسي رحمالمهم؛ في أوعيتهم . قال ابن الأنباري : يقال للوعاء : رحل ، وللبيت : رحل .

القابوا إلى أهلهم ، رجعوا إليهم .

التطسير،

٣٢ - وَقَالَ لِفِينَانِهِ آجْعَلُوا بِضَاعَتُهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا ٱنقلَبُوا إِلَى ٱلْمِلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ .

أراد يوسف أن يسدى إلى أسرته مكرمة ، وكانوا قد أحضروا معهم بضاعة من بلادهم : لتكون عوضا عن القمح .

روى عن ابن عباس: أنها كانت نعالا وأدمًا – أى: جلدا – ، وقيل: إنها كانت دراهم ودنانير : فأمر يوسف غلمانه المختصين بالبيع وقبض الثمن تائلاً : لجعلوا المال أو البضاعة التى اشتروا بها القمح والحبوب فى أوعيتهم سِرًّا ، ولا تشعروهم أننى نزلت لهم عنها : لعلهم يعرفُون هذه المكرمة ، ويقدّرونها قدرها: حين يرجعون إلى أهلهم : ويفاجئون بها فى متاعهم ، لعلهم يعودون إلى بأخيهم الذى طلبته منهم.

٣٣- فَلَمَّا رَجَمُواْ إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَتَأَبَانَا مُنعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْفَلَ وَإِنَّا لَهُ لَخَلْفِظُونَ .

عاد إخوة يوسف إلى أبيهم ، وأخيروه يقصتهم ، وقالوا : إن الملك طُنُنا جراسيس فأخيرناه بأسماء أسرتنا ، وأن لنا أخًا أصغر منا ؛ استبقاه أبوه معه ، فطلب منا إحضاره فى المرة القادمة ، وجعل حضوره شرطا لبيع الطعام لنا . وتلطفوا مع أبيهم وقالوا: يا أبانا ، أرسل معنا أخانا بنيامين ؛ لنأخذ ما نستحقه من الحبوب التي تكال لنا ، وسوف نمافظ عليه من أن يناله مكروه .

\$ ٦- قَالَ هَلْ ءَامَنكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا آمِنتُكُمْ عَلَيْ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ...

أثارت وعردهم بحفظ أهيهم ، نكريات أليمة عند أبيهم ؛ حين عاهدوه بالمحافظة على يوسف وإرجاعه لهم ، ثم جاءوا في المساء يبكون ، وادعوا : أن الذنب قد أكله ، فقال يعقوب لهم ، ألم تقدموا نفس الكلام عند أخذ يوسف ؟! ورجعتم بدونه ؛ فكيف آمنكم الآن على بنيامين ، بعد أن فعلتم ما فعلتم بيوسف ، وضمنتم لى حفظه ، ثم خُنتم المهد : فلا آمن أن تكيدوا له كما كدتم لأخيه .

فَاللَّهُ حَيْرٌ حَلَيْهُا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّحِينَ. أى : انركونى من تعهدكم بالحفظ ؛ لأنَّى ألْجا إلى الله العلى القدير: فهو الذي أطلب منه الحفظ لولدي والرحمة لى .

ب ب ب

﴿ وَلَمَّا اَفَتَحُوا مَتَنَعَهُمْ وَجَدُواْ يِضِدَعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْمِمٌ قَالُواْ يَكَأَبَانَا مَا نَبْغِي هَنذِه ويضِعُكُنْنَارُدَّتْ إِلَيْنَآوَنِيهُرُاهَلْنَاوَتَحَفَظُ آخَانَاوَنَزْدَادُكَيْلَ بَعِيرِّذِلِكَكَيْلُ يَسِيرُ ۞ قَالَ لَنْ أَرْسِلْهُ مَعَكُمْ حَقَّ تُوْتُونِ مَوْيَقَامِنَ اللّهِ لَنَالَثَنَى بِعِوالَّا أَن يُعَاطَ يِكُمُّ قَلْمَا ءَا تَوْهُ مَوْفِقَهُمْ قَالَ اللّهُ عَلَى مَانَقُولُ وَكِلُ ۞ ﴾

لمقردات

وتماطتحوامتاعهم، المقصود يعتاعهم: الأرعية التي فيها طعامهم ويضاعتهم، وهي المعبر عنها سابقًا: يرحالهم في قول يوسف : أَجَسُّلُوا يَسِّلَكُونُهُمْ فِي رَحَالِهِمْ .

مانيها أيُّ شيم نبغيه ونطلبه أكثر من كرم العزيز برده الثمن إلينا وتوفيته الكيل لنا ؟!.

سميسر أهششاء أي : تجلب لهم البيرةَ وهي : الطعام ، من المَيْر وهو : جلب الطعام ،

كيل بعير الخينا بنيامين .

كييل يستيس ، مكيل سهل على عزيز مصر لا يمنعنا إياه لكرمه .

موشقامن الله ، أي : عهدًا منكم مع الله تعالى ؛ يدعوني إلى الثقة بوفائكم له .

إلا أن يتحاط بكم ، أي : إلا أن تُغَلِّبُوا عليه .

وكسيسيان موكول إليه تنفيذ هذا الميثاق.

تفسيره

ه٧- وَلَمَّا لَفَحُواْ مَعَلَمُهُمْ وَجَدُواْ بِصَلَعَتُهُمْ رُدُّتْ إِلَيْهِمْ ... الآية .

أى : وحين فتحوا أوعية طعامهم الذي اشتروه من عزيز مصر ، فوجتوا بوجود أثمان هذا الطعام قد رئت إليهم معه .

ولعل يعقوب كان شاهدًا لهذه المفاجأة ؛ حيث وجد الطعام كاملاً ، وثمنه عائدا معه .

قَالُواْ يَكَأَبَانَا مَا نَبْغِي ٣ هَذَا إِهِ بِضَاعَتُنَا رُدُّتْ إِلَيْنَا .

أى: كيف لا نعجب ولا ندهش ، أو أى شىء نطلبه وراء هذا ، أكرمنا عزيز مصر ، ووفَى لنا الكيل ، وردّ علينا الثمن الذى هر بضاعتنا ، فكيف لا نستجيب لطلبه ، ونحضر له بنيامين ١٣

وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرِ لَا ثِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ .

وَنَمِيرُ أَهْلَنَا . هذه الجملة معطوفة على مقدر يفهم من الكلام السابق .

أَى : هَلَاهِ بِطَلَعُتَا رُدُّتُ إِلَيَّا . فننتفع بها في معاشنا .

وَلَمِيرُ أَهْلُنَا . أي : ونجاب الطعام والميرة إليهم مرة أخرى .

وَلَحَظُفُ أَخَانًا . وتحافظ عليه في سفره : حتى لا يصبيه مكروه هذه المرة : لأننا لن ننشغل عنه باللهو واللعب .

وُنَرِّ ذَاذُ كُبِلَ بُهِرٍ ، أَي : بوجود بنيا مين معنا ؛ حيث كان يوسف يكيل الطعام على عدد الرموس : حتى يستطيع أن يوفر القوت للجميع في تلك السنوات الشاد .

لَا لِكَ كُيلًا يَسِيرٌ . أي : سهل هين على عزيز مصر ، فلا يخيِّبنا في طلبه .

وفى هذه الآية تحريض متكرر من إخرة يوسف لأبيهم ؛ حتى يستجيب لطلبهم ؛ فقد عرضوا أمام أبيهم بضاعتهم التى ردّت إليهم من عزيز مصر ، وأظهروا حاجتهم إلى العودة إليه ، مع المحافظة على أخيهم ، واستجلاب الطعام لأهليهم . ٣٦ - قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْفِقًا مِّنَ ٱللَّهِ ...

أى: قال يعقوب لأولاده، وقد ألانه كلامهم، وهيأه لقبول مطلبهم: ان أرسل بنيامين معكم، حتى تعطرني عهدًا من الله على ردَّه، وموفقا من جهته على ذلك: ليكون شهيدًا عليكم، ومنتقما منكم إن لم تكونوا أذفياء.

تَتَأتُني بِهِ إِلاَّ أَن يَحَاطُ بِكُمْ . أي: لترجعون بنيامين معكم ، عند عودتكم بالطعام من مصر ، إلا أن تُطبوا بما لا قبل لكم به ، فيحول دون وفائكم بقسمكم .

أى: طلب منهم: أن يقسموا بالله يمينا مرّكمًا : لتأتينك يا أباننا ببنيامين معنا ، ونحن عائدون من مصر بالطعام ، إلا أن نظب على أمرنا بما لا قبل لنا به .

فَلَمَّا ءَاتُوهُ مُرْقِهُم قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِل . أي : فلما أعطى الأبناء أباهم العهد الذي طلبه منهم واليمين الموثق بإرجاعه إليه : قال لهم : الله تعالى مطلع ورقيب وحسيب على هذا القول ، وسيجازي الأوفياء الجزاء الحسن ، ويعاقب المخاتفين وينتقم منهم .



﴿ وَقَالَ يَنَبَىٰ لَا نَدَّخُلُواْ مِنْ بَابٍ وَحِدٍ وَادَّخُلُواْ مِنْ أَوْبٍ مُتَفَوِّفَةٍ وَمَا أَغْنِي عَنكُم مِّكَ اللَّهِ مِن شَيْءً إِنِ الْحُكُمُ إِلَّا لِيَّةً عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكِّي ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿ لَهِ اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهِ اللَّهِ مَا اللَّهِ اللَّهُ اللّ

٧٧- وَقَالَ يَلْبَنِي لاَ تَدْخُلُواْ مِنْ بَابِ وَاحِدِ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرَّقَةِ ... الآية .

أى: قال يعقوب لأبنائه عند عزمهم على مخادرة بادية الشام إلى مصر: لا تجتمعوا عند دخول أبواب مصر، ولا تدخلوا من باب واحد، والدخلوا من أبواب متفرقة متعددة.

قيل فى سبب ذلك : إن يعقوب كان يخاف على أولاده العين والحسد ، وكانوا على جانب كبير من الجمال والقوة ، والنشاط والاتساق ، فإذا شاهدهم الناس فى هذه الممورة : عشر رجال فى زيّ واحد وهيئة واحدة : ربما حسدهم الحاسد .

جاء في تفسير أبي السعود ٢٩٧/٤ :

وَقَالَ . يعقوب ناصدها لهم ؛ لما أرّمع على إرسالهم جميعا : يَنَبِّي لاَ تَدُخُواْ مصر مِنْ بَاسٍ وَحِدٍ ، نهاهم عن ذلك : حذرًا من إصابة العين ؛ فإنهم كانوا ذوى جمال وشارة حسنة ، وقد كانوا تجمُّلوا فى هذه العرّة أكثر مما فى المرة الأولى ، وقد اشتهروا فى مصر بالكرامة والزافى لدى الملك ، بخلاف النوية الأولى، حيث كانوا مغمورين عند دخولهم من أبواب مصر ، ثم اشتهر أمرهم عندما قرّبهم يوسف إليه وأكرم وفادتهم.

ثم قال أبو السعود :

« وإصابة العين بتقدير العزيز الحكيم ، وليست مما ينكر ، وقد ورد عنه 義: « إن العين حق ""، وعنه 義: « إن العين حق الله الرجل القبر ، والجمل القدر ""، وقد كان 義 يعرُّذ الحسنين رضى الله عنهما بقوله : « أعرذ بكلمات الله التأمة من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة "".

وكان ﷺ يقول : « كان أبركما يعوذ بها إسماعيل وإسحاق عليهم السلام» (١ ، رواه البخاري في صحيحه، وقد شهدت بذلك التجارب ، ا هـ .

« وقيل: إن السبب في وصية يعقوب لأبنائه بهذه الوصية ؛ خوفه عليهم ، من أن يسترعى عددهم حُرُاس مدينة مصر، إذا ما دخلوا من باب واحد ؛ فيترامى في أذهانهم أنهم جواسيس أو ما شابه ذلك ، فريمًا سجنهم أو حالوا بينهم وبين الوصول إلى يوسف عليه السلام "".

وَمَا أُفْنِي غَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ .

أى: إنى أمركم بالدخول من أبواب متفرقه: لتسلموا من حسد الحاسدين أو كيد الكائدين، ولا أندفع عنكم شيئًا قدَّره الله عليكم، وأو كان هذا الشيء قليلا، وإنما ذلك من باب الأخذ بالأسباب مع اليقين الجازم بأن النافع هو الله، والضار هو الله تعالى، وأن العباد لا تنفع ولا تضر إلاً بشيء قد كتبه الله على الإنسان.

ويعقوب عليه السلام يريد أن يلغّن أولاده درسًا في العقيدة السليمة التى توصى : بأن يأخذ الإنسان بالأسباب العادية الميسرة له ، مع اليقين الجازم بأن مسبب الأسباب مر الله تعالى ، وأنه سبحانه واضع الأسباب ومشرعها .

إِنِ ٱلْحُكُمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكُّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكُّلِ ٱلْمُعَوِّكُلُونَ .

أي: ما الحكم في أمر الخلائق جميعا إلا لله وحده ؛ لا ينازعه في ذلك منازع ولا يدافعه مدافع .

عَلَيْه تَوَكَّلْتُ . أي : عليه وحده دون سواه توكلت واعتمدت .

وَعَلَهِ فَلْبَوْكُمْ إِلَّمُو كُلُونَ . وعلى الله وحده فليتوكل المتوكلون الصادقون ، وهذا التوكل لا يتعارض مع الأخذ بالأسباب التي شرعها الله وأمر بها .

فالعبد له كسب واختيار ، والله تعالى له إرادة عليا ، وقدرة فاعلة في تدبير هذا الكون ، والجمع بين المتيار العبد وإرادة الله تعالى يحتاج إلى شيء من الانحناء والتسليم ، فالعبد يفعل ويختار ويأخذ في الأسباب ، ويجزم بأن الحكم لله وحده في كل الأمور ، وقد جمع يعقوب عليه السلام بأطراف الموضوع ، حين أمر أبناءه باللدخول من أبواب متعددة ، ثم بين : أن ذلك أخذ بالأسباب العادية ، مع الإيمان بالقضاء والقدر خيره و شره ، حلوه ومره ، ومع اليقين بأن ما أراده الله نافذ لا محالة كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم، والسنة النبوية .

* * *

﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرُهُمُ أَبُوهُم مَّاكَاتَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ اللهِ مِن شَيْءٍ

إِلَا حَاجَةُ فِى نَفْسِ يَمْقُوبَ قَضَلَهُ أَوْلِنَّهُ النَّوعِلْوِلِمَا عَلَمْنَكُ وَلَكِنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ
لَا يَمْ لَمُونَ ۞ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَى ءَاوَتَ إِلَيْهِ أَخَاةً فَالَ إِنِيَّ أَمَّا أَخُوكَ
فَلا تَبْتَهِسْ بِمَاكَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞ ﴾

المفردات

من حيث أمرهم أبوهم: من الأبواب المتفرقة التي أمرهم بالدخول منها.

الماعط مناه، لتعليمنا إياه بالوحى.

طلاتبتئس بما كالوايعماون، فالا تأسف ولا تحزن يسبب ما صنعوا.

التفسير،

٨٨- وَلَمُّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرُهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْس يَعْفُوبَ لَقَتْهُما ...

أى: ولما بخل إخوة يوسف من الأبواب المتفرقة ، ولم يجتمعوا باخلين من باب واحد ، ما كان يدفع عنهم ذلك الدخول من أبواب متفرقة شيئا مما قضاه الله ، وقدَّره عليهم ، ولكن الذي حمل يعقوب على أمرهم بذلك ، هو خوفه عليهم من الحسد ، أو خوفه من بطش الملك بهم ؛ حين يراهم مجتمعين ، في هيئة ولحدة ؛ فأظهر يعقوب رغبته في دخولهم متفرقين ، ووصاهم بها ، ولم يستطع إخضاءها ؛ لشدة حبّه لهم ، مع اعتقاده بأن كل شيء بقضاء الله وقدره .

وَإِنَّهُ لَلُو عِلْمِ لَّمَا عَلَّمْنَلُهُ وَلَلَّكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لِاَ يَعْلَمُونَ .

أى : وإن يعقوب لذو علم عظيم ؛ لأجل تعليمنا إياه بالوحى ؛ حيث لم يعتقد أن الحذر يدفع القدر ؛ حيث قال : وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ . أى وما أدفع عنكم بهذا التدبير من شيء قضاه الله ؛ وإنما نأخذ بالأسباب ؛ فالأخذ بها مشروع ومأمور به .

وَلَكِرُنَ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لِاَ يَسْلَمُونَ . ما أعطاه الله تعالى لأنبياته وأصفياته من العلم والمعرفة وحسن التأثير للأمور .

٣٩- وَلَمَّا دُخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ ...

تبدأ من هذه الآية أحداث أخرى جديدة ومثيرة في قصة يوسف.

والمعنى: ولما دخل إخوة يوسف عليه: أكرم وخادتهم، ثم ضم إليه شقيقه بنيامين، وحدّثه حديثا خاصًا: قَالَ إِنِّي آَنَا أَخُوكُ فَلاَ تَبْعِسُ بِمَا كَانُواْ يُعْمَلُونْ . أي : قال يوسف لبنيامين : إنى أنا أهوك الشقيق يوسف، وأغبره بقصته ، وما جرى له في الجب ، وفي بيت العزيز، وفي السَّجِن حتى صار على خزائن الأرض، وطلب منه أن يكتم هذا الأمر عن إخوته ، وألا يحزن بسبب ما أصابهم في الماضى من الحسد والأذى : فإن الله تعالى قد عوض صبرهم خيرا .

﴿ فَلَمَّاجَهَّ زَهُم بِجَهَازِهِمْ جَمَلَ السِّقَايَةَ فِى رَسِّلَ أَخِيهِثُمُّ أَذَنَ مُؤَذِّةً أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمُ لَسَارِقُونَ ۞ قَالُوا وَأَفَبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ۞ قَالُواْ نَفْقِدُ صُواعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَلَةَ بِهِدِهِمْ لُبَعِيرٍ وَأَنْلَهِمْ زَعِيدُ ۞ ﴾

المفردات،

جهزهم بجهزهم، الجهازة في اللغة : ما يحتاج إليه المسافر والعروس والميت ، وتجهيزهم بجهازهم : تنجيز ما يحتاجرن إليه من الطعام وإعداده في أوعيتهم .

المسقسايسة ، المشربة التي يُذَرُب وبها ، وهي والصواح شيءٌ واحد ، قال الشاعر : نشرب الخمر بالصُّواح جهازًا. رحسل اخسيسه ، المراه به : وعاء الطمام الخاص بأخيه بنيامين .

اذن مسسودن ، نادی مناد .

أيستسها المسيد : الدير : هي الإبل التي عليها الأحمال ، والمراد بندائها : نداه أمسحابها ، وقال أبو عبيد : هي الإبل. المرحولة المركوبة .

زهــــــد، كفيل وضمين

التفسيره

ه ٧- فَلَمَّا جَهَّزُهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَحِيهِ ...

السقاية : إناء يشرب فيه الملك ، وعادة يكون من معدن نفيس ؛ وقد كان يوسف عليه السلام ، يكتال به في ذلك الوقت : نظراً لقلة الطعام وندرته .

أراد يوسف عليه السلام أن يستبقى أخاه بنيامين معه فى مصر ؛ فأمر بدسُّ الإناء الذى يُشرب فيه ويكال به فى رحل بنيامين ، وكان إناءً ثمينًا يمكن الاتهام بسرقته ؛ لارتفاع قيمته .

ثُمُّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ آيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَلْرِ أُونَ .

بعد أن ركب إشوة يوسف رواحلهم نادى مناو فيهم : يا أصحاب العير ، إنكم لسارقون ، ولم يعين لهم ما سرقوه في ندائه ؛ ليسترعى كامل انتباههم .

جاء في تفسير أبي السعود:

جَمُلُ ٱلسُّقَايَةُ فِي رَحُّلِ أَحْمِهُ . قيل : كانت السقاية تسقى بها الدواب ، ويكال بها الحبرب ، وكانت من فضة ، وقيل : من ذهب ، وقيل : من فضة مموهة بالذهب ، وقيل : كانت السقاية مرصمة بالجراهر . ا هـ (٥٠.

٧١- قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ .

أى: قال إخوة يوسف ، وقد أقبلوا على المنادى وزمرته : ماذا تفقدون – أيها الناس – من أشياء حتى الهمتمونا بأننا سارقون ؟!

٧٧ - قَالُواْ نَفْقِدُ صُواعَ ٱلْمَلِكِ ...

أي: قال المؤذِّن ، ومعه الحراس: نفقد صواح الملك. أي: صاعه الذي يشرب فيه ، ويكتال به للمتارين.

وَلِمَن جَاءَ بِهِ خُمْلُ بَعِيرٍ وَأَلَا بِهِ زَعِيمٌ .

أى: من جاء به من عند نفسه ، أو أرشد إليه عند غيره ؛ فله حمل بعير من الطعام زيادة على ما دفعه كمكافأة له .

وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ .

قال المؤذن؛ تأكيدًا لكلامه السابق: أننا كفيل بأن أُوصُّل حمل البعير لمن جاء بصواع الملك أو أرشد إليه.

﴿ قَالُوا تَاللّهِ لَقَدْ عَلِمتُ مِ مَاحِثَنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَدِقِينَ ﴿ قَالُوا فَمَا جَزَوُهُ وَإِن كُنُتُدُ كَنِينَ ﴿ قَالُوا جَرُّوهُ مِن وَبِدَ فِي رَحْلِهِ - فَهُو جَرَّوُهُ مُكَذَلِكَ بَعْزِي ٱلظَّل لِمِينَ ﴿ فَهُ فَبَدَأُ بِأَوْعِيتِهِ مُقَبِّلُ وِعَلَهِ أَنْجِهُمُ آسَتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهُ كَذَلِكَ كِذَنا لِيُوسُفُ مَا كَانَ لِي أَخْذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاهُ اللّهُ نَرْفَعُ دَرَحُدتِ مَن نَشَاهُ وَفَقَ كَلْ إِي عِلْمِ عَلِيمُ الْمَالِكِ إِلَّا أَن يَشَاهُ اللّهُ

لتفسب

٧٧- قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَسْرِقِينَ .

أى: وحق الله القد عرفتم من استقامتنا في المعاملة ، وما نحن عليه من التدين والتصون ، وقد كان هزلاء الإخوة فعلا مثلاً أعلى في الأعلاق السليمة ، والسلوك المستقيم ، فاستشهدوا بسلوكهم وأحوالهم على أنهم ما حضروا مِنْ بلادهم ؛ ليفسدوا في أرض مصر بالسرقة ، وما كانت السرقة خلقا ولا جبلة فيهم قبل ذلك ، لا بعده .

\$ ٧- قَالُواْ فَمَا جَزَآوُهُ إِنْ كُنتُمْ كَالْمِينَ .

أى : قال أعوان يوسف لأهوته : إذًا نما جزاء وعقاب هذا السارق لممواع الملك في شريعتكم : إن وجدنا هذا الصُّواع في حوزتكم .

إِنْ كُنتُمْ كَنْانِينَ . في دعواكم : أن الصواح ليس في أوعيتكم .

٧٥- قَالُواْ جَزَآوُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَآوُهُ ...

أى: قال إخوة يرسف: جزاء الصواع المفقود في شريعتنا ؛ أُخَذُ من وجد في رحله واسترقاقه لمدة سنة: هذا هر جزاؤه في شريعتنا .

قال الزجاج: وقوله: فَهُو جَرَاوُهُ . زيادة في البيان ، أي : جزاؤه أخذ السارق فهو جزاؤه لا غير ١٠٠٠ .

على أموال غيرهم .

كُلْلَاكِ نَجْرِي ٱلطُّلْلِمِينَ . أي: مثل ذلك الجزاء نجزى الظالمين بالسرقة في شريعتنا ؛ الأنهم معتدون

٧٦- فَبَدَأَ بِأَوْعِيتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أُخِيهِ ثُمُّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أُخِيهِ ...

أى: بدأ يوسف أو من ينوب عنه بتفتيش أوعية إخوته العشرة الذين هم من أبيه ، قبل تفتيش وعاء أخيه بنيامين الشقيق : لنفى التهمة في أول الأمر عن نفسه إن بدأ به ، ولينسيهم فرحهم ببراءتهم أولا ، ما حدث لأخيهم من أبيهم أخيرا .

وفي التوراة الحالية : « فقتش مبتدثا من الكبير حتى انتهى إلى الصغير ، فوجد الطاس في عدل بنيامين » .

روى : أنه لما بلغت النَّوِية إلى وعاء بنيامين : قال يوسف : ما أَطَن هذا أَخذ شَيَّنًا ؛ فقالوا : والله لا تتركه حتى تنظر في رحله ؛ فإنه أطيب لنفسك ، وأنفسنا ! ففعل (١٠٠).

لُمُ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِهِ . ثم استخرج السقاية من وعاء أخيه بنيامين : فأخذه يوسف بحكم اعترافهم والتزامهم ، وإلزامهم الزاماً لهم بما يعتقدونه .

كَلْلِكَ كَذْلَا لِيُوسُفُ . أي : مثل ذلك الكيد والتدبير المحكم كِنْنَا لِيُوسُفُ . أي : علمناه إياه وأرشدناه إليه ، حتى يصل إلى هدفه يدسّ الصواع في وعاء بنيامين : واستفتاء إخوته بحكم من وجد المسواع في وعائد ، وحكمهم بهذا الحكم الذي يدينون به في شريعتهم .

مَا كَانَ لِلْأُخُذَ أَخَاهُ فِي فِينِ ٱلْمَلِكِ. أى : إن شريعة العلك كانت تقتضى عقوبة السارق بعقوبات أخرى كالضرب والتغريم ، وما كان يستطيع أن يحبس أخاه ، ويأخذه من إخوته ؛ ليقيم معه ؛ إذا نقُذ دين الملك وأوامره وقوانينه .

إِلاَّ أَنْ يَضَاءَ ٱللَّهُ . إلا يمشيئة الله وإرادته وعونه ، كما قال يوسف فيما بعد : إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ ؛ فهو سيحانه يبسر الأسباب ويرتبها للوصول إلى النهاية التي يريدها .

لَرْفَعُ دَرَجُلتٍ مِّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلَّ ذِي عِلْمِ عَلِيمٌ.

إذا أراد الله رفعة عبد : سبب له الأسباب ، ويسُّر له الأمور : كما فعل بيوسف ، حيث جعله على خزائن الأرض ، ويسر له انتقال شقيقه بتيامين إلى جواره .

قال الأستاذ سعيد حوى في (الأساس في التفسير) :

« وهذا ثناء ضمنى على يوسف : إذ المعنى : نرفع درجات فى العلم من نشاء كما رفعنا درجة يوسف عليه السلام^(۵)» ا هـ .

وَ لَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمِ عَلِيمٌ .

فمن سنته سبحانه ومن عطاته ، ومن حكمته : أن يجعل الناس منازل في العلم ، فما من عالم إلا وفوقه من هر أعلم منه ، وأرفع درجة في العلم ، أن فوق العلماء جميعا ، عَلِيمٌ . هم دونه في العلم ، قال تمالم ، قال العلم ، قال ، قال العلم ، قال ، قال العلم ، قال العلم ، قال ، قال العلم ، قال العلم ، قال العلم ، قال العلم ، قال ، قال العلم ، قال ، قال العلم ، قال ، ق

* * *

﴿ ﴿ قَ الْوَّالِونِ يَسْوِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخِّ لَدُمِن فَبَثْلُ فَأَسَرَهَا يُوسُقُ فِ نَفْسِهِ. وَلَمْ يُبُدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُ مُشَرِّمً كَانَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ۖ ﴾

اللف دات :

شروب كسائدا، أسوأ مكانة ومنزلة.

والله أعلم بما تصفون، والله عالم أبلغ العلم بحقيقة ما تزعمون من صدور السرقة عن أخيه .

التفسير،

٧٧ - قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ...

أى: قال إخوة يوسف غير الأشقاء ، عندما شاهدوا صواع الملك يُستخرج من وعاء بنيامين: إننا برءاء من السرقة : فوالدنا نبى وجدُنا نبى ، أما إذا سرق بنيامين : فهذا لأنّه من أم أخرى غير أمننا ، وقد سرق أح شقيق له من قبل . واختلف المفسرون في السرقة التي اتهموا يوسف بها .

جاء في تفسير أبي السعود :

قَالُواْ إِن يَسْرِقُ . يعنين بنيامين لَقَدْ سَرَقَ أَخْ لَهُ مِن قَبْلُ . يريدون به يوسف عليه السلام ، وما جرى عليه من جهة عمته على ما قيل من : أنها كانت تحضنه فلما شب ؛ أراد يعقوب عليه السلام انتزاعه منها ، وكانت لا تصبر عنه ساعة ، وكانت لها منطقة ورثتها من أبيها إسحاق عليه السلام : فاحتالت لاستبقاء يوسف عليه السلام ، فعمدت إلى المنطقة فحزمتها عليه من تحت ثيابه ، ثم قالت : فقدت منطقة إسحاق عليه السلام ، فانظروا من أخذها فرجدوها محزومة على يوسف ، فقالت : إنه لى سِلم ، أفعل به ما أشاء ، فخلاً ويعقوب عليه السلام عندها حتى ماتت .

وقيل : كان أغذ في صباء صنما لأبي أمَّ فكسره وألقاه في الجيف ، وقيل : دخل كنيسة فأخذ تمثالاً صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفقه. ل . هـ ^{١٩٦} .

فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْلِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مُكَانًا ...

أى: فأخفى يوسف فى نفسه هذه الفرية التى افتروها عليه، ولم يظهرها لهم أنّها فرية : كتمانا لأمره، مع أنه سمع من إخوته وعرف أنّه هو المقصود بنسبة السرقة إليه ، فيرسف لم يسرق حقا ، وإنما سُرَق ثم قال يوسف فى نفسه عن إحموته : أُنتُم شَرَّ مُكَانًا . أنتم أسوأ موضعا ومنزلا ، ممن نسبتموه إلى السرقة وهو برىء : فأنتم الذين ألقيتم يوسف فى الجب ؛ وأنتم أشبه بمن سرقنى من أبى ، ثم عاد إليه ، فادعى : أن الذئب قد أكله كذبا ، بهتانًا .

وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ .

أى: الله أعلم منى ومنكم بِمَا تَصِفُونَ به غيركم من الأوصاف التي يخالفها الحق ، ولا يؤيدها الواقع . * * * *

﴿ قَالُوا يَكَأَيُّهَا ٱلْمَدَيْرُ إِنَّ لَهُ وَأَبَاشَيْخًا كَمِيرًا فَخُدُدْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ وَإِنَّا نَرَكَ مِنَ اللّهُ عَلَى مِنَ اللّهُ عَلَى مِنَ اللّهُ عَلَى مَنَا عِندَهُ وَإِنَّا إِذَا لَمُحْسِنِينَ ۞ قَالَ مَعَاذَ ٱللّهِ أَن تَأْخُذَ إِلّا مَن وَجَدْنَا مَتَعَنَا عِندَهُ وَإِنّا إِذَا لَظَوْرَكَ ۞ ﴾

المضردات ا

معاذ الله؛ الدعاذ ، والعياذ ، والعوذ بمعنى : الالتجاء . وقد يقصد منها التبروُّ كما هنا . فمعاذ الله هنا بمعنى نبرأ إلى الله .

مشاصاء المتاع ما ينتفع به إلى حين. والمقصود منه هنا: صواع الملك.

التفسيره

٧٨ - فَالُواْ يَـٰ أَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَّا شَيْخًا كَبِيرًا ... الآية .

أى : قال إخرة يوسف له على سبيل الاستعمااف : يَتْأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ ، إن لِبنْيامين أبَّا شيخًا طاعنا في

السنَّ، لا يستطيع فراقه ، وهو سلواه عن شقيقه المفقود ، فخُذْ واحدًا مثًّا مكانه ؛ ليُحبِس عامًا بدلا منه ؛ إِنًّا نَرَ اللَّهُ مَنْ ٱلْمُحْسِينُ . للنَّاسِ عامة والبنا خاصة .

٧٩ - قَالَ مَعَادُ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدَّنَا مَتَلْعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَلْلِمُونَ .

أى: قال يوسف: أستعيذ بالله — معاذًا — من أن نأخذ فى جريمة السرقة إلاّ الشخص الذى وجدنا صواع الملك عنده وهو بنيامين ، وأنتم الذين أفتيتم : أن السارق عندكم عقويته استرقاقه لمدة عام : فنحن نسير فى هذا الحكم تبعا لشريعتكم .

إِنَّا إِذًا لَطُلْلِمُونَ ؟ إِذا أَعَدْنا شخصا آخر غير الذي وجد صواع الملك عنده ، والظلم تأباه شريعتكم ، كما تأباه شريعتنا.

* * *

﴿ فَلَمَا اَسْتَنَسُوا مِنْهُ حَكَصُوا غِيَنَا ۚ فَالَكِيمِهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَ أَبَاكُمْ فَدَ
أَخَذَ عَلَيْكُم مَّرْقِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِن فَبَلُ مَا فَرَطْتُمْ فِي بُوسُفَ فَلَنَ أَبْرَحَ ٱلأَرْضَ حَنَّى
يأذَنَ لِي آَفِيَ أَوْيَعَكُمُ اللَّهُ لِي وَهُوَخَيْرُ أَلْمَكِمِينَ ۞ ارّجِعُ وَ اللَّي أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَتَأَبَاناً اللَّهُ الْمُعَلِّمُ اللَّهُ الْمُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ الْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنَ اللَّهُ الْمُؤْمِنَالِمُ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللْمُؤْمِنَا اللَّهُ اللَّهُ الل

المقردات :

استهنسوامنه ، ينسوا منه أند اليأس .

خسلمسوا تنجيما ؛ انفردرا عن يوسف وغيره متناجين أي : متسارين، والنجي من تتحدث معه سرًّا ، وإحدًا أو أكثر ، والنجوى : السر .

القرية التي كنا فيها: هي مصر والمراد بها: أهلها.

والسمسيسر؛ وأصحاب العير الذين كانوا معنا.

لتفسب

٨ - فَلَمًّا ٱسْتَيْتَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ...

أى: فلما يئسوا من يوسف ومن استجابته لطلبهم : انفردوا متناجين فيما بينهم ، وأخذوا يقلّبن الأراء ظهرًا لبطن ، ويتدبرون شئونهم كيف يلقون أباهم ، وكيف يخبرونه بالحادث ، وكيف يصنعون في هذه المشكلة ، لقد عبر القرآن عن هذه الأمور الكثيرة بعبارة موجزة هي : خَلَصُواْ نَجِيًّا . ٣٠)

قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مُّوثْقًا مِّنْ ٱللَّه وَمن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ في يُوسُفَ.

قيل : هو روييل وهو أكبرهم سدًّا ، وقيل : شمعون ؛ لأنه رئيسهم والرأس المدبّر لهم ٢٠٠١ ، وقيل : يهوذا. والاستفهام هذا التقرير ، أى : لقد علمتم علما يقينا بعهد أبيكم عليكم بشأن بنيامين ، وعلمتم علما يقينا بتغريطكم في يوسف .

أي : فبأي وجه ترجعون إلى أبيكم وليس معكم أخركم بنيامين .

فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلأَرْضَ . أرض مصر .

حَتَّىٰ يَأْذُنَّ لِي أَبِي. بمفارقتها والخروج منها .

أَوْ يَحْكُمُ ٱللَّهُ لِي . بمفارقتها والخروج منها .

وقيل: أن يحكم الله لني بالنصر على من أخذ أخى فأحاريه وآخذ أخى منه ، وَهُوَ خُيْرُ ٱلْحُنْكِوبِينَ ؛ لأنه لا يحكم إلا بالحق والعدل.

٨١ - ٱرْجِعُواْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَلَأَلِنَا إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلا بِمَا عَلِمنَا.

أى : ارجعوا من مصر إلى أبيكم بالشام ، وتلطفوا فى إخباره بأمر بنيامين ، فقولوا : يا أبانا ، إن ابنك سرق صواع الملك ، ووضعه فى رحله .

وقُرئ : سُرِّق أي : نسب إلى السرقة ، وَمَا شَهِلْنَآ عليه إِلاَّ بِمَا عَلِمتًا مِن وجود المباع في رحله .

وَمَا كُنَّا لِلغَيْبِ خَلْفظينَ .

أى : وما كنًا حين أعطيناك الموثق ، نعلم أنه سيسرق أو أنَّا سنلاقى هذا الأمر ، أو أنك تصاب به كما أصبت بيوسف . ٨٢ - وَسُمُّ لِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِي ٓ ٱلْفَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَلْمِأُونَ .

أى: إذا شئت التثبت من صدق كالرمنا ؛ فأرسل إلى أهل مصر المتصلين بالملك حيث كنا معهم ، وإسالهم عن ذلك .

واسأل أصحاب القافلة التي رجعنا فيها إلى بلادنا .

قيل: وكانوا قوما معروفين من جيران يعقوب عليه السلام ، وَإِنّا لَصَنْدِقُونَ . فيما أخبرتاك به ؛ فكن وافقا من صدقفا .

وهكذا صوّرت السورة ما دار بين يوسف وإخوته بأسلوب حافل بالإثارة والمحاورة، والأهذ والردّ ... فماذا كان بعد ذلك ؟ لقد كان بعد ذلك أن عاد الإخوة إلى أبيهم ، وأخيروه خبرهم ، ثم ذكر القرآن الكريم حرابه عليهم .

* * *

﴿ قَالَ بَلَ سَوَلَتَ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَـبْرُجُعِيدُلُّ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِينِي بِهِ مُجَيعًا إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۞ وَنَوَلَى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَٱبْيَضَتْ عَيْسَنَاهُ مِنَ ٱلْحُرْنِوَ فَهُوكَظِيمٌ ۞ ﴾

اللغردات،

سيسيسوات، زينت وسهلت.

فصير جميل: هو الذي لا يكون معه ضجر ولا شكوى لأحد.

ياأسفى على يوسف: الألف في أسفى بدلا من ياء المتكلم: للتخفيف، والأصل: يا أسفى بكسر الفاء، والأسف: أشد الحزن على ما فات .

هَــهِــو كــظـــيــم؛ فهو مملوء القلب غيظاً ، لكنه لا يظهر . وقيل : مملوء القلب حزنا ممسك له لا يبديه من كُمَّمُ السَّمَاءُ ؛ إِذَا طَبِّد مِثَد مِلْكَ، فَهُو فَهِيل بِمعنى : مفعول .

والبيضة عيشاه: أصابتها غشاوة بيضاء.

لتفسي

٨٣ - قَالَ بَلْ سَوْلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ...

أى: عاد إخوة يوسف من مصر برحالهم ، فأخيروا أياهم بالقصة فقال لهم : بل زينت لكم أنفسكم أمرا أنتم أردتموه : فصبرى على ما قلتم صبر جميل ، لا جزع ولا شكوى منه إلا إلى الله تعالى .

وهذا الجواب يشبه جراب يعقوب بأبذائه ، حين جاءوا أباهم يبكون ، وادعوا : أن الذئب أكل يوسف ؛ قَالَ لَلْ سَوِّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَيْرٌ جَمِيلٌ ...

لقد كان إخوة يوسف متهمين عندما أبعدوا يوسف، وادعوا: أن الذئب قد أكله، وكانوا صادقين في حق بندامين.

لكن حديثهم عن بنيامين نكأ الجرح القديم ، بشأن يوسف فأجابهم الأب جواب المتشكك في برامتهم؛ فقد سبق أن فجعوه في يوسف ، بعد أن عاهدوه على المحافظة عليه .

وجاء في تفسير أبي السعود :

بُلُ سُوَّكَتُ لَكُمْ أَنْسُكُمْ أَمْرًا. يريد يعقوب بذلك فتياهم : بأخذ السارق بسرقته : فإن هذا الحكم ليس من قوانين مصر ، وإنما هو من قوانين ديانة يعقوب وحدها .

ثم لجاً يعقوب إلى الله تعالى مستعينا به ، راجيا أن يجمع شمله بأبنائه جميعا فقال :

عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهِ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ .

أى: لعل الله أن يجمع شعلى بأبنانى ويردّ على يوسف ، وينيامين ، وروبيل الذى تخلّف فى مصر ، إِنّه هُرَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ . إنه هو الواسع العلم الذى يبتلى بحكمة ويرفع البلاء بحكمة ، وقد جرت سنته تعالى أن يجعل بعد الشدة المستحكمة فرجا ، وعد العسر يسرا .

\$ ٨ - وَتُوَلِّيٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَذَأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ...

أى: أعرض يعتوب عن أولاده: كارها لحديثهم عن بنيامين ، وتخلفه محبوسًا في مصر ، ثم جددت هذه المصيبة أخرانه القديمة فقال:

يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ . أي : يا شدة حزني وحسرتي على غياب يوسف ويعده عنى !

وَٱبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْدِ فَهُوَ كَظِيمٌ.

أى: أصابت عيناه سحابة بيضاء من كثرة البكاء والحزن على يوسف؛ فهو مملوء من الحزن على أولاده الغانبين، ومملوء من الفيظ من أولاده الحاضرين.

قال تعالى: وَ لَالْكَاظِمِينَ ٱلْفَيْظَ ، أَى: يمسكونه فلا يشتد غضيهِم وإيذارُهم ؛ فيعقوب مع شدة حزته وأسف يكتم حزنه عن الناس ، ولا يهوج به لأولاده .

وقد جاء في كتب التفسير تساول مفاده ما يأتي :

كيف جاز لنبيُّ الله يعقوب أن يشتد حزنه إلى هذه الدرجة.

والجواب: أن الحزن على المفقود فطرة بشرية ، والممنوع: هو الهلم والجزع والصياح ولعم الخدود، أو شق الجيوب ، أو إعادة دعوى الجاهلية ، وقد بكى رسول الله ﷺ على ولده إبراهيم وقال : « العين تدمم، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون!» (^(۱) رواه الشيخان .

وعن الحسن : أنه بكى على ولبرله ؛ فقيل له فى ذلك ؛ فقال : ما رأيت الله جعل الحزن عارًا على يعقوب. و فى تفسير الكشاف :

أنه قيل له عليه المسلاة والسلام: تبكى وقد فهيتنا عن البكاء؛ قال: « ما نهيتكم عن البكاء وإنما فهيتكم عن صوبتين أمماقين: صوبت عند الفرح، وصوبت عند القرح» °°،

﴿ قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَوُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَقَّ نَكُونَ حَرَضًا أَوْتَكُونَ مِنَ أَلْهَا لِكَاللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا إِنَّمَا أَشْكُواْ بَقِي وَحُزْفِيْ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَعْمَ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُواْ بَقِي وَحُزْفِيْ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا إِنَّا مَا أَشْكُواْ بَقِي وَحُزْفِيْ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهُ مَا اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَا اللّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا أَنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَا أَنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللّهُ مَا أَنْ إِلَى اللّهُ مِنْ اللّهُ مَا اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَا اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ مُنْ اللّهُ مِنْ الل

اللفر دات :

تَالِيْكَ : أَي : والله ! فالتاء حرف يستعمل في القسم بالله خاصة .

تشتا، أي: ما زلت.

قال الكسائى : فَتَأْتُ وُفَقِلْتُ أَى : ما زلتُ ، وقال الفراءُ : إن الكلام منا بتقدير (لا) أى : (لاَ تَفْتُأُ . وكثيرا ما تضمر (لا) في جواب القسم كما في قول امرئ القيس : فقات : يمين الله أبرح قاعدًا ولق قَطُّعوا رأسي لدبك وأو صالب

أى: بحق الله لا أبرح ، وهو رأى الخليل وسيبويه ، وعلُّوا جواز ذلك: بأنه لا يلتبس بالإثبات إذ له كان على الإثبات؛ لوجب اقترانه باللام والذين كقولك: تَالله لأفعلنَّ كذا.

حرضًا؛ الحرض لُغَةً: فساد الجسم أو العقل من الحزن أو العشق أو الهَرَم؛ كما قال أبو عبيد وغيره. بسس، البث: المصيبة التي لا قدرة لأحد على كتمانها فيبثها وينشرها.

التفسيره

٥٨ - قَالُواْ تَآلِلُه تَفْتُواْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلكينَ ...

أي: قال أبناء يعقوب له بعد أن سمعوه يريد الأسف على فقد يوسف: يا أبانا ، لا تزال تذكر يوسف بهذا الحنين الجارف ، والحزن المُضَّني ، حتى تكون حَرَضًا . أي : مريضًا ضعيف القوة .

أَوْ تَكُونَ مِنْ ٱلْهَلْلَكِينَ . أو يصيبك الموت فعلاً : فأنت إما أن تقارب الموت ضعفا وهزالا ، أو تموت بالفعل. وقد قالوا ذلك ؛ رقة له وشفقة عليه ورأفة به.

قال النسفى: ويجوز للنبي أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ: لأن الإنسان مجبول على ألا يملك نفسه عند الحزن ؛ ولذلك حُمد صبره .

٨٦ - قَالَ إِنَّمَا أَشْكُواْ بَقِي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ .

أى: قال يعقوب ردًّا على أولاده: إني لا أشكو أحزاني إليكم ، ولا إلى غيركم من الناس ؛ وإنما أناجي ربِّي وأذاديه ، وألجأ إليه في شدتي ؛ أشكو إليه ما أعاني من اللُّوعة والحرقة ؛ لغياب يوسف ثم إخوته .

وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ .

أى: عودني ربى الرحمة واللطف والإجابة والأمل ؛ فلا أينس من رحمته ، وأتوقم لطفه وفضله ، وأستشرف إلى معونته وكرمه.

ويجوز أن يعقوب عرف في منامه ، أو ألهمه الله : أن يوسف حيٌّ يرزق ؛ فزاد أمله في ذلك .

روى: أنه رأى ملك الموت في منامه فسأله: هل قبضت روح يوسف ؟! فقال: لا والله ، هو حى فاطلبه.

وقال ابن عباس:

وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لاَ تَعَلَمُونَ مَ . هى رئيا يوسف ، أى : قال يعقوب : أعلم أن رئيا يوسف صدق وأن الله لابد أن يظهرها ، وهذا يقتضي حياة يوسف ، وتفوقه ، وعلى شأنه ؛ حتى يسجد له إخوته .

+ + +

﴿ يَنَبَىٰٓ أَذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَآخِيهِ وَلَا تَايْتُسُواْ مِن زَّوْجِ ٱللَّهِ إِنَّهُ لَا يَايْتَسُ مِن زَّوْجِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْعَزْمُ ٱلْكَنِهِرُونَ ۞ ﴾

المقردات :

فتحسب واء التحسس : طلب معرفة الشيء بالحواس .

ولا تينسوا من روح الله: ولا تقنطوا من رحمته التي يحيى بها العباد.

التفسيره

٨٧ - يَكَنِينُ ٱلْمُهُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَأْيَتُسُواْ مِن رُوحِ ٱللَّهِ إِلَّهُ لاَ يَأْيُنَسُ مِن رُوحِ ٱللَّهِ إلاَّ ٱلقَوْمُ ٱلْكَنَاهُ, و نَ

طلب يعقوب من أولاده أن يذهبوا إلى أرض مصر ، جادين فى البحث عن يوسف وينيامين ، مستغلين حواسهم كالسمع والبصر فى تلمّس هذه الحقيقة ، والأمل الكبير فى الله أن يوصلُهم إلى هدفهم ، وأرصاهم: ألا يقنطوا من فرجه سبحانه ، وتنفيسه عن النفس هذا الكرب ، بما ترتاح إليه الروح ، ويطمئن به القلب .

إِنَّهُ لاَ يَأْيُفُسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلْقُوْمُ ٱلْكَلْفِرُونَ .

إن المزمن بخير حال : إن أصابته ضراء : صبر : فكان خيراً له ، وإن أصابته نعماء : شكر : فكان خيرا له : فالمؤمن دائما واثق من فضل الله ورحمته ورضوانه ، والق بأن بعد العسر يسرا وأن من يتُق الله : يجعل له مغرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب .

أمًا إذا يُس الإنسان من قدرة الله على كشف كريه ، أو شك فى قدرته على ذلك : فهذا هو الياتس من روح الله وفضله وألطافه ، وهو كافر بقدرة ريّه : ولذلك فإن المنتحريانس من الفرج ، وهو يقتل نفسه ليذهب بها إلى النار .

وفي الحديث «الذي يقتل نفسه ؛ يقتلها في النار».

وقال ﷺ: «من تحسَّى سمًّا فهلك ، فسمُّه في يده يتحساه إلى يوم القبامة ، ومن وجاً بطنه بحديدة: فحديدته في يده يجاً بها بطنه إلى يوم القيامة ، ومن تردى من فوق جبل فهلك : فهو يتردى من فوق الجبل إلى يوم القيامة ... » .

واستدل بالآية جمع من العلماء: على أن اليأس من رحمة الله كفر!

والجمهور: على أن اليأس من رحمته تعالى من الكبائر، اللهم إلا إذا اقترن بذلك ما يدل على نسبته تعالى إلى العجز عن تنفيس الكرب أن مغفرة الذنب، وأيا ما كان الأمر فاليأس من رحمة الله من صفات الكفار، ومن أسباب الكفر والعياذ بالله تعالى! ووصية يعقوب عليه السلام لبنيه في الآية الكريمة درس من دروس النبوة في شعد الهمم وتربية العزائم (٩٠٠).

- - -

﴿ فَلَمَّا دَعَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَكَاثُمُ الْمَزِيرُ مَسَنَا وَأَهْلَنَا الشُّرُ وَحِشْنَا بِضَعَةَ مُزْحَاةِ فَأَوْفِ
لَنَا الْكَيْلُ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَأَ إِنَّا اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ۖ هُ قَالَ هَلُ عَلِمْتُمُ مَا فَعَلْمُ
بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذَا نَتُمْ حَهِلُونَ هُ قَالَوْلَ أَوْلَا أَوْلَكُ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ
وَهَلَذَا أَخِي قَدْ مَنَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِن يَتَّقِ وَيَصَّبِرِ فَإِنَ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
الْمُحْسِنِينَ ۞ ﴾

المفرداتء

وجئتا ببضامة مزجاة ، المراد من البضاعة منا : الثمن ، والمزجاة : المدفوعة التى يردما من يراما ارداءتها من أنجيته ؛ إذا دفعته ، والريح تزجى السحاب : تسوقه وتدفعه ، وقال ثعلب : البضاعة المزجاة : الناقصة غير التامة ، اهـ ، ومن معانيها : القليلة كما ذكره صاحب القاموس، ولمل هذا المعنى هو المراد هنا .

التفسيره

٨٨ - فَلَمَا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَنْأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ ...

استجاب أبناء يعقوب لتوجيه أبيهم ؛ فعادوا إلى مصر للمرة الثالثة ، ودخلوا على يوسف فأظهروا أمامه ما أصابهم من ضُرِّ وحاجة : تحريكا لعطفه ، وكان أبوهم يرجَّح أن هذا العزيز هو يوسف ، فلما أخبروه بحالهم : رقّ لهم رقة شديدة .

جاء في تفسير أبي السعود:

قَالُواْ يَشَأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ . أي : الملك القادر المتمنع .

مَسَّنَا وَأَهْلُنَا ٱلضُّرُّ . الهزال من شدة الجوع .

وَجِئْنَا بِبِطَلْعَةٍ مُّزِّجُلَّةٍ . مدفوعة يدفعها كل تاجر ؛ رغبة عنها واحتقارًا لها .

قيل: كانت بضاعتهم من متاع الأعراب صوفا وسمنا، وقيل: دراهم زيوفا: لا تقبل إلا بوضيعة.

وإنما قدموا ذلك ؛ ليكون ذريعة إلى إسعاف مراميهم ؛ ببحث الشفقة ، وهو العطف ، والرآفة ، وتُحريك سلسلة المرحمة .

فَأُوفِ ثَنَا أَلْكُولَ . أي: أتممه لنا ، وَتَصَدُّقَ عَلَيْنَا ؛ برد أخينا إلينا ، أن المراد بالتصدَّق : زيادة يزيدها لهم على ما يقابل بضاعتهم ، أو بالإغماض عن رداءة البضاعة التي جاءوا بها ١٠٨

إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ . فيخلف عليهم ما ينفقون ، ويضاعف الأجر لهم .

٨ ٩ - قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلَتُم بِيُوسُفَ وَأَعِيهِ إِذْ أَلْتُمْ جَسْهِلُونَ .

تأثر يوسف بما تكلم به إخوته ، وأراد أن يرشدهم إلى طريق الثوية فقال لهم : ما أعظم ما فطلم بيوسف وأخيه في حال جهلكم بحقوق إخوتكم عليكم ، ويعاقبة البغى والعقوق ، وقد يكون المراد من الجهل: الطيش والنزق واتباع الهوى ، وطاعة الحسد والأثرة .

وقد قال لهم هذه المقالة ؛ تمهيدًا لتعريفهم بنفسه ، بعد أن بلغ الكتاب أجله .

وكأن يرسف أراد أن يرشدهم إلى عظم ما اقترفوا فى حق يوسف وأخيه ، فى حال جهلهم ، ليتنبهوا إلى التوية إلى الله تعالى مما فعلوا : لأن معرفة الإنسان بقيح الذنب يجرّه إلى الدُّم والترية منه .

فكان كلامه شفقة عليهم ، وتنصحاً لهم في الدين ؛ لا مماتبة وتثريبا ؛ إيشاراً لحق الله على نفسه ^{٢٠١} . في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب ، فلله تعالى هذا الخلق النبوي الكريم .

وكان سؤاله إياهم ، سؤال العارف بأمرهم من البداءة إلى النهاية ، مصدقًا لما أرحاء الله إليه ، حين ألقره في غيابت الجب من قوله : وَأَوْحَيْنَا إِلَّهِ لِتَنْبُسُهُم بِأَمْرِهِمُ هَلْأًا وَهُمْ لاَ يَشْمُرُونَ . (يرسف: ١٥) .

. ٩ - قَالُواْ أَءِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَمَا يُوسُفُ وَهَلْذَآ أَخِي ...

أي: قالوا: من المركد قطعا أنك أنت يوسف، وقد عجبوا من أنهم يترددون عليه مدى سنتين أو أكثر، وهم لا يعرفونه وهو يعرفهم ويكتم نفسه.

قَالَ أَنَّا يُوسُفَّ. الذي تتحدثون عنه والذي فعلتم به ما فعلتم ، وَهَلْنَا أَخِي بنيامين قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا؛ فجمع بيننا بعد الفرقة ، وأعزنا بعد الذلة ، وأنسنا بعد الوحشة ، وخلُصنا مما ابتلينا به ويدُّل أحوالنا من عسر إلى يسر، ومن ضيق إلى فرج.

إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ .

أي: من يتق الله راجيًا رحمته ، خائفًا من غضبه ، عاملا في مرضاته .

وَيُصُّبرُ . على قضائه وقدره ، وأداء طاعته وتجنب معاصيه .

فَإِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ .

أى: فإن الله تعالى يرحمه برحمته ويكرمه بكرمه ؛ لأن من سنة الله التي لا تتخلف أنَّه لا يضيع أجر من أحسن عملا .

قال تِعالى : هَلْ جَزَآءُ آلإحْسَانِ إِلاّ آلإِحْسَانُ . (الرحمان : ٦٠) .

وقال سبحانه: إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ. (الأعراف: ٥٦).

* * *

﴿ فَالُواْ تَالَّهِ لَقَدْ اَثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْسَنَا وَإِنكُنَّا لَخَنطِينَ ۞ قَالَ لاَتَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمُّ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّيْحِمِينَ ۞ اَذْهَبُوا بِهَمِيصِ هَذَا فَالْقُوْمُ عَلَىٰ وَجَمِياً وَبَصِيرًا وَأَتُونِ بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ۞

اللفر دات :

تالله وأى: والله! وتقدم قريبًا: أن التاء حرف للقسم بالله خاصة.

آئ رك: اختارك وفضَّلك.

اخاطنان ، أمذنبين مقعمدين .

لاتثريب عليكم ، لا لوم عليكم ولا تأنيب ، يقال : فَرَيه ، يثريه ، وبُرِّيه ؛ إذا بكُّته بفعله وعدَّد عليه ذنويه . التفسير :

٩ ٩ - قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَحَدْهِ إِن رُبَّ

أحسُّ إخوة يوسف بالندم والأسف على ما فعلوه به ؛ فقالوا له : والله لقد فضلك الله علينا بالعلم والحلم ، والفضل والعزة ، وقد كنا متعمدين الخطأ حين ألفيناك في الجب قديمًا ، وحين اتهمناك بالسرقة حديثا : ولذلك أعزك الله وأذلنا ، وأغناك وأفقرنا ، ونرجو منك الصفح والعفو .

٩٧ - قَالَ لاَ تَعْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيُوْمَ ...

أى: لا تقريع ولا تأنيب ثابت أو مستقر عليكم اليوم ، عنا عنهم عفوًا تاما : لا مؤاخذة معه ، وهذا هو الصنع الجميل ، ثم دعا لهم : بمففرة الله تعالى فقال :

يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ .

أى: يففر الله لكم عن ذنيكم ويتلمكم ويستره عليكم: وهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّ'حِمِينَ. يففر المسفائر والكبائر، ويتفضل على التائب بالقبول. وقد تمثل رسول الله ﷺ بهذه الآية عند فتح مكة : فصفح عن أهلها، ثم قرأً هذه الآية.

نبذة من تفسير أبي السعود

«كان يوسف عليه السلام يدعو إخوته إلى الطمام ، بكرة وعشيا : فقالوا له : إنا نستحى منك بما فرط منّا فيك : فقال يوسف : إن أهل مصر وإن ملكت فيهم ، كانوا ينظرون إلىّ بالعين الأولى ، ويقولون : سبحان من بلغّ عبدا بيح بعشرين درهما ما بلغ ، ولقد شرفت بكم الآن ، وعظمت فى العيون : حيث علم الناس أنكم إخوتى ، وأنى من حفدة إبراهيم عليه الصلاة والسلام (٠٠٠)

٩٣ - ٱذْهَبُواْ بِقَمِيمِي هَلْذَا فَالْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ.

علم يرسف بطريق الرحى ، أن يسؤال إخوته أن أباه فقد بصره أو كاد ؛ فأمر إخوته أن ينهبوا بقميممه الذي كان يلبسه حينئذ ، أن بقميص في يده أحضره لهذا الغرض ، وأخبرهم : أن أباه سيعود بصبيرا؛ بذهاب حزنه ، وسروره بعودة يوسف ، ولما الله ألهمه ذلك أن أوحى إليه .

وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ .

أى : الرجال والنساء والذرية والخدم وغيرهم ، وقد روى : أن أهله كانوا سبعين رجلاً وامرأة وولدا، يعاهم يرسف للإقامة في جواره آمنين .

* * *

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ ــ ٱبُوهُمْ إِنِّى لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَّ لُوَلَاّ أَنْ تُفَيِّدُونِ ﴿ قَالُواْ ثَالَةً إِنَّكَ لَغِي صَلَالِكَ ٱلْفَكِدِيدِ ﴿ ﴾

المفردات :

قصات الهير : خرجت القافلة ، يقال : فصل من البلد ، يفصل فصولا ؛ إذا انفصل منه وجاوز حيطانه .

شسسلالك: دهايك عن الصواب ويعدك عنه.

التفسير

4 8 - وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْحِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِلَّى لِأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْ لَا أَن تُفَتَّدُونِ.

تحركت القافلة من إخوة يوسف ؛ متجهة من أرض مصر إلى العريش ، في طريقها إلى بيت المقدس، وحين جاريت العريش ، وانفصلت عن حدود مصر ؛ تحركت الربح فحملت رائحة القميص إلى أنف يعقوب ، وبينهما ثمانون فرسخا أو ثمانية أيام ؛ وأحس يعقوب براتحة القميص ؛ فقال لمن حوله ؛ إنى أتنسم الأن رائحة بوسف ، وأذق بوجوده ، وقرب لقائه ، ولولا أن تنسبوني لى ضعف العقل والتخريف ؛ لقلت لكم : إن لقائل ببوسف قد اقترب .

وبعض المفسرين نسب ذلك إلى شدة إحساس يعقوب بولده : فتذكر والحة تميمنه وهو صغير ، أو هو سر من أسرار الروح التي تستشعر عن بعد ما يحدث مع وجود مسافات شاسعة بين الروح وبين الأمر الذي تشعر به .

وفسر آخرون الأمر على أنه : معجزة إلهيه لنبي الله يعقوب عليه السلام .

قال الإمام ماثك — رحمه الله — أوصل الله تعالى ربح قميص يوسف ليعقوب ، كما أوصل عرش بلقيس إلى سليمان ، قبل أن يرتدُ إلى سليمان طرفه . ورعموما : علينا التسليم بما أخيره القرآن الكريم وهو حق وصدق ، دون البحث في كنهه أوصفته ما دام ذلك داخلا في حيز الإمكان» (٣٠٠.

والمعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مُدَّعى الرسالة ؛ تصديقا له فى دعواه ، فيعقوب رسول كريم يسر الله له محرفة الواقع وهو اقتراب القميص ، واقتراب لقاء يوسف عليه السلام .

٩ - قَائُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ تَفِى ضَلَئِلِكَ ٱلْقَدِيم.

قال الحاضرون حول يعقوب من أحفاده : والله إنك لا تزال فى ضلالك القديم ؛ من حب يوسف ، والإغراق فى محبته ، والاعتقاد بأنه حى يرزق ، وكانوا يظنون أن يرسف قد مات .

* * *

﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْفَنَهُ عَلَى وَجْهِهِ عَفَارْ تَدَّبَصِيرًا قَالَ ٱلْمَ أَقُل لَكُمْ إِنّ أَعَلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ اللّهِ ﴾

التفسي

٩٦ - فَلَمَّا أَن جَاءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَلْهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَآرْتَدُ بَصِيرًا ...

جاء إخرة وسف من أرض مصر إلى أرض كنمان بهلاد الشام ، وكان يهرذا هر حامل القميص : أراد أن يبشُر أباء بيوسف : تكنيرًا عن ذنبه : لأنه هر الذى حمل قميصه الملطخ بدم كنب ، وألقى يهوذا القميص على رجه يعقوب ؛ فعاد إلى يعقوب بصره ، كأن لم يكن به ضعف أو مرض قبل ذلك .

وعودة البصر إلى يعقوب معجرة إليهة ، وكان إلقاء القميمس سبباً ظاهريًّا ؛ أعاد إلى يعقوب الغرح والسرور ، وللغرح والسرور آثار حسية ومعنوية لا تنكر .

من تفسير المراغى

قال الدكتور / عبد العزيز إسماعيل باشا:

لا تتحسن أعراض مرض (الجولكوما) أو شدة توتر الدين ، أو تقف شدته إلا بالعلاج ، ومنه : العمليات الجراحية ، ولكن شفاء سيدنا يعقوب ؛ بوضع القميص على وجهه هو معجزة من المعجزات الشارجة عن قدرة الإنسان ، وليس المهم هو القميص أو وضعه على وجهه : فقد كان ذلك لتسهيل وقع المعجزة على الصاهرين فحسب ، ولكن المهم هو طريقة الشفاء ، وهي إدارة الله المنحصرة في (كن فيكون) وهي خارجة

عن كل السنن الطبيعية التي أمر الإنسان أن يتعلمها ، فعظمة المعجزة ليست في النتهجة فحسب ، ولكن في طريق الشفاء ، وما أعظم إعجاز القرآن ، الذي وصف حالة مرضية خاصة وبيَّن سببها ، ولم يكن يعلم العالم شيئًا عن هذا المرض في ذلك الوقت ، ولا بعده برْمن طويل . ا هـ.

قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُم إِنَّى أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَالاً تَعْلَمُونَ .

أى: قال يعقوب لأولاده: ألم أقل لكم حين أرسلتكم إلى مصر ، وقلت لكم: الفهوا فتحسسوا من يوسف وأهيه ، ونهيتكم عن اليأس من فضل الله وفرجه .

إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَالاً تَعَلَّمُونَ . أي : أعلم بوحى الله وإلهامه ؛ لا من خطرات الأوهام ، مَالاً تَعَلَّمُونَ من حياة بوسف .

﴿ قَالُواْ يَكَا ۚ بَانَا ٱسْتَغْفِرُ لِنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَا خَطِينَ ۞ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَيِّ إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ الرَّحِيدُ ۞ ﴾

٩٧ - قَالُواْ يَذَاَّبَانَا ٱسْتَعْفَرْ لَنَا ذُنُوبَنَـا ...

طلب أولاد يعقوب من أبيهم : أن يستغفر لهم الله ؛ لأنهم أتواً جُرمًا عظيمًا ؛ ترتب عليه آثار نفسية : ومنحية ؛ لذلك قالوا :

إِنَّا كُنَّا خَلْطِئِينَ . أي : متعمدين للجريمة في إبعاد يوسف ، وادعاء : أن الذئب قد أكله .

من هدى السنة

روى البخارى في صحيحه : عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء : ظليتحلُّلُه منه اليوم ، قبل ألاّ يكون دينار ولا درهم . إن كان له عمل مىالح أخذ منه يقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات : أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه» (٣٠).

وهذا الحديث يرحد المسلم إذا أخطأ : أن يطلب الصفح ممن أساء إليه ؛ بأن يستسمحه ، أو يوصل إليه من الهدايا أن الخدمات ما يكافئ مظلمته ، وعندما أحس إخوة يوسف بخطئهم ؛ طلبوا من أبيهم أن يستغفر لهم .

٩٨ - قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ...

أى : سوف أتضرع إلى ربِّي ؛ لكي يقفر لكم ذنوبكم .

إِنَّهُ هُو ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ .

إنه سيحانه كثير المغفرة ، كثير الرحمة لمن شاء أن يغفر له ، ويرحمه من عباده .

قال الرّجاح : أراد يعقوب أن يستغفر لهم فى وقت السُّمر : لأنه أخلق بإجابة الدعاء ، ولم يعجل بالدعاء : لعظيم جريمتهم ، فأراد أن يخلص لله الدعاء ، ويتحرّى ساعة الإجابة : شفقة على أولاده لعل الله أن يتجاوز عنهم .

وقد روى: عن ابن عباس: أن يعقوب عليه السلام أخّر الدعاء إلى الشّحر: لأن الدعاء فيه مستجاب وروى عنه أيضًا: أنه أخّره إلى ليلة الجمعة. وفي رواية: عن طاويس: سحر ليلة الجمعة، وجاء ذلك في حديث طويل رواه الترمذي وحسّنه عن ابن عباس يرفعه إلى النبي ﷺ.

ويذكر المفسرون هذا : مقارنة بين موقف يوسف ، وموقف يعقوب ؛ فيوسف ردّ على إخوته في الحال قائلا : لاَ تَعْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْمُومَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وهُوَ أَرْحُمُ ٱلرَّحِمِينَ ؛ لأنه موقف ملكِ قادر ، أراد أن يُعلمثن إهوته ؛ حتى لا يستبدُ بهم جزع أن هلع .

أما يعقرب فهو أب حكيم ، أراد أن يرُخر الاستغفار : حتى تصدق تويتهم ، ويعظم ندمُهم ، وهو أسلوب مناسب في التربية .

* * *

﴿ فَكَنَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰۤ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدَّخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾

المقردات:

آوى إليه أبويه ، غممهما إليه .

التفسيره

٩ ٩ - فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ عَارَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ...

فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ . استقبلهم استقبالاً كريمًا .

عَاوَىٰٓ إِلَّهِ أَبَـُولُهِ . أَى : أباه وأمَّه ، وقيل : أراد أباه وخالته ، وكان أبوه قد تزوجها ؛ بعد وفاة أمّه ، والخالة بمنزلة الأم ، كما أن العمّ بمنزلة الأب .

قيل : إن يوسف قد خرج لاستقبالهم في الطريق ، في جمع حافل ؛ لحتفاء بهم ، ثم ضم إليه أبويه واعتنقهما .

وَقَالَ آذْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ .

أي : وقال لهم : الخلوا بالاد مصر إن شاء الله آمنين على أنفسكم وأنحامكم من الجوع والهلاك : فإن سنى القحط كانت لا تزال بالقية ، ولا غرابة في هذه السماحة والكرم من يوسف عليه السلام : فهو كريم من سلالة رسل كرماء .

روى البخارى : أن رسول الله ﷺ قال : «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراميم» (٣٠).

وتمليق دخولهم مصر آمنين بالمشيئة الإلهية ؛ للتيمن والتبرك ، وللتبرز من حوله وقوته إلى حوله تعالى ومشيئته وفضله المطبح .

* * *

﴿ وَرَفَعَ أَبُويَهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْلَهُ سُجَدًّا وَقَالَ يَتَأْبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْ يَنَى مِن قَبْلُ قَدَّ جَعَلَهَا رَقِي حَقَّاً وَقَدَّ أَحْسَنَ فِي إِذَ أَخْرَ جَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِّنَ ٱلْبَدُو مِنْ بَعَدِ أَن نَزَعَ ٱلشَّيْطُنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَقِتً إِنَّ رَقِي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ أَنِنَهُ هُوَ ٱلْعَلِيمُ الْعَكِيمُ

المقردات

العرش: سرير الملك.

الميدو ، البادية ، وأصل البدو : المبسوط من الأرض ، سمى بذلك؛ لأن ما فيه يبدو للناظر؛ لعدم ما يواريه. نســزغ ، أفسد وأغرى ، وأصله : من نزغ الرائض الدابة ؛ إذا همزها وحملها على الجرى .

١٠٠ - وَرُفَعَ أَبُولِهِ عَلَى ٱلْعَرْش ...

أي: أصعد أبويه على السرير الذي يجلس عليه ؛ لتدبير أمور الملك ؛ تكرمة لهما ؛ زيادة عما فعله بإخوته .

وَ خَدُّ و أَ لَهُ سُجَّدًا .

أي : أهوى أبواه وإخرته ساجدين له ؛ سجود تحية لا سجود عبادة .

قال القرطي: وأجمع المفسرون: أن ذلك السجود على أيّ وجه كان؛ فإنما كان تحية لا عباده، وعلى إثر هذا السجود ؛ ذكرٌ يوسف أباه بروّياه في صباه .

وَ قَالَ يَـٰٓأَبُتِ هَـٰذَا تَأُولِلُ رُعْيَلَى مِن قَبْلُ . أي: هذا السجود منكم هو العاقبة التي آلت إليها رؤياي التي رأيتها من قبل في صفرى : إنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كُوْكُا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَايُّتُهُمْ فِي سَلْجِلِينَ .

قَدْ جَعَلَهَا رُس حَقًّا أَم : أمرًا واقعًا لا ربب فيه ، وقد رأيتموه الآن رأى العين ؛ فإخوتي مثال الكواكب الأحد عشر، وأبي وأمي مثال الشمس والقمر.

وَ قُدْ أَخْسُنَ بِي . ربي إحسانا عظيما .

إِذْ أُخْرَجَتِي مِنَ ٱلسِّجُن . معززا مكرما إلى عرش الملك والسيادة .

ولم يذكر نعمة خروجه من الجب ؛ حتى لا يجرح شعور إخوته .

وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبُدُو . معطوف على ما قبله ؛ تعدادًا لنعم الله عليه . أي : وقد أحسن بي ربي حيث أخرجني من السجن ، وأحسن بي أيضًا ؛ حيث يسر لي جمع الشمل ، وقدوم أسرتي من البادية ، وشظف العيش إلى الحاضرة ؛ حيث تعيش في رغد واستقرار وأمان .

قال الزمخشرى: كانوا أصحاب خيام ومواش يتنقلون في الحياة والمناجع . ا هـ .

مِرْ يَعْدِ أَن نَّزَ عُ ٱلشَّيْطَلِنُ يَيْنِي وَيَيْنَ إِخْوَتِي .

أي: أفسد بيننا ، وحمل بعضنا على بعض . أحال يوسف ذنب إخوته على الشبطان؛ تكرما منه وتأدبا.

إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ.

أى: لطيف التدبير لما يشاؤه ، حتى يجىء على وجه الحكمة والصواب ، فإذا أراد أمرًا : هيأ له أسبابه وقدّره ويسره ، وإن كان في غاية البعد عما يخطر بالبال ، فمن ذا الذي كان يدور بخلده أنَّ الإلقاء في الجب يعقبه الرق ، ويتلو الرق فتنة العشق ، ومن أجله يزج في غيابات السجن ، ثم إلى السيادة والملك .

إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَلِيمُ. بمصالح عباده ؛ فلا تخفى عليه مبادئ الأمور وغايتها ، ٱلْحَكِيمُ. الذي يجعل الأمور على وجه الحكمة والمصلحة ؛ فيجازي الذين أحسنوا بالحسنى ، ويجعل العاقبة للمتقين.

* * *

﴿ ۞ رَبِّ قَدْءَ اَيَّلَتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثُ فَاطِرَ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيَّ ـ فِٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ قَوْفَي مُسْلِمًا وَٱلْحِقْنِي بِالصَّلِحِينَ ۞﴾

المفردات ،

تأويس الأحاديث: تفسير ما غمض منها. والمراد هنا: تفسير الأحلام.

فاطر السماوات والأرض: خالقهما على غير مثال سابق.

والمسيسي: ناصري ومعيني.

التفسيره

أنعم الله تمالي على يوسف بالعديد من النعم ، وجعل له من كل شدة فرجا ، ومن كل هم مخرجا .

من ذلك : إلقاؤه في الجب ، تعلق زليضا به ، دخوله السجن .

ثم نجاه الله من السجن ، وجعله على خزائن الأرض ؛ فاتجه إلى ربه تعالى بالدعاء قائلا :

١٠١ - رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ...

أى: يا إلهى يا خالق السماوات والأرض ، قد أعطيتنى من الملك التنفيذى الفعلى ، وإن الاسم لغيرى، إلا أن التنفيذ الفعلى في الأمور صار بتوجيهي وعملى ، وعلمتنى تفسير الرؤيا ، وشرح الأحلام الغامضة ، هَاطِرُ آلسَّمْنُوَّاتِ وَآلَأُرضِ أَلتَ وَلِيَّ فِي ٱلنَّبُيُّ وَآلاَّ حَرَةً . يا خالق السماوات والأرض على غير مثال سابق : فكان الكون كله على هذا النحو البديع المتكامل ، بما فيه من سماء وأرض وجبال ويحار وهواء وشمس وقمر : وُكُلُّ فِي فَلْكَ يُسْبَعُونَ . (س : - ٤) .

إذك متولى أموري ومتكفل بها ، أو أنت موال لي وناصري على من عاداني وأرادني بسوء .

تَوَلَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّلِحِينَ .

اختم لى حياتى على الإسلام والإيمان ، وثبتنى على الإسلام فى حياتى ، ثم ألحقنى يا رب بالمالحين من عبادك .

وفي هذه الآية يختم يوسف قصته بدعاء مخلص يرجو ربّه أن يثبته على الإيمان والإسلام حتى الموت، وأن يكتب له درجة الصلاح ويلحقه بالصالحين من آبائه ، ويالمسالحين من المسلمين وفيه دليل على منزلة الصلاح ، وأنها منزلة يتطلع إليها الأنبياء والمرسلون . قال تعالى : رَبِّها مّنَ ٱلمُسْلَحِينَ . (ال عمران : ٢٩)

* * *

﴿ ذَالِكَ مِنْ أَنْبَلَوَ ٱلْغَيْبِ فُوجِيهِ إِلَيْكُ وَمَا كُنتَ لَذَيْهِمْ إِذَ أَجْمَعُواْ أَمْرُهُ وَهُمْ يَكُرُونَ الله

النظر دات ،

أجمعوا أمرهم : أحكموا تدبيرهم .

يمكرون، يتآمرون ويحتالون.

التفسيره

٢ . ١ - ذَا لِكَ مِنْ أَلَبْنَاءَ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَنَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ .

هذا تعقيب من الحق سبحانه على قصة يوسف عليه السلام ، والتفاتُ إلى رسول الله محمد ﷺ : يواسيه ويشد أزره فيقول له : هذه قصة يوسف ، من أخبار الوحى والغيب : أطمناك بها بطريق الوحى ، وأنت لم تكن مشاهدًا لإخوته حين دبّروا أمرهم ، وأحكموا مكرهم على إلقائه في الجبّ ، وإبعاده عن أبيه .

وما كان لك علم بما في هذه القصة من رحلة يوسف إلى مصر ، وفتنة امرأة العزيز به، ودخوله السجن ، ثم خروجه من السجن ملكا عزيزا متصرفا ، أي : لم تشاهد شيئا من قصة يوسف، وما كنت تعلمها إلا بطريق الوحى .

شبه الجاحدين على الوحي

ادعى بعض الجاحدين على الوحى: أن محمدًا كان شديد الذكاء ، قوى الفراسة ، له قدرة على التخيل، قصاغ هذا القرآن من عند نفسه ، ونسبه إلى الله تعالى .

ونقول لهوًلاء :

القرآن فيه أخبار وقصص وردود في غاية الصدق ، وفيه أرقام عن أهل الكهف ، وعن بدء الطبقة لا ينفع فيها الذكاء ، وفيه إئر ار بالغيب في سورة الروم وغيرها ، وفيه معلومات علمية عن الكون والسماء والأرض ، لم تصطدم بالعلم ، بل كلما تقدم العلم ؛ كلما أكَّد وأيد ما في كتاب الله .

قال تعالى: سَنُرِيهِمْ عَايَلْتِنَا فِي آلآفَاقِ وَفِي ٓ أَنفُسِهِمْ حَثَّىٰ يَنَيَّنَ لَهُمْ أَنُّهُ ٱلْحَقُّ. (نصلت: ٥٠).

ونبى الله محمد لم يكن مصاحبًا ليرسف حتى يحكى قصته بهذا الصدق ، ولم يكن مصاحبًا لموسى، أو لنوح ؛ أو لشعيب مع أهل مدين ، حتى يحكى قصص هؤلاء بصورة كانت أصلا لأحكام المؤرخين .

قال تعالى : وَمَا كُنتَ بِجَالِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ... (القصص: ٤٦) ، وقال سبحانه : وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَايِّنَ تَعُواْ عَلَيْهِمْ وَيَلِينَا وَلَكِنَا كُنا مُرْسِلِينَ . (القصص: ٤٥).

وخلاصة هذا : أنَّ الله هو الذي أطلع رسوله على أنباء ما سبق ؛ ليكون فيها عبرة للناس في دينهم ودنياهم .

* * *

﴿ وَمَا أَحْتُرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ۞ وَمَا تَسْتَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِحْتُرٌ لِلْعَلَمِينَ ۞ ﴾

التفسيره

٣ . ١ - ومَا أَكْثَرُ آلناس وَلُوْ حَرَصْتَ بِمُوْمِينَ .

سبب النزول :

جاء في تفسير الفخر الرازي والآلوسي وغيرهم ما يأتي :-

سألت قريش واليهود رسول الله ﷺ عن قصة يوسف : فنزلت مشروحة شرحا واقيا ، فأمل رسول الله ﷺ في إسلامهم ، لكنهم أصرُّوا على كقرهم : فحزن الرسول ﷺ لذلك : فنزلت هذه الآيات تراسيه ، والمعنى : وما أكثر مشركى قرمك ، ولو حرصت على أن يؤمنوا بك ، ويتبعوا ما جنتهم به من عند ربك، بمصدِّقيك ولا متبعيك ، أن أن هذه الظاهرة هى طبيعة معظم الناس ، لا أهل مكة وحدهم : فعليك أيها الرسول أن تتسلى عنهم ، وأن تصبر على أذاهم ؛ لأن الهدى هدى الله ، قال تعالى : وَلَوْ شَاءَ رَبُكُ لاَّمَنَ مَن فِي ٱلأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَقَالَتَ تُكُرُّ هُآلَاسَ حَتَّى يَكُولُواْ مُؤْمِنِيّ . (وينس: ٩٩) .

وقال سيحانه : لُيْسَ عَلَيْكَ هَنَاهُمْ . (البقرة: ٢٧٧) ، قَلاَ تَلْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ . (فاطر: ٨) . وَلاَ يَعَزُنِكَ قَوْلُهُمْ . (بونس: ٢٥) . إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ آلْبُلُكُ . (الشوري: ٤٨) .

١٠٤- وَمَا تَسْمَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرِ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لُلْعَلَمِينَ .

أى: أذك لا تطلب منهم أجرًا على تبليغ الرسالة ، ولا تطلب منهم مالا ولا منفعة ، وإنما تبلغ الرسالة: ابتغاء مرضاة الله ؛ فكان الواجب أن يتأملوا في ذلك ، وأن يعلموا أنّك لا تقصد من وراء تبليغ الرسالة مالا ولا أي مطلب دنيوى ، وإنما تحمل رسالة الله إلى خلقه ؛ لتذكرهم بما يجب عليهم نحوه ، وفي قوله تعالى : إنْ هُوْ إِلاَّ وُكِّرٌ للْمَنْلُوبُ . إشارة إلى عموم الرسالة المحمدية وأنها عداية للبشرية جمعاء ، قال تعالى : وتَعَلَّمُنُ بَنَّهُ بَعَدَ حِينٍ . (من : ٨٨) ، وفعلا كان لهذا القرآن شأن أيُّ شأن ، في قيام الدولة ، ونشر الهداية ، وانتصار الحق أبوغ غذا الدين المشارق والمغارب .

* * *

﴿وَكَأَيِن مِّنْ ءَايَةِ فِ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ۞ وَمَا يُوْمِنُ أَكَنَّ مُهُم بِاللَّهِ إِلَا وَهُم مُشْرِكُونَ ۞ أَفَا يَنْوَ أَلَنَ تَأْتِيهُمُ عَنْشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْتَأْتِيمُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ ﴾

المفردات

وكأين من ءاية ، وكم من علامة دالة على وجود الصائع ووحدته وقدرته وسائر صفاته .

مسعسرضيون، منصرفون.

الساعية ، القيامة .

بمسقستسة ، فجأة دون توقع أو انتظار .

التفسيره

٥ . ١ - وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَاراتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرضُونَ .

كثير من الآيات الدالة على قدرة الله وعظمته ، وجليل فضله ونعمه ، يمر عليها هؤلاء المشركون فلا يتعظون ولا يتأملون ، فالسماء والأرض ، والجبال والبحار ، والليل والنهار ، والشمس والقمر ، والنبات والإنسان والحيوان ، وكل ما في هذا الكون البديع يشهد بقدرة القادر ، وعظمة المسانع ، ولكنهم يشغلهم الإلف والمادة وغشاوة القلب ، فلا يتأملون ولا يتدبرون ، ولا تهنز قلويهم لبديع صنع الله ، في شروق للشمس، أو طلوع البدر ، أو هطول المطر ، أو حدوث الرعد والهرق ، أو ارتفاع السماء ، ووجود النجوم والمجرات والأقلاك بها ، أو انبساط الأرض ، ووجود البحار والأنهار والجبال والنبات والإنسان والحيوان عليها .

٩ - ١ - وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِآلَةَ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ .

تحدُّر هذه الآية من الشرك بجميم أنواعه ، وتدعو إلى الإيمان بالله خالصا نقيا .

والمحى: وما يؤمن أكثر أهل مكة بالله إلا إيمانا مشويا بالشرك ؛ من حيث اعتقادهم: أن الأصنام تنفعهم ، أو تقريهم إلى الله زلني .

قال ابن حباس : هم أهل مكة آمنوا وأشركوا ، وكانوا يقولون فى تلبيتهم : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك » ، وهذا هن الشرك الأعظم .

وفى المتحيجين : عن ابن مسعود : قلت : يا رسول الله ، أيّ الذنب أعظم ؟! ، قال : أن تجعل لله ندًا ، وهو ملتك (١٠٠).

وقد بين ابن القيم في إغاثة اللهفان ، ما خلاصته :

أن الشيطان يزين للناس زيارة القبور ، ويوجى لهم : أن الدعاء عندها مستجاب ، ثم يسأل أصحاب القبور الشفاعة والوسيلة ، ثم يتخذ القبور عيدا تعلق عليها القناديل والستور ، ويطاف بها ويذبح عندها ، ويحج اليها ، ويعتبر ذلك عبادة ومنسكا ، مع أن دين الإسلام جاء بإخلاص العبادة الله وحده ، والنهى عن جميع مظاهر الشرك⁽⁷⁷⁾.

١٠٧ - أَفَأَمنُوا أَنْ تَأْتِيهُمْ غَلشيَّةٌ مِّنْ عَلَىابِ ٱللَّهِ ...

تأتى هذه الآية ؛ تهديدا ووعيدا للمشركين ؛ بأن الله قادر أن ينزل عليهم عذابا يغشاهم ويعمهم ، فهل أمنوا أن ينزل الله عليهم صاعقة من العذاب ، هثل : الشهب والنيازك ، أو الزلازل والبراكين ، وكل أسباب الموت؟ا.

أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَاتُتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ .

والآيات ندام جهر: أن تنبّهوا، أفيقوا، قبل أن تفاجأكم القيامة، أو قبل أن ينزل بكم عناب الله: فإنه يأتي فجأة، ولا يعمسكم منه إلا الإيمان بالله وامتثال أمره، واجتناب ما نهى عنه:

* * *

﴿ قُلْ هَلَاهِ -سَبِيلِيَّ أَدْعُوَّ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَعِيدِيرَةِ أَنَا وَمَنِ اَتَّبَعَنِي وَشَبْحَنَ اللّهِ وَمَا أَنَامِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ ﴾

المفردات ،

سببيلس، طريقي وطريقتي.

على بصيرة؛ على يقين ناشئ من وحى الله وآياته وحججه.

التفسيره

٨ • ١ - قُلْ هَـلِهِ سَبِيلِيّ أَدْعُواْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ يَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ ٱلْبَعْنِي ...

أى: قل يا محمد ، لهولاه المشركين ، وللناس أجمعين : هذه رسالتى وطريقتى ، والدعوة التى أدعو إليها ، وهى : شهادة ألاً إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله – أدعوا إليها على يقين وحجة واضحة قاطعة ويرهان. أننا أدعو لهذه الدعوة ، ويدعو إليها كل من آمن بها واتبعني وآمن بدعوتى وصدق برسالتى ، وُسُبِّحُنَ اللهِ . أن أنا أنزه الله عن أن يكون له شريك ، أو نظير ، أو صاحبة ، أو وزير ، أو مشير ، تقدّس الله وتعالى علوا كبيرا .

وَمَا أَنَامِنَ ٱلْمَشْرِ كِينَ . فلا أَشْرِك بعبادة الله أَى معبود ؛ بل إنى أخلص العبادة لوجيه ، قال تعالى : وَمَا أُمِرُواً إِلاَّ لِيَتُهُواْ اللَّهُ مُعْلِمِينَ لَهُ ٱلنَّيْنَ . (البيئة: ٥) .

﴿ وَمَاۤ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالُا نُوحِيٓ إِلْيَهِم مِّن أَهْلِٱلْقُرَّقُ أَفَلَرْ يَسِيرُوا فِ ٱلْأَرْضِ فِيَـنْظُرُوا كَيْفَكَاكَ عَنِقِهَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمَّ وَلَدَارُٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آتَقَوَّ أَفَكَ تَعْقِلُونَ ۖ ﴾

لتفسيره

٩ . ٩ - وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً تُوحِيّ إِلَيْهِم مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ ...

تەھىد :

تختم سورة يوسف بهذه الآيات الأخيرة من السورة : تعقيبا على سورة يوسف وقصته ، التى هى محلُ العقد التى هى محلُ العظة والاعتبار فى ألوان متعددة ، منها : إلقاؤه فى الجب ، ثم صيرورته فى بيت العزيز ، ثم تعرُّ ضه للفتتة والامتحان ، ونجاحه وسلامته ، ثم إلقاؤه فى السجن ، وتفسيره للرؤيا ، ثم انتقاله وزيرًا مطلق اليد ، ونجاحه فى إدارة أمور البلاد ، وتسامحه مع إخوته ، وتعظيمه أبويه ، وأخيرًا تحقيق الرؤيا التى رآها يوسف.

إن هؤلاه الرسال الذين أرسلناهم برسالة السماء ، كانوا رجالا من البشر تميزُّروا باختيار الله لهم : لحمل رسالته : آللهُ أُعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَاتَهُ . (الانعام: ١٢٤) ، كما شرفهم الله بالوحى إليهم ، فلم يكونوا ملائكة، وإنما كانوا رجالا في البشر نزل عليهم الوحى ، قال تعالى : قُلْ إِنَّمَا أَنْ أَبْشَرُ مُثَلِّكُمُ يُوسِّرَقِيَّ سيحانه : وَمَا أَرْسَلْنَا قَلِلُكُ مِنْ آلْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهِمُ لِلْأَكُولُونَ آلَقُعْمَ وَيُفْتُونَ فِي

مِنْ أَهْلِ إِلْقُرَىٰ ۚ . أَى : من أَهَلَ المدن ، والبلاد العامرة الكثيرة المبانى ، لا من أَهَلَ البادية : فهم فى العادة أهل جفاء وغلظة ، على حدَّ قوله تعالى : الأُغْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَلِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يُعْلَمُواْ حُدُودَ مَا أَمْزَلُ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . (التوبة: 47) .

جاء في تفسير القاسمي :

والقرى : جمع قرية وهو على ما فى (القاموس) : المصر الجامع ، وفى (كفاية المتحفظ) : القرية : كل ما اتصلت به الأبنية ، واتخذ قرارًا ، وتقع على المدن وغيرها . ا هـ .

قال ان کثر :

والمراد بالقرى هذا: المدن ، أى: لا أنهم من أهل البوادى الذين هم أجفى الناس طباعًا وأخلاقًا ، وهذا هو المعهود المعروف: أن أهل المدن أرق طباعًا ، وألطف من أهل بواديهم ، وأهل الريف والسواد أقرب حالا من الذين يسكنون في البوادى ، ولهذا قال تحالى: " آلاَّعَرَابُ أَشَدُّ كُفُرًا وَنِفَاقًا ... الآية . قال قتادة: إنما كانوا من أهل القرى ؛ لأنهم أعلم وأحلم من أهل العَمودُ.™.

ونقل عن الحسن أنه قال : « لم يبعث رسول من أهل البادية ولا من النساء ولا من الجن»(١٠٠٠).

أَفَلَمْ يُسِيرُوا فِي ٱلأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَلْقِبُهُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ.

أفلم يعتبروا بسن الله فى الخاق ، ويسيروا فى الأرض بأجسامهم أو يعقولهم وأفكارهم ، فيتأملوا

وينظروا : كَيْفَ كَانَ عَسْقِيَةُ ٱللّٰهِينَ مِن قَبِلْهِمْ . أى : من المكذبين من أمثال فرعون وهامان وعاد وثمود - كيف

أهلك الله الكافرين ونجى المؤمنين . والاستفهام هنا : للتقريع والتوبيخ ، وفيه حث على النظر والتدبر
والتفكر : ليكون ذلك سبيلا إلى الهداية .

وَلَدَارُ ٱلآخِرَةِ خَيْرٌ لَّلَّذِينَ ٱلْقُواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ .

أى: إن العبرة التي يستخلصها العقلاء من وقرفهم على هلاك الظالمين ونجاة المؤمنين: أن الدنها متاع قليل ، وأن الأخرة هي الحياة الدائمة للذين اتقوا ربهم وتزرُّدوا لهذه الدار بالعمل الصالح.

أَفَلاَ تَفَهِّلُونَ . أَفلا تستخدمون مقولكم : فتدركون أن الإيمان أبقى وأنفع ، وفيه تقريع وتوبيخ لهؤلام المشركين الضالين ، الذي عطلوا عقولهم ؛ فلم يهتدوا بها إلى خير ، ولم يتحرفوا بها على حق ، وذلك هو الفسران العبين.

+ + +

﴿حَقَّةَ إِذَا ٱسْتَيْصَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّواۤ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَمَآ هُمْ نَصَرُنَا فَنَجِّي مَن نَشَآةُ وَلا يُرَدُّ بَأَسُنا عَنِ ٱلْفَرْ مِ الْمُجْرِمِينَ ﴿ ﴾

المفرداتء

استيئس الرسل؛ أغرقوا في اليأس والقنوط.

وظنوانهم قدكتهوا؛ أي : رجح عندهم أن نفوسهم حدثتهم بالنصر ، وكانت كاذبة في حديثها .

حساستداء عذابنا .

التفسيره

١١ - حَتَّى إِذَا آسَتَيْتَ سَ ٱلرُّسُلُ وَظُنُواْ أَنَّهُم قَذْ كُلِبُواْ جَاءَهُم نَصُرُنَا فُنجَى مَن نَشَاءُ وَلا يُردُ بَأَسْنَا عَنِ ٱلقَوْمِ آلْمُجُرِمِينَ .

في هذه الآية بشارة بالنصر مهما طال جهاد العرسلين ، ومهما تعاقبت ظلمات من طول البهاد وتأهر النصر ، حتى وصلت النفوس إلى لحظات من الشك في النصر ، وهذه كناية عن العرحلة الحرجة التي تطيف بالنفوس ، عندما يطول ليل الظلام ، وتتأخر بوارق النصر ؛ فيتسرب اليأس إلى النفوس ، وتعليف بها لحظات من اليأس ، أو ضعف الأمل في اقتراب النصر ، عبر عنه يقبوله .

وَطُّواً أَلَّهُمْ قُلْدُ كُلِّهُوا . أي : كذبتهم نفوسهم ، حيت استيقنت بالنصر وتأملت طويلا حدوثه أو تأخل النصر يسبب من جهة أنفسهم ، وطنت الرسل أنهم قد كُذبوا ، حين وعدوا بالنصر ، وتأخر النصر حتى طنوا أن تقصيرا وقم منهم تسبب في تأخير النصر .

جاء في التفسير القرآني للقرآن :

. « ومكنا يظل الرُّسل في متلاطم الشدائد والمحن ، حتى لقد يدخل اليأس عليهم ، وتغيم الحياة في أعينهم ، ويغيم الحياة في أعينهم ، ويغم الحياة في أعينهم ، ويغم عليهم طريق النجاة ، ويخيل إليهم أن النصر ، وتعلل عليهم تباشير الممباح ، فتطوى جحافل الظلام وتطارد ظوله ، وإذا دولة الباطل قد ذهبت ، وإذا راية المحق قد علت ، وفي هذا تسلية للنبي الكريم ، وشحد لعزيمته ، قال تمالى : كُنبَ اللَّهُ لأَعْلِسُ أَنَّا وَرُسُلِيّ إِنَّ اللَّهُ قَوْمُ عَرِيْ ً (المجادلة: ٢١) .

وليس في استيئاس الرسل ، وفي إطافة الظنون بهم — ليس في هذا ما ينقص من قدر الرسل ، فهم على يقين راسخ يما وعدهم الله به .

ولكن هناك مواقف حادة من الضيق ، وأحوال بالغة من الشدة تأخذ على الإنسان تقديره وتدبيره ، عندئذ وللحظة عابرة عبور الطيف ، يخون الإنسان يقينه ، ويقلت منه زمام أمره ، ثم يعود إلى موقفه ، آخد تثبتًا ، وأقوى يقينا وأرسخ قدما .

فتلك الحال التي تُمثّل الرسل في هذا الموقف ، هي القمة التي تنتهي عندها طاقة الاحتمال البشري، في مصادمة الأحداث ، ومدافعة الأهوال والشدائد ، وهي قمة لا يبلغها إلاّ أولو العزم من رسل الله(10).

و جاء في زاد الميسر لابن الجوزي:

قوله تعالى : حُقَى إِذَا ٱسْتَبَّسُ ٱلرُّسُلُ ، المعنى متعلق بالآية الأولى فتقديره : وَمَا أَرْسَلُنَا مِن قَبِلكَ إِلاَّ رِجَالاً . أي: فدعوا قومهم ، فكذبوهم ، وصدروا وطال دعاؤهم ، وتكذيب قومهم .

حَتَّى إِذَا آسْتَيْتُ سَ ٱلرُّسُلُ ، وفيه قولان :

أحدهما : استيئسوا من تصديق قولهم ، قاله ابن عباس .

والثاني: من أن نعذُب قومهم ، قاله مجاهد (١٦) .

وَ طُلُوآ ٱللَّهِمُ لَقَدُ كُلِيُواْ . توهموا أَن نفوسهم كذبت عليهم ، حين توقعت النصر على من كفر بهم ، وعقابهم في الدنيا - حتى إذا حدث كل ذلك - جَمَّاعُهُمْ لَصُرْناً قَسْعِينَ مَن نَشَاهُ وَلاَ يُردُّ بَأُسُنا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ . أي : جاء نصر الله فحاق .

أَنْجَّى مَن نَّشَآءُ . وهم النبيُّ والمؤمنون ، وحلُّ العقاب والعذاب بالمكتبين الكافرين .

وَلاَ يُردُّ بَأَسُنَا عَنِ ٱلْقُوْمِ ٱلْمُحْرِينِ . ولا يمنع أحدٌ حذاب الله عن القوم الذين أجرموا ، فكفروا بالله وكذبوا رسله ؛ فاعتبروا يا أهل مكة بسنن الله فيمن كان قبلكم ، واحذروا أن يحلّ بكم ما حلَّ بهم ، فإن الله ينصر رسله ولو بعد حين .

قراءة ؛ كُذَّبُوا

وردت قراءة أغرى بتشديد الذال عن عائشة ، والمحنى : وأيقنت الرسل : أن الأمم كذّبوهم تكذيبا ، لا يصدر منهم الإيمان بعد ذلك : فحينئذ دعوا عليهم، فهنالك أنزل الله سبحانه عليهم عذاب الاستئممال .

ويجوز أن يكون المعنى : حتى إذا استيئس الرسل من إيمان قومهم ؛ فغان الرسل أن الذين آمنوا بهم كذبوهم ، روى البخارى : عن عائشة رضى الله عنها ، أنها قالت لابن أهتها عروة بن الزبير ، وهو يسألها عن قوله تعالى : حَتِّى إِذَا ٱسْتَيْسَ ٱلرُّمُلُ ... الآية : معاذ الله الم تكن الرسل تظن ذلك بربها ، هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم ، وصدُقوهم ، فطال عليهم البلاء ، واستأخر عنهم النصر ، حتى إذا استيئس الرسل معن كذبهم من قومهم ، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذّبوهم ، جامهم نصر الله عند ذلك .

من تفسير روح المعاني للآلوسي:

« فالاعتقاد المرجوح هو ظن ، وهو وهم ، وهذا قد يكون ذنبا يُضعف الإيمان ولا يزيله ، وقد يكون حديث النفس المعفّى عنه ، كما قال ﷺ : « إن الله تعالى تجاوز لأمنى عما حدثت به أنفسها : ما لم تتكلم أو تعمل »(").

ونظير هذا ما صحَّ من قوله ﷺ: « نحن أولى بالشك من إبراهيم : إذ قال له ربَّه : أَوْ لَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكَن لَّيْظُمَنَّ لَلْيَيْ

وعلى هذا يقال: الوعد بالنصر في الدنيا لشخص ، قد يكون الشخص مؤمنا بإنجازه ، ولكن قد يضطرب قلبه فيه فلا يطمئن: فيكون فوات الأطمئنان ظنًا أنه كُنب: فالشك والغلُّ أنه كُنب من باب واحد، وهذه الأمور لا تقدح في الإيمان الواجب ، وإن كان فيها ما هر ذنب: فالأنبياء عليهم السلام معصومون من الإقرار على ذلك ، كما في أفعالهم ، على ما عرف من أصول السنّة والمدين"".

« وفي قص مثل ذلك ؛ عبرة للمؤمنين بهم ؛ فإنهم لابد أن يبتلوا بما هو أكثر من ذلك فلا يهأسوا إذا
 ابتلوا ، ويعلمون أنه قد ابتلي من هو خير منهم ، وكانت العاقبة إلى خير ؛ فيتيقن المرتاب ، ويتوب المذنب ،
 ويقوى إيمان المؤمن ، ويذلك يصم الإنساء بالأنبياء أص ومن هذا قال سبحانه : أفّذ كَانَ فِي فَصَمِهِمْ عُبرٌةً .

من تفسير القاسمي :

قال أبي نصر القشيري : وَقُلُواْ أَلْهُمْ قُدُ كُلِبُواْ . لا يبعد أن المرك : خطر يقلب الرُسل فصرفوه عن أنفسهم ، أن المعنى : قريوا من الثان ، كما يقال : بلنت المنزل إذا قريت منه .

وقال الترمذي الحكيم: وجهه: أن الرسل كانت تخاف بعد أن وعدهم الله بالنصر: أن يتخلف النصر، لا من تهمة بوعد الله ، بل لتهمة النفوس أن تكون قد أحدثت حدثا ينقض ذلك الشرط ، فكان الأمر إذا طال واشتد البلاء عليهم : دخلهم الغان من هذه الجهة "".

الابتيلاء في القيرآن والسنية

لقد ورد في معنى مذه الآية طائفة من الآيات والأحاديث والآثار، تتلاقى مع الآية في أن الله يمتحن ' الرسل والأنبياء والأولياء .

قال تعالى : أَمْ حَسِيتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةُ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ هَثَلُ اللَّهِينَ خَلُواْ مِن قَبِلِكُم مَسَّتَهُمُ الْلُمَسَاءُ وَالصَّرَاءُ وَذُلْوِلُواْ حَتَى يَقُولُ الرَّسُولُ وَالَّلِينَ ءَامَنُواْ مَمْهُ مَنْى نَصُرُ اللَّهِ أَلاَ إِنْ يَصُرُ اللَّهِ قَرِيبٌ . (البقرة: ١٧٤). وقـال سبحـانه. النّـم ه أحَسِبَ آلنَّاسُ أَن يُتُوكُواْ أَن يُقُولُواْ عَامَنًا وَهُمْ لاَ يُقْتُلُونَ ه وَلَقَدْ فَتَنَا ٱلَّذِينَ مِن قَلْبِهِمْ فَلَيْغَلَمُنْ ٱللَّهِ سَمْنُكُواْ وَلَيْلَمُنَ ٱلْكُنْلِينَ . (المنتجوب: ١-٣).

وقال ﷺ : « ما يصيب المؤمن من هم ولا حزن ولا وصب ولا تعب حتى الشوكة يشاكها : إلا كفر الله بها من خطاياه "۳۰", رواه البخاري .

وقال ﷺ: « أشدكم بلاء الأنبياء ، ثم الأولياء ، ثم الأمثل ، فالأمثل ، ولا يزال البلاء يصبيب المؤمن حتى يستى على الأرض وما عليه خطيلة « الأ .

وقال ﷺ: « إنما الصبير عند الصدمة الأولى " السير المدينة الأولى السير

وقىال تعالى : وَتَنَبَّلُوَتُكُمْ بِنَشَىٰءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْمَجُوعِ وَنَقْصِ مِّنَ ٱلأَمْوَالِ وَٱلأَنفُسِ وَٱللَّمُواتِ وَبَشْرِ آلصَّـٰدِرِينَ . (البقرة: ١٥٥).

في أعقباب الأية

تظل هذه الآية منارًا لبيان سنة الله في الدعوات ، لابدً من الشدائد ، ولابد من الكروب : حتى لا تبقى بقية من جهد ، ولا بقية من طاقة ، ثم يجىء النصر بعد اليأس من كل أسبابه الظاهرة التى يتعلق بها الناس ...

يجب أن يستيقن الدعاة أن الدعوة إلى الله كثيرة التكاليف .. وفى قصة يوسف ألوانٌ من الشدائد: فى الجبّ ، وفى بيت العزيز ، وفى السجن ، وألوان من الاستيناس من نصرة الناس ، ثم كانت العاقبة غيرًا للذين اتقوا ، كما هو وعد الله الصحادق الذي لا يخيب ٣٠٠.

ند ند ند

﴿ لَقَدْكَاتِ فِي فَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِآوُلِي ٱلْأَلْبَابُّ مَاكَانَ حَدِيثَا أَيْفَتَرَف وَلَنكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَكَدْ يُووَقَفْصِ لِلَّ إِنَّى وَوَهُدَى وَرَحْمَةُ لِقَوِّمِ يُؤْمِنُونَ ۖ ﴾

المقردات:

عسسيرة، عظة.

لأولى الألباب؛ لأصحاب العقول.

يستقترى، يخترع ويلفق.

بين يسديسه، ما تقدم عليه.

التفسير

١١٩ - لَقَدْ كَانَ فِي قَصَعِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي ٱلأَلْسِلِ ...

تأتى هذه الآية في ختام سورة يوسف : فتبرز الهدف من ذكر هذه القصة فتقول : لقد كان في ذكر قصص الرسل والأنبياء عبرة وعظة لأصحاب العقول : حيث تعرُّض يوسف لألوان من البلاء فصبر وتمسك بالتقوى : وكان جزاء ذلك الفلاح في الدنيا ، والنجاة في الأخرة .

مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى .

أى: ما كان هذا القرآن حديثًا يختلق ويكنب من دون الله ؛ لأنه كلام أعجز رواة الأخبار ، ومملة الأحاديث ، وإنما هر كلام الله من طريق الوحى والتنزيل ، المشتمل على العقائد والأخلاق ، وقصص الأمم الفالية في أعلا درجات الفصاحة والبلاغة ، وذلك كله فوق طاقة الإنس والجن .

قال تعالى : قُل قُينِ آجَتَمَتِ ٱلإِنسُ وَٱلْحِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَلَذَا ٱلْفُوءَانِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْشُهُمْ لِتَعْضِ ظَهِيرًا . (الإسء ۸۵) .

وَلَلْكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ .

جاه القرآن مصدقًا للكتب السعاوية التي سهقته ، كالثوراة والإنجيل والزبور ، أي : تصديق ما جام فها من الصحيح والمقّ، ونفى ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير ، فهو مصدّق أصولها الصحيحة ، ومبين ما وقم فيها من امتلاف.

قال تعالى : إِنَّ هَلْذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْزَعِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ . (النمل : ٧٦) .

وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ .

والقرآن أيضا فيه تفصيل كلَّ شيء من الحلال والحرام ، والمحبوب والمكروه ، والأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، وصفات الله الحسني ، وقصص الأنبياء .

وَهُدًى وَرَحْمَةً لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ .

أي : هداية للناس من الضلال والحيرة ، ورحمة لقوم يؤمنون به ويسلكون سبيله ، ويهتدون بهديه .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره:

« وتفصيل كل شيء من تحليل وتحريم ، ومحبوب ومكووه ، وغير ذلك من الأمر بالطاعات ، والوجبات والمستحبات ، والنفي عن المحرمات ، وما شاكلها من المكروهات ، والإخبار عن الأمور الجلية ، والإخبار عن الأمور الجلية ، وعن المعرمات ، وتنزهه عن مماثلة وعن المعرفات ؛ فلدًا كن : هُدُّت وَرَحُمْةً لَقُوْمٍ إِنْ سُونٌ .
المحلوقات ؛ فلهذا كان : هُدُّت وَرَحُمْةً لَقُوْمٍ إِنْ سُونٌ .

تهتدى به قلوبهم من الغي إلى الرشاد ، ومن الضلال إلى السداد ، ويبتغون به الرحمة من رب العباد في هذه الصياة الدنيا ويوم المعاد «^{٣٥}).

خاتمية سورة يوسف

لقد كانت قصة يوسف مشتملة على العظات والعبر: فقيها محن ليوسف في الجب وفي بيت العزيز وفي السجن ، ومحن لإخوة يوسف حتى ضافت ذات يدهم ؛ فقالوا : مُسْنَا وَأَهْلَنَا الْشُورُ ، وفيها محن ليعقوب وابتلاء ؛ بغياب يوسف : وغياب بنيامين ، حتى آيَرَشَّتُ عُيَّاهُ مِنْ آلْحُزْنِ قَهُو كَظِيمٌ ، ثمَّ جمع الله الشمل ،ووقع المحسد والحقد ، فعفا يوسف عن إخوته ، وقدموا جميعا إلى مصر ، وتم سجودهم ليوسف ، ثم إكرام يوسف . لوالديه وإخوته ، ثم حسن إدارته لمصر ، وعزوفه عن كل مظاهر الترف ، واعترافه فله تعالى بالفضل .

وفي ختام القصة اجتماع بعد فرقه ، وتكامل وتألف ، وكأنَّ الله تعالى يذكر ذلك الرسوله ؛ مذكَّر! بماقبة الصير والإيمان والتقوى ؛ ويهذا كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ، والحمد لله رب العالمين .



نظرات في سورة الرعدات

سورة الرعد من السور التي اختلف في مكيتها ومدنيتها ؛ فقال قوم : إنها مكية ؛ لأنها شبيهة بالسور المكية في قصتها وموضوعاتها ، وقال آخرون : إنها مدنية ، ولكن موضوعاتها تشبه السور المكية . وفي المصحف المطبوع بالقاهرة : سورة الرعد مدنية ، وآياتها ٤٣ نزلت بعد سورة محمد .

وفي تفسير مقاتل بن سليمان : سورة الرعد مكية ويقال : مدنية . وتسمى : الرعد ! لقوله سبحانه فيها: وُيُسَّحُ ٱلرَّعُلُهُ بِحَمْدِهِ وَٱلْمَلَيْكُةُ مِنْ حِيلَتِهِ . (الرعد: ١٧) .

وسورة الرعد من أعاجيب السور القرآنية التي تستولي على النفس وتثير الوجدان وتزحم العس بالمسور والمشاهد ، ثم تأخذ النفس من أقطارها جميعا ، فإذا هي في مهرجان من المسور والمشاعر . وتسلك السورة سبيلها إلى القلب وترتاد به آفاقا وأكوانا وعوالم وأزمانا ، وهر مستيقظ مبمسر مدرك شاعر بما يعوج حوله من المشاهد والمسور .

إنها ليست ألفاظا وعبارات ولكنها صور حية تستولى على الفؤاد وتلمس الوجدان وتوحى بالإيمان.

موضوع السبورة

إن موضوع سورة الرعد الرئيس هو : العقيدة ، وقضاياها هي : التوحيد ، والبعث وهذا الموضوع تكرر عرضه في سور سابقة ولاحقة .

ولكنه يعرض فى كل مرة بطريقة جديدة ، وفى ضوء جديد ، ويتناول عرضه مؤثرات وموحيات ذات إيقاع جديد وإيحاء جديد .

تطرف سورة الرعد بالقلب البشرى فى مجالات وأفاق وآماد وأعماق ، وتعرض عليه الكون كله فى شتى مجالاته الأخاذة : فى السماوات المرفوعة بغير عمد ، وفى الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ، وفى الليل يغشاه النهار ، وفى الأرض المعدودة وما فيها من رواس ثابتة وأنهار جارية ، وجنات وزرع ونخيل مختلف الأشكال والطعوم والألوان ، ينبت فى قطع من الأرض متجاورات ويسقى بماء واحد ، وفى اللبرق يخيف ويطمع ، والزعد يسبح ويحمد ، والمالائكة تخاف وتخشع ، والصواعق يصيب بها من يشاء ، والسحاب الثقال ، والمحل فى الوديان ، ولازيد الذى يذهب جفاء ؛ ليبقى فى الأرض ما ينفع الذاس . وهي تلاحق نلك القلب أينما توجه – تلاحقه بملم الله النافذ الكاشف الشامل ، يلم بالشارد والوارد والمستغفى والسارب . ويتعقب كل هي ويحصمي عليه الغواطر والخوالج , والغيب المكنون الذي لا تدركه النظنون مكشوف لعلم الله وما تحمل كل أنشى وما تغيض الأرحام وما تزياد وكل شيء عنده بمقدار .

إنها تقرب لمدارك البشر شيئا من حقيقة القوة الكبرى ، المحيطة بالكرن ظاهره وخافيه ، جليله ويقيقه ، حاضره وغيبه ، وهذا القدر الذي يمكن لمدارك البشر تصوره هائل مخيف ، ترجف له القلب .

وذلك إلى الأمثال المصورة تتمثل في مشاهد حية حافلة بالحركة والانفعال إلى مشاهد القيامة ، وصور النعيم والعذاب ، وخلجات الأنفس في هذا وذلك ، إلى وقفات على مصارع الغابرين وتأملات في سير الرابطين ، وفي سنة الله التي محت عليهم فإذا هم دائرون .

مشاهد الكون في سورة الرعد

تبدأ سورة الرعد بقضية عامة من قضايا العقيدة : قضية الوحى بهذا الكتاب ، والحق الذي اشتمل عليه فيقول سبحانه :

الْمَمْرِ بِلْكَ عَايَدْتُ ٱلْكِتَلْبِ وَٱللَّذِي أَنزِلَ إِلَّكَ مِن زَّبْكَ ٱلْحَقُّ وَلَكِنَّ ٱكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ . (الدعد: ١).

وهذا الافتتاح يلخص موضوع السورة كله ، ويشير إلى جعلة قضاياها ، وتسترسل السورة في استعراض أيات القدرة ، وعجائب الكون ، الدالة على قدرة الله الخالق ، وحكمته وتدبيره ، الناطقة بأن من مقتضيات هذه المكمة : أن يكون هناك وحى : التبصير الناس ، وأن يكون هناك بعث لحساب الناس ، وأن مقتضيات تلك القدرة : أن تكون مستطيعة بعث الناس ورجعهم إلى الخالق الذي بدأهم ويداً الكون كله قبلهم ، وسخره لهم : ليبلوهم فيما ألخاهم .

وتبدأ الآيات الرائمة في رسم المشاهد الكوئية الضخمة ؛ نظرة إلى السماوات ، ونظرة إلى الأرضين ونظرة إلى مشاهد الأرض وكوامن الحياة .

قىال تىعالى : آللَّهُ ٱلْذِينَ رَفَعَ ٱلسَّمَاذِاتِ بِغَيْرِ عَمَدِ ثَرُونَهَا ثُمُّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى آلْفَوْش وَسَخْرَ ٱلشَّمْسُ وَآلْفَوْنَ وَأَلَّهُ يُعِنِّى يَأْجَل مُسَنَّى يُدَائِرُ ٱلأَمْرَ يُفْصَلُ آلاَ يُسْتِ لَعَلَكُمْ بِلِقَاءَ وَيَكُمْ تُوفِيقُونَ و وَهُوَ ٱلْذِي مَذَ ٱلأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا وَوَاسِى وَأَنْهُمْوا وَمِنْ كُلُّ ٱلْشَمَرُتِ جَعَلَ فِيهَا وَوْجِينَ آتَشِنِ يُعْضِي ٱلْقِلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلكَ لَآيَسْتِ لَقُوْمٍ يَشْكَمُونَ . (الدعد: ٧٠٧)

وهذه اللفتة الأولى إلى مظاهر القدرة الإلهية تحرك الوجدان : فيقف أمام هذا المشهد الهائل يتملاه، ويدرك أنه ما من أحد يقدر على رفع السماء بلا عمد – أو حتى بعمد – إلاَّ الله، وقصاري ما يرفعه الناس بعمد أن بغير عمد ، تلك البنايات المعفورة الهزيلة ، القابعة في ركن ضيق من الأرض لا تتعداء ، ثم يتحدث الناس عما في تلك البنايات من عظمة ومن قدرة وإتقان ، غافلين عما يشعلهم ويعلوهم من سماوات مرفوعة بغير عمد وعما وراءها من القدرة الحقة ، والعظمة الحقة ، والإتقان الذي لا يتطاول إليه خيال إنسان.

ومن هذا المنظور الهائل الذي يشاهده الناس في خلق الله ، إلى المغيب الهائل الذي تتقاصر دونه المدارك والأبصار .

ثُمَّ آسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ.

أى: استولى على ملك جميع الموجودات وأهاطت قدرته بجميع الكائنات ، ومع الاستعلاء والتسغير، الحكمة والتدبير .

كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلِ مُّسَمًّى ، وإلى حدود مرسومة وفق ناموس مقدر .

يُنبَرُ ٱلْأَشِّرَ . ويمسك بالأفلاك الهائلة والأجرام السابحة في الفضاء فتجرى لأجل لا تتعداء ، ومن قدرة الله : أنه مد الأرض ويسطها أمام البصر ، وأمدها بمقومات الحياة .

وَمِن كُلِّ الْقُمْرَتِ جَعَلَ فِيهَا زُوْجَيرَ آثَشِر لليكمل ، إبداع الخلق وتناسقه ، ثم تابع الله بين الليل والنهار في انتظام عجيب ، ونظام دقوق يبحث على التأمل في ناموس هذا الكون والتفكير في القدرة المبدعة التي تدبره وترعاه ، إِنَّ فِي ذَالِكَ لاَ يُسْتِ لَقُوْمٍ يَشَكِّرُونَ .

أدلية الألوهيية في سورة الرعيك

نحن في سورة الرعد أمام عدد من أملة الألوهية تتوارد وراء بعضها في سياق بديع ، وعرض شائق. فهناك الأرض التي تزرع بألوان مختلفة من النبات فيها : جَثَلْتُ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَلَحِيلٌ مُبْوَانٌ وَغُرُرُ صِنُوان .

منه ما هو عود واحد ، ومنه ما هو عودان أو أكثر في أصل واحد وكله : يُسْفِّي بِمَاءِ وَاحِد.

والتربة واحدة ، ولكن الثمار مختلفات الطعوم : رَنَّفَضَّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْض فِي ٱلأُكُل .

فمن غير الخالق المدير يفعل ذلك ؟!

إن القرآن بمثل هذه اللفتة يبقى جديدا أبدا ؛ لأنه يجدد أحاسيس البشر بالمناظر والمشاهد في الكون والنفس وهي لا تنفد ولا يستقصيها إنسان في عمره المحدود ، ولا تستقصيها البشرية في أجلها الموعود .

إِنَّ فِي ذَا لِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . (الرعد: ٤).

ومن أدلة الألومية: إحاطة علم الله بالجنين في بطن أمه ، وبالسر المكنون في المصدر ، وبالحركة الخفية في جنح الليل ، ويكل مختف بالليل وظاهر بالنهار ، وهو سبحانه محيط بكل من تكلم دمسا أو تكلم جهرا : فإن كل شيء مكشوف تحت المجهر الكاشف يتبعه شماع من علم الله وتتطبه حفظة تحصى الخواطر والنوايا ، إلا إنها الرهبة الخاشعة التي لا تملك النفس معها إلا أن تلجأ إلى الله ، تطمئن في حماه ، وهي تتصور عام الله المحيط بكل شيء .

وتلحظ أن بعض الآيات في سورة الرعد تلمس آغاق الكون الهائل مثل: الآيات الأربع الأولى من السورة، ويعض الآيات تلمس أغول النفس ومجاهل السرائر مثل: الآيات من ٨ إلى ١٠ حيث يقول سبحانه: الله يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أَنْهَىٰ وَمَا تَعِشْ آلاَرْحَامُ وَمَا تَرْفَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عَنْدُهُ بِمِقْدَارٍ ، عَلَيْمُ ٱلْغَبِ وَٱلشَّهْلَةِ ٱلْكَبِّرُ اللهِ اللهِ مَنْ أَمْنُ الْقَرْلُ وَمَنْ جَهْرُ مُشْتَخْفَعِ بِالْأَلُ وَسُارٍ مِنْ اللهِ مَسْارٍ مِنْ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ يَقْلُولُ وَمَنْ جَهْرُ مُشْتَخْفَعِ بِالْأَلِي وَسَارِبُ بِاللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

ثم يأخذ السياق في جولة جديدة في واد آخر تجتمع فيه مناظر الطبيعة ومشاعر النفس متداخلة متناسقة ، حيث يقول سبحانه: هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلْبُرْقَ خَوْفًا وَظَمَعًا وَيُبشِئُ ٱلسَّحَابُ ٱلْظَالُ * وَيُسَبِحُ ٱلْوَعُدُ يحمَّدُه وَٱلْمَلَــُـكُةُ مِنْ حَيْضَةِ . (الرعد: ١٣، ١٧).

والبرق والرعد والسحاب مشاهد معروفة ، وكذلك الصواعق التى تصاحبها فى بعض الأحبان ، وهى بذاتها مشاهد ذات أثر فى النفس حتى اليوم ،وعند الذين يعرفون الكثير عن طبيعتها . والسورة تذكر هذه الظواهر متتابعة وتضيف إليها الملائكة والتسبيح والسجود والشوف والطمع : لتصوير سلطان الله المتغود بالقهر والنفع والضر ، وقد سميت السورة بسورة الرعد ؛ لقوله سبحانه : ويُستَحُ ٱلْرَعَدُ بِحَمْدُهِ .

والرعد هو ذلك الصوت المقرقع المدوى ، وهو أثر من آثار الناموس الكونى الذى سنعه الله - أيا كانت طبيعته وأسبابه - فهو رجع صنع الله فى هذا الكون ، وهو يحمد ويسبح بلسان الحال للقدرة التى صاغت هذا النظام ، كما أن كل مصنوع جميل متقن ، يسبح ويعلن عن حمد الصانع والثناء عليه ، بما يحمله من حمال وإنقان . وقد اختار التعبير أن يجعل صوت الرعد تسبيحا للحمد؛ انباعا لمنهج التصوير القرآنى في مثل هذا السياق ، وخلع سمات الحياة وحركاتها على مشاهد الكون الصامتة ؛ لتشارك في المشهد بحركة من جنس حركة المشهد كله ، وقد انضم إلى تسبيح الرعد بحمد الله ، تسبيح الملائكة من خوفه ومن تعظيمه ، وفي آية أخرى يقول سبحانه : وآلمَلْنَـَـُكُةُ يُسَبِّعُونُ بِعُجْدُر رَبُّهِمْ . (الشربين ٥) .

وفى الحديث النبوى يقول الرسول ﷺ: « أهُّت السماء ، وحق لها أن تتط ؛ ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك راكم أو ساجد يسبح الله تعالى » .

ثم يعبّر السياق عن هضوح جميع الكائنات لمشيئة الله بالسجود ، وهو أقصى رمز للعبودية ، فتسجد الكائنات ويسجد ظلها معها عند لنكسار الأشعة ، وامتداد الظلال ، فإن الكون كله بما فيه من شغوص وظلال جائية خاضعة عن طريق الإيمان أن غير الإيمان سواء ، كلها تسجد لله .

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَلُوَاتِ وَٱلأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَلْهُم بِٱلْفُدُوِّ وَٱلآصَالِ. (الرعد: ١٥).

النصف الثاني من سورة الرعد

فى النصف الأول من سورة الرعد حدثتنا السورة عن المشاهد الهائلة فى آفاق الكون وفى أعماق الغيب وفى أغرار النفس .

وهي النصف الثانى من السورة تسترسل الآيات في لمسات وجدانية وعقلية وتصويرية دقيقة رقيقة، حول قضية الوحي والرسالة ، وقضية التوحيد والشركاء ، ومسألة طلب الآيات واستعجال تأويل الوعيد . وهي جولة جديدة حول تلك القضايا في السورة .

وتبدأ هذه الجولة بلمسة في طبيعة الإيمان ، وطبيعة الكفر ؛ فالأول : علم ، والثاني : عمل ، أَفَمَن يَعْلُمُ أَنْمَا أَلزِلَ إِلَيْكَ مِن رُبِّكَ آلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ . (الرعد ١٩)

وتبين الآيات طبيعة المؤمنين وطبيعة الكافرين ، والصفات المعيزة لهؤلاء ومؤلاء ، ثم يتلوها مشهد من مشاهد القيامة ، وما فيها من نعيم للأولين ومن عناب للآخرين ، ويعقب ذلك لمسة في بسط الرزق وتقديره، وردهما إلى الله ، فجولة مع القلوب المؤمنة المطمئنة بذكر الله ، فوصف لهذا القرآن الذي يكاد يسير الجبال ، وتقطع به الأرض ، ويكلم به الموتى ، فلمسة بما يصيب الكفار من قوارع تنزل بهم ، أو تحل قريبا من دارهم ، فجدل تهكمي حول الآلهة المدعاة ، فلمسة عن مصارع الغابرين ، ونقص أطراف الأرض منهم حينا بعد حين ، يغتم هذا كله بتهديد الذين يكذبون برسالة الرسول ﷺ بتركهم للمصير المعلوم .

من ذلك نرى أن الإيقاعات والمطارق المتوالية في شطر السورة الأول ، وتحضّر المشاعر وتهيئها لمواجهة القضايا والمسائل في شطرها الثانى وهي على استعداد وتفتح لتلقيها ، وأن شطرى السورة متكاملان ، وكل منهما يوقع على الحس طرقاته وإيحاءاته لهدف واحد وقضية واحدة ، هي الإيمان عن يقين كامل ، وأدلة مقنعة يطمئن لها القلب وتسكن إليها النفس . قال تعالى :

ٱلَّذِينَ عَامَنُواْ وَتَطُّمَنِنَّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلاَّ بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنَّ ٱلْقُلُوبُ . (الرعد: ٢٨) .

فقاب الكافر فى ضلال ، وقلب الجاحد مضطرب هواء ، وقلب المؤمن يطمئن لصلته باشه ، والأنس بجواره ، والأمن فى جانبه وحماء ، يطمئن من قلق الوحدة وحيرة الطريق بإدراك المحكمة فى الفلق والمعدر والمصيو ويطمئن بالشعور بالحماية من كل اعتداء ومن كل ضر ومن كل شر إلا بما يشاء الله ، مع الرضا بالابتلاء والصبر على البلاء ، ويطمئن برحمة الله فى الهداية والرزق والستر فى الدنيا والأخرة .

وليس أشقى على وجه الأرض من يحرمون طمأنينة الأنس إلى الله ، ليس أشقى ممن يعيش لا يعري لم جاء ؟ ولم يذهب ؟ ولم يعانى في الحياة ؟ . ليس أشقى في الحياة ممن يشق طريقه فريدا وحيدا شاردا في فلاة عليه أن يكافح وحده بلا ناصر ولا هاد ولا معين .

وإن هناك شدائد في الحياة لا يصمد لها بشر؛ إلا أن يكن مرتكنا إلى الله مطمئنا إلى حماه ، مهما أوتى من القوة والثبات والمسلابة والاعتداد . ففي الحياة لحظات تعصف بهذا كله فلا يصمد لها إلا المطمئنون بالله : ألاّ بُلاكر الله تُطَهِّئَنْ الْقُلُوبُ .

التناسق الفني في سورة الرعد

مما نلحظه في سورة الرعد عنايتها بالمقابلة بين الإيمان والكفر، والهدى والضلال ، والأطمئذان والحيرة ، وحين تعرضت السورة لرسم مشاهد الكون عنيت بإبراز المشاهد المتقابلة من سماء وأرض ، وشمس وقمر ، وليل ونهار ، وشخوص وظلال ، وجبال راسية وأنهار جارية ، وزيد ناهب وماء باق ، وقطع من الأرض متجاورات مختلفات . ونخيل صنوان وغير صنوان ، ومن ثم تطرد هذه التقابلات في كل المعانى وكل الحركات وكل المصائر في السورة ؛ لتناسق التقابل المعنوى في التقابلات الحسية ، وتتسق في الجو

ومن ثم يتقابل الاستعلاء في الاستواء على العرش مع تسفير الشمس والقمر ، ويتقابل ما تغيض الأرحام مع ما تزداد ، ويتقابل من أسر القول مع من جهر به ، ومن هو مستخف بالليل مع من هو سارب بالنهار ، ويتقابل الخوف مع الطمع تجاه الهرق ، ويتقابل تسبيح الرعد حمداً مع تسبيح الملائكة خوفاً ، وتتقابل دعوة الحق لله مع دعوة الباطل للشركاء ، ويتقابل من يطم مع من هو أعمى ، ويتقابل الذين يفرحون من أهل الكتاب بالفرآن مع من ينكر بعضه ، ويتقابل المحو مع الإثبات في الكتاب ..

وبالإجمال: تتقابل المعانى وتتقابل الحركات وتتقابل الاتجاهات: تنسيقا للجو العام فى الأداء، وهذا التناسق الفنى، من بدائع الإعجاز فى القرآن الكريم. هذا القرآن العجيب الذى لو كان من شأن قرآن أن تسير به الجبال، أو تقطع به الأرض، أو يكلم به الموتى: لكان فى هذا القرآن من الخصائص والمؤثرات ما تتم معه هذه الغوارق والمعجزات، ولكنه جاء لخطاب المكلفين الأحياء فإذا لم يستجيبوا له؛ فقد أن أن يبأس منهم المؤمنون وأن يدعوهم ويتركوهم حتى يأتى وعد الله للمكذبين.

قال تعالى : وَقُوْ أَنْ قُوْمَانًا سُيْرِتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ فَطَعَتْ بِهِ ٱلأَرْضُ أَوْ كُلُمْ بِهِ ٱلْمَرْتَىٰ بَلَ لَّلَهِ الْأَمْرُ جَعِيمًا : ٱلْفَمْ يَائِينَسَ ٱلْلَذِينَ ءَاسَوْآ أَن لَوْ يَشَاءَ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَعِيعًا وَلاَ يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُعْمِينُهم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةً أَوْ تَحَلُّ قَرِيهًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِي وَعَدْ ٱللّهِ إِنْ ٱللَّهَ لاَ يُخْلِفُ ٱلْجِيعَادَ . (الرعد: ۲۷)

ولقد صنع هذا القرآن فى النفوس التى تلقته وتكيفت به أكثر من تسيير الجبال ، وتقطيع الأرض، وإحياء الموتى ، لقد صنع فى هذه النفوس ، ويهذه النفوس خوارق أضنهم وأبعد أثارا فى أقدار الحياة بل أبعد أثرا فى شكل الأرض ذاته ، فكم غير الإسلام والمسلمون من وجه الأرض إلى جانب ما غيروا من وجه التاريخ .

وإن طبيعة هذا القرآن ذاتها ، طبيعته في دعوته وفي تعبيره ، طبيعته في موضوعه وفي أداته ، طبيعته في حقيقته وفي تأثيره ـ إن طبيعة هذا القرآن لتحترى على قوة خارقة ذافذة يحسها كل من له ثوق ويصر وإدراك للكلام واستعداد لإدارك ما يوجه إليه ويوحى به ، والذين تلقوه وتكيفوا به سيروا ما هو أضخم من الجبال وهو تاريخ الأمم والأجيال ، وقطعوا ما هو أصلب من الأرض وهو جمود الأفكار وجمود التقاليد. وأحيوا ما هو أخمد من الموتى ، وهو الشعوب التى قتل روحها الطنيان والأوهام ، والتحول الذي تم في نفوس العرب وحياتهم أضخم بكلير من تحول الجبال عن رسوخها ، وتحول الأرض عن جمودها وتحول الموتى عن الموات: بأل لله آلأمرُّ حَجيهاً

وهو الذى يختار نوع الحركة وأداتها فى كل حال . فإذا كان قوم بعد هذا القرآن لم تتحرك قلويهم : فما كان أجدر المؤمنين الذين يحاولون تعريكها أن ييأسوا من القوم وأن يدعوا الأمر لله فلو شاء لخلق الناس باستعداد واحد للهدى وهدى الناس جميعا على نحو خلقه الملائكة لو كان يريد . لقد شاء الله أن يوجد الإنسان على وجه الأرض ومعه العقل والإرادة والاختيار والكسب : حتى يتميز المؤمن من الكافر والمستقوم من العاصى ويذلك تتحقق الحكمة الإلهية في تنوع الخلق واختلاف مشاريهم:

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ آلنَاسَ أَمَّةً وَاحِمَّةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِلَّلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمْتُ كَلِمَةُ رَبِّكَ لاَمْاذَلَنَّ جَوْنَتُم مِن ٱلْجِئَةِ وَآلناسِ أَجْمَعِينَ . (مود. ۱۱۵، ۱۱۵).

* * 1

بنسمير أللّه التَّهْ التَّهُ التَّهِ التَّهُ التَّهِ التَّهُ التَّهِ التَّهُ التَّهِ التَّهُ التَّهِ

﴿ الْمَتُونَ اللهُ عَلَيْتُ الْكِنْتُ وَالَّذِى أَنْزِلَ إِلْيَكَ مِن زَيِكَ الْحَقُّ وَلَكِينَ أَكْثَرُ النّاسِ لايؤمِنُونَ وَاللّهَ الْمَنْوَتِ فِغْرِ عَمَدِ مَرُونَ أَثْمَ السّعَوَى عَلَ لَلْمَرِّ وَسَخَرَ الشّمَسَ وَالْفَمَرِ مُنْ أَنْ يَعْمُ اللّهَ عَلَى عَلَى اللّهُ اللّهَ وَالْمَمْ اللّهُ اللّهُ عَلَى عَلَى اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَعَمَلُ فِيهَا رَوْسِي وَالنّهُ اللّهُ وَمِن كُلُ النّمَرُتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ النّيْنَ فَي وَاللّهُ اللّهُ وَعَيْرُ وَمِن كُلُ النّمَرُتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ النّيْنَ لِللّهُ اللّهُ وَعَيْرُ وَمِن اللّهُ وَعَيْرُ مِنْ وَاللّهُ اللّهُ وَعَيْرُ وَمِن اللّهُ اللّهُ وَعَيْرُ وَمِن اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَعَيْرُ وَمِنْ اللّهُ اللّهُ وَعَيْرُ وَمِنْ اللّهُ اللّ

المفردات،

للسسسسر، هذه حروف للتحدى والإعجاز، أن هي مما استأثر الله بعلمه , أن هي لافتتاح الكلام، أو أسماء للسور ، وقيل : هي إشارة إلى أسماء الله تعالى أو صفاته ، ويجوز أن تشتمل على جميم المعانى التي ذكرها العلماء في تفسيرها .

وسخر الشمس والقمر والمصالح خلقه .

لأجــــل *مســـمــــي*، لوقت معلوم وذلك إلى فذاء الدنيا وقيام القيامة ، التي عندها تكور الشمس ويخسف القمر .

يستديسسر الأمسسوء أمر السماوات والأرض وحده بلا ظهير ولا معين.

يصفصال الأيات: يبينها لكم.

لعلكم بلقاء ربكم توقنون؛ وبوحدانيته ووعده ووعيده .

مسسسد الأرشء يسطها أمام اليصر طولا وعرضاء وأمدها يمقومات الحياة.

وجعل فيهارواسي، جبالا ثابتة ، وهي : جمم راسية ، يقال : أرسيت الوتد في الأرض ؛ إذا أثبته .

ومن كمل الشمرات؛ وجعل فيها زوجين اثنين من كل الثمرات.

يقشى البليب الشهار؛ يجلل الليل النهار فيليسه ظلمته ، والنهار الليل فيليسه ضياءه .

إن فيسمى ذلك الإيسات؛ استدالالات وحجم لمن فكر! فيعلم أن العبادة لا تجوز إلا للخالق عز وجل.

وهى الأرض قطع متجاوزات، أراضى يجاور بعضها بعضاً مع اختلاف طبيعة كل قطعة ولونها فهذه طبية، وهذه سبخة حالحة ، وهذه تربة حصراء ، وهذه بيضاء ، وهذه صغراء ، وهذه سوداء، وهذه صحيرة، وهذه سهاة ، وهذه سميكة وهذه رقيقة .

صــنــوان وغير صــنــوان ، من النبات ما له أصـول مجتمعة في منبت واحد كالرمان والتين وهو الصنوان أي: ما له عودان أن أكثر في أصل واحد ، وغير صنوان ما كان على أصل واحد وعود واحد ، وواحد الصنوان : صنو وفي الصحيحة : (عم الرجل صنو أبيه) .

يسيقين بماء واحسده من السماء ، ومن شرب واحد.

ونفشل بعضها على بعض هن الأكل، فعنها حلى ومنها حامض ومر ، وقيل : هو مثل في بنى آدم ، أبوهم واحد ومتهم العمالح والخبيث .

التفسيره

۱ – البمبر . .

سبق أن ذكرنا: عدة آراء في تفسير الأحرف المقطعة في فواتح السور، ومجملها ما يأتي:

(أ) أنها مما استأثر الله تعالى بعلمه.

(ب) أنها فواتح للسور.

(ج) أنها للتحدّى والإعجاز ، وبيان: أن الفلق عاجزون عن الإتيان بمثل هذا القرآن ، مع أنَّه مؤلف من حروف عربية ينطقون بها : فدلَ ذلك : على أن القرآن ليس من صنع بشر ، ولكنَّه تنزيل من حكيم حميد.

تِلْكَ ءَايَلْتُ ٱلْكِتَلْبِ وَٱلَّذِينَ أَنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبُّكَ ٱلْحَقُّ وَلَلْكِنَّ ٱكْتُرَ ٱلنَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ .

أي: هذه آيات هذه السورة من الكتاب ، أو هذه آيات القرآن البالغ حد الكمال ، المستغفى عن الوصف: الجدير بأن يختص باسم الكتاب . وَ ٱللّٰذِي أَنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ ٱلْحَقِّ ، أي : كل القرآن الذي أنزله إليك حق لا شك فيه ، لا ينتبس به باطل ، ولا يحرم حول صحته شك أو التباس ، وهذا التعبير جار على سنن العرب في تخاطبهم ، حيث يميلون إلى الإجمال بعد التفصيل ، سئلت قاطمة الأنمارية عن بنيها : أيهم أفضل فقالت : رييعة ، بل عماره ، بل قيس، بل أنس ، تكلتُهم إن كنت أعلم أيهم أفضل ، هم كالحلقة العفرغة لا يدرى أين طرفها .

فبعد أن أثبتت الفضل لكل منهم على سبيل التعيين ، أجملت القول ، وأثبتت لهم الفضل جميعا .

وكذلك هذا عندما قال : تِلْكَ ءَايَنْتُ ٱلْكِتَابِ وَٱلَّذِيَّ أَنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ .

أى: تلك آيات هذه السورة ، التي تستعرض آيات القدرة وعجانب الكون ، وحقائق القيامة ، والقرآن كله حق لا ريب فيه ، وصدق لا شك فيه .

وَلَلْكِنَّ أَكْفَرَ ٱلنَّاسِ لِا يُؤْمِنُونَ .

أى: لانطماس بصائرهم ، واستيلاء العناد على نفوسهم ؛ فهم لذلك لا يصدّقون بما أنزل عليك ، ولا يقرّون بهذا القرآن ، وما اشتمل عليه من بديع الأمثال والحكم والأحكام التى تناسب مختلف العصور والأزمان ، والتى لو سار عليها الناس : لسعدوا فى الدنيا والأخرة .

٢ - اللّهُ ٱلَّذِي وَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَاتِ بِغَيْرٍ عَمَد تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَحَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْفَمَرَ كُلُّ يَبِعْرِى لأَجَلِ
 مُسَمَّى يُعَدُّرُ ٱلأَمْرَ يَفَعِلُ ٱلآكِنْتِ تَعْلَكُم بِلِفَاتِ وَيُكُمْ أُتُولَئُونَ .

وهذه اللفتة الأولى إلى مظاهر القدرة الإلهية تحرك الوجدان؛ فيقف أمام هذا المشهد الهائل يتملاه، ويدرك أنه ما من أحد يقدر على رفع السماء بلا عمد – أو حتى بعمد – إلا الله، وقصارى ما يرفعه الناس بعمد أو بغير عمد تلك البنايات الصغيرة الهزيلة ، القابعة في ركن ضيق من الأرض لا تتعداه ، ثم يتحدث الذاس عما في تلك البنايات من عظمة ومن قدرة وإتقان ، غافلين عما يشملهم ويعلوهم من سماوات مرفوعة بغير عمد ، وعما وراءها من القدرة الحقة ، والعظمة الحقة ، والإتقان الذي لا يتطاول إليه خيال إنسان .

ومن هذا المنظور الهائل الذي يشاهده الناس فى خلق الله ، إلى المخيب الهائل الذى تتقاصر دونه المدارك والأيصار.

فُمْ أَسْتَوَكَ عَلَى الْمُوشِ. أَى: استولى على ملك جميع الموجودات ، وأحاملت قدرته بجميع الكائنات وفي روايه : «العرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل» (°°). ونحن نؤمن بهذه الآیات کما وردت من غیر تکییف ولا تشبیه ولا تعطیل ولا تمثیل ، تعالی الله علوًّا کبیرًا .

وَسَخُوّ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمْرَ . أي : ذلل الله الشمس والقمر وسائر الكواكب لمصالح عباده ، ولنفع الناس وإعمار الكون ، وذكر الشمس والقمر ؛ لأنهما أظهر الكواكب السيارة .

كُلُّ يَجْرِى لأَجَلِ مُسَمًّى ، وإلى حدود مرسومة وفق ناموس مقدر .

يُدَّبُرُ ٱلْأَمْرَ . ويمسك بالأفلاك الهائلة والأجرام السابحة في الفضاء فتجرى لأجل لا تتعداه .

يُفَصَّلُ ٱلآيَّدَتِ تُفَكَّمُ بِلِقَاءٍ وَيَكُمْ تُوفِّنُ . يوضح الآيات والدلالات الدالة على أنه لا إله إلا هو وأنه يعيد الفلق إذا مناه كما يدأه .

٣- وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَ رَوَاسِي وَأَلْهَلُوا ... الآية .

بسط الله الأرض أمام البصر، وجعلها صالحة للحياة، فجعل الجبال أوتادا ! لحفظ توازنها ، وأمدها بالأنهار والمياه ، والماء هو العنصر اللازم لأى حياة نباتية . قال تعالى : وَأَنْزُلُ مِنْ ٱلسَّمَاءِ مَاءً لَأَخْرَجُنَا بِهِ أَوْ اجًا مِّن ثِبَات شَيِّع . (له: ٣٥) .

ويقول سبحانه : وَمِن كُلِّ ٱلثُّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زُوْجَينِ ٱلثُّينِ ؛ ليكمل إبداع الخلق وتناسقه .

« والمعروف أن الثمرة هي نتاج عملية تناسل النباتات العليا التي تمثلك نظامًا مركبًا والمرحلة التي تسبق الثمرة هي مرحلة الزهرة بأعضائها الذكرية (الأبر) وأعضائها الأنثوية (البويضات) وبعد نقل اللقاح تعطى هذه الأخيرة الثمار التي تعطى هذه الحبوب بعد النضج . إن كل ثمرة تتضمن بالضرورة وجود أعضاء ذكورة وأعضاء أذرثة ، ونلمح ذلك من المقطع السابق من الآية .

يُعْشَى ٱلْيَلُ ٱلْهَارَ . أى : جعل كلا منهما يطلب الآخر طلبًا حثيثًا ، فإذا ذهب هذا غشيه هذا ، وإذا انقضى هذا جاء الآخر ، فيتابع الله بين الليل والنهار في انتظام عجيب ونظام دقيق يبعث على التأمل في ناموس هذا الكين والتفكير في القدرة المبدعة التي تدبره وترعاه .

إِنَّ فِي ذَالِكَ لاَ يَسْتِ لَقُومٍ يَتَفَكَّرُونَ . فإن التفك والتأمل عبادة روحية صامتة تقود الإنسان إلى اليقين بقدرة الله رب الحالمين . ٤- وَفِي آلاَرْضِ قَطْعُ نُصَدَى إِنَّ وَجَنَّتَ مِنْ أَعْتَلَمِ وَزَرَعٌ وَنَعِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرٌ صِنُوانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَحِدٍ .. والتربة واحدة ولئن الثمار مختلفات الطعوم .

وُنْفَضُلُ يَعْضَهَا عَلَيْ يُعْضِ فِي الْأَكُلِ. أي : هذا الاختلاف في أجناس الثمرات والزروع في أشكالها وألوانها وطعومها وروائحها وأوراقها وأزهارها ؛ فهذا في غاية الحلاوة ، وهذا في غاية الحموضة ، وذا في غاية المرارة ، وذا عفص ، وهذا عذب ، وهذا أصفر وهذا أجمر ، وهذا أبيض وكذلك الزهور مع أنها كلها تسقى من طبيعة واحدة وهو الماء ، مع هذا الاختلاف الكثير الذي لا ينحصر ولا ينضبط ؛ ففي ذلك آبات لمن كان واعيًا إنَّ فِي ذَلِكَ لَآيُنَ مُتَقَلُّونَ .

إنّ القرآن بمثل هذه اللفتة يبقى جديدًا أبدًا : لأنه يجدد أحاسيس البشر بالمناظر والمشاهد فى الكون النفس وهى لا تنقد ولا يستقصيها إنسان فى عمره المحدود ولا تستقصيها البشرية فى أجلها الموعود .

قال في الميزان :

ومعنى الآية: أن من الدليل على أن هذا النظام الجارى قام بتدبير مدبر وراءه ، يخضع له الأشياء بطبائعها ، ويجريها على ما يشاء وكيف يشاء : أن في الأرض قطعًا متجاورات متقاربة بعضها من بعض متشابهة في طبع ترابها وفيها جنات من أعناب ، والعنب من الثمرات التى تختلف اختلافًا عظيمًا في الشكل واللون والطعم والمقدار ، واللطافة والجردة وغير ذلك ، وفيها زرع مختلف في جنسه وصنفه من المقعد والشعير وغير ذلك وفيها نخيل صنوان أي : أمثال ثابتة على أصل مشترك فيه . وغير صنوان أي: متفرقة . تسقى الجميع من ماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض بما فيه من المزية المطلوبة في شيء من صفاته (17).

* * *

﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبُّ فَوَهُمْ أَءِ ذَا كُنَا تُرَبَّا أَءِ نَالَفِي خَلْقِ جَدِيدٍ أَوْلَتِكَ الذِيرِ كَ كَفَرُوا بِرَبِيمٌ مَوْلَتِكَ الْأَغْلَالُ فِي آعْمَاقِهِمْ وَأُولَتِكَ أَصْحَبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِدُرِنَ ۞ ﴾

المفردات :

وإن تهجب المجب والتعجب كلاهما يستعمل على وجهين: أحدهما: فيما يستحسن ويحمد، والثاني: فيما مك ه و منك . التفسيره

وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قُولُهُمْ أَعِذَا كُنَّا تُرَابًا ...

أنكر الكفار البعث والحشر والجزاء والحساب ، مع ما تقدم لهم من دلائل القدرة الإلهية ، التي تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي فغظوا عن تقدير هذه القدرة ، وظنوا أن موت الإنسان ودفئه في القراب ، يصعب معه حياة الإنسان مرة أخرى .

و المعنى : وإن تعجب من تكذيب المشركين بأمر المعاد مع ما شاهدوه من دلائل قدرة الله تعالى . فعجب أشدُ منه قول المشركين :

أَوِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوِّنَا لَفِي خُلْقٍ جَدَيِدٍ . أَى : إِنَا فنيت أَجِسامنا ، وتفتت عظامنا ، ويليت وتحللت أُجِسامنا ، فإن الإعادة والبعث في معورة خلق جديد أمر بعيد مستغرب ، ولو عقلوا ؛ لأدركوا أن قدرة الله على البدء متوفرة في الإعادة ؛ بل الإعادة أهون .

قال تعالى : وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدُوا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْزِنُ عَلَيْهِ . (الروم ٢٧) .

من تفسير الكشاف للزمخشري:

ومثل قوله تعالى : وَكَانُوا يُقُولُونَ أَيِلنَا مِثْنَا وَكُنَا تُواَبَا وَعِطْلُمَا أَيْنًا لَمَنْعُولُونَ • أَوَ ءَابَالُونَا ٱلْأَوْلُونَ • قُلْ إِنَّ آلاَّوُلِينَ وَآلَا عِرِينَ • لَمَجَعُومُ وَلِنَ إِلَيْي مِيقَلَتِ يُؤْمِ مِّقَلُومِ • (الواقعة: ٤٧-- •) .

ومثل قوله تعالى : وَقَالُوٓا أَءِذَا كُنّا عِظْلُمًا وَرُفَانًا أَءِنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا . (الإسراء: ٤٩).

وجوّر بعضهم : أن يكون الخطاب لكل من يصلح له ، أى : وإن تعجب أيها العاقل بشىء : فازده تعجبا ممن ينكر قدرة الله على إحياء الموتى .

أُولَانِكَ ٱلَّذِينَ كَفُرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَانِكَ ٱلأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ .

أى : هزلاء المنكورن للبعث المستبعدون له ، هم الذين كفروا بريُهم وخالقهم ، وجحدوا نعمه المتعددة، ولم يتأمَّلوا بعقولهم في أن من أوجدهم قادر على إعادتهم بعد الموت .

وَأُوْلَلْهِكَ ٱلأَغْلَالُ فِي أَغْنَاقِهِمْ.

لقد حجُّروا أنفسهم ، كأنما وضعوا قيودًا في أيديهم وأعناقهم من الضلال ، تصدهم عن التأمل والتفكر . واتباع المق ، كما قال القائل :

كيف الربشاد وقد خلقت في نفر لهم عن الرشد أغلال وأقياد

وقد يكون المعنى :

أولئك الذين توضع القيود والأغلال في أيديهم وأعناقهم يرم القيامة : عندما يساقون إلى النار بذلة وقهر: كما يقاد الأسير الذليل في القيد والغلّ .

قال تعالى : إِذِ ٱلأَخْلَلُ فِي ٓ أَعُنْقِهِمْ وَٱلسَّلَسِلُ يُسْحَبُونَ ه فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي آثَارِ يُسْجَرُونَ . (غافر: ٧٧ . ٧١). وَأُولَكِيْكَ أَصْحَلْبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا صَلِلُونَ .

أى : وأولئك الملازمون للنار ، حتى كأنهم أصحابها : من طول إقامتهم فيها ، وهم ملازمون لها لا يخرجون منها أبدًا .

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّعَةِ مَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْخَلَتْ مِن مَّلِهِمُٱلْمُثُلَثُّ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُومَهْ فِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْبِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُٱلْمِقَابِ ۞ ﴾

المفردات؛

السيئشة، العقوبة.

الحسنسة: العافية والسلامة.

التفسيره

٧ - وَيُسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْسَيَّةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ...

أى: إن هؤلاء المشركين لظلمهم وعدوانهم وعنادهم ؛ إذا توعدهم النبى بالعذاب إن لم يؤمنوا ؛ قالوا له : أرضا هذا العذاب إن كنت صنادفًا ، وقد عبّر عن هذا المعنى فى قوله سبحانه : وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمُّ إِنْ كَانَ هَلْذًا هُوَ ٱلْحَقِّ مِنْ عِبدِلِثُ فَأَمْظِرُ عَلِيَنَا حِجَارَةً مِنْ ٱلسُّمَاءَ أَنْ آلْتِياً بِعَلَابِ أَلِيمٍ . (الأنفال: ٣٢) .

أي: أنهم بدل أن يطلبوا من الرسول: الدعاء لهم: بالأمان والخير، والعافية والهداية والأمور الحسنة، فإنهم يستعجلون الأمور السيئة ، ووقوع المذاب يهم تهكما وعنادًا.

وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمُثْلَلْتُ .

أي : هلاك الأمم المكنبة ، الذين جعل الله هلاكهم سلفا ومثلا للآخرين ، فعنهم : أمة مسخت قردة ، وأخرى : هنازير ، وثالثة : أهلكت بالخطف ، ورابعة : أهلكت بالرجنة ، وخامسة : بالغرق ، حيث جعل الله العقوبة التي أنزلها بالمكنبين عظة وعبرة ومثلا وإضحًا لجزاء كلّ مكنب .

قال تعالى : وَضَرَبْنَا لَّكُمُ ٱلْأَمْثَالَ .

وَإِنَّ رَبُّكَ لَلُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبُّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ .

أى: إن الله تعالى فتح بابه للتانبين ، وستر على المذنبين ، وقبل توية التانبين ، ولم يعجل بعقوية المذنبين ، قال تعالى : وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرِكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن ذَاّيَّة .. (فامل ٤٥).

وهو سبحانه شديد العقاب لمن مات مصررًا على المحصية ، وبهذا نجد الآية الكريمة قد جمعت بين الرحمة والعذاب والرجاء والخوف ؛ حتى يتكامل الموقف ، ويأخذ الإنسان بنصيبه في العمل والتوية قبل أن ينزل به العذاب ، وفي هذا المعنى قال تعالى : نَبِيَّ عَبَادِيّ أَنْي أَنْ ٱلْفُقُورُ ٱلرَّحِمُ * وَأَنْ عَذَابِي هُوَ ٱلْمَدْبُ ٱلْأَيْبُ .

(المحد: ١٥ ، ٥٠)

قال ابن جرير الطبرى:

وهذا الكلام وإن كان ظاهره ظاهر خير ، فإنه وعيد من الله ، وتهديد للمشركين من قوم رسول الله ﷺ؛ إن هم لم ينيبرا ويتوبوا من كفرهم ، قبل حلول نقمة الله بهم ⁽¹⁰⁾ .

* * *

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلآ أَنْزِلَ عَلَتِهِ ءَايَةٌ مِّن زَيِهِ ۚ إِنَّمَاۤ أَنتَ مُنذِرٌ ۗ وَلِكُلِّ فَوْمٍ هَادٍ ۞﴾

المقردات

الندين كشرواء المراديهم هذا: كفار أهل مكة.

السولا أنال الله والمعشى: هلاً ، الكلتاهما للجنس والحث على أعل الشيء ،

آيــةمـن(بـه، الآية: الحلامة، والمراد بها هنا: ما طلبوه من الخوارق مثل : تفجير البنابيع والأنهار، والرقى في السماء.

التفسيره

٧ – وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفُرُواْ لَوْلآ أَنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبُّهِ . . .

وهذا لون آخر من تعنت المشركين من أهل مكة ، فقد أنزل الله القرآن الكريم ، معجزة خالدة على رسوله محمد ﷺ ، وآية باقية ، لكن كفار مكة اقترحوا على الرسول : أن ينزل عليهم آية مثل آيات الرسل السابقين ، أي : كعمنا موسى ، أو ناقة منالح ، أو إحياء الموتى على يد عيسى .

أى: ه لأ أنزل على محمد محجزة مادية ملموسة تدل على صدقه ، مثل : تفجير ينابيع الأرض ، ورحزحة الجبال من حول مكة ، ثم ينبت مكانها الأعناب وصنوف النباتات ، وقد حكى القرآن الكريم عنهم ورحزحة الجبال من حول مكة ، ثم ينبت مكانها الأعناب وصنوف النباتات ، وقد حكى القرآن الكريم عنهم مثل هذه الاقتراحات في سورة الغوقان في الآيات ٧ - ١١ ، وكذلك في سورة الإسراء ، حيث يقول سبحانه: وَقَالُواْ أَن لَوْمِنَ لَكَ حَيْنًا عَلَيْهِمُ وَلَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَشُوعًا هَ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَدُّ مِنْ لَنْجِلُ وَعِيْبٍ فُشَعَرً الْأَهْلِ عَلْمَا اللهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلِينًا كِسُفًا أَوْ تَلْهَى بِاللهِ وَالْمَالَةِ عَلْمَا اللهِ وَالْمَالِقَ اللهِ وَالْمَالِ وَاللهِ عَلَى اللهِ وَاللهِ اللهِ وَاللهِ عَلَى اللهِ وَاللهِ اللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ اللهِ وَاللهِ وَاللهِ اللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ اللهِ وَاللهِ وَلِي اللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ

إِنَّمَا أَنتَ مِعلِرٌ وَلِكُلُّ قَوْمٍ هَادٍ .

أى: إن وظيفتك قاصرة على إبلاغ الرسالة ، وتبشير المرتمنين بالجنة ، وإندار المشركين بالعذاب، وقد تكرر هذا المعنى في القرآن الكريم : لإفهام المشركين : أن وظيفة الرسل قاصرة على تبليغ الرسالة وقد تكرر هذا المعنى في القرآن الكريم : لإفهام المشركين : أن وظيفة الرسل قاصرة على تبليغ الرسالة والدعوة إلى الإيمان ، وإندار المكذبين ، والرسول بعد ذلك بيشر يوحى إليه ، فليس إلها ، ولا يملك الاستجابة لمطالبهم وتحقيق رغباتهم المعتمنية ، قال تعالى . ومَا تَعَمَعَا أَن تُرسِلُ بِالآلِث إِلاَّ أَن كُلُّب بِهَا إِلاَ الْكَابَةُ مُهْمِرةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا تُرسُلُ بِالآلِث إِلاَّ تَخْوِيفًا . (الإسراء ١٩٠١) ؛ فهؤلاء كفار مكة إذا جاءتهم معجزة مادية ، سيمسرون على كفرهم ويذلك يستحقون نزول العذاب بهم ؛ عقوبة على كفرهم وعذلك يستحقون نزول العذاب بهم ؛ عقوبة على كفرهم معجزته عقلية خالدة باقية ، وألا يهلك قومه في حياته ، قال تعالى : وَإِذْ قَالُوا ٱللّٰهُمُ إِن كَانَ هَلناً هُو ٱلْحَقُ مِنْ مِنْ مِنْ لِكُونُ مُعْلِمُ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللّٰهُ يُعْمَنْهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللّٰهُ يُعْمَنِهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللّٰهُ يُعْمَنْهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللّهُ مُعْمَنَعُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللّٰهُ لِيعَمْ مُونَدُ عَلَى اللّهُ مُعْمَنْهُمْ وَقَمْ يُسْتَعْفُورُ مَنْ . (الأنفار، ٢٧٠٧) .

وكان النبي ﷺ حريصًا على هداية قومه ، فكان الوحى يرشده إلى المسبر والاحتمال ، وبيان أن هذه سنة الله في خلقه ، قال تعالى : لَيْسَ عَلَيْكُ هُدَاهُمْ وَلَنْكِنُّ ٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَاءُ . (البقرة: ٣٧٣) ، إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ ٱلْلَئِكِ . (الشرين: ٤٨) ، فَذَكُرْ إِلْمَا أَنتُ مُّذَكُرُ ولُسْتَ عَلَيْهِم بِمُمْيَطِو. (الناشية: ٣٧١) .

وَلِكُلُّ قَوْمٍ هَادٍ .

أى: نبى يدعوهم إلى الهدى والرشاد ، ويحتمل أن يكون المعنى : أن الله أعلم حيث يجعل رسالته ، وهو يعطى كل رسول ما يناسبه من الآيات والمعجزات وقد شاه سبحانه أن يؤيد محمدا بمعجزة خالدة باقية داعية إلى الهداية .

أي: لكل قوم من أقوام الرسل معجزة داعية إلى الهدى لمن اهتدى بها ، وقد أعطى الله محمدًا القرآن أبلغ داعية إلى الهدى(١٠٠ قال تعالى: أوَلَمْ يَكُفُهِمْ أَنَّا أَنْزِلُنَا عَلَيْكَ ٱلْكُنْبِ يَّلِهَى عَلَيْهِمْ . (العنكبرت: ٥١). ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَعْمِلُ كُلُّ أَنْفَى وَمَا تَغِيضُ ٱلأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَاذُّ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ، بِمِقْدَادٍ ۞ عَلِيرُ ٱلْغَيْبِ وَالشَّهَدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۞ سَوَآءٌ مِنكُم مِّنَّ ٱسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَنجَهَ رَبِهِ ء وَمَنْ هُوَمُسَتَخْفِ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبُّ بِٱلنَّهَا لِ ۞﴾

المفردات ا

تسقسيش الأرحسام؛ تنقص، ومنه: غِيضَ ٱلَّمَاءُ .

بعقدار؛ أي: بأجل لا يتجاوزه ولا ينقص عنه.

عالم الغيب والشهادة، يعلم ما غاب عن الحسّ مالا تدركه الحواس ولا يعلم ببداهة العقل ، كما يعلم الحاضر المشاهد،

الكريد المتحمال: العظيم الشأن، المستعلى على كل شيء في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله.

سود ملكم في أسراتقول ومن جود به أى : هو سبحانه مستو في عمله : من أخفى منكم القول ، ومن أعلنه ، ومن بالغ في الاستخفاء ، ومن ظهر .

التفسير،

٨- ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أَنفَىٰ وَمَا تَعِيضُ ٱلأَرْحَامُ وَمَا تَرْدَادُ ...

تأتى هذه الآية وما بعدها ؛ لبيان علم الله الشامل وقدرته الحقة ، وفى مقام الردّ على من أنكر البعث والحشر والجزاء .

فهو سبحانه عالم بكل شيء : إِنَّ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٍ . يعلم ما تحمل كل أنثى من ذكر أو أنثى ، طويل أم قصير ، تام الخلقة أو ناقصها ، صبيح أم قبيح ، صالح أم طالح ، شقى أم سعيد ، قال تعالى : وَيَعْلَمُ مَا فِي

وَمَا تَغِيضُ ٱلأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ .

إنه سبحانه يعلم ما يكون في داخل الأرحام من نقص في الخلقة أو زيادة فيها ، ومن نقص في مدة الحمل أو زيادة فيها ، ومن نقص في مدة الحمل أو زيادة أو أريعة أو زيادة أو أريعة أو ذيادة أو أريعة أو خمسة ، وقد تكون تسعة إلى عشرة أشهر تقريبا ، وقد دلت المحمل أن الجنين لا يستقر في البحل وهو حي أكثر من ٣٠٨ أيام ، أي : عشرة أشهر ويضعة أيام .

و كُلُّ شَيْءٍ عَندُهُ بِمِقْدَارٍ . أي : ولكل شيء ميقات معين ، لا يعدوه زيادة ولا نقصا .

قال تعالى : إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَتْكُ بِقَدَرٍ . (القمر: ٤٩) ، كما قال سبحانه : وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندُنَا خَوَائِنُهُ وَمَا نُتَوْلُهُ إِلاَّ بِقَلْدٍ مُعْلُومٍ . (السجر: ٢١) .

وقد روى الشيخان: أن زينب بنت النبي ﷺ أرسلت إليه تخبره: أن ابنًا لها في الموت يحتضر، وتدعو النبي أن يحضر إليها، فبعث إليها رسول الله ﷺ من يقول لها: « إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى: فأصيرى واحتسبى «٣٠.

٩ - عَلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَلَةِ ...

إنه سبحانه مطلع على السرّ والنجوى ، محيط علمه بكل غائب وحاضر ، مطلع على ما هو غائب لا تدركه الأبصار من عوالم لا نهاية لها ، ومن أفلاك وملائكة وجن وقوى خفية ، وَمَا يَعْلَمُ جُعُودُ رَبُّكُ إِلاَّهُ هُوَ . (الدن: ٢١) ، ومطلع أيضا على الظاهر المشاهد ، ثم هو يجازى ويحاسب الجميع ، قال تعالى : يَعْلُمُ خَالِثَةَ الْأَغْيِنِ رَمَّا تُخْفِى الْصُدُورُ ، وَ اللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدَعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَقْضُونَ بِشَيْعٍ إِنَّ اللَّهُ هُو ٱلسِّعِيعُ . أَنْهُ رَدَانِو : ١٩٠ ، ٢٠) .

ٱلْكِيرُ ٱلْمُتَعَالِ.

أى : هو العظيم الشأن ، المستعلى على كل شيء بقدرته وجبروته ، وهو وحده الذي له التصرف في ملكوته .

ٱلْمُتَكَالِ. الذي يجلُ عما وصفه به النلق من صفات ، ويستعلى على ما سواه في ذاته وصفاته وأفعاله.

١ - سَوَاءٌ مُنكُم مْنْ أَسَرٌ اللَّهْ إِن وَمَن جَهر بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفيم بِٱلْذِل وَسَارِبُ بِٱلنَّهَارِ .

إن علم الله يشمل السر والجهر، والخفى والظاهر، يستوى عنده كلّ ذلك: فعلمه ممتد شامل, أُخَاطَّ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا.

قال الشوكاني:

سُوَاءُ مُنكُم مِّنْ أَسُرْ أَلْقُولُ وَمَن جَهرَ بِهِ ، فهر يعلم ما أسره الإنسان ، كعلمه بما جهر به من خير أو شر، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْف بِالْيَّلِ ، أَى : مستقد فى الظلمة مقول عن الأعين ، وُسَارِبٌ إِلْسُهَادٍ ، أَى : بارز وظاهر بالنهار فالظاهر فى الطرقات ، والمستخفى فى الظلمات ، علم الله فيهم جميعًا سواء⁽¹⁸⁾ . اهـ . وهي هذا المعنى يقول الله تعالى : وَإِنْ تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلَ وَإِنْ يُعْلَمُ ٱلسَّرُ وَأَخْفَى . (طه : ٧) ، ويقول سبحانه: وَقَعْلَمُ مَا تُخْفُونُ وَمَا تُعْلُونُ ، (النمل: ٢٥) .

ويقول عن شأنه : وَإِنْ تُبْدُواْ مَا فِيَّ أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبُكُم بِهِ ٱللَّهُ . (البقرة. ٢٨٤).

وقد سمع سبحانه العرأة المجادلة من فوق سبع سماوات وأنزل أيات بشأنها في صدر سورة المجادلة. فبدأ بقوله تعالى : قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قُولَ ٱلَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زُوْجِهَا وَتَشْتَكِيّ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمُعُ تَحَاوُرُ كُمَّا إِنَّ ٱللَّهُ سَمِعٌ بُعسِّ . (المجادلة: ١) .

* * *

﴿ لَهُ مُعَقِّبَتُ مَنْ يَنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يِقَوْمِ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِمٍ مَّ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمِ سُوّءًا فَلَا مَرَدَّ لَفُ وَمَا لَهُم مِن دُونِهِ مِن وَالِي ٣٤٤

المفرادت ،

معقبات، هم الدفظة ، يأتي بعضهم بعقب بعض .

من بين يديه: من قدّامه .

من خلقه، من ورائه.

من أمر الله؛ أي: بأمره وإعانته.

وال اناصر.

التفسير ،

١١ -- لَهُ مُعَقَّبُتَ مَّنْ أَبَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ...

أى: لكل واحد من هؤلاء المذكورين ممن يسرُون القول أو يجهرون به ، ملائكة يتعاقبون عليه باللبل والنهار ، ويحيطون به من جميع جوانبه لحقظه ورعايته ، ولكتابة أقواله وأعماله ، وهذا التعقيب والحفظ – إنما هو بسبب أمر الله تعالى لهم بذلك ، فإذا جاء قدر الله تعلّرا عنه ، وفى الحديث الصحيح : «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى صلاة الصبح وصلاة العصر ، فيصعد إليه الذين باتوا فیکم: فیسألهم ، وهو أعلم بهم ، کیف ترکتم عبادی ؟ فیقولون : أتیناهم وهم یصلُون ، وترکناهم وهم یصلُون، ۱٬۰۱۵ (أهرجه البغاری) .

Y2 YY

إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ.

جمل الله لهذا الكرن تواميس وأسبابا : فمن سلك طريق الهدى : يسر الله له سبل الهداية ، ومن بدُل · نعمة الله كفرا : غير الله عماءه له إلى نقمة وعقاب في الدنيا والأخرة ، وتلك آية في العدالة الإلهية : فقد جعل للنصر أسبابا ، وللهلاك أسبابا ، فلا يسلب الله نعمة أنعم بها على قوم : حتى يغيروا ما بأنفسهم ، من الفير والأعمال الصالمة .

قال تعالى : وَضَرَبَ ٱللَّهُ شَكَارٌ قَرَيَةُ كَانَتَ عَامِنَةٌ مُطْمُتِئَةً يَأْتِهَا رِزْقَهَا رِفَقَا مِّن كُلُّ مَكَانَ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ ٱللَّهِ فَاذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ اللَّجُوعِ وَالْفَعُوفِ بِهَا كَانُواْ يَسْتَعُونَ . (النصل: ١١٧) .

ويصبح أن يكون المعنى : إن الله لا يغيّر ما بقوم من العقاب والبلاء ؛ حتى يغيروا ما بأنفسهم من المعاصى ؛ ليكونوا أملاً لعقره ورجمته .

ومن أسباب استحقاق الناس للعقوية : ظهور الفاحشة يتعامل بها علانية ، وإهمال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

جاء في تفسير المراغي:

روى : أنّ أيا بكر قال : قال رسول اش ﷺ : « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ؛ يوخك أن يعمهم الله تعالى بمقاب ، الأنا.

وفي هذا المعنى يقول الله تعالى : وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَةً . (الأنفال : ٢٥).

وأشار إلى ذلك العلامة ابن خلدون فى مقدمة التاريخ تحت عنوان : (فصل : فى أن الخلام مؤذن بخراب العمران).

وأخذ يضرب الأمثال بكثير من الأمم ، التى ثلُّ الظلم عروشها ، وأذلُّ أهلها ، وجعلها طعمة للأكلين ، ومثلا للأخرين .

قال تعالى : رَلَقَدُ كَتَبَنَا فِي ٱلزَّاوِرِ مِنْ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِقُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّلِحُونَ . (الأنبياء : ١٠٥) ، أي : الصالحون لعمارتها والانتفاع بها .

وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقُوْمٍ سُوٓءًا فَلاَ مَرَدٌ لَهُ

أى: إذا أراد الله يقوم سوءا ، من مرض وفقر ونحوهما ، من أنواع البلاء ، كالهلاك والعذاب فَلاَ مُرِدَّ لُهُ. فلا دافع لبلائه على اختلاف أنواعه ، وقيل : المعنى : إذا أَزَادَ ٱللَّه بِقُومٌ سُومًا ؛ أعمى أبصارهم وبمسائرهم: فاختاروا ما فيه هلاكهم وعملوه بأنفسهم ، فيستحيل لذلك ربَّه عنهم .

وَمَالَهُم مِّن دُونِهِ مِن رَالْمٍ. آي : ليس لهم ملجاً أو ناصر غيره يقيهم من أخذ الله لهم ، ويدفع عنهم السوم، وفي هذا دلالة قاطعة على أن تخلف مراد الله تعالى محال، وإيذان بأنهم حين أنكروا البعث ، واستعجلوا السيئة ، واقترحوا الآية : قد استحقوا العذاب ، الذي لا يستطيع أحد دفعه عنهم : إذا أراد الله نزوله بهم .

﴿ هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْمَرْفَ خَوْفَا وَطَمَعًا وَيُشِيْعُ السَّحَابَ الِثَقَالَ اللَّهُ وَيُسْتِحُ الرَّعْدُ بِهَا وَيُسْتِحُ الرَّعْدُ بِهَا السَّحَابُ الْفَقَالَ اللَّهُ وَيُسْتِحُ الرَّعْدُ اللَّهُ وَهُمْ يُعْدَدُ وَالْمَلَيْكُ وَيُرْسِلُ الصَّوَعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَالُهُ وَهُمْ مُثِكَدِدُ وَيَاللَّهُ وَمَا هُو يَبْلِغِدُ وَالْمَانِي اللَّهُ وَمَا هُو يَبْلِغِدُ وَمَا الْمَادُقِينَ وَالْمَارِقِ اللَّهُ وَاللَّهُ وَمَا هُو يَبْلِغِدُ وَمَا الْمَادُقِينَ وَالْمَارُقِ لَيْكُمُ اللَّهُ وَمَا هُو يَبْلِغِدُ وَمَا هُو يَبْلِغِدُ وَمَا أَمْ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَمَا هُو يَبْلِغِدُ وَمَا اللَّهُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَمَا هُو يَبْلِغِدُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَمَا هُو يَبْلِغِدُ وَمَا هُو يَعْلِمُ اللَّهُ اللْمُعِلَّالِي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُنْ الْمُنْ الْمُنْفِي الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْفَالِمُ اللَّهُ الْمُنْعِمُ ا

وَٱلْأَصَالِ اللهِ الله

المفرادت،

خ<u>سوفسا وطسم س</u>طساء خوفًا للمسافرين في أسفارهم من مشقته وأذاه ، وطممًا للمقيم أن يمطر فينتفع به. و ينقض السحاب الشقال، الذي فيه ماء .

ويسبح الرعمة بحمده، يخضع الرعد لقدرة الله ونظامه المحكم في هذا الكون فهو يعظم الله ويحمده واللاشكمة من حيشقية، من خوف الله عز وجل ورهبته.

وهم يحدد الون هي السلم: ذكر: أن رجلا أنكر القرآن ، وكذب النبي ﷺ : فأرسل الله عليه صاعقة فأهكلته

رهـــوشـــديـــدالهمال، شديد المماحلة في عقوية من طغى وعتا عليه ، و المحال مصدر من ما حلت فلانناً محالا : إذا عرضته لما يهلكه ، وقيل : شديد الأخذ ، شديد القوة .

ا الله الله .

والمنيس يسمعون من دونه ، يعنى : آلهة المشركين .

إلا كباسط كفية إلى الماء ليبلغ فاه: أي : كالرجل العماشان يمدُ يده إلى البئر ؛ ليرتفع إليه الماء ، فلا يدركه .

ولله يسجدمن في السماوات

والأرش طلوطها وكسرفها: المؤمن يسجد طوعًا، والكافر يسجد كرهًا.

وظلائهم بالشدو والأصال؛ يقول: ويسجد أيضًا ظلال كل من يسجد الله طوعًا وكرهًا.

والأسيب الشمس عمم أصيل وهو ما بين العصر إلى مغيب الشمس .

التفسير

١٢ - هُوَ ٱللّذِي يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمْعًا وَيُشئ ٱلسَّحَاب ٱلظَّفَالَ • وَيُستَبِعُ ٱلرَّعْمُ بِحَمْدِهِ
 وَٱلْمَلَدْعِكُمْ مِنْ حَيفَتِهِ وَيُوسِلُ ٱلصَّرَاعِق قَيْمِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَدِدُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ.

يخبر الله تعالى: أنه هو الذي يسخر البرق ، وهو ما يرى من النور اللامع ساطعًا من خلل السحاب(").

خُوفًا وَطُهِمًا . قال قتادة : هوفًا للمسافر ؛ يخاف أذاه ومشقته ، وطمعًا للمقيم ؛ يرجو بركته ومنفعته ويطمع في رزق الله .

وَيُنشئُ ٱلسُّحَابَ ٱلثُّقَالَ . قال مجاهد : السحاب الثقال : الذي فيه الماء .

وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعُدُ بِعَمْدِهِ . أي : يظهر قدرته تعالى وجبروته وتسخيره لجميع ظواهر هذا الكون كقوله تعالى : وَإِنْ مِن شَيْعٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِعَمْدِهِ ...

وكان رسول الله ﷺ إذا سمع الرعد والصواعق ؛ قال : « اللهم ، لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعدابك، وعافنا قبل ذلك، "" ، وعن أبى مريرة مرفوعًا : أنه كان إذا سمع الرعد قال : سبحان من يسبح الرعد بحمده: وعن عبد الله بن الزبير: أنه كان إذا سمع الرعد؛ ترك الحديث وقال: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خفيفته ، ويقول: إن هذا لوعيد شديد لأمل الأرض (⁽⁽⁾⁾.

والبرق والرعد والسجاب مشاهد معروفة ، وكذلك العمواعق التى تصاحبها في بعض الأحيان ، وهي بذاتها مشاهد ذات أثر في النفس حتى اليوم ، وعند الذين يعرفون الكثير عن طبيعتها ، والسورة تذكر هذه الظواهر متتابعة وتضيف إليها الملائكة والتسبيح والسجود والخوف والطمع : لتصوير سلطان الله المتفرد بالقهر والذفع والضراء".

وقد سميت السورة بسورة الرعد ؛ لقوله سبحانه فيها : وَيُسَبِّحُ ٱلرُّعْدُ بِحَمْدِهِ . (الرعد : ١٣)

والرعد هو ذلك المدوت المفرقع العدوى ، وهو أثر من آثار الناموس الكونى الذى صنعه الله أيا كانت طبيعته وأسبابه فهو رجع صنع الله فى هذا الكون ، وهو يحمد ويسبح بلسان الحال ، للقدرة التى صاغت هذا النظام ، كما أن كل مصنوع جميل متقن يسبح ويعلن عن حمد الصنائع والثناء عليه بما يحمله من جمال وإتقان .

وقد اختار التعبير أن يجعل صبوت الرعد تسبيحًا للحمد: اتباعًا لمنهج التصوير القرآنى في مثل هذا.
السياق ، وخلق سمات الحياة وحركاتها على مشاهد الكون الصامتة : لتشارك في المشهد كله ، وقد انضم
إلى تسبيح الرعد بحمد الله ، تسبيح الملائكة من خوفه ومن تعظيمه ، وفي آية آخرى يقول سبمانه :
وألمَّلْكِكُةُ يُسَّجُونُ يُحمَّدُ رَبِّهِمْ . (لشورى: ٥).

وهي الحديث النبري يقول الرسول ﷺ: « أمُّت السماء ، وحق لها أن تنط؛ ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك راكع أو ساجد يسبح الله تعالى »(**).

وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ . أي : يرسلها نقمة ينتقم بها ممن يشاء .

قال قتادة : ذكر لنا : أن رجلا أنكر القرآن ، وكذب النبي ﷺ ؛ فأرسل الله صاعقة ؛ فأهلكته .

وذكروا في سبب نزولها: قصة (عامر بن الملفيل) و (أريد بن ربيعة)، لما قدما على رسول الله ﷺ المدينة ، فسألاه : أن يجعل لهما نصف الأمر : فأبى عليهما رسول الله ﷺ: فقال له عامر بن الطفيل لعنه الله ، أما والله لأملأنها عليك خيلا جردا ، ورجالا مردا : فقال له رسول الله ﷺ: « يأبى الله ذلك وأبناه قيك» يعنى : الأنصار ، ثم إنهما ممّا بالفتك برسول الله ، فجعل أحدهما يضاطبه ، والأخر يستل سيفه : ليقتله من ورائه ، فحماه الله تعالى منهما وعصمه ، فخرجا من المدينة ، فانطلقا في أحياء العرب يجمعان الناس؛ لحربه عليه المسلام ، فأرسل الله على (أريد) سحابة فيها صاعقة فأحرقته ، وأما (عامر بن

الطفيل)، فأرسل الله عليه الطاعون ، فخرجت فيه غدة عظيمة فجعل يقول : يا أهل عامر ، غدة كغدة البعير ، ومَوت في بيت سلولية ، حتى ماتا لعنهما الله وأنزل الله في مثل ذلك : وَيُوسِلُ ٱلصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يُشَاءً وَهُمْ يُحَادِلُونَ فِي ٱللَّهِ .(**).

وَهُمْ يُجَلَّدُ أُونَ فِي ٱللَّهِ . أي : يشكون في عظمته وأنه لا إله إلا هو .

وَهُوَ ضَغِيدُ ٱلْمِحَالِ . قال ابن جرير : شديدة مما حلته في عقوية من طغى عليه وعتا وتمادي في كفره، وهذه الآية شبيبية بقوله تعالى : وَمَكُوا مُكُوا وَمُكُونَا مَكُوا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ * فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عُنقِهَ مَكْرِهِمْ أَنْ فَمُونَافُهُمْ وَقُومُهُمْ أَجْمَعِينَ .(النمل: ١٠ . ١٥)، وعن على رضى الله عنه : وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالَ. أي : شديد الأخذ ، وقال مجاهد: شديد القوة .

١- لَهُ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱللَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ ...

من الدعاء ما يحظى بالإجابة وما يكون دعاء حدًّا ، وهو دعاء من يملك الإجابة ، أى : دعاء الله جل جلاله : فهو سبحانه يسمع الداعى ويستجيب له ، قال تعالى : وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِبُ دُمُوةً آلدًا ع إذًا دُعَاك ، (البقرة: ١٨٦).

وقال سيحانه : ٱدْعُونِيَّ أَسْتَجِبٌ لَكُمْ . (غانر: ٦٠).

ومن الدعاء ما يتجه به الداعى إلى الأصنام والنجوم وغيرها من المطلوقات التى لا تملك الإجابة ، فالأصنام لا تسمع وغيرها من الملائكة أو الجن ، أو البشر لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا ، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا فكيف بغيرهم ؟!

إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُواْ دْعَاءَكُمْ وَلُوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقَيْسَةِ يَكَفُّرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يَبْتَسُكُ مُثَلُّ صَعِيدٍ . (فاطر: ١٤) .

وهذا القسم من الدعاء جدير بأن يسمى : دعاء الباطل ، وهو الذي لا يهتدى إلى هدف الإجابة كدعاء من لا يسمع أو لا يقدر على الاستجابة .

لقد ذكر الله في الآيات السابقة : أنه عليم بكل شيء ، قدير على كل شيء ، ثم ذكر في هذه الآية : أن له حقيقة الدعاء والاستجابة : فهو مجيب الدعاء كما أنه عليم قدير . وقد ذكر ذلك في الآية بطريقي الإثبات والنفي ، أعنى : إثبات حق الدعاء لنفسه وفيه عن غيره .

أما الأول فقوله :

لُّهُ ذُعْوَةُ ٱلْحَقِّ . وتقديم الظرف يفيد الحصر ، ويؤيده ما بعده من نفيه عن غيره .

وأما الثاني فقوله :

وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ .

وقد أخبر فيه : أن الذين يدعوهم المشركون من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء ، ثم صورة معبرة - تؤكد ضلال من يدعو غير الله وهي صورة ملهو • ف ظمأن يعد ذراعيه ويبسط كفيه إلى بئر سحيق فيه ماء - وفيه مفتوح يلهث بالدعاء ، يطلب الماء : ليبلغ فاه فلا يبلغه ، وما هو ببالغه ، بعد الجهد واللهفة والعناء ، وكذلك دعاء الكافرين بالله الواحد ، حين يدعون الشركاء .

لَهُ دَعْوَةُ ٱلْحَقَّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُولِهِ لاَ يُسْتَعِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبْسِطِ كَفُيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِمَنْلِعِهِ وَمَا دُعَاءَ ٱلْكَلْهِ بِنَ إِلاَّ فِي صَلَّل .

فهذا الدعاء للأصنام ليس له من الدعاء إلا صورته كما أن باسط كذيه إلى الماء ليس له إلا صورة الطلب ببسط الكفين ، ولن ينتقل الماء إلى فمه .

ومن هنا نعلم أن هذا الاستثناء : إلا كَيُسِطُ كُفَّيِّهِ ... إلغ ، لا ينتقض به عموم النفى المستثنى منه ولا يتضمن إلا صورة الاستثناء فهو يفيد : تقوية الحكم في جانب المستثنى منه فإن مفاده : إن الذين يدعون من دون الله لا يستجاب لهم إلا كما يستجاب لباسط كفيه إلى الماء ولن يستجاب له ، ويعبارة أخرى : لن ينافرا بدعائهم إلا عدم الإجابة ، أي : ان ينافرا شيئًا البتة .

وهذا من لطيف كلامه تعالى(** ، ويناظر من وجه قوله سبحانه : قُلُّ ٱفَاتَخَلَّتُم مِّن دُولِهِ ٱوْلِيَاءَ لاَ يَمْلُكُونَ لَأَنْفُسِهِمْ نُفَعًا ولاَ صَرَّا. (الرح: ١٦).

وَمَا دُعَاءَ ٱلْكَنْفِرِينَ إِلاَّ فِي صَلَالٍ . أي : في ضياع وانحراف ، فإن الأصل في الدعاء أن يتوجه به الإنسان إلى من يمك الإجابة وهو الله سيحانه وتعالى :

قمن دعا غير الله؛ فقد ضل دعاؤه واتحرف وضاع ، والضلال : هو الخروج عن الطريق وسلوك مالا يوصل إلى المطلوب . قَالَ الطَّبرى: وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَلْفِرِينَ إِلاَّ فِي صَلَالَ.

وما دعاء من كفر بالله ما يدعو من الأوثان والألهة إلا فى ضلال ، يقول : إلا فى غير استقامة ولا هدى؛ لأنه يشرك بالله .

٥١- وَلِلَّهِ يَشْجُدُ مَن فِي آلسَّمَا وَتَ وَآلا رض طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَلْهُم بِٱلْفَدُو وَآلا صَالِ .

كل من فى الكون خاضع لأمر الله وإرادته : إذ إنه يعيش فى ملكه ويسير وفق قانونه ، المؤمن يخضع لله : طاعة وإيماناً وغير المؤمن يخضع كرها وإرغامًا ، فإذا مسه الضر أو خاف الموت أو الغرق : لجاً إلى الله داعيًا مستجيرًا .

قال تعالى : وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلطُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجُنكُمْ إِلَى ٱلْبَرّ أَعْرَضْتُمْ.. (الإسراء: ١٧).

وقال تمالى : فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعُواْ ٱللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجْنَهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ. (العنديون: 10).

وقال سبحانه : لَئِنْ أَنْجَيَّتُنَا مِنْ هَلْإِهِ لَنكُولَنَّ مِنَ ٱلشَّلْكِرِينَ . (يونس ٢٢) .

وفي ظلال القرآن ما يأتي :

والسياق يعبر عن الفضوع امشيئة الله بالسجود وهو أقصى رمز للعبودية ثم يضم إلى شخوص من في السماوات والأرض ظلالهم كذلك ، ظلالهم بالغدو في الصباح ، وبالأصال عند انكسار الأشعة وامتداد الظلال يضم هذا الظلال إلى الشخوص في السجود والخضوع والامتثال وهي في ذاتها حقيقة ، فالظلال تبع للشخوص ، ثم تلقى هذه المقيقة ظلها على المشهد، فإذا هو عجب ، وإذا الإيمان أو غير الإيمان سواء . كلها تسجد لله .. وأولئك المائبون يدعون آلهة من دون الله⁽¹⁰⁾

﴿ قُلْ مَن رَبُّ السَّمَوَتِ وَالْآرَضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ اَفَاغَنَدُمُ مِن دُونِدِ ۚ أَوْلِيَآ اَ لَايَمْلِكُونَ لِأَعْشِيمٌ نَفَعًا وَلَاضَرَّا قُلْ هَلْ يَسْتَمِى اَلْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْهَلْ نَسْتَوِى الظَّلْمَاتُ وَالثَّوْرُ اَمْ جَعَلُولِيَّهِ شُرَكَآ اَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ عَنْشَئِهُ الْخَلْقُ مُلَتِّحِمُ قُلِ اللهُ خَلِقُ كُلِّ مَنْ ءِ وَهُو ّالْوَحِدُ الْفَهَّدُ ۖ ﴿ اللَّهِ شُرَكَآ اَ

التفسيره

١٩- قُلْ مَن رَّبُّ آلسَّمَنوَاتِ وَآلاً رْضِ قُلِ آللَّهُ ...

بعد أن بين سبحانه أن كل من في السماوات والأرض ، خاضع لقُدرته ، منقاد لإرادته بالغدو والأصال، اتجه في هذه الآية إلى مناقشة المشركين عن طريق السوّال والجراب .

والمسنى: قل لهم يا محمد: من ربّ هذه الأجرام العظيمة التى ترونها ، فيبهركم ما فيها من دقة وكمال وجمال ؟! ، فإذا تأخروا في الجواب ؛ عنادًا أو مكابرة ؛ فقل لهم : الذى خلقها وأنشأها وسواها على أثم وضع هو الله ، وهذا جواب يتفق عليه السائل والمجيب ، بدليل قوله تعالى ؛ وَلَمِن سَأَلْتُهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيْكُولُنّ اللّهُ ، (الزغرف، ٨٧).

قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُوبِهِ أَوْلِيَاءَ لاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا .

أي: إذا علمتم أن خالق هذا الكون البديع هو الله ؛ فلم اتخذتم لأنفسكم من دون الله معبودات هي جمادات ، لا تملك لنفسها نفعا ولا شرًّا ؟ فكيف تنفع غيرها أو تضرّ ؟!

وإذا لم يكن لها القدرة على شيء من ذلك فعبادتها محض السُّفه ، الذي لا يرضاه لنفسه رشيد.

قُلْ هَلْ يَسْتَوى ٱلأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوى ٱلظَّلُمَاتُ وَٱلنُّورُ.

أى: توجه بالسوال إليهم يا محمد ، وقل لهم : هل يستوى الأعمى الذي لا يبصر ، والبصير الذي يرى ويهدى الأعمى إلى سواء الطريق ؟؟

لاشك أنهما غير مستويين : فكذلك المؤمن الذي يبصر الحق فيتُبعه ، ويعرف الهدى فيسلكه ، لا يستوى هر والكافر ، الذي أعرض عن الحق .

أَمْ هَلُ تَسْتَوى ٱلظُّلُمَنْتُ وَٱلنُّورُ .

أي: هل يستوى ظلام الكفر ونور الإيمان.

أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَلَّهِ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ.

ترى أن الآية تلاحق المشركين بهذه الأسئلة فلا يجدون مناصا من الإذعان و وكأنها تأخذ بتلابيبهم في أسلوب تبكيتي تهكمي ، فتقول : هل خلقت هذه الأصنام مخلوقات كما خلق الله ، فتشابه الخلق على المشركين ، فلم يستطيعوا التمييز بين خلق الله وخلق آلهتهم ؟! فيكون لهم بعض العذر في عبادة هذه الأصنام ، ولكن الأمر ليس كذلك ! لأنهم جعلوا لله شركاء عاجزين لا يقدرون على شيء ، ثم بين فذلكة لما تقدم ، ونتهجة لما سبق من الأدلة والأمثال التي ضربت لها فقال :

قُل ٱللَّهِ خَلِلِقُ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارِ.

أي: قل لهم أيها الرسول الكريم: الله تعالى هو الخالق لكل شيء في هذا الكرن، وهو سبحانه الواحد الأحد ، الفرد الصدد ، "لْقَنَّهُ لر. كل ما سواه ، والغالب لكل من غالبه .

* * 1

﴿ أَنَوْلَ مِنَ السَّمَاةِ مَانَهُ مَسَالَتَ أَوْدِيَةً بِقَدَرِهَا فَاَحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبُدَا رَابِينَا وَمَعَالُوفِهُ وَنَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ أَبْيَعَلَمْ حِلْيَةٍ أَوْمَتَعِ زَبَدُّ مِثْلَةً كَانَاكِ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَطِلَّ فَأَمَّا الزَّبُدُ فَيْذُهُ مَبْ حُمْثَاتُهُ وَأَمَا مَا يَعْمُ النَّاسُ فَيَمَكُنُ فِي الْأَرْضِ كَانَاكِ يَمْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالِ يَمْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالِ فَيَا الزَّمِنُ اللَّهُ الْمُثَالِ لَيْ اللَّهُ الْمُعَلِّ اللَّهُ الْمُثَالِ لَمُ اللَّهُ الْمُثَالِ لَكُونُ اللَّهُ الْمُعَلِّ اللَّهُ اللْلِهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْفَالِ

المقرادت و

الريد، ما يعلو وجه الماء كالرغوة .

والبيساء مرتفعا فوق المآء.

الحليمة، ما يتخذ للزينة من الذهب والفضة وغيرهما.

الحسنى ، مؤنث الأحسن ، والمراد بها: المثوية الحسنى ، وهي : الجنة وما فيها من نعيم مقيم .

التفسير،

١٧- أَنزَلُ مِنَ آلسَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتُ أُوْدِيَّةً بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ آلسِّيلُ زَبِدًا رَّابيًا ...

تمهيد،

ضرب الله تعالى بهذه الآية مثلا فى بقاء الدق ونقاته ، وهلاك الباطل وفنائه ، فدولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة ، وقد يوتفع شأن الباطل إلى حين : لكنه لا أساس له ، قال تعالى : أَلَّمْ تَوْ كَيْفَ صَرَبَ ٱللَّهُ مَثْلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةً طَيِّبَةً أَصْلُهَا قَابِتَ وَقَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ء تَوْتِيَ أَكُلَهَا كُلُّ حِينَ بِإِذْنِ رَبَهًا وَيَصْرِبُ ٱللهُ آللهُ الأَمْقالَ لِلنَّاسِ لَمَلْهُمْ يَتَذَكُرُونَ » وَمَثَلُ كَلِمَةٍ حَبِيئةٍ كَشَجَرَةٍ عَبِيئةٍ آجَنَتُتْ مِن فَوقيَ ٱلأَرْضَ مَا لَهَا مِنْ قُوادٍ. (إيدلهم: ٢٤-٢٩).

أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أُودِيَةً بِقَدَرِهَا ...

ضرب الله مثلا للحق في عموم فائدته ، وعظيم بركته بالماء الصافي الذي أنزله الله من السماء فسالت به أودية بين الجبال والآكام : بحسب مقدارها في الصغر والكبر ، فحمل السيل الذي حدث من ذلك الماء زيدًا عاليا ، مرتفعا فوقه ، طافيا عليها ، وهذا هو المثل الأول الذي ضربه الله للحق والباطل والإيمان والكفر : فالحق يشبه الماء : فهو ينساب في بطون الأرض ، ثم تحيا به الأرض ، وتثمر ما ينفع الإنسان والحهوان ، والباطل يشبه الرُغوة التي تعلو فوق سطح الماء : لكنّها تضمحل وتزول وتنتهي .

وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ آلْتِغَآءَ حَلْيَةٍ أَوْ مَتَكَعٍ زَبَدٌ مُثْلُهُ .

أى: ومن الذي يطرحه الناس في النار من ذهب أو فضة ، وكذلك من سائر الفلزات كالحديد والنحاس والرصاص ؛ عندما يطرح الناس هذه المعادن في النار ؛ لتصفيتها وصهرها ، وليتخذوا حليا تصنم من الذهب والفضة ، أو أوانى ينتفعون بها ويصنعونها من الحديد والرصاص والنحاس ، وفي أثناء صهر هذه المعادن يعلو فوقها زيد كزيد الماء في كونه رابيا فوقه ولا ينتفع به ، والزيد الذي يعلو فوق الماء ، ومثله الزيد الذي يعلو فوق المعادن عند صهرها : مثل للباطل ، لا ثبات له ولا دوام له أمام " عق .

كَلَالِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقُّ وَٱلْبَلْطِلَ.

أى: مثل ذلك البيان البديع ، يضرب الله الأمثلة للحق والباطل إذا اجتمعا : بأن يبين : بأنه لا تبات للباطل مهما علا وارتفع – مع وجود الحق – كما أنه لاثبات للزيد مع الماء الصافى ، ولامع المعادن النقية ، و تقدير الكلام : (كذلك يضرب الله مثل الحق ، ومثل الباطل).

فَأَمًّا ٱلرُّبَدُ فَيَلْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلأَرْضِ.

أى: فأما الزيد الذى يعلو السيل؛ فيذهب فى جانهى الوادى، ويعلق بالشجر وتنسفه الرياح، وكذلك خبث الذهب والفضة والحديد والنحاس، يذهب ولا يرجع منه شىء: وأما ما ينفع الناس من الماء الخالص الصافى، وما خلص من الذهب والفضة والنحاس والرصاص، فيمكث فى الأرض، فالماء يُشرب بعضه، ويذهب بعضه الأخر إلى جوف الأرض؛ لينتفع به العيون والآبار والأفلاج، وأما المعادن فيصاغ من بعضها أنواع الحلى والنقود، ويؤخذ من بعضها الأوانى وأصناف الآلات والأدوات، والمصانع ووسائل الدفاع وتحوذلك.

كَلْالِكَ يَصْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ . أي : مثل ذلك البيان البديم الذي استملت عليه الآية الكريمة ، يضرب الأمثال للناس في كل باب : حتى تستبين لهم طرق الهدى فيسلكوها ، وطرق الباطل فيتركوها .

من أقبوال العلمساء

قال الإمام الشوكاني :

هذان مثلان ضريهما الله تعالى فى هذه الآية للحق والباطل يقول : إن الباطل وإن ظهر على الحق فى بعض الأحوال ؛ فإن الله تعالى سيمحقه ويبطله ويجعل العاقبة للحق وأهله ، كالزيد الذى يعلو الماء فيلقيه الماء ، وكخبث هذه الأجسام : فإنه وإن علا عليها ، فإن الكير يقذفه ويدفعه ، فهذا مثل الباطل .

وأما الماء الذي ينفع الناس ، وينبت المرعى ؛ فيمكث في الأرض ، وكذلك الصافى من هذه الأجسام: فإنه يبقر خالصا لا شوب فيه ، وهو مثل الحق .

وقال الزجاج:

(مثل المؤمن واعتقاده ونفع الإيمان له كمثل الماء المنتفع به في نبات الأرض ، وحياة كل شيء ، وكمثل نفع الفضة والذهب وسائر الجواهر : لأنها كلها تبقى منتفعا بها .

ومثل الكافر وكفره ، كمثل الزَّيد الذي يذهب جفاء ، وكمثل خبث الحديد ، وما تخرجه النار من وسع الفضة والذهب الذي ينتفع به)⁽⁴⁴⁾

من الصحيحين

روى البخارى ومسلم: أن رسول الله ﷺ قال : « إن مثل ما يعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غين أمساب أرضا ، فكان منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع أمساب أرضا ، فكان منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس فشريوا ورعوا وسقوا وزرعوا ، وأصابت طائفة منها أخرى إنما هى قيمان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلاً : فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه الله بما يعثنى به ، ونفع به الناس فَمَلِمَ وعُلْم ، ومثل من لم يرقع بذلك رأسا ، وام يقبل هدى الله الذى أرسات به ء (*)

١٨ - لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَى ... الآية .

أى : الذين أجابوا داعى الله وآمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر ، هؤلاء المؤمنين الطائعين لله ، لهم الحسنى وهى الجنة ، أو المنزلة الحسنة في الدنيا والأخرة .

وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِبُواْ لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَه مَعَهُ لافْتَدَوْا بهِ .

أى: إن الذين أعرضوا عن الحق ، وعاندوا واستكبروا وأصروا على الباطل : سيتالهم عذاب رهيب ألهم: يتمنّون أن يفتدوا من عذاب الآخرة ، بكل غال ونفيس : فلو أنهم يملكون ما في الأرض جميعا من أصناف الأموال المتنوعة ، ويملكون مثل ذلك معه ، لقدّموه افتداءً لأنفسهم ؛ ليتخلّصوا مما هم فيه من عذاب ونكال، ولن يقبل ذلك منهم .

أُولَنَّيْكَ لَهُمْ سُوءَ ٱلْحِسَابِ . هو أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيء .

وَمَأْوَاهُمْ جُهَّتُمُ وَبِّسُ ٱلْمِهَادُ . إن مسكنهم جهنم ويئس الفراش الذي أعدّوه لأنفسهم، ويئس المستقر الذي يستقرون فيه .

﴿ ﴿ أَفَنَ يَعْلَمُ أَنْمَا أَنِلَ إِلَيْكَ مِن زَلِكَ ٱلْمُقُدِّكُمْ هُوَأَعْمَ أَغْمَ الْمَالِكُو أَوْلُوا ٱلْأَلْبَدِ ٢٠٠٠ ﴾

التفسير،

تأتى هذه الآية في أعقاب مثل ضريه للحق والباطل: فالحق يشبه الساء والمعادن النفيسة الخالصة من الشوائب ، والباطل يشبه الزُّيْد والرغوة التي تعلو فوق ماء السيل ، أن خبت المعادن الذي يرتفع فوقها عند صهرها .

وهنا يبين القرآن: أن المستفيد بضرب الأمثال ، هم أصحاب العقول المستنيرة ، والثلوب النظيفة الذين يرُمنون بالله ويستجيبون لداعى الهدى ، ولا يستوى أبدًا البصير صاحب البصيرة ، والأعمى الذى انظمس بصره ويصيرته .

٩ ١ - أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنزلَ إِلَيْكَ مِن رَّبُّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ...

أي : أيستوى في الجزاء مؤمن وكافر ١٩

فالمؤمن استجاب للحق وآمن به وأشرق قلبه بالهدى : أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَمُ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّهُ . (الزمر: ٢٢) .

والكافر ضلٌ عن الحق ، وانطمست بصيرته ، ظم يستقد بأنوار الهداية ، ولم يسترشد بنور الرسالة المحدية .

قال قتادة:

هولاه قوم انتفعوا بما سمعوا من كتاب الله وعقلوه ووعوه ، وهولاه كمن هو أعمى عن الحق ، فلا يبصره ولا يعقله .

إِنَّمَا يَتَأَدُّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبُ ب. أي : إنما يعتبر بهذه الأمثال ويقعظ بها ، ويصل إلى لبّها وسرَّها : أصحاب المقول السليمة ، والقلوب المشرقة بنور الإيمان . ﴿ اَلَذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلاِيَنَقُضُونَ الْمِيثُقَ ۞ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمْرَ اللَّهُ يُدِيداَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ شُوَّةً لَلِسَابِ ۞ وَالَّذِينَ صَبَرُوا الْبَغَاةَ وَجُورَيِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَوْةَ وَاَفْقُواْ مِمَّا رَزَقِنَهُمْ مِبَّرًا وَعَلانِيَةً وَيَدَّرَهُونَ فِإِلْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِيكَ لَمُمُ عُقْبَى الدَّارِ۞﴾

المضردات

بسعسهد الله: بما عاهدوه عليه من الإيمان به ، والعمل بما أمرهم به في كتبه التي أنزلها إليهم .

ولاينقضون للهثاق المراد بالميثاق : ما أخذوه على أنفسهم من العهود نحو ربهم ، ونحر عباده ، وقال القفال: وهو ما ركب فى عقولهم من دلائل التوحيد والنبوات والشرائع ، ونقض الميثاق: عدم العمل به .

ابتقاء وجه ربهم ، الابتقاء معناه : الطلب ، والمراد بالوجه : الذات .

ويسمدر مون، أي: يدفعون.

صقبي المدار؛ عاقبة دار الدنيا التي أعدت للصالحين - وهي الجنة.

التفسيره

٢ - ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهَ وَلا يَنقُضُونَ ٱلْمِيفَلقَ .

مدح الله فى هذه الآيات المؤمنين أصحاب العقول المستنيرة أُولُواْ ٱلْأَلْبُبِ ، بصفات متعددة : فهم أوفياء بالعهود ، سواء أكانت بينهم وبين خالقهم : كإطاعة أوامره واجتناب نواهيه ، أو بينهم وبين المخلوقين ، وإضافتها إلى الله إضافة تشريف وتكريم : فالوفاء بالعهد صفة من صفات المؤمنين ، والغدر صفة من صفات المنافقين .

قال رسول الله ﷺ: « يا معشر الناس اضمنوا لى ستا : أضمن لكم الجنة : اصدقوا إذا حدُثتم ، وأوفوا إذا عاهدتم ، وأدُوا الأمانة إذا أرتمنتم ، وغضوا أبصاركم ، واحفظوا فروجكم ، وكخُوا أيديكم ع^(١٠).

وريى البخارى فى صحيحه : أن رسول الله ﷺ قال : « آية المنافق ثلاث : إذا حدَّث كنب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ارتمن خان "٣٠". وَ لاَ يَشُعُشُونَ ٱلْمَيِثُلِنَ . لا يفسخون العهود ، ولا يقطعون المواثيق ، التى التزموا بها بينهم وبين ربهم من الإيمان به وطاعته ، وبينهم وبين الناس ، من العقود كالبيع والشراء ، وسائر المعاملات والعهود التي تعاهدوا على الوفاء بها .

قال تعالى : وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْلِهِمِ إِذَا عَاهَدُواْ . (البقرة: ١٧٧) .

والفقرة الثانية يمكن أن تكون تأكيدًا لما جاء في الفقرة الأولى ، أو هي من باب النعيم بعد التخصيص لتشمل عهودهم مم الله تعالى ، ومم غيره من عباده .

٢ ٢ - وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَاۤ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ ...

ويدخل فى ذلك جميع حقوق عباد الله تعالى ، ووصل قرابة السلمين بسبب الإيمان ، كالإحسان إليهم، ونصرتهم ، والشفقة عليهم ، وإفشاء السلام ، وعيادة العرضى ، ومرعاة حق الأصحاب والخدم والجيران ، والرفقة فى السفر إلى غير ذلك .

وَيَخْشُونَ رَبُّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ.

أى: يخافرن الله حوف إجلال ومهابة وتعظيم ؛ قال تعالى : إِنَّمَا يَعَضَى ٱللَّهُ مِنْ عِلَاقٍ ٱلْعَلَمَـ ۖ أَوْ الطر: ٢٨). أى : أن العلماء هم أقدر الناس على معرفة قدرة الله وعظمته وجلاله ؛ فهم أهل خشيته وإجلاله وتعظيمه وتوقيره .

وَيَخَالُونَ أَسُوءَ ٱلْحِسَابِ . أي: يخافون مناقشة الله لهم الحساب، وتذكيرهم بذفويهم، وعدم الصفح. عن سيئاتهم، فيحملهم ذلك على أن يحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا.

٢ ٢ - وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبَّيْغَاءَ وَجْهِ رَبَّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوْةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَّقْنَهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَّةً .

تستمر هذه الآية مع ما سبقها في وصف أولى الأولباب ! فهم صابرون على البأساء ، راضون بالقضاء، والصبر على المكاره جزاؤه عظيم ، وقد ذكر الصبر في القرآن في أكثر من سبعين موضعا ، وهن أنواع : منه : الصبر على الطاعات ، ومنه : الصبر عن المعاصى ، ومنه : الصبر على العصائب عند الصدمة الأولى، فهم صابرون ابتفاء وجه الله ، أى : رغبة فى ثوابه ، لا خوفا من شماتة الشامتين ، كما قال الشاعر:

أنع لريب الدهر لا أتضعضع

وتجلدى للشامتين أريهم

وَ أَقَامُواْ ٱلْصَّلَّوْةَ . أي : أدُّوا الصلاة في أوقاتها محافظين على خشوعها وخضوعها .

وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَلْهُمْ سِرًّا وَعَلاَتِيَّةً .

فهم ينفقون سرًّا حيث يكون السرَّ أفضل ، مثل: صدقة التطوع ، ومثل: الصدقة على كرام الناس المتعففين تجملا ، ومن يزعجهم الصدقة عليهم في الملا ؛ وينفقون علنًا في أداء الغريضة ، وعند التسابق؛ ليقتدى بهم غيرهم ، أي: أنهم حكماء في تصرفهم ، ينفقون في جميع الأحوال ، وحسب ما تقتضيه الحكمة،

وَهَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ النَّبِيَّنَةَ . أى : يقابلون إساءة من أساء إليهم بالإحسان إليه ، إذا كان ذلك من المحمة: كما قال عن شأنه : ولا تَسْتُوى الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّنَةُ الْفَعْ بِالَّبِي هِي أَحْسَنُ فَإِذَا ٱللَّذِي بَيْلَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوةً كَالْهُ وَلِيُّ حَمِيمٌ ، (فسلت: ٣٤).

وقد أباح الإسلام مقابلة السيئة بالسيئة : إذا كان المسىء لنيما لا يردعه إلا العقوبة ، أما إذا كان المسىء كريما فالصفح أنسب ، قال تعالى: وَلَمْنِ ٱلتَصَرَ بُعُدَ ظُلْمِهِ فَأُولَنْجِكُ مَا عُلَهِم مِّن سَبِيل . (الشررى: ٤١).

و ذكر بعض المفسرين: أن الآية تشير إلى اتباع السينة بالحسنة ، أو الاستففار والتوبة: في أعقاب الذنب.

أُوْلَكُمِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ . أي : حسن الجزاء من العاقبة ، وهو دخول الجنة في الآخرة .

قال تعالى : وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ أُورِثُتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .

والجملة الكريمة خبر عن الذين يوفون بعهد الله ... وما عطف عليها .

﴿ جَنَّتُ عَدْنِينَدُ كُونَهَا وَمَن صلَحَ مِنْ ءَابَآيِمٍ ۚ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّنَتِهِمٌ وَٱلْمَلَتِيكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِن كُلِّ بَابٍ ۞ سَلَمُ عَلَيْكُمْ مِمَاصَبَرْتُمُّ فَيْعَمَ عُقَى ٱلدَّادِ ۞ ﴾

المضردات ،

جسنسات عسدن ، العدن فى اللغة : الإقامة ، ومنه عدن بالمكان ، أى : أقام به ، وفى عرف الشرع: اسم لجنة من جنان الأخرة ، والمراد هنا : المعنى الأول ، أى : جنات إقامة ، فهم يقيمون فيها لا يهرجونها.

سلام عمليكم؛ أمان لكم من المعن ، والآفات.

التفسيره

٣٧- جَنَّدَتُ عَدْنِ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلْحَ مِنْ ءَابَآتِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرَّالِيهِمْ.

تأتى هذه الآية بمثابة التوضيع والتفصيل لحسن عاقبة هؤلاء المؤمنين.

أى: هؤلاء الذين قدموا فى دنياهم ما قدُموا: من الوفاء ، وصلة الرحم ، وخشية الله ، والصبر الجبيل، وإقام المسلاة ، وإيتاء الزكاة ، وإخراج الصدقة ، ومقابلة السيئة بالحسنة : لهم حسن العاقبة فى الجنة ، ثم وضع نعيم هذه الجنة : فبين : أنها جنات عدن ، أى : إقامة دائمة باقية ، يدخلونها هم ومن كان صالحا لدخولها من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، أى : من أصولهم وفروعهم وأزواجهم ؛ على سبيل التكريم والزيادة في فرحهم ومسرتهم .

وفى الآية إشارة إلى العدالة والفضل الإلهى ، فهولاء الأقارب لا يدخلون الجنة : إلا إذا استركرا فى الصلاح والعمل الصلاح والعمل الصلاح والعمل الصلاح : فإذا كانوا فصروا عن أقاربهم الأعلون : جاء فضل الله فرفع الأدنى إلى منزلة الأعلى ، ولا ينقص الأعلى شيئا من درجته ومنزلته ، قال تعالى : وَالْلَّيْنَ ءَاسُّواْ وَالْبَعْنَمُ مُرْدَيَّهُم إِيْمُنْنَ أَلْحَمُّنَا ، فَيَعْمَ مُرْدَيَّهُم إِيمُنْنَ أَلْحَمُّنَا ، فَيَعْمَ مِنْ هَيْءٍ وَكُلُّ مِنْ مُنْ وَاللَّهِمُ وَمُنَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ أَلْمُعُمِّا مُنْ مُنْ عَمْلِهِم مِنْ هَيْءٍ كُلُّ آمْرِعِيْ بِمَا كَسَبِ رَهِينًا . (العدن ١٧).

وزيادة في تكريم هؤلاء المؤمنين : فإن الملائكة يدهلون عليهم من كل باب من أبواب منازلهم في الصنة ، وَالْمَلَلْكَكُةُ يُدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلُّ بَابٍ . ٢٤- سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَيْعُمَ عُقْبَى ٱلدَّادِ.

أي : تقول لهم الملائكة : سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ .

أى : أمان عليكم من المكاره والمخاوف التي تحيق بغيركم ؛ بسبب صبركم على مشاق الحياة ومتاعبها وآلامها : كأنهم يقولون لهم : لئن تعبتم في الدنيا : فقد استرحتم ونعمتم وسعدتم في الأخرة .

قَعْمُ مُقْنَى ٱلدَّارِ. فنتم عاقبة الدنيا : الجنة ، وفيها مالا عينٌ رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، أخرج ابن جرير : أن النبي ﷺ كان يأتي على قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول : سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبْرِتُمُ قِلْجُمُ عَقْبَى ٱلدَّارِ ، وكذا كان يفعل أبر بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم .

من مسند الإمام أحمد

روى الإمام أحمد – بسنده – عن عبد الله بن عمرو بن العاص: عن رسول الله ﷺ أنه قال: « هل
تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله ؟ ، قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : أول من يدخل الجنة من خلق الله،
الفقراء والمهاجرون ، الذين تُسدّ بهم الثغور ، وتتقى بهم المكاره ، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره
لا يستطيع لها قضاء ، فهقول الله لمن يشاء من ملائكته : انتوهم فديوهم ، فتقول الملائكة : نحن سكان
سمائك، وخيرتك من خلقك ، أفتأمرنا أن نأتى هؤلاء فنسلم عليهم ؟! ، قال : إنهم كانوا عبادًا يعبدوننى ؛
لا يشركون بى شيئًا ، وتسدّ بهم الثغور ، وتتقى يهم المكاره ، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره ، فلا يستطيع
لها قضاء ، قال : فتأتيهم الملائكة عند ذلك ، فيدخلون عليهم من كل باب ، سَلَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرَتُمْ . (١٠٠٠)

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ مَنْقُضُونَ عَهَدَ ٱللَّهِ مِنْ مَقْدِ مِيشَنقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَاۤ ٱمْرَالَقَّهُ بِهِ وَأَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِٱلْأَرْضِ أَوْلَتِكَ كُمُّ ٱللَّمَّنَةُ وَكُمَّ سُّوَةُ ٱلدَّارِ۞ ٱللَّهُ يَتَسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِذُّ وَفَرِحُواْ بِٱلْمَيْوَةِ ٱلدُّيْنَا وَمَالَمْتَيْوَةُ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْآخِرَ قِ إِلَّا مَتَنَعٌ ۞﴾

المضردات و

ينقضون عهد الله: المراد بعهد الله: ما أوجبه عليهم من طاعته ، وينقضه عصيانه .

من بعد ميثاقه ، من بعد توثيقه وتوكيده .

الطبعينية والطرومن رحمة الثهر

سسبوء السندار ، أي : سوء عاقبة الدار الدنيا ، أو هو : من إضافة الصفة الموصوف ، أي : الدار السيئة ، وهي : جهنم فهي دارهم ومأواهم — ويقست الدار والمأوي .

يسيسط السرزق ، يوسعه .

ويستسدر، يضيق.

مستسطع: شيء قليل يتمتع به ، كزاد الراكب.

التقسير،

٣ - وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدُ ٱللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيعَلقِهِ ... الآية .

من عادة القرآن أن يقابل بين الحق والباطل ، وبين المؤمنين وصفاتهم الحسنة ، والكافرين وصفاتهم المرتولة : ظما ذكر المؤمنين بوفاتهم العهد ، وصلتهم الرحم ؛ بيّن هنا : أنّ الكافرين ينقضون عهد الله من بعد ميثافه ، ونقض العهد : إبطاله وعدم الوفاء به .

مِنْ بُعُمِ مِثَاقِهِ . من بعد أن وثقوه وأكدوا التزامهم به ، وعهد الله : هو ما أخذه الله على بنى أدم من الإيمان بالله تعالى ، أوما ركبه فيهم من العقول ، ودعاهم إلى التأمل فى ملكرت السماوات والأرض ؛ ليتبينوا قدرة الخالق وعظمته ، أو يرتكبون المنكرات ، ويعصون أوامر الله تعالى .

وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرُ ٱللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ .

أى: يقطعون كل ما أرجب الله تعالى وصله ، ويدخل فيه وصل الرسول محمد ﷺ : بالاتباع والموالاة، ووصل المؤمنين : بالمودة والمحبة والمعاونة ، ووصل أولى الأرحام ؛ بالتعاطف والتعاون : فالجملة بيان لحال مؤلاء الأطفياء : بأذّهم كانوا على الضدّ ، من أولئك الأوفياء الأخيار ، الذين كانوا يصلون ما أمر الله به أن يوصل .

وَيُفْسِدُونَ فِي آلاً رُضٍ . بالظلم وإثارة القتن وإشعال نار الحرب ! فهم عنصر شرير وراء كلُّ قساد .

أَوْ لَكُكُ لَهُمُ ٱللَّحْنَةُ . أي : هولاء لهم الطرد من رحمة الله .

وَلَّهُمْ سُوَّءُ ٱلدَّارِ . أي : جهذم فليس فيها إلا ما يسوء أهلها ويئست دار ومقرًّا .

٢ ٧ - ٱللَّهُ يَيْسُطُ ٱلرَّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ...

فهو سبحانه حكيم عليم بما يناسب عباده ، وبيس سساع الرزق كرامة ، ولا نقصانه إهانة : فالأنبياء والأولياء كانوا أكثر بلاء وأشد امتحانا في هذه الدنيا ، وقد نزلت هذه الآية في أهل مكة ، وكانوا على جانب من الغني والمال ، فنزلت هذه الآية تنهاهم عن الغرج والبطر ، والغرور بالحياة الدنيا : لأنها إلى زوال .

وَقُوحُواْ بِٱلْحَيْلَةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيْلَةُ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلآخِرَةِ إِلاَّ مسع.

اى: فرح اهل مكة يما احرزوا من المال والجاه ، ولم يعملوا لما بعد هذه الحياة ، مع أن متاع الدنها قليل ، ومتاع الآخرة دائم مستمر ، وليس متاع الدنيا فى جانب متاع الآخرة إلا شيئًا قليلا ، وليس له بقاء، كعجالة الراكب وزاد الراهى .

أخرج الترمذي وصححه: عن عبد الله بن مسعود، قال: نام رسول الله ﷺ على حصير: فقام، وقد أثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله: لو اتخذنا لك وطاءً، فقال: « مالى وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استقل تحت شجرة ثم راح وتركهاه (٢٠٠٠).

* * *

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَا أَنْزِلَ عَلَيْهِ مَايَةٌ مِّن زَيِّةٍ قُلْ إِكَ اللَّهَ يُفِيلُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ۞ ٱلَّذِينَ مَامَثُواْ وَقَطْ مَإِنَّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ٱلَا بِنِحِسِّرِ ٱللَّهِ تَطْ مَإِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۞ ٱلَّذِينَ مَامَنُواْ وَعَمِلُوا ٱلصَّلِحَتِ طُوبَ لَهُمَّ وَحُمَّنُ مَعَابٍ۞﴾

المضردات :

مسن الساب، من رجع إلى الحق.

تطمئن قلوبهم ، تستقر وتستريح وتستأنس .

طسوبسى تسهسم، قال الزجاج: طويى: فَكُلَى: من الطيب، وهى: الحالة المستطابة لهم. وقال ابن عباس : فرح لهم وقرة عين . وقال قتادة: حسنى لهم، إلى غير ذلك من المعانى التي ترجع إلى ما ذكره الزجاج، وقيل: هى: اسم للجنة، أو لشجرة فيها .

وحسين ميآب، وحسن مرجع.

لتفسيره

٧٧ - وَيَقُولُ ٱللَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ أَلزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبَّهِ ...

لازال الحديث متصلا في شأن أهل مكة ، والمراد بهم : عبد الله بن أمية وأصحابه ، حين طالبوا الذبي 難 بالآيات الكونية : فقد اقترح مشركر مكة على الذبي 難 ، أن يأتى بآيات ومعجزات حسية كذاقة صالح ، وجمعا موسى ونحو ذلك : من الآيات الحسية العلموسة .

قال تعالى : وَقَالُوا أَن تُوْمِنَ لَكَ حَتَى لَفَجُرَ كَا مِنَ آلَأَ صَيْبَ عُلَمَ هَا وَلَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ يَصِولُ وَهَسَدِ فَضَمَّرَ آلِأَنْهِسْرَ حِلْلَهَا لَفَجِيرًا هَ أَوْ لَسْفِطْ آلسَّمَاءَ كَمَا وَهَسْتَ عَلَيْنَا كِسُفًا أَوْ تَلْنِي بَاللّهِ وَٱلْمَلْيِكَةِ فِيهِا وَالْمَلْكِةِ فَيهِا وَهُمْ تَعَمَّ النَّاسُ أَن يُؤْمِنًا إِذْ جَمَاءَهُمْ ٱلْهَدَىٰقِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَلْبُكَ اللّهِ مَشَوْلًا وَلَمُوا مَنْ اللّهِ عَلَى اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ ا

والمعنى: يقول الذين كفروا من أهل مكة: هلا أذنل على محمد معجزة ملموسة ، مثل: تعويل الصحواء إلى بساتين كأرض الشام ، أو إحياء جدّهم قصى ، أو سقوط السماء عليهم كسفًا ، أو تعويل الصفا ذهبا ، أو تقجير ينابيع المياه في مكة وما حولها ، أو أن يمثلك محمد بينا من ذهب ، أو يصعد إلى السماء ويعود ومعه كتاب من الله يقيد: أن محمدًا رسول حقًا ، أو يأتي بالله والملائكة جميعا أمامهم ؛ ليشاهدوهم ، وغير ذلك من الآيات التي تفيد: تعنت المشركين ؛ لأنهم لم يستخدموا عقولهم ، ولم يفتحوا قلوبهم ؛ ليتدبروا أن هذا الذي أرسل إليهم بشر مثلهم ، يوحى إليه بوحى فمن اهتدى به ؛ أمن ، ومن أعرض عنه ؛ جحد وكفر ، ولن يفيد الكافرين كثرة الآيات ، ولا حجم المعجزات ، مادامت قلوبهم تصرّ على الجحيد والإعراض ، قال تمالى : وَمَا تُعْلِي آلاً يَلْتُ وَالْكُورُ مُن فَرَم لا يُؤْمِلُنَ . (ورنم: ١٠١) .

وقال سبحانه : وَلَوْ أَلْنَا تُؤْلُمُ إِلَيْهِمُ ٱلْمُلْكِكَةُ وَكَلَّمُهُمْ ٱلْمُوْلَئِي وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلُّ هَيْءٍ فُهَلاً مَّا كَانُواْ . لِنَّا مُنِّا الآَّ ان يَشَاءَ ٱللَّهُ وَلَكِنَ أَكْفَرُهُمْ يَجْهُلُونَ . (١٧١هـ: ١١١).

قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ .

إن هداية السماء تحتاج إلى إقبال وتفتح ، ورضية في المعرفة والفهم ، وتبحّر في حقيقة الإيمان ، فمن أعرض عن الهدى ، واختار الضلال والكفر : سلب الله عنه أسباب اللهداية ، وتركه في حورة وضلال ، ومن اختار أسباب الهداية : يسر الله له الهدى ؛ لأنه رجم عن العناد ، وأناب إلى الله وتبصر في وحيه ودعوته، أى: قل لهم يا محمد : إن الله يضل الكافرين ؛ لإعراضهم ، ويهدى إلى دينه ، مَنْ أَنَابَ ، أى : رجع إليه وسلك سبيله ، ثم بين حال من أناب إليه فقال :

٨ ٢ - ٱللَّذِينَ عَامَنُوا وَتَطْمَئِنُ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُ ٱلْقُلُوبُ .

تقهيده

اشتمل القرآن الكريم على عدد من المعجزات ، منها: الإخبار عن الأمم السابقة ، وبيان: نواميس الكرن، ونواميس الله في خلقه ، ونواميس الاجتماع البشرى ، وأشار إلى طائفة من المعارف والعلوم ، وقدَّم المورث النه في حاله الله الكفار المورث من الآداب والهداية والتشريع ، وأشار إلى نصر الروم ، وانتشار الإسلام ، ومع هذا طلب الكفار معجزات مادية ؛ فبين الله: أن الإعراض عن هداية القرآن : هو الضلال الذي يضلُ الله به من أعرض عنه ، والهداية بالقرآن والاستمساك به ؛ هو الهدى الذي يهدى به الله من أذاب إليه من المؤمنين .

والمعنى : من أناب إلى الله هم المؤمنون ، الذين استجابوا لداعى الإيمان فأمنوا ، وإذا تلى عليهم القرآن؛ زادهم إيمانا واطمئنانا : فقلويهم تستروح بذكر الله ، وتلاوة القرآن والحديث عن الإيمان .

أَلاَ بِلِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ .

بتذكر عظمة الله ، وتلاوة كتابه ، تطمئن القلوب ، ويزول عنها القلق والاضطراب ؛ يما يغيضه عليها من نور الإيمان ، وهداية الرحمان ، التي تذهب الهلم والوحشة .

وذكر الله يمكن أن يطلق على : القرآن الكريم ؛ فهو ذكر وأعظم ذكر ، فكل حرف منه له ثواب عشر حسنات ، قال تمالى : وَهَلْمُا ذِكُرٌّ مُّهَاوَكُ أَنزَلْنَهُ أَفَائَتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ . (الأنبياء: ٥٠) ، وقال سبحاله : إِنَّا نَحْنُ نَزَلْنَا آللَّكُورَ وَإِنَّا لُهُ لَحَيْفِظُونَ . (العجن: ٩) .

ويمكن أن يراد به : التسبيح والتحميد والتهليل ، قال تعالى : وَٱللَّهُ كَوِينَ ٱللَّهُ كَثِيرًا وَٱللَّهُ كَرُو لَهُم مُغْفِرَةً وَأَجُرًا عَظِيمًا . (الأحراب. ٣٥) .

ويمكن أن يراد به : ما يشمل القرآن ، والذكر ، وتذكر عظمة الله وجلاله .

٢٩ – ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ طُوبَينَ لَهُمْ وَحُسْنُ مَنَابٍ .

جاءت هذه الآية ؛ لتبشير المؤمنين الذين اطمأنت قلويهم للإيمان والقرآن وذكر الله.

والمُعنى : الذين آمنوا بالله وبالنبي ، وعملوا الأعمال المسالحة ؛ لهم فى أخرتهم عيش طيب ، وخير كامل ، ومرجع حسن حين يرجعون إلى ربهم وخالقهم ، أو طُونِيَّ لَهُمْ ، الجنة لهم ؛ ينممرن فيها بكل ما · يشتهون ، كما جاء فى الحديث : وفيها مالا عين وأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ١٣٨.

* * *

﴿ كَنَالِكَ أَرْسَلَنَكَ فِي أُمَّةِ فَذَ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمُمُّ لِنَسْلُواْ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوَحَيْنَاۤ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكُفُرُونَ بِالرَّمْنِ قُلْهُورَيِّ لاَ إِلٰهَ إِلَّاهُو عَلَيْهِ قَرَّكَ لَتُ وَإِلَيْهِ مَنَابِ ۞ ﴾

لتفسير،

. ٣- وَكَذَلِكَ أَرْسَلَنَكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أَمَمٌ لَتُتْلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِي أَوْحَيْتَ إِلَيْكَ ... الآية .

أى : كما أرسلنا المرسلين قبلك يا محمد أرسلناك في أمة قد سبقتها أمم أرسلت إليهم رسل ، فلست بدعًا في رسالتك إلى أمتك ، كما قال سبحانه : قُلْ مَا كُنتُ بُدُّعًا مِّنَ ٱلْرُسُلِ . (الأحقاف: ٩) .

وقيل : الإشارة راجعة إلى إرسال محمد مؤيدا بالقرآن ، فكأنه قيل : مثل هذا الإرسال العظيم المؤيد . بالقرآن أرسلناك يا محمد في أمة قد خلات من قبلها أمم .

وخلاصة المحتى : إننا كما أرسلنا إلى أمم من قبلك ، وأعطيناهم كتبا تثلى عليهم ، أرسلناك وأعطيناك هذا الكتاب : لتتلوه عليهم فلماذا يقترحون غيره ؟!

وَهُمْ يَكَثُّرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ أَى: أَرسلناك لتتل عليهم كتاب الله ، داعيا لهم إلى الهدى ، والحال والشأن أنهم يكفرون بدن أحاطت بهم نعمه ، وشملتهم رحمته ، حيث أرسلك إليهم : رحمة بهم ، قال تعالى : وَمَا أَرْسَلُنْكَ إِلاَّ رَحْمَةً لُقُلْلُمِينَ . (الأنبية ، ١٠٧).

قُلَّ هُرَ رَبِّى لاَ إِلَّهُ إِلاَّ هُوَ . أي : قل لهم : إن الرحمان الذي كفرتم به هو ربى وخالقى ، لا ربَّ غيره ولا معبود سواه : فهو الولحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يك ولم يوكد ، ولم يكن له كفوا أحد .

عَلَيْهِ أَوْ كُلْتُ وَإِلَيْهِ مِمَاتٍ . على الله وحده توكلت واعتمدت في جميع أمورى ، وإليه وحده تويتي

وفي معنى هذه الآية ورد قوله تعالى : وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱلسَّجُدُواْ لِلرَّحْمَدْنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَدُنُ ٱلسَّجُدُ لِمَا تَأْمُونَا وَٱلدَّهُمُ لِلْهُورَا . (الاساء: ١٩٠).

« وقد ثبت في الحديث الصحيح: أنهم لم يرضوا بكتابة: الرحمن الرحيم في صلح الحديبية؛ فعندما
قالﷺ لعلى: « اكتب: باسم الله الرحمان الرحيم »؛ قال أحد زعمائهم: ما ندرى ما الرحمان الرحيم، اكتب:
باسك اللهم؛ فقال الصحابة للنبي, ﷺ: دعنا نقاتلهم اقال: «لا ، اكتبوا كما يريدون» (د)

* * *

﴿ وَلَوَانَ قُرْءَانَا شَيِّرَتَ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْقُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْكُمْ بِهِ ٱلْمَوْقَّ بَل يَلَهِ ٱلْأَمْرُ جَيعًا أَفَلَمْ يَاقِصِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَنَ لَوْيَسَاَهُ ٱللّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَيعًا وَلاَيَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفُرُواْ تُصِيبُهُم بِمَاصَنَعُواْ قَارِعَةً أَوْتَحُلُّ فَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَنَّى يَأْنِي وَعَدُ ٱللّهُ إِنَّ ٱللّهَ لا يُعْلِفُ ٱلْمِيعَادِنِ ﴾

المضردات و

سيرتبه الهبال: أزيلت من أماكنها.

يسب يستندن ، بمعنى : يعلم ، كما حكاه القشيرى عن ابن عباس ، وذكره بهذا المعنى الجوهرى في الصحاح ، ويرى هذا الرأى مجاهد ، والحسن ، وأبو عبيدة ، وأنشد في ذلك أبو عبيده لمالك ابن عبودة لما الك

أقول لهم بالشعب إذ ييسروننى: ألم تينسوا أنَّى ابن شارس زهدم وييسروننى من الميسر – ويُروَى: يأسروننى من الأسر – انظر القرطبى: وقال رباح بن عدى: ألم ييئس الأقوام أنى أنا ابنه وإن كنت عن أرض المشيرة نائيا وهو بهذا المعنى فى لغة النخم – كما حكاء الفَرَّامُ عن الكلبي – انظر القرطبي – وقبل:

التفسب

٣٦ - وَلَوْ أَنْ قُرْءَانًا مُسِّرت بِهِ ٱلْحِبَالُ أَوْ قُطَّفتْ بِهِ ٱلأَرْضُ أَوْ كُلَّمَ بِهِ ٱلْمُوتَىٰ بَلَ لَلَّهِ ٱلأَمْرُ جَمِيعًا ... الآية.

جاء في تفسير الطبري وابن كثير والشوكاني وغيرهم:

ما روى عن ابن عباس: أن نفرا من قريش قالوا للنبي ﷺ: إن سرك أن تتبعك: فسير لذا جبال مكة
بالقرآن ، فأذهبها عنا : حتى تتسع أرضنا الضيقة ، ولجعل لذا فيها عيونا وأنهارًا ؛ حتى نغرس ونزرع ،
فلست بأمون على ريك من داود حين سخّرك الجبال تسير معه، وسخر لنا الريح فتركبها إلى الشام ؛ نقضى
عليها حوائجنا ثم نرجع من يومنا ؛ فقد سخرت الريح لسليمان ، وأرنا أشياخنا الأول من الموتى ؛ نكلمهم
ونسألهم ، أحق ما تقول أم باطل ؛ فإن عيسى كان يحيى الموتى ولست بأمون على الله منه ؛ فأنزل الله تعالى
هذه الآية ، والآيات الذي قبلها ؛ للردّ عليهم . ١٠٠ ، وجواب لو محذوف يفهم من السياق .

والمعنى : لو ثبت أن كتابا سيرت بتلاوته الجبال .

أَوْ قُطَّعَتْ بِهِ ٱلأَرْضُ . أي : شققت وجعلت أنهارًا وعيونا .

أُو كُلُّمَ بِهِ ٱلْمُوْلَئِي. أو كلم أحد به الموتى في قبورهم ؛ بأن أحياهم بقراءته فتكلُّم معهم .

لو أن كتابها مقرومًا كان من وظيفته أن يفعل ذلك ؛ لكان هذا القرآن ؛ لكونه مشتملا على الفاية القصرى في الهداية والتذكير، والترغيب والترهيب.

والمقصود: بيان عظمة القرآن ، وأن من شأنه أن يرقق القلوب وأن يهدى النفوس ، وأن يصلح الأفراد والجماعات كما قال عن شأنه : لَو أَنْرَلْنَا هَلْمُا ٱلنُّمْرَ عَانَ عَلَىٰ جَبَّلٍ لِّرَأَيْسَهُ خَنْشِهَا مُّتَصَدَّعًا مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَلَلْكَ آلاَّمُنَالُ تَصْرُبُهَا للنَّاسُ لَمَلَّهُمْ يَتَعَكِّرُونَ . (المسن: ٢٠) .

ويجوز أن يكون المعنى :

لو أن كتابا فُطت بواسطته هذه الأفاعيل العجيبة : من إحياء الدوني ، ونحزحة الجهال : لما آمنوا: لفرط عنادهم ، وغلوهم في مكابرتهم ، وهذا بمعنى قوله تعالى : وَلَوْ أَلْنَا نُوْلُنَا إِلَيْهِمُ ٱلْمُلَيِّكَةُ وَكُلْمَهُمُ الْمُوفِّيْ وَحَشَرَنَا عَلَيْهِمُ كُلُّ ضَيْءٍ قُلِلاً مُا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يُشَاءَ اللَّهُ وَلَنكِنْ أَكُورُهُمْ يَجْهُلُونَ . (الانعام:۱۱۱)

بَلِ لُّلُّه ٱلأَمْرُ جَمِيعًا .

أي: أن الله قادر على أن يأتي بمثل هذه الآيات التي اقترحها المشركون ، لكن الإرادة لم تتعلق بذلك: لأنها اقتراحات صادرة عن التشهى والهوى ، والتمادى في الضلال ، والمكابرة والعناد ، ولو أجيبوا إلى مقترحاتهم : لكفروا وكذبوا وعائدوا .

أَفَلَمْ يَا يُنْسَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن لُّو يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا .

أى : أقلم يعلم ويتدين ويتيقن الذين آمنوا : أن الله لو شاء هداية الناس أجمعين : لهداهم من غير أن يشاهدوا الآيات : لكنه لم يشأ ذلك ليتميز الخبيث من الطيب .

ويجوز أن يكون المعنى :

أَقُلَمْ يُأْيُسُسِ اللَّذِينَ عَامَنُواْ . من إيمان جميع الخلق ، ويعلموا ويتبينوا: أن الله لو شاء هداية الناس جميعا: لفعل ، ولكنه جعل سبيل الهداية إلى الحق اختيار العبد وفعله ، بعد أن يسر الله له أسبابها وإزاح موانعها .

ذكر السبوطي في تفسيره: أن بعض الصحابة قالوا للرسول ﷺ: اطلب للمشركين ما اقترحوه: عسى أن يؤمنوا ، اه .

لقد مرت البشرية بأطوار سابقة ، وجاءت بعض الرسل بمعجزات مادية ملموسة : كناقة صالع ، وعصا موسى التي ضرب بها الحجر فتفجرت منه النتا عشرة عينا ، وكان عيسى يشفى المرضى بإذن الله ويحيى الموتى بإذن الله .

وهي رسالة الإسلام الخالدة ، ورسالة النبيّ الخاتم محمد ﷺ ، أراد الله أن تكون المعجزة التي تم بها التحدّى والإعجاز : القرآن الذي اشتمل على صنوف البلاغة ، وألوان الإعجاز والهداية والبيان ، وأخبار السابقين ، ونواميس الكون ، وسبل التقدم .

صحمح: أنّ النبي ﷺ كانت له معجزات في مكة والمدينة ، مثل: الإسراء والمعراج في مكة ، ومثل . نبع الماء من بين أصابعه ، وتكثير الطعام في الجيش ، وشفاء بعض المرضى في المدينة ، لكن ذلك لم يكن على سبيل التحدّي .

كان القرآن وحده هو المعجزة الخاادة ، التي تحدّى بها الله العرب والعجم والناس أجمعين، وسيطل معجزة خالدة إلى يوم الدين ، مع أن المعجزات السابقة لم يشاهدها إلا أهلها ، وكانت أمرًا خارجا عن الرسالة : لكن مذا القرآن يشاهده الناس الآن وغدًا إلى ما شاء الله ، والقرآن في نفس الوقت هو عين الرسالة وحقيقتها ، وهو الدليل على صدقها .

روى البخارى فى صحيحه : أن رسول الله ﷺ قال : « ما من نبى إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيت وحيا أوحاه الله إلىّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابما يوم القيامة، ٩٠٠٠.

وَلاَ يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مَّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِي وَعُدُ ٱللَّهِ .

ولا يزال الذين كفروا تصبيهم البلايا والرزايا ؛ والقوارح التى تقرع القلوب بأموالها ، وفي هذا إشارة إلى ما نزل يهم في غزرة بدر وغيرها من الأسر والقتل .

أَوْ تَحُلُ قُوِيبًا مَن دَارِهِمْ . كما حدث في صلح الحديبية ؛ فقد كانت سبها في تقدم الإسلام ، وزلزلة أقدام المشركين .

حُتَّىٰ يَأْتِي وَعْدُ ٱللَّهِ . بفتح مكة أو انتصار الإسلام ، ودخول الناس في دين الله أفواجا .

إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ .

إن الله سبحانه منجز وعده لرسوله وللمسلمين بالنصر، قال تعالى: فَلاَ تَحْسَبَنُ ٱللَّهُ مُخْلِفَ وَعُدِهِ رُسُلُهُ إِنَّ ٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱتِكُلُم . (براميم: ٤٧).

من تفسير الطبري

قال أبو جعفر: فتأريل الكلام إذا: ولو أن قرآنا سوى هذا القرآن كان سيرت به الجبال: لسير بهذا القرآن كان سيرت به الجبال: لسير بهذا القرآن، أن قطعت به الأرض، القطعت بهذا، أن كلّم به الموقى: الكلّم بهذا، ولكن لم يُفعل ذلك بقرآن قبل هذا القرآن فيفعل بهذا، بل لله الأيمان فيوفقه له، القرآن فيفعل بهذا، يشاء إلى الإيمان فيوفقه له، ويضل من يشاء فيضفله.

أفلم يتبين الذين آمنوا بالله وبرسوله ، إذ طمعوا في إجابتي من سأل نبيهم : تسير الجبال عفهم ، وتقريب أرض الشام عليهم ، وإحياء موقاهم ، أن لو بشاء الله لهدى الناس جميعا إلى الإيمان ، من غير إيجاد آية ، ولا إحداث شيء مما سألوا إحداثه ؟! يقول تعالى ذكره : فما معنى محبتهم ذلك ، مع علمهم بأن الهداية والإهلاك إلى ويدى ، أنزلت آية أن لم أنزلها ، أهدى من أشاء بغير إنزال آية ، وأضل من أردت مع إنزالها^(١٨) ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْ زِئَ بِرُسُلِ مِن قَبْلِكَ فَأَمَلَتُ لِلَذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذَ ثُهُمٌ فَكَيْفَ كَانَ عِمَّابِ ۞ أَفَنَ هُوَفَآيِهُ عَلَى كُلِ نَفْسٍ بِمَاكَسَبَتُ وَجَمَّلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُل سَمُّوهُمُّ أَمْ تَنْتِعُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم يِظَنهِ رِقِنَ الْقَوْلُ بَلَ زُيِنَ لِلَّذِينَ كَفُرُوا مَكُرُهُمْ وَصُدُدُ وَاعْنِ السَّبِيلُ وَمَن يُصْلِلِ اللَّهُ فَاللَهُ مِنْ هَادٍ ۞ لَمَّمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوةِ ٱلدُّنَا اللهُ مِن وَاقِ۞ ﴾ وَلَمَذَابُ الْآخِرَةِ أَشْقُ وَمَا لَمُهُ مِنَ أَللَهِ مِن وَاقِ۞ ﴾

المضردات :

ه المانية المثين كفروا : أي: أمهاتهم وتركتهم مالاوة من الزمان دون عقاب.

قائم على كل نفس: رقيب ومهين عليها.

التفسير،

٣٢ – وَلَقَدِ ٱسْتُمْوْرِيَ بِرُسُلٍ مِن قَلِلكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَلْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابٍ.

تأتى هذه الآية في أعقاب طلب كفار مكة من النبي ﷺ، عددًا من الآيات المادية على سبيل السخرية والاستهزاء، والتعناب، حيث طلبوا: زحزحة الجبال عن مكة، وتفجير عيون الأرض، وإحياء الموتى، والاستهزاء، والتعناب، حيث طلبوا: زحزحة الجبال عن مكة، وتفجير اعاسخر الكافرون من المرسلين قبلك.

قال تعالى عن نوح : وَيَصْنَعُ ٱلفَّلْكَ وَكُلُّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَاذٌ مِّنْ قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمُ كُمَّا تَسْخَرُونَ ﴾ فَسُوْفَ تَطْمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَلَىهٍ يُخْوِيهِ وَيَجِلُ عَلَيْهِ عَلَىهٍ تُقِي

فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا . أي: أمهلتهم وتركتهم مرة من الزمان في أمن ودعة .

لُمُّ أَخَلَتْهُمْ . أي : أحللت بهم عذابي ونقمتي حين تمادوا في غيهم وضلالهم ؛ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابٍ . فانظر كيف كان عقابي إياهم حين عاقبتهم ، ألم أذقهم أليم العذاب ، وأجعلهم عبرة لأولى الألياب ؟ ١٩٣٠ .

وقد عقب ابن كثير على تفسير هذه الآية بقوثه :

ومثل هذه الآية قوله تعالى: وَكَأَيِّن مِّن قُرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمُةٌ ثُمُّ أَخَلُتُهَا وَإِلَى الْمُصيرُ . (الحج: ٤٨).

وفى الصحيحين : « إن الله ليملى للطالم حتى إذا أخذه لم يغلقه » ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : وَكَلَالِكَ أَخَذُ رَبِّكَ إِذَا آخَذَ ٱلقُرِّئِي وَهِي ظَلِلْمَةً إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَلِيدٌ . (٣٠ ووي: ١٥ - ١١).

7531

٣٣ - أَفَمَنْ هُوَ قَالِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاءَ ... الآية .

هذا الاستفهام إنكارى وجوابه محدوف دل عليه السياق ، والمراد من الآية : الإنكار على الكفار اتخاذ الشاداء الله ، وعبادتهم آلهة لا تضر ولا تنفع ، وقد ترقّى القرآن في منافشتهم في هذه الآية ، فيداً بهذا ، الاستفهام الإنكارى : أَهَمَنْ هُوَ قَالَمٌ عَلَىٰ كُلِّ تَضْنِ بِمَا كَسَبَتْ ، أَى : حفيظ عليم رقيب على كل نفس منفوسة ، الاستفهام الإنكارى : أَهَمَنْ هُوَ قَالَمٌ عَلَىٰ كُلِّ تَضْنِ بِمَا كَسَبَتْ ، أَى : حفيظ عليم رقيب على كل نفس منفوسة ، يعلم ما يعمل الماملون من خير أو شر ولا تنفق عليه خافية ، فهو سبحانه : يَعلَمُ ٱلسَّرُ وَأَخْفَى . (له: ٧) ، وهو يَعكُمْ أَيْنَ مَا كُمْهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَمِيرٌ . (السيد: ٤) ، أفمن كان كذلك يشهه الأصنام التي لا تسمع ولا تنفع ولا تنفع

والمراد: نفى المماثلة بين الشالق الرازق النافع المحيى المميت ، وبين الأصنام التى لا تنفع ولا تضر ولا تُسم ولا تجيب .

وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ . أي : قل لهم أيها الرسول : انكروا أسماءهم وصفاتهم التي جعلتهم في نظركم يستحقون العبادة مم الله .

أَمْ تُنْسُّرُنُهُ بِمَا لاَ يُقْلَمُ فِي ٱلْأَرْضِ . أي : بل أشغيرون الله بشركاء زاعمين : استحقاقها للعبادة ، وهو لا يعلمها في أرضه ، مع أنه العليم بكل شيء ، ولا تغيب عن علمه نرة في الأرض ولا في السماء

أَم بِطُلهِرٍ مَنَ ٱلْقُولُو. بل أتخبرونه عن ألوهيتها بظاهر من القول ليس له حقيقة واقعة ، وليس نه ظل في الفارج ، فكلامكم قول باطل كاذب ، تقولونه بأفراهكم فقط ، وليس لله شريك أبدًا .

بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُلُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ.

وبَلْ هنا للإضراب ، ونلمع هنا التدرج في الإضراب على ألطف وجه ؛ فبعد أن عددت الآية عددًا من الأساليب البديمة على ضملال الكافرين ، وانتقلت من الخبر إلى التحدى بتسمية الشركاء ، إلى الاستفهام الإنساني بيان حقيقتهم فقالت : دع عنك أيها الرسول مجادلتهم : لأنه لا فائدة من ورائها ؛ فإن هزاد الكافرين قد زين لهم الشيطان مكرهم ، وكيدهم للإسلام وأتباعه ، كما أن رؤساءهم في الكفر شجعوهم على هذا الباطل ، وصدوعم عن السبيل الحق ، وعن الصراط المستقيم .

وَمَن يُضْلِلُ ٱللَّهُ فَمَالُهُ مِنْ هَادٍ . أَى : من يسلب عنه الهدى بسبب ضلاله وإعراضه : قلن يجد هاديا يهديه ، كما قال سبحانه : وَمَن يُردِ ٱللَّهُ فِيْنَهُ فَلَن تَمِلُكَ لَهُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا . (المائدة: ٤١) ، وقال سبحانه : إِن تَحْرِصْ عَلَى هَدَاهُمْ قَانَ ٱللَّهُ لاَ يَهْدَى مَن يُعدلُّ وَمَالَهُم مِّن نَاصِرِينَ . (النحا: ٣٧) .

٣٤- لَّهُمْ عَلَابٌ فِي ٱلْحَيْلَةِ ٱلدُّلْيَا وَلَعَذَابُ ٱلآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مَّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ .

يعنب الله هؤلاء الكافرين في الدنيا عن طريق القوارع والمصائب التي ينزلها الله بهم ، وعن طريق القتل والأسر بيد المؤمنين .

وَلَهَذَابُ ٱلآخِرَةَ أَشَقُّ. إِن عذاب الآخرة أشقَّ وأصعب من عذاب الدنيا ؛ فهو أبدى سرمدى لا نهاية له .

وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقِ . أي: ليس لهوّلاء الكافرين من أحد يقيهم من عذابه . أو يحفظهم ويعصمهم منه ، لا حميم ولا ولي ولا نصير .

* * *

﴿ ۞ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَّ تَعَرِّي مِن تَعْنِهَ الْأَنْهَرُّ أُكُلُهَا دَآيِدٌ وَظِلُهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِيزِكَ اَتَّقَوَّا وَعُقْبَ الْكَيْفِرِينَ النَّالُ ۞ ﴾

المقرداتء

مسائسل الهنسة ، المثل هنا بمعنى: الصفة العجيبة . وأصله بمعنى: الشبيه والنظير .

أكلها دالهم: أي: ثمرها باق لا يغيب ولا ينقطع.

عقبى الثين اتقواء أي : مألهم وعاقبتهم .

التفسيرا

٣٥ - مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدُ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ... الآية .

صفة الجنة التي وعد الله بها عباده المتقين ، الذين راقبوه وأطاعوا أمره واجتنبوا معاصيه ، هذه الجنة جزاء جميل بديع للأتقياء ، ومن صفتها : أن الأنهار تجزى من تحت أشجارها وقصورها ، وتتحرك الأنهار حسب ما يشاء أمل الجنة : قال تعالى : عُبَنًا يُشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهُ يُعَجِّرُ وَبِهَا تُفْجِرًا . (الإنسان: ١٠). وفى الجنة : أنهاد من لبن ، وأنهاد من حمد ، وأنهاد من عسل ، قال تعالى : فِيهَا أَنْهَلُومٌ مَّاءٍ غَيْرِ عَاسِن وَأَنْهَلُومٌ لَهُن لَهُ يَتَكِيرُ طَعْمَهُ وَأَنْهُدُ مِّن مَعْمِ لَلْقَ لِلشَّرِبِينَ وَأَنْهَلُومٌ عَسَلٍ مُُصنَّقَى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلُّ الشَّمَواتِ وَمَعْفِرَةً مُن رَبِّهِمْ ... (محمد: 10) .

ومن صفة الجنة : أنْ أَكُلُهَا أَ^{انَ} ذَاتُهِمُ وَظِّلُهَا ، أي : ثمرها باق لا ينقطع ، مع اعتدال مناخها ، وطيب هوائها ، قال تعالى : لاَ يَرُونَهُ لِهَا شَمُسًا وَلاَ رَمْهُورِيرًا هِ وَدَالِيَهُ عَلَيْهِمْ ظَلْمُهَا وَذُلِّلَتْ تُطُوفُهَا تَذْلِيلاً . (الإنسان: ١٣. ١٤).

تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱلتَّقُوا وْعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ .

أى: تلك الجنة الموصوفة بما ذكر هى : مآل المنقين الذين استقاموا على طريق الحق والإيمان ، أما مآل الكافرين بالله روسوله ؛ فعاقبتهم النار ، ويتمي القرار .

* * *

﴿ وَالَّذِينَ النَّيْنَهُمُ الْكِتَبَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَخْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَةُ، قُلْ إِنَّمَا أُمِنَّ أَنْ أَعُدُ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكِ بِدِي إِلَيهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَضَابِ ٢٠٠٠ ﴾

المقردات ب

الكتاب، المراد به هذا: التورأة والإنجيل.

الأحرَّاب؛ الجماعات القوية والأقوام المتشابهون في ميولهم وعقائدهم.

مستثاناه مرجع ومصير.

التفسيره

٣٦ - وَٱلَّذِينَ ءَاتَمْنَا هُمُ ٱلْكِتَابَ يَفْرَ حُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ تَعْضَهُ ...

تكلم سبحانه عن ثواب المؤمنين وعقوية الكافرين فيما سبق، وفي هذه الأية تحدث عن فريق اللث وهو أهل الكتاب ، والمراد بهم: اليهود والنصارى ، الذين آمنوا بالنبي ﷺ ، فكانوا يفرحون بنزول القرآن على النبى ﷺ : لأنهم يرونه مطابقا لما عندهم في التوراة والإنجيل .

قال تعالى : ٱللَّهِنَ ءَاللَّهِنَ ءَاللَّهِنَ ءَاللَّهِنَ الْكِنَابُ يَطُولُهُ حَقَّ لِلأَوْلِهُ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ لِهِ . (البقرة: ١٢١) ، وهم جماعة ممن آمن من البهود كعبد الله بن سلام وأصحابه ، ومن النصارى وهم ثمانون رجلا من الحبشة واليمن ونجران. وَمِنَ ٱلْأَحْرَابِ مَن يُنكِرُ يَعْفَهُ . أى : الذين تحزيوا على رسول الله ﷺ ، بالعداوة والبغضاء ، وهم: المشركون ، واليهود ، والنصارى ، الذين أنكروا بعض القرآن ، وهو مالم يوافق ما حرّفوه من كتبهم وشرائعهم؛ ككعب بن الأشرف ، والسيد والعاشب: أسقفى نجران وأشياعهم .

قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلاَ أُشْرِكَ بِهِ.

أى: إنما أمرت فيما أوحى إلىّ من القرآن: أن أعبد الله وحده ، ولا أشرك بعبادته أحدًا سواه ، وهذا مالا سبيل إلى إنكاره : فهو أمر اتفقت عليه للشرائم والبللُّ ، المقتدية بالرسل .

قال تعالى: قُلْ يَنْأَهُلُ ٱلْكِتُلْبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاعٍ بَيْنَا وَيُنْتَكُمُ أَلاَّ نَعْبُ إِلاَّ ٱللَّهُ وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْعًا. (ال عمران: ٦٤).

وذلك ما دلت عليه دلاتل الآفاق والاكتشافات العلمية ، التي ذكرت : أنّ هذا النظام المذهل ، في الآفاق والأفلاك والمجرات والكواكب ؛ لا يمكن أن يتم إلا إذا كان في يد الله وتدبيره .

وقسي كسل شسيء لسه آيسة تسدلُ عسلسي أنسه السواحسد

إِنَّهُ أَدْعُواْ وَإِلَهُ مَمَاتِ . أَى: إلى الله تعالى وحده ، أدعو جميع الناس إلى عبادته وتوجيده ، وتنزيهه عن الصاحبة والولد : فلذلك لا أشَرَ ما أنتم عليه من اتخاذ اليهود عزيرا ابنا لله ، واتخاذ النصاري المسيح ابنا لله .

وَإِلَيْهِ مَقَابٍ . وإليه وحده مرجعي ومصيري ومصيركم للجزاء .

قال تعالى : إِنَّ إِلَىٰ رَبُّكَ ٱلرُّجْسَيِّ . (الطق: ٨).

* * *

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَدُ حُكُمًا عَرَبِيّاً وَلَهِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَالَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيَّ وَلَا وَاقِبْ ۞﴾

المفردات،

الزائناه حكما عربياء أي : أنزلنا القرآن حاكمًا للناس في قضاياهم بلسان العرب.

والأواق : أي: ولا حافظ. من وقاه ، يقيه وقاية ، أي: حفظه.

لتفسين

٣٧ - وَكَلَالِكَ أَارَ لُنَاهُ خُكُمًا عَرَبيًّا ... الآية .

أى: وكما أرسلنا قبلك المرسلين ، وأنزلنا عليهم الكتاب بلغاتهم وألسنتهم : أنزلنا عليك القرآن مشتملا على فضيلتين :

خُكُمًا . أي : بيان الأحكام والشرائع ، التي يحتاج إليها المكلفون وتقتضيها الحكمة .

عَرَبِهُا ؛ ليفهمه قومك ، ويسهل عليهم معرفة معانيه والرجوع إليه في الأحكام ، وهو شرف ورفعة لهم، كان الأولى أن يقابلوه بالقبول والتصديق ، بدلا من الوفض والتكنيب ، فلو أنزل القرآن على جبل ا لفشم، ولان لسماعه ، وقد سمعته الجن ؛ فقالوا : إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَالًا عَصِّاً ٥ يُهْدِي إِلَى الرَّهُدُ فَآمَنًا بِهِ وَلَن نُشْرِكُ بِرِيَّنَا أَصَدًا ، (الجن: ٨ ٢).

وهَى معنى الآية بين الله: أن القرآن كتاب عربي ، يشرَّف هذه الأمة ويعلى شأنها قال تعالى : وَإِلَّهُ لَلِكُرِّ لُكُ وَلِقُومِكَ وَسُوْفَ تُسْتَلُونَ . (الزهرف: ٤٤) ، وقال عز شأنه : لَقَدْ أَنزَلُنَا إِلَيْكُمْ كِبُنَّا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَلَلاً تَعْقِلُونَ. (الأنبياء: ١٠) ، أي : فهه مجدكم وعزتكم وشرفكم .

وَلْقِنِ أَتُرْمُتَ أَهُوا آمُهُم مِّقَدَ مَا جَآءُكُ مِنْ ٱلْعِلْمِ. أَى : إذا التبعت أهواء هؤلاء الأحزاب ؛ ابتفاء رضاهم ، كالقوجه إلى بيت المقدس ، بعد تحويل القبلة ، أو عبادة ألهتهم يرما ؛ ليعبدوا إلهاك يوما مثله .

مَالَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلَيَّ وَلاَ وَاقِي أَلَى : ليس لك من دون الله وَلَيَّ يلي أمرك وينصرك وَلاَ وَقَي يقيك عنابه إن أراد عنابك ، فاحدر أن تقيم أهواءهم أو تنهج نهجهم ، والخطاب هنا للنهي ﷺ ، والعراد : أمته ، وهي هذا وعيد للعلماء : إن هم حادوا عن الطريق، واتبعوا سبل أهل الضلالة .

جاء في تفسير المراغي :

ومثل هذا الخطاب من باب : (إياك أعنى واسمعى يا جارة) ، فهو إنما جاء ؛ لقطع أطماح الكافرين، وتهييج المؤمنين على الثبات في الدين .

وقال الدكتور/ محمد طنطاوي في التفسير الوسيط:

فكأنه سبحانه يقول: لو اتتبع أهواءهم – على سبيل الغرض – أكرم الناس عندى : لعاقبته ، وأحق بهذا العقاب من كان دونه فى الفضل والمنزلة ، وشبيه بهذه الآية قوله تعالى : وَلَقَدْ أُوسِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱللَّينَ مِن فَيْلِكَ قَيْنَ أَهْرَكُتَ كُوشِيَكُمْ عَمَلُكَ وَتَكُونُو مِنْ ٱلْخَلْسِرِينَ . (الزمز: ١٥) .

-﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَامِّن قَبْلِكَ وَجَمَلْنَا لَهُمُّ أَزْوَجُا وَذُرِّيَّةٌ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْقَ بِعَا يَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّلِ آَجَلِ كِنَاكُ ۞ ﴾

المفردات :

تكل أجل كتاب، الأجل: الوقت والمدة ، والكتاب: الحكم المعين الذي يكتب على العباد ؛ حسب ما تقتضيه الحكمة .

التفسيره

٣٨ - وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبِلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزُواجًا وَذُرَّيَّةُ ... الآية .

أرسل الله الرسل من البشر ومن شأن البشر أن يتزوجوا ويولد لهم الولد قال سبحانه : وَمَا أَرْسَلْنَا لَبُلْكَ مَنْ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُمُونَ ٱلطَّمَّامُ وَيُمَشُّونَ فِي ٱلأَسُواقِ . (الفرقان: ٢٠). ومن مقتضى هذه البشرية : إتيان الزوجات ، وكفالة الأولاد .

ولم يكن محمد ﷺ قالوا: ما نرى لهذا الرسل ، فلماذا ينكر عليه اليهود وغيرهم زواح النساء ، روى :: أن أعدام النبي محمد ﷺ قالوا: ما نرى لهذا الرجل همة إلا في النساء ، ولو كان رسولا من عند الله حقا : لما اشتغل عن رسالته بالنساء ؛ فرد الله عليهم بهذه الآية ، حيث قال سبحانه ؛ وَلَقَدُ أَرْسُلنَّ رُسُلاً مِّن قَبلِكَ رَجَعْلنَا لَهُمْ أَزْرَاجًا وَدُرْيَةً ، وفي هذا تذكير بما كان عليه داود وسليمان عليهما السلام ؛ حيث كانت لهما زوجات كثيرات وزرية كثيرة ، ولم يقدم ذلك في نبوتهما .

على أن النبي ﷺ اقتصرت حياته الأولى على زوجة واحدة ، هى : السيدة خديجة ، فلم يتزوج عليها في حياتها ، وحين ماتت كان عمره يذاهز الخمسين .

فحياته في مكة كلها ، كانت مع زوجة واحدة هي : السيدة خديجة ، ولما هاجر إلى المدينة حدثت ظروف ودواع : اقتضت الإصهار إلى القبائل لمصلحة الإسلام ، فكان من الغير أن تتعدد زوجاته ؛ لأمداف متعددة ، وأغراض حكيمة لهذا التعدد ، وقد كان لزوجات الرسول ﷺ ، دور رئيس في بيان حياة الرسول الداخلية والفارجية ، وكانت عائشة رضى الله عنها تناقش الصحابة وتستدرك عليهم ، وتشرح وجهة نظرها لهم ، وكذلك بقية أمهات المؤمنين ، فكانت حكمة إلهية في زواجه عليه الصلاة والسلام ؛ تحقيقا لمعنى البشرية ، وتأكيدا لهذه القدوة العملية . وفى الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال: « أما أنا فأصوم وأفطر، وأقوم وأرقد، وآكل اللحم، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني، """.

وَمَا كَانَ لِرَسُولِ أَن يَأْتِي بِثَايَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ ٱللَّهِ.

أى: ما مسح ولا استقام ارسول من رسل الله ، أن يأتى لقومه بمعجزة إلا بإذن الله ومشيئته وحكمته، وقد تضمنت الردّ على المشركين ، حين اقترحوا على الرسول ﷺ طائفة من المعجزات مثل : زحزحة جبال مكة ، وتسخير الرياح لهم ، وتفجير ينابيع الأرض

لِكُلُّ أَجَلِ كِتَابٌ .

لكل وقت من الزمان شرح كتبه الله يناسب حال أمله ، وينتهى بانتهاء الحاجة إلى هذا الشرع ؛ لذلك ذكر العلماء : أنه لا ينكر تغيّر الأحكام بتغير الأزمان : فقد أرسل الله موسى وعيسى ومحمد عليهم المسلاة والسلام في أزمنة متعددة ، رأى الله سبحانه وجودهم في هذه الأزمنة لا يتقدمون عنها ولا يتأخرون ، وهكذا أعمار الناس وإجالهم ، كلها كتبت في آجال وحدد معينة ، لا تقديم فيها ولا تأخير.

ولكل أمر قضاه الله أجل وموعد لا يتقدم عنه ولا يتأخر ، ولكل وقت من الأوقات كِتَابٌ . أي : حكم معين يكتب على الناس حسيما تقتضيه الحكمة الإلهية .

* * *

﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ وَأَمُّ الْكِتَبِ ١٠٥٠

اللف دات ،

يمعسواء المحو: الإزالة ، والمراد به هذا: نسخ الشرائع والأحكام وتغييرها .

أم الكتاب ، أصل الكتاب ، والمراد يه : علم الله تعالى ، أو اللوح المعفوظ .

التفسيره

٣٩ - يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ...

أي: ينسخ ما يشاء نسخه من الأحكام ؛ لما تقتضيه الحكمة بحسب الوقت.

وَنَغْرِتُ ، بدله ما فيه المصلحة (**) ؛ فإن الحكمة تقتضي : أن ينسخ الله ما يشاء أن ينسخه من الأحكام والشرائم بحسب الوقت ، ويثبت بدله ، أن يبقهه على حاله من غير نسخ ؛ لأن الشرائع كلها لإصلاح أحوال العباد في المبدإ والمماد ، وقد جمل الله الشرائح كلها متفقه في الأصول ، التي لا سبيل إلى تغييرها^{ن،} ، مثل[.] عبادة الله عز وجل، والإحسان إلى الوالدين ، وتحريم القتل والزنا ، وأكل مال اليتيم ، والأمر بالعدل ، والوفاء بالعهد ، والتزام آدات الإسلام .

فهذه الأصول وأمثالها : لا تتغير ولا تتبدل بتغير الرسالات والكتب السمارية ، أما الغورع : فإنها عرضة للتغير والتبديل ، كطريقة الصيام وزمنه ، ومقادير الزكاة والأصناف التى تزكى ، وغير ذلك مما يتغير بتغير الأجيال وأحوالهم™.

وقد أورد ابن جرير الطبرى آراء متعددة فى تفسير هذه الآية ، ونقلها عنه ابن كثير فى تفسيره ، و لـتُحميها عدد من المفسرين ، ومن هذه الآراء ما يأتي :

١- الآية عامة فى كل ما يمحوه الله ويتُبته ، وخااهر النظم القرآنى : العموم فى كل شىء مما فى الكتاب، فيمحو ما يشاء محوه من شقاوة أو سعادة ، أو رزق أو عمر ، ويبدل هذا بهذا ويجعل هذا مكان هذا، لايسأل عما يفعل وهم يسألون ، وإلى هذا ذهب عمر بن الخطاب وابن مسعود وابن عباس وقتادة وغيرهم.

روى ابن جرير ، وابن كثير: أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال وهو يطوف بالبيت ويبكى: اللهم إن كنت كثبت على شقوة أو ذنبا فامحه ، فإنك تصحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب فاجعله سعادة ومغفرة.

الروى عن ابن عباس في معنى: يُمْحُوا ٱللهُ مَا يُشَاءُ رُغُبِتُ: قال: كل شيء إلا الموت والحياة ، والشقاء
 والسعادة : فإنهما قد فرغ منهما.

٣- يمحو من ديوان الحفظة الذين ديدنهم كتابة كل قول وعمل: مالا يتعلق به الجزاء، أو يمحو سيئات
 التائب ويثبت مكانها الحسنة.

٤ - وقال أخرون: يمحو الله ما يشاء من الشرائع بالنسخ، ويثبت ما يشاء فلا ينسخه ولا يبدُّله.

٥ -- وقال آخرون: يمحو الله المحن والمصائب بالدعاء.

قال أبو السعود في التفسير:

والأنسب تعميم كل من المحو والإثبات ؛ ليشمل الكلِّ .

وقال الإمام الشوكاني في فتح القدير:

الأولى حصل الآية على عمومها ، فالمراد منها : أنه يمحو ما يشاء مما في اللوح المحفوظ ، فيكون كالعدم ، ويثبت ما يشاء ، مما فيه فيجرى فيه قضارة ، وقدره على حسب ما تقتضيه مشيئته ، وهذا لا يتأفى ما ثبت عنه ﷺ من قوله : جَنَّ الْقَلَمْ٣٠ ؛ لأن المحو والإثبات هو من جِملة ما قضاه سيحانه . وُعِندُهُ أُمُّ ٱلْكِتَّابِ. هو علم الله ، وجميع ما يكتب في صحف الملائكة ، لا يقع حيثما يقع إلا موافقا لما يثبت فيه ، فهو أمَّ لذلك ، فكأنه قبل: يمحو الله ما يشاء محوه ، ويثبت ما يشاء ، وهو ثابت عنده في علمه الأزلى ، الذي لا يكون شيء إلاَّ وفق ما فيه .

* * *

﴿ وَإِن مَّا أَنُهِينَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْنَتُوَقِّيَنَكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَكَغُ وَعَلَيْنا أَلِحْسَابُ وَ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَاناً فِي الْأَرْضَ نَنقُصُها مِنْ أَطْرَافِها وَاللهُ يُعَكِّمُ لَا مُعَقِّبَ لِمُكْمِدُ وَهُو سَرِيعُ أَلِيسَابِ اللهِ اللهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ الل

المفردات ،

واسا نسريسنك، ما هنا: لتأكيد معنى الشرط ، أى : وإن أريناك ، والتعبير بالمضارع : لحكاية الحال الماضية ، أو الإفادة تجدد الوعيد .

من أطبر الشهاء الأطراف: الجوائب.

لا معقب تعكمه ، أى : لا راد له . والمعقب : هو الذي يكر على الشيء فيبطله ، ويقال لصاحب الحق الذي يطالب يه : معقب الأنه يتتبع غريمه بالاقتضاء والطلب .

التفسيره

* ٤ - وَإِن مَّا نُرِيِّتُكَ بَعْضَ ٱلَّذِي تَعِلُهُمْ أَوْ تَتَوَقَّيْنَكَ لَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَثُعُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ .

أي: إن أريناك أيها الرسول مصارح أعدائك ، المصرّدِن على الكفر ، وما وعدناهم به من نزول العذاب بهم : فهذا انتقام عاجل لك من أعدائك ، وإن توفيناك قبل نزول العذاب بهم : فلا تجزع لذلك واترك الأمر لئا، فما عليك إلا تبليغ رسالة ربك ، لا طلب صلاحهم ولا فسادهم : رعلينا محاسبتهم ومجازاتهم بأعمالهم ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر ، قال تعالى : فَذَكَر إِنّمَا أَنْتَ مُلْكُرُ و أَسْتَ عَلْهُم بُمُصَيْطٍ و إِلاَّ مَن تَوَلَّى رَكْفَرَ و فَعَلْبُهُ اللهُ العَدَابِ الْأَكْبُ و إِنْ إِلْسًا إِيَّابِهُمُ و لَهُ إِنْ عَلِيَا حِسَابُهُم . (الغائية ٢٠–٢١)

١ ٤ - أُولَمْ يَرَوَّا أَنَّا نَأْتِي ٱلأَرْضَ نَتَقُصُهَا مِنْ أَطْرَالِهَا ...

للم يشاهد أهل مكة أمام أعينهم ، انخفاض أدن الكفر وانزواه أهله ، وتقدم شأن الإسلام وتقوق أهله، فقد نصر الله المسلمين في بدر ، وفي غزوات متتابعة ، حتى جاء نصر الله والفتح ، وتمّ فتح مكة ودانت أم القرى بالإسلام ، فالمراد بالأرض: أرض الكفر، ونقصانها من أطرافها: انتصار المسلمين على المسركين مرة إلا أخرى .

رقيل: المعنى: أَعَيىَ هؤلاء الكافرون عن التفكر والاعتبار ١٢، ولم يشاهدوا أن قدرة الله القامرة، قد أتت على الأمم القوية القادرة: حين كغرت بنعمة الله: فصيرت غناها فقرا، وعزها ذلا، وما أصاب هذه الأمم يمكن أن يصيب أهل مكة عقابا عادلا، قال تعالى: أَفَلاَ يُرُونَ أَنَّا تُلْبِي ٱلأَرْضَ نَقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفْهُمْ الْهَنْكُونَ. (الأنبياء: ٤٤).

وَاللَّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبُ لِمُكْمِدٍ. أى: إن الله تعالى يحكم ما يشاء أن يحكم به فى خلقه: لا رادٌ لحكمه، ولا دافع لقضائه، ولا يتعقب أحد ما حكم به بتغيير أو تبديل، وقد حكم سبحانه بعزة الإسلام وعلو شأنه.

وُهُوَ سَرِيحُ ٱلْحِسَابِ . فعمًا قريب سيحاسبهم في الآخرة ، كفاء جحودهم وعنادهم : فلا تستعجل عنابهم : فإنه آت لا محالة، وكل آت قريب .

+ + +

﴿ وَقَدْ مَكُرُ اَلَّذِينَ مِن قَبِلِهِمْ فِلِلَّهِ ٱلْمَكْرُجِيعَ أَيْمَا يُمَا تَكْسِبُكُمُ نَفْسُ وَسَبَعَا وَٱلْكُفَّرُ لِمَنْ عُقِّى ٱلدَّارِ ۞ وَيَغُولُ ٱلَّذِيبَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَكً قُلْ كَفْن بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِ وَبَيْنَكَ مُ مَنْ عِندُمُ عِلَمُ ٱلْكِنْبِ ۞ ﴾

المضردات،

مسسكسسر: المكر: هو تدبير المكروه في خفية .

طلله اللكر جميعا؛ أي: أنه تعالى يعلم المكر كله ، فلا تخفي منه خافية عليه سبحانه .

عسقيس الدار، أي: عاقبة دار الدنيا.

هلم الكتاب؛ أى: علم القرآن وما هو عليه من البيان المعجز، والحكمة التي لا تضارع، أو علم التوراة والإنجيل، وما فيها من البشارات برسول الله والإسلام.

التفسير،

٢ ٤ - وَقَدْ مَكُرُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكُرُ جَمِيعًا ...

أى: دبُّر الكافرون السوء لرسلهم ، الذين سبقوا قومك يا محمد ، وحاولوا إيقاع المكروه بهم ، ولكن الله تعالى نصر رسله ، وأحميط كيد الكافرين . فَللَّهُ ٱلْمَكُرُ جُمِيعًا . أي : لا تأثير لمكر الكافرين أصلا ؛ لأنه معلوم الله وتحت قدرته .

قال الشوكاني :

مكر الكفار الذين من قبل كفار مكة ، بمن أرسله الله إليهم من الرسل ، فكادوهم وكقروا بهم ، ومكرهُم هذا كالعدم.

قَلِلُهُ آلْهَكُورُ جَعِيعًا . أي : لا اعتداد بمكر غيره : فلا قيمه له ولا تأثير له في مواجهة مكر الله تعالى بالماكرين ! هـ .

يُعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ . إنه سبحانه لا تخفى عليه خافية من أحرال كل نفس ، ومن علم ما تكسب كل نفس وأعد لها جزامها ، كان المكر كلّه له ، ولا أثر لمكر غيره في مقابلة مكره .

وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفُّلُ لِمَنْ عُقَى النَّالِ . وسيعلم الكفار حين ينزل العذاب بهم ، لمن العاقبة المحمودة من الغريقين ، في دار الدنيا أو في الدار الآخرة ؛ مل ستكون العاقبة للكافرين أم للمؤمنين ؟ ، لا شك أنها ستكون للمؤمنين .

قال تعالى : ثِلْكَ آلدًارُ آلاَ حِرَةُ لَجَعْلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُوِيدُونَ عُلُوا فِي آلاَّرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَٱلْمُلْقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ . (القصور: ۸۲]

٤٣ - وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً ...

يقول من أنكر نبوتك وكفر برسالتك : لست رسولا من عند الله ، وإنما أنت متقوَّل على الله تعالى .

يقولون ذلك بمد أن أيده الله بالمعجزات ، ويحد أن تحدّلهم أن يأتوا بمثل القرآن ، أن بعش سور من مثله ، أو يسورة من مثل القرآن فمجزوا ، ولزمهم العجز وثبت قصورهم وضعف حجتهم ، ويدل أن يؤمنوا ويشهدوا له بالرسالة ، كابروا وعائدوا ، وقالوا : لست مرسلا من عند الله ، ولكنك تدّعي الرسالة .

قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيمًا َ بَنِّى وَبَيْنَكُمْ . أى : قل : حسبى الله شاهدا لى بتأييد رسالتى وصدق مقالتى ، وشاهدًا . عليكم أيها المكذبون فيما تفترونه من البهتان .

وَمَنْ عِندُهُ عِلْمُ ٱلْكِتَنْهِ . معن أسلم من أهل الكتابين: الترراة والإنجيل ! فإنهم كانوا يجدون البشارات بالرسول محمد ﷺ في كتبهم ، وحاصل الجراب بذلك : لستم بأهل للحكم في شأني ، فاسألوا أهل الكتاب ؛ فإنهم يجاورونكم . أخرج ابن جرير وابن المنذر : عن قتادة قال : كان من أهل الكتاب قوم يشهدون بالحق ويعرفونه ، منهم : عبد الله بن سلام ، والجارود ، وتميم الداري ، وسلمان الفارسي ، رضي الله عنهم .

موجز أفكار سورة الرعد

١- إقامة الأدلة على التوحيد.

٢- إثبات البعث ويوم القيامة .

٣- استعجالهم العذاب من الرسول ﷺ.

٤- بيان : أن للإنسان ملائكة تحفظه وتحرسه ، وتسجل عليه ما يكتسبه من الحسنات والسيئات .

٥- ضرب الأمثال لمن يعيد الله وحده ، ولمن يعبد الصنم ، بالسيل والزيد الرابي .

٣- بيان : حال المتقين ، الواصلين للرحم ، المقيمي الصلاة .

٧- بيان: حال الناقضين لعهد الله من بعد ميثاقه.

٨-- إنكار الشركاء مع إقامة الأدلة على أنه لا شريك نله.

٩- وصف الجنة التي وعد بها المتقون.

١٠- بيان: أن كثيرا ممن أسلموا من أهل الكتاب يفرحون بما ينزل من القرآن: إذ يرون فيه تصديقا لما بين
 أيديهم من الكتاب.

١١ - بيان: أن مهمة الرسول: عبادة الله وحده، وعدم الشرك به، والدعوة إلى الله بالحسني.

١٢- بيان: أن كل رسول أرسل بلغة قومه ؛ ليسهل عليهم قبول دعوته وفهمها .

١٧ - تحذير الرسول ﷺ وأمته من قبول دعوة المشركين.

١٤- إن جميع الرسل كانت لهم أزواج وذرية .

١٥ - المعجزات ليست بمشيئة الرسل ؛ وإنما هي بإذن الله .

 ان مكر أولئك الكافرين بالرسول ﷺ ليس بيدع جديد ، بل سبقهم إلى ذلك كثير من الأمم التي مكرت بأنبدائها ، وفي النهاية يتصر الله المتقين ، ويذكل بالظالمين .



نظرات في سورة إبراهيم ١٠٠٠

سورة إبراهيم سورة مكية . موضوعها الأساسى هو موضوع السور المكية الخالب وهو العقيدة فى أصولها الكبهرة ، وتشمل: الرسالة ، والتوحيد ، والبعث ، والحساب ، والجزاء .

ولكن السياق في هذه السورة يسلك نهجا خاصا في عرض هذا الموضوع وحقائقه الأصلية . نهجا مغرداً بعيرها من السور، يميزها بجوها ، وطريقة أدائها ، والحقائق الكبرى التى تتضمنها ، ولون هذه الحقائق التي قد لا تقترق موضوعيا عن مثيلاتها في السور الأخرى ولكنها تعرض من زاوية خاصة . كما تختلف مساحتها في رقعة السورة وجرها ، فتزيد أطرافًا وتنقص أطرافًا . فيحسبها القارئ جديدة بما وقع فيها من تجديد ، وذلك من الإعجاز القرآئي في طريقة الأداء .

ويبدو أنه كان لأسلوب السورة من اسمها نصيب .. إبراهيم أبو الأنبياء .. المبارك . الشاكر ... الأواب المنيب . وكل الظلال التى تخلعها هذه الصفات ملحوظة فى جو السورة وفى الحقائق التى تبرزها ، وفى طريقة الأداء . وفى التعبير والإيقاع .

ولقد تضمنت السررة عدة حقائق رئيسة في العقيدة ، ولكن حقيقتين كبيرتين تظهران أكبر من غيرهما في سررة إبراهيم :

الحقيقة الأولى: وحدة الرسالة والرسل ووحدة دعوتهم . ووقفتهم أمة واحدة في مواجهة الفرقة المكذبة بدين الله على لمقتلاف الأمكنة والأزمان .

واطَّقِيَّة الثَّالِيَّة: بيان : نعمة الله على البِشر وزيادة النعمة بالشكر ومقابلة أكثر الناس لها بالجحود والكفران .

تبدأ السورة بعيان: وظيفة الرسول ، وييان: مدف القرآن . ومذه الوظيفة هي : هداية الناس ، وإبطال عادات الجاهلية وقيمها . وإرساء معالم التوحيد والعدالة والمساواة . قال تعالى : كَيْنَبُ أَنْزُلْنَمُ إِلَيْكَ لِتُعْرِجَ آلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمُنْتِ إِلَى النَّورِ بِإِلْاَرْرَقِهِمْ إِلَّى صِرَاطٍ ٱلْعَزِيرِ ٱلْحَصِيدِ (إبراميم: ١) .

وتختم السورة بهذا المعنى وبالحقيقة الكبرى التي تتضمنها الرسالة حقيقة الترحيد في قوله تعالى: هَلَا بَلاَحُ لِلنَّاسِ وَتُبْدَلُووْ أَبِهِ وَلِشَلُووْ أَلْمًا هُوْ إِلَنَّهُ وَاحَدُّ وَلِيْدُكُمُّ أُولُوْ ٱلآقِلُو، (اداهمد: ٥٠). وفي أثناء للسورة نجد أن موسى قد أرسل بمثل ما أرسل به محمد ﷺولنفس الهدف وهو : إخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ، قال تعالى : وَلَقَدَ أَرْسُلُنَا مُوسَى بِآيَلَشِا أَنْ أَخْرِج قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إلى اللور (ابراهيم: ٥).

وتذكر السورة : أن وظيفة الرسل عامة ، هي : بيان الحق وتوضيح طريق الهداية إلى الله ، قال تعالى: وَمَا ٓ أَسُلُنا مِن رُسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قُومٍ لِيُسِّنَ لَهُمْ . (براهيم: ٤) .

وتجين السررة : أن الرسول ﷺ بشر يوحى إليه وأن بشريته هى التى تحدد وظيفته ؛ فهو مبلغ ومنذر ونامسح ومبين ، ولكنه لا يملك أن يأتى بضارقة أو بمعجزة إلا بإذن الله وحين يشاء هو أو قومه ، ولا يملك الرسول أن يهدى قومه أو يضلهم ، فالهدى والضلال متعلقان بسنة الله الله الله المطلقة. ولقد كانت بشرية الرسل هى موضع الاعتراض من جميع الأقوام بمى جاهليتهم . والسورة هنا تحكى قولهم مجتمعين : قَالُورُ إِنْ أَنْمُ إِلاْ بُشَرِّ مُثَلًا تُوبِيدُونَ أَن تُصَمُّونَ عَمَّا كَانَ يَعْدُ عَالَى الْكُولُ مِنْ الْمِرامِمِ، ١٠).

وتحكى رد رسلهم كذلك مجتمعين:

قَالْتَ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَعْنَ إِلاَّ بَشَرَّ مَقَلَكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمِنُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنَ تَأْتِيكُم يُسْلَطُننِ إلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهُ فَلِيَتُو كُلِّ الْمُؤْمِنُونَ . (ابراميم: ١١) .

ويتضمن السياق كذلك: أن إخراج الناس من الظلمات إلى النور إنما يتم: إِذْنُ رَبُّهِمْ.

وكل رسول يبين لقومه : فُيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ . (إبراهدم: ٤).

وبهذا أن ذاك تتحدد حقيقة الرسول : فتتحدد وظيفته في حدود هذه الحقيقة ولا تشتبه حقيقة الرسل البشرية وصفاتهم ، بشيء من حقيقة الذات الإلهية وصفاتها . وكذلك يتجرد توحيد الله بلا ظل من مماثلة أو مشابهة ، كذلك تتضمن السورة تحقق وعد الله للرسل والمؤمنين بهم إيمانا حقا ، ويتحقق ذلك الوعد في الدنيا بالنصر والاستخلاف ، وفي الأخرة بعذاب المكذبين ونعيم المؤمنين .

ويصور السياق هذه الحقيقة الكبيرة في نهاية المعركة بين الرسل مجتمعين وقومهم مجتمعين.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنَحْرِجَنَكُم مِنَ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلْتِنَا فَأُو حَيَّ إِلَيْهِمَ رَبُّهُمْ لَنَهْلِكُنَّ ٱلطَّلَهِينَ * وَلَسُكَنَتُكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنْ بَعَدِهِمْ قَالِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ * وَٱسْتَغْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَيدٍ لهِ لِهِدَاهِمِمْ ١٣-١٥).

وحيدة الرسالات السماويية في سورة إبراهيم

الظاهرة البارزة في سورة إبراهيم : أنها تتحدث عن الرسل جميعا كأنهم أممحاب فكرة واحدة وهدف واحد ، وكأن جواب قومهم كان جوابا موحدا في جميع العصور والأحوال .

وتعرض السورة هذه الفكرة بطريقة فريدة في الأداء . لقد أبرزها سياق بعض السور الماضية في صورة توحيد الدعوة التي يجيء بها كل رسول ، فيقول كلمته لقومه ويمضى ثم يجيء رسول ورسول . كلهم يقولون الكلمة ذاتها ، ويلقون الرد ذاته ويصيب المكذبين ما يصيبهم في الدنيا ، وينظر بعضهم ويمهل إلى أجل في الأرض أو إلى أجل في يوم الحساب . ولكن السياق هناك كان يعرض كل رسول في مشهد ، كالشريط المتحرك منذ الرسالات الأولى ، وأقرب مثل لهذا النسق : سورة مود ، فأما سورة إبراهيم – أبى الأنبياء ~ فتجمع الأنبياء كلهم في صف وتجمع المكنبين كلهم في صف ، وتجرى المعركة بينهم في الأرض ، ثم لا تنتهى هنا ، بل تتابع خطواتها كذلك في يوم الحساب .

ونبصر فنشهد أمة الرسل ، وفرقة المكذبين في صعيد واحد على تباعد الزمان والمكان . فالزمان والمكان عرضان زائلان ، أما الحقيقة الكبرى في هذا الكون -- حقيقة الإيمان والكفر -- فهي أضغم وأبرز من عرضي الزمان والمكان .

قال تعالى:

أَلَمْ يَأْلِكُمْ نَبُواْ الَّذِينَ مِن قَبِلكُمْ قَوْم مُوحِ وَعَادٍ وَلَمُودَ وَاللّذِينَ مِن يَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ جَاءَاتُهُمْ وُسُلُهُم بِالْنَيْنَاتِ مَرَدُّواْ الْيَهْهُمْ فِي الْوَاهِمِ، وَقَالَوْا إِنَّا كُونَا بَمِنا أُوسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَهِى شَكْ مَّمَا تُدْعُونَمَ لَمُهُمْ الْمَنْ اللّهُ عَلَيْهُ فَاهِلِ السَّمْوَاتِ وَآلاً رَسِي عَلَيْتُ الْمُولِمُ وَيُودُونَ اللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْكُمْ وَلَكُونَ اللّهُ عَلَيْكُمْ وَلَمُودُ وَاللّهُ إِلاَ بَشَرُ مُغْلِلًا بَشَوْ مُغْلِلًا بَشَوْ مُغْلِلًا بَشَوْمُ فَاللّهُ وَاللّهُ فَالْمِ اللّهُ عَلَيْكُونَ أَن تَصُدُّونَ اَن تَصُدُّونَ عَمَّا كَانَ يَعْهُدُ وَابَا وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهِ فَلِيَا اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهِ عَلَيْكُونُ اللّهِ وَعَلَى اللّهُ فَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهِ وَعَلَى اللّهُ فَلْتَوْكُولِ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتُونُ اللّهِ وَعَلَى اللّهُ فَلَكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُونَ اللّهُ عَلَيْكُونُ وَلَا عَلْمُ مُن عَلْمُ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبْدِهِ وَمَا كَانَ لَكَ أَنْ كُنِكُمْ وَكُونُ اللّهِ إِلّهُ إِلّهُ اللّهُ وَمُلْعَلَى اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَى مُنْ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَيْكُمْ وَلَكُمْ وَلَكُونُ اللّهُ عَلَيْكُونُ اللّهُ عَلَى اللّهُ فَلْكُونُونَ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُونُونَ اللّهُ عَلْمُ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبْدِهِ وَمَا كَانَ لَكَ أَنْ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُونُونَ . (لدالله عِنْ ١٩٠٤).

فهاهنا تتجمع الأجيال من لدن نوح ، وتتجمع الرسل ويتلاشى الزمان والمكان وتبرز الحقيقة الكبرى : حقيقة الرسالة وهى واحدة ، واعتراضات المكنبين ، وهى واحدة ، وحقيقة نصر الله للمؤمنين وهى واحدة ، وحقيقة استخلاف الله للصالحين وهى واحدة ، وحقيقة الخيبة والخذلان للمتجبرين وهى واحدة ، وحقيقة الغذاب الذي ينتظرهم هناك وهى واحدة . ولا تنتهى المعركة بين الكفر والإيمان هنا ، بل يتابع السياق خطواته بها إلى ساحة الآخرة فتبرز معالمها في مشاهد القيامة المتنوعة التى تتضمنها السورة ، وهى تشير إلى أنها معركة واحدة تبدأ في الدنيا وتنتهى في الآخرة ولا لنفصال بينهما ، إنما تكمل إحداهما الأخرى .

وتكمل الأمثال التى تبدأ فى الدنيا وتنتهى فى الآخرة : إبراز معالم المعركة بين الغريقين ، ونتائجها الأخيرة ، مثل: الكلمة الطببة كالشجرة الطببة : شجرة النبوة و شجرة الإيمان ، و شجرة التوحيد والخير ، والكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة : شجرة الباطل والتكذيب والشر والطغيان ... فالتوحيد وكلمته: شهادة لا إله إلا الله أن محمدا رسول الله . أصله ثابت موصول بالله وفرعه مرتفع إلى السماء ويرتى ثماره كل حين ؛ بالصلاة والزكاة رسائر العبادات والأعمال الثافعة فى الدنيا والأخرة . أما شجرة الكفر فلا أصل لها تعتمد عليه ؛ فهى تمثل الباطل فى الدنيا ، والخيبة فى الأغرة.

قال تعالى:

الله تَرَكَيْف صَرَبَ اللهُ مَقَادَ كِلِمَةُ صَلَّةَ كَشَجْرَة طَيْبَةِ أَصْلُهَا فَابِتُ وَفُرَعُهَا فِي الشَّمَاءِ وَلَوي أَكُمُهَا فَلَ عِينَ بِإِذِن رَبِّهَا وَيَصْرِبُ اللهُ الأَضْالَ لِلنَّاسِ تَعْلَمْمْ يَعَلَكُمُ وَنَ * وَمَثَلُ كَلِمَة عَبِيعَة كَشَجْرَة عَبِيعَة آجَعَتُ مِن فَوْق الأَرْضِ مَانَها مِن قَرَرٍ * يُكِبَ اللهُ اللهِ مَانُوا بِالْقَوْلِ آللَّهِ فِي الْمَيْوَةِ الدُّنَا وَفِي الاَّعِرَةِ وَيُعِيلُ اللهُ الطَّلِيمِينَ وَيُفْعِلُ اللهُ مَا يُضَاءً * (ابدالهمه: ٢٤-٢٧).

القطع الثاني من سبورة إبراهيم

تنقسم سورة إبراهيم إلى مقطعين متماسكي الحلقات:

المقطع الأول : يتضمن بهان حقيقة الرسل ، ويصور المعركة بين أمة الرسل وفرقة المكنبين هي الدنيا والآخرة ، ويعقب عليها بمثل الكلمة الطبية والكلمة الخبيثة ، وقد تحدثنا عن هذا المقطع .

والقطع الثانى من سورة إبراهيم: يتحدث عن نعم الله على البشر، والذين كغروا بهذه النعم ويطروا، والذين كغروا بهذه النعم ويطروا، والدين أمنوا بها والذين آمنوا بها والدينة الله ، ويصور مصير الظاامين الكافرين بنعمة الله ، في سلسلة من أعنف مشاهد القيامة وأجملها، وأحقاها بالحركة والحياة .

تعم الله

لقد عدد الله نعمه على البشر كافة : مؤمنهم وكافرهم ، صالحهم وطالحهم ، برهم وفاجرهم ، طائعهم وعاصيهم ، وإنها لرحمة من الله وسماحة وفضل ؛ أن يتيح للكافر والغاجر والعاصى نعمه في هذه الأرض كالمؤمن والمبار والطاتع: لعلهم يشكرون ، ويعرض هذه النعم هي أضخم مجالي الكون وأبرزها، ويضعها داخل إطار من مشاهد الوجود العظيمة: الله اللهي عَلَقَ السَّمَنُوتِ وَالْأَرْضُ وَالْوَلْ مِنْ السَّمَاءِ مَاءٌ فَأَخرَجَ بِهِ مِنَ الْغُمَرَاتِ وَلَكُ لَكُمْ وَسَعَرْ لَكُمْ الْفُلْكُ لِيَسْمِي عَلَيْ الْبَعْرِ بِأَمْرِهِ وَسَعَرْ لَكُمْ الْأَنْفِرُ ، وَسَعَرْ لَكُمْ اللَّهُ مِنْ وَالْفَرَ وَمَعْرَ لَكُمْ الْأَلْفِ وَالْفَهَارَ هَ وَقَائِكُمْ مِنْ كُلُ مَا سَأْلَتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُواْ إِنْهَى اللَّهِ لا تَحْشُوهَا إِنْ الإنسَانَ لَطُلُومٌ كُفَارٌ . (براهيم: ٣٣-٢)

وفعى إرسال الرسل نعمة تعدل تلك أو تربوا عليها : كِتُلبُ أَنزُنْنـُهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمُــٰتِ إِلَى آللُور . (إبراهيم: ١).

والنور أجلى نعم الله فى الوجود ، والنور هنا هو النور الأكبر ، النور الذى يشرق به كيان الإنسان، ويشرق به الوجود فى قلبه وحسه .. وكذلك كانت وظيفة موسى فى قومه ، ووظيفة الرسل كما بينتها السورة .

وفى قول الرسل مجتمعين : يَدَّعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ . (إبراهيم: ١٠) .

والدعوة لأجل الغفران نعمة تعدل نعمة النور ، وهى منه قريب : وفى هذا الجو يذكر وعد الله للرسل. فَأُوحَىٰ إِلَهُمْ رَبُّهِمْ لَنَهْلِكُنَّ ٱلطَّلْمِينَ ، وَلَنْسُكِيْتُكُمْ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِهِمْ . (إبراميم: ١٤،١٧) ، وهى نعمة . ويبرز السياق حقيقة زيادة النعمة بالشكر : وَإِذْ تَأَذْنَ رَبُّكُمْ فَين شَكْرُتُمْ لأَزِيدَنُكُمْ وَلَين كَفَرتُمْ إِنْ عَلَابِي لَشَمْيلًا . (إبراهيم: ٧) .

مع بيان : أن الله غنى عن الشكر وعن الشاكرين : إِن تَكَثُّوواْ أَلتُمْ وَمَن فِي ٱلأَوْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهُ لَفَيًّى حَمِيةً . (إمالهم ٨) .

ويقرر السياق: أن الإنسان في عمومه لا يشكر النعمة حق الشكر: وَإِنْ تَعُدُّواْ بِعَمْتُ ٱللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإنسَدُرُ لَطُلُومٌ كُفَّارٌ (ابراميم: ٣٤).

ولكن الذين يتدبرون آيات الله ، وتتفتح لها بصائرهم ؛ يصبرون على البأساء ويشكرون على النعماء. إنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَسْتِ لَكُنُّ صَبَّار شَكُور . (إبراهيم: ٥) .

ويتمثل الصبر والشكر في شخص إبراهيم حين يقف خاشعا ويدعو ربه عند البيت الحرام دعاء مظمنًا كله حمد وشكر، وصبر وإيمان: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِمْ رَبِّ آجَعُلُ هَذَهُ الْبَلْدَ عَامِنًا وَآجَنِيقِي وَبِينَ أَنْ نَشِهَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَ أَضْلَلُنَ كَعِيرًا مَّ النّاسِ فَهُن تَبِعَى فَإِنَّهُ بِهِي وَالْمَعَنَّمِ وَرَحْمِهِ * رَبِّنَا إِلَيْنَ خَفُورُ وَجِمِه * رَبِّنَا إِلَيْنَ أَمْلَمُ مَن خُرِيعِي وَالْمُ غَلَمُ وَالْمَعْرَمِ وَرَبَّنَا إِلَيْنَ مَلَوْمَ اللّهِ عَلَى اللّهُ مَن اللّهُ مَنْ اللّهُ مَن اللّهُ مَن اللّهُ مَن اللّهُ مَن اللّهُ مَن اللّهُ مَن اللّهُ

ولأن النعمة والشكر عليها والكفر بها تطبع جر السورة : تجيء التعبيرات والتعليقات فيها متناسقة مع هذا الجر، في قوله تعالى: إِنَّ فِي ذَّالِكُ لِآيَات لِكُلِّ صَبَّار شَكُور (إبراهيم: ه).

وقوله سبحانه : ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ . (إبراهيم: ٦) .

وفى رد الأنبياء على اعتراض المكتبين بأنهم بشر ؛ يجىء قوله سبحانه : وَلَلْكِنَّ ٱللَّهُ يَمُنَّ عَلَىٰ مَن يُشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ . (إبراهيم: ١١) .

فيبرز منة الله : تنسيقا للرد مع جو السورة كله ، جو النعمة والمنة ، والشكر والكفران ، وهكذا يتساوق التعبير اللفظى مع الفكرة العامة للسورة على طريقة التناسق الفنى في القرآن .

بِنَ إِنَّهُ أَلْحُهُمُ الْحُرَالُحُهُمُ الْحُرَالُحُهُمُ

﴿ الرَّحِتَبُ أَنْزَلْنَهُ إِلَيْكَ لِلْخَرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمُنَ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمَ إِلَى النَّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمَ إِلَى السَّمَونِ وَمَا فِ الأَرْضِ السَّمَونِ وَمَا فِ الأَرْضِ وَوَلِيلًا اللَّهِ اللَّذِينَ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللْمُنْ الللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُوالِمُ اللَّهُ اللْمُنْم

اللقر دات ،

البيطيات، الضلالات؛ فإنها ظلمات معنوية.

إلى السستسبور ، إلى الهدى ، فإنه نور معنوى يهدى إلى الحق .

بــــادن ريسهـــم، بتيسيره وتوفيقه.

إلى صــــراط ، أي : إلى طريق .

العميسية أي: أي: المحمود ، والمراد : أنه تعالى مستحق للحمد لذاته وإن لم يحمده الناس .

وويسيني: الويل: الشر والهلاك.

يست حيون، يختارون.

ويسدون عن سبيل الله، يمتعون غيرهم عن دينه الذي يوصل إلى مرضاته وثوابه.

ويبشونها عوجا ؛ أي : ويطلبونها . والضمير عائد على السبيل: فإنها مؤنثة ، أي: ويطلبون لسبيل الله العوج.

التفسيره

۱ – آلسر

حروف التنبيه بمثابة الجرس الذي يُقرع ؛ ليتنبه الناس إلى ما يلقي إليهم .

وقيل : هي حروف للتحدي والإعجاز ، ويبان : أن الفلق عاجزون عن الإتيان بمثل القرآن الكريم ، مع أنه مكون من حروف عربية ينطقون بها ، وينظمون منها كلامهم وأهاديثهم ؛ قدل ذلك : على أن القرآن ليس من صنع بشر ، ولكنه تنزيل من حكيم حميد .

كِتَنبُّ أَنزُلْنُهُ إِلَيْكَ . أي : هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد ، وهو كتاب جليل الشأن عظيم القدر .

شِخْرِجَ آلنَّاسَ مِنَ ٱلظَّلَمَـٰتَ إِلَى آلتُورِ . لكى تخرج الناس من ظلمات الكفر والضلالة ، إلى نور الإيمان والعلم والحياة الرشيدة : لما اشتمل عليه القرآن ، من المنهج السديد الذي تسعد به البشرية : كلما سلكته ، وتشقى : كلما المتعدد عنه .

بِإِذْنِ رَبِّهِمْ . أي : بتوفيقه ومشيئته وإرادته وآمره .

إِلَىٰ صِرَاطُ الْفَرِيدِ ٱلْحَمِيدِ . أى: إلى المسراط المستقيم ، وهو الطريق الذي ارتضاه الله لخلقه وبثرعه لهم، وهو العزيز الذي لا يُخالب ، المحمود في جميع أنماله وأقواله وأمره ونهيه ، وفي معنى هذه الآية قوله تعالى: هُوَ ٱلَّذِي يُزُولُ عَلَى طَهِهِ وَايَاتٍ بِيُتَاتٍ لِمُحْرِجَكُم مِّنَ ٱلظَّلُمُنَاتِ إِلَى ٱلْقُور . (المديد: ٩) .

٧- الله الله الله الله من ألسماؤات وما في الأرض وويال للكافرين مِنْ عَذَاب شديد.

أى: الله تعالى وحده هو الذى له ما فى السماوات وما فى الأرض ، ملكا وخلقا لا يشاركه فى ذلك مشارك ولا ينازعه منازع، ولفظ الجلالة قرأه الجمهور بالجرّ : على أنه بدل ، أو عطف بيان من ٱلْعَوِيْرِ ٱلْحَمِيدِ. وقرأ نافع وابن عامر : ٱللهُ ٱللّذِي لُهُ مَا فِي ٱلسَّمَوْتِ ... برفع لفظ الجلالة على الاستثناف .

وَوَيْلُ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ . أى : الهلاك والفضيحة والفسران ، ناشئ من عناب شديد للكافرين بما أنزلناه إليك ، أيها الرسول الكريم .

٣- ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيْوَةَ ٱلذُّنْيَا عَلَى ٱلآخِرَةِ ...

وصف سبحانه هوالاء الكافرين بصفات ثلاث هي :

(أ) إيثار الدنيا وشهواتها وأثامها ومويقاتها ، على الأعمال الممالحة ، التى تقرّبهم من الله زلفى ، وينسون يوما تجازى فيه كل نفس بما كسبت ، يوم يقر المره من أخيه ، وأمّه وأبيه ، وصاحبته وينيه , وقصيلته التى تؤيه ، ومن فى الأرض جميمًا . (ب) وَيَصَدُّونَ عَن سَبِلِ اللَّهِ ، يصنعون العراقيل في طريق دعوة الحق ؛ حتى يبتحد الناس عنها ، ويمنعون من تتجه عزائمهم إلى الإيمان بالله ورسوله ، من السير في طريق الإيمان ، وذلك بسبب الكثر والطفيان، الذي ران على قلويهم بما كانوا يكسبون .

(ج) وَيَتُونَهَا فِرَجًا . ويطلبون لطريق الله ودعوته وسبيله : الديل والعرج : لتوافق فجورهم ونزواتهم، وسبيل الله أبعد ما تكون عن العوج والاضطراب ؛ لأن سبيل الله صراط مستقيم قويم ، ويعض الناس يدّعى: أن أحكام القرآن وآدابه ، وتشريعاته وقوانينه ، تناسب أمة البدو العربية ، ولا تناسب الشعوب المتحضرة المتقدمة ، ونقول لهؤلاء : إن أحكام هذا القرآن ، وهدى هذه الشريعة ، غيرت وجه البسيطة ، ومستعت غير أمة أهرجت للناس ، آمنت بالله وأمرت بالمعروف ونهت عن المنكر، وكانت مضرب الأمثال في العدل وترك المورى وثلّت عروش الأكاسرة والقياصرة وامتلكت بلادهم ، إلى أن غير أهلها معالمها ، فأركسهم الله بما كمبوا ، فبدل عزهم ذلا ، وسعادتهم الله بما

ثم حكم سبحانه على الكافرين بما يستحقون فقال: أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ .

أى: أولئك الموصوفون بإيثارهم الدنيا وزهرتها ، وصدَّهم عن الدين ، وابتغاثهم له الزيغ والعوج – أولئك في ضلال بعيد عن المق ، لا يرجى لهم والمالة مذه ؛ هداية ولا رشاد .

* * *

﴿ وَمَاۤ أَرْسَلْنَامِنَ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ فَوْمِهِ - لِيُمَآ إِنَّ فَكُمْ فَيُضِلُ اللَّهُ مَن يَشَآهُ وَيَهْدِى مَن يَشَكَأَهُ وَهُوَ الْمَزِيرُ الْحَكِيمُ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَوَى يِتَايَنَيْنَآ أَتَ أَخْرِجُ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَنَ إِلَى النُّورِ وَذَكِرَهُم إِلَّتَهِم اللَّهُ إِنَ إِنَ إِلَى الْآيَنِ لِلْكُورِ صَالِحُورِ ۞ ﴾

المردات

يسلسان قومه ؛ أي : بلغة قومه .

بالسائستا، هى الآيات التسع التى أجراها الله على يد موسى عليه السلام ، وهى : الطوفان - والجراد- والقمل - والضفادع - والدم - والعصا - ويده - والسنون - ونقص من الأموال والأنفس والثمرات.

سن المطلمات، من الكفر والجهالات المشبهات للظلمات.

إلى المستمسود؛ إلى الإيمان بالله وتوحيده فهو النور الهادي إلى سواء السبيل.

وذكرهم بأيام الله ، أى : بوقائعه التى وقعت على الأمم السابقة ، يقال : فلان عالم بأيام العرب ، أى : بحروبها وملاحمها .

مسيسار شكور: كثير الصير، كثير الشكر.

التفسيره

\$ - وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُول إِلاَّ بِلسَّانِ قَوْمِهِ لِيُسَّنَ لَهُمْ ...

أى: وما أرسلنا رسولا إلى أمة من الأم، من قبلك ومن قبل قومك، إلا بلغة قومه الذين أرسلناه إليهم:
ليفهمهم ما أرسل به إليهم ، من أمره ونهيه بسهولة ويسر، ولتقوم عليهم الحجة وينقطع العنر ، وقد جاء
هذا الكتاب بلغته ، وهو يتلى عليهم فأى عذر لهم فى ألا يفقهوه ، وما الذى صدّهم عن أن يدرسوه ؛ ليطموا
ما فيه من حكم وأحكام ، وإصلاح لنظم المجتمع : ليسعدوا فى حياتهم الدنيوية والأخروية ، والنبى ﷺ ،
وإن أرسل إلى الناس جميعا ، ولفاتهم متباينة ، وأنسنتهم مختلفة ، فإرساله بلسان قومه أولى من إرساله
بلسان غيرهم ، فإذا فهم قومه الرسالة ، وعرفوا أهدافها ، أمكن ترجمة ذلك إلى غيرهم من الأمم . روى الإمام
أحمد أن رسول الله ﷺ قال : « لم يبحث الله عز وجل نبيا إلا بلغة قومه "\".

فَضِرْلُ اللَّهُ مَن يَضَاء وَيَهَوى مَن يَضَاء . أي : فبعد إرسال كل رسول بلسان قومه : ليبين لهم طريق الهداية، ويرشدهم إلى ترك الفسلال والفواية ، فيستجيب للرسل من اتبع سبيل الرساد ، وجانب أسلوب العناد، فانشرح صدره للإسلام : بهداية الله وتوفيقه ، ومن الناس من يحرض عن الهدى ، ويختار الضلال والكفر ، ومثل هزلاء يسلب الله عنهم هذاه وتوفيقه ، ويتركهم في ضلال مبين .

والعلماء في مثل الجملة كلام كثير يمكن تلخيصه فيما يأتي:

إن مداية الله غالهة ، فمن رغب في الهدى ؛ يسر الله له أسبابه ، وأعانه باللهف والتوفيق ، ومن أعرض عن الهدى ، وصدّ عن رسالات السماء ؛ سلب الله عنه الهدى وتركه في ضلال وحيرة ، وفي معنى هذه الآية قال تعالى: فِي قُلُوبِهِم مُّرِّسُ قَرْاتُهُمْ ٱللَّهُ مَرْضًا وَلُهُمْ عَلَمْاتٍ أَلْهِمٌ بِمَا كَانُواً يَكْلَيُونَ . (البقرة: ١٠).

وقال عز وجل : بَلُ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ . (المطنفين : ١٤).

ويكون معنى الآية :

يضل الله : من ران على قلبه الغواية والضلالة ، واختار الكفر على الإيمان ، ويهدى الله : من اختار الإيمان ، وسلك في طريق الهدى ، فيلهمه الله الهدى والرشاد .

وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ . فلا يغالب في مشيئته .

أَلْحَكِيمُ . في تشريعاته وبيانه ، وأوامره ونواهيه .

وَلَقَدُ أَرْسَلْنَا مُوسَى بَآيَلْتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمُلْتِ إِلَى ٱلنُّورِ ...

هذا تقريع على إرسال كل رسول بلسان قومه ؛ ليبين لهم .

والمعنى: كما أرسلناك يا محدد بلسان قومك؛ لتبين لهم ، أرسلنا موسى – عليه السلام – بآياتنا، وهى الآيات التسع: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والعصا، ويده، والسنون، والنقص من الثمرات.

أو العراد بالأيات: آيات التوراة ، ويمكن أن يراد بالآيات: ما هر أعمّ وأشمل فتشمل الآيات التسع ، وأبات التوراة .

أَنْ أَخْرِجْ قُوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ.

أى: ادع قومك إلى الايمان وترك الكفر، ويذلك تخرجهم من ظلمات الكفر وضلاله ، إلى نور الإيمان وهدايته .

وَذَكُرُهُمْ بِأَيْدُمُ اللّٰهِ . أى: ذكرهم بنعم الله عليهم ، حين نجاهم من فرعون ، وقلق بهم البحر ، وأنزل عليهم المنَّ والسلوى، وأنقذهم من فرعون وقومه : فأيام الله يراد بها : المحن التي نجًاهم الله منها ، والنعم التي أكرمهم الله يها ، أو ذكرهم بوقائع الله في القرون الأولى .

إِنَّ فِي ذَا لِكَ لَآيَاتٍ لَّكُلُّ صَبَّارٍ شَكُورٍ .

أى: إن فى ذلك التذكير بندم الله ونقمه ؛ لآيات واضحات ، ودلائل بينات على وحدانية الله تمالى وقدرته ، وعلمه وحكمته ، لكل صَبَّار فى المحنة والابتلاء ، شَكُور فى النعمة والمنحة .

جاء في تفسير ابن كثير: قال قتادة: نعم العبد عبد إذا ابتلى ! صبر، وإذا أعطى ! شكر.

وكذا جاء في المنحيح : عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن أمر المؤمن كلُّه عجِب ، لا يقضي له قضاء إلاّ كان خيرا له ، إن أصابته ضرّاء : صبر : فكان خير له ، وإن أصابته : سرًّاء ؛ شكر فكان خيرًا له ،(١٠٠٠)

* * *

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ أَذَكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنِحَىٰكُمْ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْتَ يَشُومُونَكُمْ شُوّهَ الْعَذَابِ وَيُدَّيِّمُونَ أَبْنَاهَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاةَكُمْ وَفِى ذَلِكُمْ بَلَامٌ مِّنَ زَيْكُمْ عَظِيمٌ ۞ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَهِن شَكَرَّتُهُ لَأَرْيِدَنَّكُمْ وَلَهِن كَنْمُ إِنَّ عَلَىٰهِ اللّهِ يَشَدِيدٌ ۞﴾

المقر دات ،

يسومونكم سوء المذاب؛ أي : يذيقونكم شديد العذاب .

ويستحيون نساءكم: أي : ويبقونهن أحياء فلا يقتلونهن .

بالاء من ريكم: أي: ابتلاء بمعنى: اختبار.

التفسيره

٣- وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقُوْمِهِ آذَكُرُواْ لِعِمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَلْجَنَكُمْ مَنْ عَالِهِ فَرَعَوْنَا يَسُومُو تَكُمْ سُوَءَ ٱلْعَدَابِ وَيَدْبَحُونَ إِنْمَا عَكُمْ وَيَسْمَحُمُونَ لِسَمَاءَكُمْ ... الآية .

أى: وإذكر لقومك يا محمد ، حين قال موسى لقومه : يا قوم ، تذكروا إنعام الله عليكم وفضله بكم ؛ حين أنجاكم من عذاب قوم فرعون ، حيث كانوا يذيقونكم مرّ العذاب ، ويكلفونكم من الأعمال مالا يطاق مع القهر والإندلال ، ويذبّحون أبناءكم الذكور ، ويستبقون الإناث ، نليلات مستضعفات ، وهذا من أسوإ ألوان البلايا والرزايا ، قال الشاعر:

ومن أعظم الرزء فيما أرى بقاء البنات وموت البنينا

وَفِي ذَّلِكُم يَلاَكُم مَنْ مُنْ مُعْطَمِّمُ . كان هذا امتحانا واختبارًا وابتلاءً عظيما من الله ؛ حيث اختبرهم بالبلاء حين أقاموا مع فرعون وقومه ، فذاقوا ألوان العذاب ونبحت أطفائهم ، واستبقيت إناثهم للخدمة والمذلة . والابتلاء يكون بالشّ والخير، قال تمالى: وَنَبْلُوكُم بِٱلْشَّرّ وَٱلْحَرْرِ فِيَّةٌ وَإِلَيْنَا تُرْجُعُونَ . (الأنبياء: ٣٥).

ثم اهتبرهم الله بالنجاة من فرعون ، وشق الطريق اليابس لهم في البحر ، وأنزل عليهم المن والسلوي، ورزقهم من الطيبات .

٧- وَإِذْ تَأَذُّنَ رَبُّكُمْ ...

وأى: واذكروا يا بنى إسرائيل حين آذنكم ريكم ، وأعلمكم بوعده ووعيده ، حين قال : لَهِن شَكَرْتُمْ لأَرْيَدُنُكُمْ

وشكر النعمة : استخدامها فيما خلقت له ، فمن شكر الله على النعمة ، وأخرج زكاة المال ، وحفظ شبابه وقوته من الفسوق والعصيان ، وأطاع الله واجتنب المعاصى : زاده الله نعمة التوفيق فى الدنيا ، والنجاة فى الأخرة ، وفى الحديث للشريف : « من ألهم الشكر ؛ لم يحرم الزيادة »("".

وسئل بعض المعلماء عن الشكر فقال : ألاُّ تتقوي بنعمه على معاصيه .

فحقيقة الشكر : الاعتراف للمنعم بالفضل ، وألا تستخدم النعمة في معصية الله ، وأنشد الهادي وهو يأكل :

أنسا لك رزقته لستسقسوم فسيسه بنطاعته وتشكس بسعض كأفه

فلم تشكر لنعمته ولكن قويت على معاصيه برزقه

فغص باللقمة وخنقته العبرة.

وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَلَى بِي نَشَدِيدٌ .

أى: ولئن كفرتم نعمة الله ، وجحدتم فضله عليكم ، وقد وهبكم العديد من النعم وسخٌر لكم هذا الكون، وأمدكم بمقومات الحياة ، وأرسل لكم الرسل وأنزل الكتب ، وأرشدكم إلى الطريق المستقيم ، فإذا كفرتم نعم الله ، وجحدتم فضله ، وخالفتم أمره : عثَّبكم أش العذاف .

إِنَّ عَلَالِي لَشَديدٌ . فإن الله يزيل النُّعم عن الكافرين ، وينتقم منهم في الدنيا ، ويعاقبهم في الآخرة .

قال تعالى : قَالِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهُلْ نُجَازِيَّ إِلاَّ ٱلْكُفُورَ . (سِبا: ١٧).

وفي الحديث : « إن العبد ليحرم الرزق ؛ بالذنب يصبيه »(١٥٠).

﴿ وَقَالَ مُوسَى إِن تَكْفُرُواْ أَنَمُ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَيعًا فَإِنَّ اللّهَ لَغَيْ تَجِيدُ ۞ اَلَهُ يَأْتِكُمُ نَبُوُّا ٱلَّذِيثَ مِن قَبْلِكُمْ مَقْوِمِ فُوجٍ وَعَادٍ وَثَنْمُوذٌ وَالَّذِيثَ مِنْ بَعْدِهِمْ لاَيقَلْمُهُمْ إِلَا اللّهُ جَاءَتُهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْكِيِّنَتِ فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْرِهِهِمْ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرَنَا بِمَا أَرْسِلْتُم بِهِ. وَإِنَّا لَنِي شَلِيّمِ عَامَدَ عُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ۞﴾

المفردات :

____ المداد مستوجب للحمد لذاته ، وإن لم يحمده أحد .

بالسيسيطات؛ أي: بالآيات الواضعات.

فردوا أيديهم في التواهيم: أي : ردوها ؛ لكي يعضوها في أقواههم غيظًا .

التفسير

٨- وَقَالَ مُوسَى ٓ إِن تَكُفُرواْ أَنْمُ وَمَن فِي ٱلأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَنِي حَمِيدً .

أحسُ موسى بالاستكبار والإعراض عن قومه ؛ قوجه لهم هذا القول المناسب لإعراضهم ، ومضمونه ما يأتي :

إن تعرضوا عن طريق الله وتجحدوا نعمه ، أنتم ومحكم من فى الأرض جميعا من العلائق ، فلن تضرُّوا الله شيئا ؛ لأن الله غنى عنكم ، وعن عبادتكم ، ولن يقع الضرر إلاَّ على المطالفين لله ، الهاسرين الفضله ورضوانه .

فإن الله غُبِّي. عن عباده حَمِية . مستحق للحمد من جميع المخلوقين طوعا وكرها .

قال تعالى : يَنَا لُّهُمَا ٱلنَّاسُ أَلتُمُ ٱلْفُقَرَاءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ . (هاطن: ١٥) .

وقال سبحانه : نُسَبِّحُ لُهُ ٱلسَّمَاؤَاتُ ٱلسَّمُ وَآلَأُوضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَنكِن لاَّ تَفَقَهُونَ السِّيحَهُمُ . (الإسراد: ٤٤).

ونى صحيح مسلم : أن رسول اش 義 قال فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: « يا عبادى ، لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتلى قلب رجل واحد : ما زاد ذلك فى ملكى شيئا .. إلغ الحديث "^{(١٠٠} ٩- أَلَمْ يَأْوَكُمْ نَبَواْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمٍ نُوحٍ وَعَادٍ وَتُمُودَ وَٱلَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ...

يحتمل أن يكون هذا خطابا من مرسى لقومه ، فيكون داخلا تحت التذكير بأيام الله ، ويحتمل أن يكون من كلام الله سبحانه ؛ تذكيرا لأهل مكة ، وتحذيرا لهم من مخالفة رسوله محمد ﷺ .

والمنى: ألم يأتكم يا أهل مكة خبر قوم نوح وعاد وثمود ، وغيرهم من الأمم المكذبة للرسل ، ممن لا يحصمي عددهم ، ولا يحيط بهم علما إلا الله سبحانه وتعالى .

جُمَّاءَتُهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيْسَتِ . أي : جاءتهم رسلهم بالمعجزات الظاهرة ، والآيات الباهرة ، والدلائل الواضحة في الدعوة إلى الإيمان والهدى .

فَرَدُواْ أَيْدَيْهُمْ فِي ٱلْفَرْهِهِمْ . أى : عضُوا بنان الندم ؛ غيظا مما قاله الرسل لهم ، كما قال سيحانه : عَضُّواْ عَلَيْكُمُ آلْاَنَامِلُ مِنْ ٱلْفَيْظِ . (ال عمران: ١٩١٩) .

وقال أبو عبيدة والأخفش: هو مثل ، والمراد: أنهم لم يؤمنوا ولم يجيبوا ، والعرب تقول للرجل إذا أمسك عن الجواب وسكت: قد ردّ يده في فيه ، وقيل: جعلوا أيديهم في أفواه الرسل ؛ ردًّا لقولهم .

وُقَالُوٓا ۚ إِنَّا كُفَرْنَا بِمَاۤ أُرْسِلُتُم بِهِ .

أى: نحن لا نصدائكم فيما جنتم به من دعوى الرسالة . ولا نُصَدُّقُ ما جنتم به من المعجزات والبينات.

وَإِنَّا لَفِي هَكَّ مَّمَّا لَدْعُولَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ.

أى: نحن نشك في ما جئتم به من النّبوات والشرائع ، شكًّا يوقع في الريبة والتوجّس ، فنحن كافرون بدعوتكم ، ولا نصدق بها ، وعلى الأقل نشك في حقيقة ما أنبتمونا به , أي : هو أمر غير يقيني ، فكيف تريدوننا أن نؤمن به ؟! إذا نشك في صحة نبوّتكم .

وجاء في زيدة التفسير من فتح القدير للشوكاني :

ويحتمل أنهم ادعوا على الرسل : أن لهم نيات غير ما يظهرونه ، من الحصول على الملك في أقوامهم، واكتساب الأموال والدنيا العريضة ، وأنهم قالوا ذلك ؛ لتوهين عزم الرسل وتفتير همتهم في الدعرة . ﴿ قَالَتَ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكَّ فَاطِرِ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ يَدَعُوكُمْ إِلَى فَفِر لَكُمُ مِن فَرَدُو كُمْ وَيُوَخِرَكُمْ إِلَكَ أَجَلِ مُستَى قَالُواْ إِنْ أَنْتُمْ إِلَا بَنَرُّمُ فَلْنَا تُويدُونَ فَي فَرَكُمُ وَيُوجَمُ اللّهَ يَمْدُ وَنَاعَمَا كَانَ مَنْ اللّهَ عَلَى مَن يَشَاهُ مِن عِبَادِوْ مُسلُهُمْ إِن فَنَ اللّهَ يَمُنُ عَلَى مَن يَشَاهُ مِن عِبَادِوْ وَمَاكُاكُمْ إِن فَنَ اللّهَ يَمُنُ عَلَى مَن يَشَاهُ مِن عِبَادِوْ وَمَاكَاكُ لِللّهِ اللّهِ فَلْيَتُوكَ مِنْ اللّهُ عَلَى مَن يَشَاهُ مِن عِبَادِوْ وَمَاكَاكُ اللّهَ عَلَى مَن يَشَاهُ مِن عِبَادِوْدَ وَمَاكَاكُ اللّهُ وَلَكُمْ اللّهُ وَكُنْ اللّهُ اللّهُ وَلَيْكُمُ اللّهُ وَلَيْكُمْ اللّهُ وَكُنْ اللّهُ اللّهُ وَلَيْكُمْ اللّهُ وَلَيْكُمُ وَلَا اللّهُ وَلَيْكُمْ اللّهُ وَلَيْكُمْ وَاللّهُ اللّهُ وَلَكُمْ اللّهُ وَلَيْكُمُ وَاللّهُ وَلَيْكُمُ وَاللّهُ اللّهُ وَلَكُمْ اللّهُ وَلَيْكُمُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَيْكُمُ وَاللّهُ وَلَيْكُمُ وَاللّهُ وَلَيْكُمُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَكُمْ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَكُمْ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَيْكُمُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا الللّهُ وَلَا

المقر دات ،

أف.....الله شك، الاستفهام للإنكار بمعنى: النفى، وفيه معنى التعجب.

فاطر السماوات والأرض: خالقهما على غير مثال سابق.

بسط على النفوس.

التفسيره

١٠ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي آللهِ شَكُ قَاطِر ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ ...

أى: الجهت الرسل إلى قومها ، في مناقشة هادئة ؛ لتقول لها : أفي وجود الله شك ؟! أن أفي وحدانيته وتفريه بالألومية شك ؟!

وهو فاطر السماوات والأرض ، أي : خلقهما وأبدعهما على غير مثال سابق .

ونجد هذه الدعوة إلى التفكر والتدبر ، والتأمل في الفلق والكون والسماء والأرض ، والليل والنهار والبحار والأنهار والهواء والفضاء ، قد وردت على لسان الرسل جميها .

وفنى سورة نوح يقول نوح لقومه : أَلَمْ تَرُواْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَمَعَ سَمَـُـوْتَ طِبَاقًا ، وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ لُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ، وَٱللَّهُ أَلْبَيْكُمُ مِنَ ٱلأَرْضِ بَنَاهَ ، فَيُ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُعْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ، وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ ٱلأَرْضَ بِسَاطًا ، فَنَسْلَكُواْ مِنْهَا شَيْلًا فِعَاجًا . (نوح: ١٥ - ٢٠) .

ثم قالت الرسل لقومهم :

يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُوَخِّرَكُمْ إِلَيْ أَجَلِ مُّسَمِّى.

أى: يدعوكم الله إلى الإيمان به ، ويوحدانيته وسائر صفاته وكمالاته ؛ ليخرجكم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ؛ ليغفر لكم بعض ذنويكم ، وهى الذنوب التى بين العباد ورب العباد ، أو ليسامحكم عن كفركم فيما مضى ، ويغفر لكم فى الدار الآخرة .

وَيُونَّعُرِكُمْ إِلَى اَ أَخَلِ مُستَّى . أى : أن الإيمان بالله يجعلكم في أمن وأمان : فلا يستأصلكم الله بالعذاب، كما استأصل الكافرين قبلكم ، بل يمنعكم بالطيبات واللذات إلى الموت .

قال تعالى : وَأَنْ السَّعْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمْ تُوبُواْ إِلَيْهِ يَمَتْعُكُم مَّنَاهًا حَسَنًا إِلَيْ أَجَلٍ مُّسَمَّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَعَلْمٍ كَفِلْلُهُ . (هري: ٣) .

قَالُواْ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرَّ مُثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآ وُنَا .

أى: قال الظالمون لرسلهم: إِنْ أَتُشَمُّ إِلاَّ بَشَرٌ مُقَلَنَا . فى الهيئة والصورة ، والمأكل والمنشرب ، تريدون أن تمنموننا عن عبادة الآلهة ، التى كان يعبدها آباؤننا .

فَأْتُونَا بِسُلَطَننِ مُّتِينِ . أى : قدَّموا لنا برهانا يشتمل على حجة واضحة ، ومعجزة خارقة تؤيدكم في دعوى الرسالة ، وكأن ما قدمه الرسل من المعجزات ليس كافيا في نظر المكذبين .

١١ - قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن تَحْنُ إِلا بَشَرَّمْنَلُكُمْ وَلَكِنْ ٱللَّهَ يَمُنَّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ .. الآية .

أى: قال الرسل لأممهم: نحن حقًا بشر مثلكم ، نأكل ونشرب ونسير فى الأسواق ، لكنَّ هذا لا يمنع من أن يتفضل الله على بعض عباده ، بالنبرَة والرسالة فهى منحة إلهية ، يختار الله لها من هم أهل لذلك ، ولا تنال بالكسب ولا بالعيادة .

جاء في منظومة الجوهرة للشيخ/ اللقاني :

وقد أراد الله أن تكون الرسل من جنس البشر ؛ لتكون القدوة العملية متيسّرة ، أمَّا إذا كان الرسول ملكا من الملائكة ، وخالفه المشركون ؛ أمكن القضاء عليهم مباشرة ، والله يريد أن يتمتع البشر يفرصة كافية ؛ للتأمل والتفكر وتقليب وجهات النظر ، قال تعالى : وَقَالُواْ لَوْلاَ أَنْوَلَ عَلَهُم مَلَكُ وَلَوْ أَنْوَلَنَا مَلَكَا لَقَضِيّ آلِأَمْرُ ثُمْ لاَ يُعظّرُونَ * وَلَوْ جَعَلْتُهُ مُلكًا لِجَعَلْنَهُ رَجُلاً وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِم مَا يَلْبِسُونَ . (الأنعام : ٨. ٩) .

وَمَا كَانَ لَنَا أَن تَأْتِيكُم يُسُلطَلْن إِلاَّ بِإِذْنِ ٱللَّهِ.

أما المعجزة الباهرة التى طلبتموها : فليس لنا سبيل إلى تحقيقها ؛ لأننا بشر نصل رسالة إلى الناس، والله سبحانه هو النام يوردنا إلى المعجزات إلى قومنا؛ إلا إذا كان ذلك بأمر الله وتقديره . إلا إذا كان ذلك بأمر الله وتقديره .

وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكُّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ .

ليس أمامنا إلا التركل على الله ، والاعتماد عليه وحده : فهو الشالق القادر القوى الفتّال لما يريد ، ونحن نلّجاً إليه متوكلين عليه ، أمام كفركم وعنادكم .

٧ ١ - وَمَا لَنَآ أَلاَّ نَتُوكُلُ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُهُلَنَا ...

وما يمنعنا من التوكل على الله والاعتماد عليه ، وقد هدانا إلى أقوم السبّل ، وأرشدنا إلى طريقه القويم وشرعه الحكيم .

وَلَنَصْرِّرُ ّ فَكَىٰ مَا ٓ وَافْهُمُونًا . أي : سنصير صيرًا جميلاً ، على كفركم وتطاولكم في العناد والتكذيب ، والسفه واللجاح .

وَعَلَى ٱللَّهِ فَلَيْسٌ كُلِّ ٱلْمُتُوّ كُلُونَ . أي : وعلى الله وحده فليتركل المتركلون على ربهم وخالقهم ! فهو مبعث رجانهم ومعقد آمالهم .

وقد ذكر التوكل في السياق ثلاث مرات ؛ لأنه الملجأ الذي يلجأ الهد المرسلون ، أمام عناد المكابرين: فالتوكل على الله زاد قوى الموسد متين للمؤمن ، بعد أن يؤدى ما عليه من الواجبات ، ثم يعتمد بعد ذلك على الله ؛ وأذَّجم به من سند قوى متين ! قال تعالى : وَمَن يَتُوكُلُ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهُ بَلكُلُ مَرْمٍ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلّ هُمْعُ قَدْرًا ، (الطلاق: ٣) . ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنَخْرِ حَنَّكُمْ مِّنَا أَوْلِمَا ٱلْأَيْنِ الْأَوْلَكُودُكِ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى َ إِلَيْهِمْ رَثِّهُمْ لَتُهَلِكُنَّ ٱلظَّلِلِمِينِ ۞ وَلَنْسُّكِنَا لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَكُمْ قَامِي وَخَافَ وَعِيدٍ ۞ ﴾

المضردات ،

لتحودن، لتصيرن.

مسقامسي: أي: الموقف المملوك لله ، الذي يقف به العباد بين يديه للحساب ، أو قيامه على عبده ومراقبته إياه. .

وهسيسه وعدى بعذاب الكفار والعصاة يوم القيامة .

التفسيره

٣ - وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفُرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنَحْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلْتِنَا ... الآية .

تغهيده

بعد أن أضحم الرسلُ الكفَّارَ والمشركين بالمنطق والحجة والدليل؛ لجأ الكفار إلى منطق القوة والقهر.

والمعنى: وقال الذين كغروا بالله ورسله ، لرسلهم : ليس أمامكم إلا أحد أمرين لا محالة ، إما إخراجكم من بلادنا مطرودين مقهورين ، وإما أن تعودوا إلى ملتنا ، ملة الآباء والأجداد ، وهي عبادة الأمسلام والأوثان ، وقد يسر لهم هذا الأمر أنهم كانوا كثرة ، أصحاب جاء ومال وسلطان ، وكان الرسل أصحاب الحق ودعوة الحق ، قلة ضعيفة أمام بطش الباطل وجبروته ، وقد تكرر هذا المعنى في قصة نبى الله شعيب ،

لْأُوْحَنَّ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنَهْلِكُنَّ ٱلظَّلْلِمِينَ.

أى : أعلم الله رسله قائلًا لهم : لنهلكن الظالمين ، وأكد الأمر بوسائل التوكيد ، مثل : لام القسم ، ونون التوكيد ؛ زيادة في إدخال السرور على المؤمنين ، وتثبيت قلوبهم على الحق .

وقريب من هذه الآية ما ورد من قول قوم شعيب له ولمن آمن به : تُنخرِجَنُكَ يَلشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَمَكَ مِن قَرْبُعَنَا أَوْ تَتَعُودُدُهُ فِي مُلِّيناً قَالَ أَوْلُوْ كُنَّا كَلَوْهِينَ . (الأعراف:۸۸). وقـال سبحـانه عن قـوم لوط : فمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِه إِلاَّ أَن قَالُوٓا أَخْرِجُوٓا ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرَيْبِكُمْ إِلَهُمْ أَنَاسٌ يَسَقُهُرُونَ . (النمل: ٥٠).

٤ ١ - وَلَنُسْكِنَنْكُمُ ٱلأَرْضَ مِنْ يَعْلِهِمْ قَالِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٍ .

أى: أوحى الله إلى رسله: بأن العاقبة ستكون للمؤمنين، في ميراث أرض الكافرين: تلك سنة الله تعالى في هلقه، أن يعاقب الظالمين المختبين، وأن يأخذ بيد المؤمنين العاملين.

قال تعالى: وَلَقَدْ كَتَبَّنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ ٱلذُّكِّرِ أَنَّ ٱلأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي ٱلصَّلِحُونَ . (الأنبياء: ١٠٥).

وفى سررة القصص ، ذكر الله تعالى جانبا كبيرا من قصة موسى مع فرعون ، وصدر قصة موسى فى سورة القصص بالعبرة والمغزى ، حيث قال سبحانه : رَنْرِيدُ أَنْ تُمْنَّ عَلَى ٱللَّبِينَ ٱسْتُعْبَقُواْ فِي ٱلأَرْضِ وَنَجْعَلُهُمْ أَلْمِنُّ وَنَجْعَلُهُمْ ٱلْوَارِئِينَ ٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُوِىَ قِرْعُونَ وَهَامَـٰنَ وَجُبُوهُهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يُحَدُّدُونَ . (للقصص: ٥، ٦).

وقال سيحانه : كُتُبُ آللُّهُ لِأَغْلِبَنَّ أَنَّا وَرُسُلِيَّ. (المجادلة: ٢١).

وقال عز شأنه : وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِجِاهِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ه إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنْصُورُونَ ه وَإِنَّ جَندُنَا لَهُمُ ٱلْفَلِلُمُونَ . (الصافات: ۱۷۱–۱۷۳).

وفي ختام الآية نجد قوله تعالى:

ذَالِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٍ.

أى: ذلك الذى مر بيانه من إهلاك الظالمين ، وإسكان المرّمنين أرضهم وديارهم ، أمر ثابت لكل من خاف قيامى عليه بحفظ أعماله ، ومراقبتى إياه ، وزادت خشيته من مقام ربه ، وجلال عظمته ؛ وخاف وعيدى بالحساب والعذاب للكفرة والعصاة والظالمين .

من تفسير الكشاف للزمخشري

قال الزهشرى : والمراد بالأرض فى قوله تعالى : وَلَنَسْكِتُنَكُمُ الْأَرْضَ مِنْ يَعْلِهِمْ . (إبراهيم:١٤) : أرض الظالمين رديارهم ، ونحوه : وَأَوْرَكُنَا ٱلْقُومَ ٱلَّذِينَ كَالُواْ يُسْتَطَعُونَ مَشْدُوقَ ٱلْأَرْضِ وَمُطْرَبُهَا . (الامواف: ١٣٧). وقوله تعالى : وَأُورَثُكُمْ أَرْضَهُمْ وَهِيَارَهُمْ . (الأحزاب: ٢٧) .

وعن النبي ﷺ: « من آذي جاره ؛ ورَّثه الله داره » (١٨٠).

+++

﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ حَثُلُ جَبَّادٍ عَنِيدٍ ۞ مِّن وَزَآبِهِ عَجَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَآءِ صَيدِيدٍ ۞ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيفُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمُوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيْتِ فِي وَنَ وَزَآبِهِ عَذَابُ غَلِظُ ۞ ﴾

المفردات،

واستشتحواء وطلبوا الفتح، والمرادية هنا: النصر.

وخسسايه؛ وخسر وهلك .

كل جهوار ، الجبار في اللغة : من يقهر الناس على ما يريده ، والعراد به هذا : المتكبر عن عبادة الله تعالى وطاعته ، المتعالى على رسله .

مستسيسده شديد العناد والمكابرة.

مسن ورائسه ، من خلفه أو من أمامه ، وأصل معنى وراء : ما تواري عنك قدامك أو خلفك .

ولايكاديسيفه: ولا يقارب أن يبتلعه بسهولة.

التفسيره

١٥ - وَٱسْتَغْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارِ عَنِيدٍ .

أى: والتمس الرسل من خالقهم: أن ينمسرهم على أعدائه وأعدائهم ، وأن يحكم بحكمه العادل بينهم وبين هزلاء المكتبين.

قال اين کڻين

وَٱسْتُعْتِعُوا . أي : استنصرت الرسل ربِّهَا على قومها ؛ قاله ابن عباس ومجاهد وقتاده .

وقال عبد الرحمن بن أسلم : استفتحت الأمم على أنفسها ، كما قالوا : ٱللَّهُمْ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِكَ فَأَشِولَ عَلَيْنَا حِجَازَةً مَنَّ ٱلسَّمَاءً أَرِ ٱلنِّنَا بِهَذَابِ إِلْيِمِ . (الأنفال: ٢٧) .

ويحتمل أن يكون هذا مرادًا ، وهذا مرادًا : كما أنهم استفتحوا على أنفسهم يوم بدر ، واستفتح رسول الله ﷺ واستنصر ، وقال الله تعالى للمشركين : إِنْ تُسْفِيعُواْ أَفَقَدْ جَاءَكُمُ ٱلْفَنْحُ وَإِن تَسَهُواْ أَهُوَ خُرِرٌ كُمُّ ... (الأندال: 19)، هائله أعلم (() ...

وُخَابُ كُلُّ جَبَّارٍ عَبِيدٍ . وهذه الجملة معطوفة على محذوف والتقدير : واستفتحوا فنصر الله تعالى رسله على أعداثهم .

وُ مَنَابَ كُلُّ جَنَّادٍ عَنِيدٍ . وخسر كل متكبر متجبَّر معاند للحق ، وقريب من هذه الآية قوله تعالى : أَلَّهَا في جَهَّمَ كُلُّ كَفَّادٍ عَنِيدٍ ، مُثَاعٍ لِلْمَجْرِ مُتَدِّم مُّوتِيمٌ واللَّهِ عِمَّلَ مَعَ اللَّهِ إِلَيْها عَاصُ فَالْقَياهُ فِي الْفَعَابِ الشَّهَابِدِ . (ق. ٢٢-٢٧)

١٩ - مَّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْفَىٰ مِن مَّآءِ صَديدٍ .

أى: من خلفه جهنم تنتظره بحرّها ولهيبها ، وحميمها وغسلينها.

والمبلية : هو ما يسيل من أجساد أمل النار ، وهو ماء في غاية الحرارة إذا قدّم إلههم لم يستسيغوه ، فَيُكَرّهون على شريه ، فإذا قدّم إليهم شوى وجوههم من حرارته ، وإذا شربوه قطع أمعامهم عقوية لهم ، قال تعالى : وَسُقُواْ مَاءً حُمِيمًا فَعَقْعً مُّامَعًاوُهُمْ . (محمد: ١٥) .

وقال عز شأنه : وَإِنْ يَسْتَغِيقُوا أَيْفَالُواْ بِمَاعٍ كَٱلْمُهُلِ يَشْوِي ٱلْوجُوةَ بِنْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا . (الكهف: ٢٩).

١٧ - يَتَجَرُّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيفُهُ ...

يكلُّف شريه ولا يستسبغ ذلك: لمرارته ورداءة طعمه ، ولونه وريحه ، وشدة حرارته ، لكنه يكلف أن يتجرعه جرعة بعد جرعة ، ويسقاه على الرغم من قهرًا وقسرا . روى الإمام أحمد والترمذي والنسائي والحاكم ، وصححه غيرهم : عن أبي أمامة : عن النبي ﷺ أنه قال في الآية : « يُقرِّب إليه فيتكرَّهه ؛ فإذا أُدنى منه شوى وجهه ، ووقعت فروة رأسه ، فإذا شربه قطع أمعام ، حتى يخرج من دبره » .

يقول الله تمالى : وَسُقُواْ مَآءٌ حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ . (محمد: ١٥) .

وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيَّتٍ .

أى: تأتيه أسباب الموت من كل مكان في جسمه ، فكل عضو يعنب عنابا شديدًا ، حتى أطراف شعره، وإيهام رجله .

أو المراد: تأتيه أسباب العوت من الشدائد، وأنواع العذاب في كل موضع ، والمراد: أنه يحيط به من جميع الجهات ، من قدامه ومن خلفه ، ومن فوقه ومن تحته ، وعن يمينه وشماله ، في نار جهنم ، ليس منها نرع إلا يأتيه الموت منه لو كان يموت ، لكنه لا يموت ؛

قال تعالى : وَٱلَّذِينَ كَفُرُواْ لَهُمْ نَارَ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُونُواْ وَلاَ يَخَفَّفَ عَنَهُم مِّنْ عَلَابِهَا كَلَالِكَ نَجْزِى كُلُّ تَقُورِ . (فاطن ٣٦) .

وقال سبحانه : وَلَادُواْ يَلْمَلِكُ يُقْصَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّلْكُتُونَ . (الزهري: ٧٧).

فهم مخلدون في جهنم يستقبلون في كل وقت عدابا أشد وأشق .

وُمِن وُرَآلِهِ عَلَابٌ غَلِيظٌ . أي : وله من بعد هذه الحال ، عذاب آخر مؤلم أغلظ من الذي قبله .

وعداب النار وأهوالها متفاوت في شدته ؛ فالنار دركات ، كما أن الجنة درجات ، فلا يستوى في الجزاء كافر عنيد متمرد يسعى في الأرض فسادا ، وكافر مظوب على أمره .

قال تعالى : إِنَّ ٱلْمُنْفِقِينَ فِي ٱلدُّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ . (النساء: ١٤٥) .

روى الشيخان : عن النعمان بن بشير : أن رسول الله ﷺ قال : « إن أمون أمل النار عذابا يوم القيامة، لرجل رُضِع في أَهْمَمر\" قدميه جمرة يظلى منها دماغه ير" .

﴿ مَّثُلُ الَّذِيبَ كَفَرُواْ بِرَتِهِمَّ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمِ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ ٱلْبَعِيدُ ۞ ﴾

المقردات :

مثل الذين كضرواء المثل في اللغة: بمعنى: الشبيه والنظير: كالمثل والمثيل، ويطلق على الحال والصفة التي لها شأن وفيها غرابة ، كما في هذه الآية وأمثالها مما تقدم مرارا ويأتي كثيرا.

هي يوم عاصف ، العصف : اشتداد الربح ، وصف به زمان هبويها ؛ تقوية لشدتها ، وتوكيدا ، كما وصف النهوم عاصف النهار بالصيام ، والليل بالقيام في قولهم : نهاره صائم وليله قائم ؛ لكثير الصيام والقيام.

التفسيره

١٨ - مَّقَالُ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهِ مُ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱلْمُتَدَّتْ بِهِ ٱلرَّبِيحُ فِي يَوْمِ عَاصِفٍ

كان بعض الكفار يعمل الأعمال الصالحة كصلة الرحم ، أو يتقدم للأصنام بالقرابين : طمعا في المثوبة وحسن الجزام ، ولما كانت هذه الأعمال لم تبن على إيمان سليم ، ويقين بالله الواحد الأحد ، بين القرآب: أنها أعمال باطلة ضائعة ، ذاهبة كذهاب الرباح بالرماد عند شدة هبويها .

والآية اشتملت على تشبيه بليغ ، ووجه الشبه الضياع والتفرق وعدم الانتفاع .

ومعنى الآية :

حال أعمال الذين كفروا ، في حبوطها وذهابها ، وعدم انتفاع الكافرين بها في الأخرة، كحال رماد مجتمع ، أتت عليه عاصفة ، في يوم عاصف ، فيددت الرياح هذا الرماد بددا ، ولم تبق منه شيئا .

وقريب من هذا المعنى قوله تعالى : وَقَلِمْنَا إِلَىٰ مَا عَبِلُواْ مِنْ عَمَلِ فَجَعَلَننُهُ هَبِاءً مُنفُورًا . (الفرقان: ٣٣). وقد له سدحانه : لاُ يُقْدُرُونُ مَمَّا كَسُرُوا عَلَىٰ هَيْءً.

أي: لا يقدر هؤلاء الكفار على الاستفادة بأي شيء ، من جزاء ما عملوه من خير في هذه الدنيا ؛ فقد أضاع ثواب جميع أعمالهم ، الكفرُ والشركُ بالله .

ذَالِكَ مُوَ ٱلْمُثَلِّلُ ٱلْجُعِدُ . أي : ذلك الكفر ، والإبشراك بالله ، مُوَ ٱلْمُثَلِّلُ ٱلْجَعِدُ ، أي : البالخ أقصى نهايته، والموصل بصناحيه إلى للهلاك والعذاب .

ملحق بتفسير الأية

نطق القرآن الكريم: بخلود الكافرين في النار خلودًا أبديًّا ، قال تعالى : وَمَا هُم بخُرْ حِينَ مِنَ ٱلنَّارِ (البقرة: ١٦٧).

لكن النار دركات ، وعذابها متنوع ، قال تعالى : ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تُقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخَلُواْ وَالْ هُرْعَوْنَ أَشَدّ ٱلْهَالَبِ ٤٤١. (غاض: ٤١).

وقد فهم بعض العلماء من هذه الآية وغيرها من الأحاديث الصحيحة: أن عدالة الله الكاملة، وفضله ويزّه، وكمال رحمته، تأبى أن تضيع أعمال البر للكافرين، ورأوا أن الله يخفف عنهم بعض العذاب في الأهرة، كما أنه يعجل لهم بعض الجزاء في الدنيا، واستشهدوا بقوله تعالى: فَعَن يَعْمَلُ مِقْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرُهُ وَمَن يَعْمَلُ مِقْقَالُ ذَرَّةٍ شَرًا يَرَةُ . (لازلزاد، ٧٠).

وقـال عن شـانـه : وَلَعَمَعُ ٱلْمُوَارِينَ ٱلْفِسْطَ لِيُومِ ٱلْقَيْلَمَةِ فَلاَ تُظَلَّمَ لَفُسَّ هَنِيَّا وَإِن كَانَ مِظْفَالَ حَبَّهِ مِّنْ عُودَل إِنَّيْنَا بِهَا وَتَقَفِى بِنَا حُسْسِيقٌ . (الانديباء: ٤٧) .

وقد روى البخارى ومسلم : عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ، أنه قال للنبي ﷺ : ما أغنيت عن عمك ، فإنه كان يحوطك ويغضب لك ا قال ﷺ « هو في ضحضاح من النار ، ولولا أننا : لكان في الدرك الأسفل من النار "٣٠٠).

والخلاصة : أن بعض العلماء نهب إلى أن أعمال الكافرين ، التى عملوها في وجوه الخير ؛ كالصدقة وصلة الرحم ، ينتفعون بثوابها في الدنيا ، فيكافئهم الله عليها بنعم في دار الدنيا ، ولا ثواب لهم عليها في الآخرة ؛ لأنها بنيت على غير أساس ؛ حيث كانوا كافرين أو مشركين بالله . وَمَاۤ أَمُرُوۤ أَ إِلاَّ لِيَّجُدُواْ ٱللَّهُ مُخْلِهِينَ لُهُ ٱلدِّينَ . (البينة : ه).

ويرى بعض العلماء: أنه يجوز أن يخفف الله تعالى ، عذاب بعض الكفار في الآخرة ؛ بما لهم من حسنات عملهما في الدنيا ، معتمدين على الأساس العام الذي وضعه القرآن الكريم ، وهو : العدالة التامة وحسن الجزاء ، فلا يسرّى بين كافر فاجر فاسق مفسد ، وكافر كف أذاه عن الناس ، أو ساهم في أعمال الخير والإصلاح ؛ فالأول يستحق أشد العذاب . وما دام في النار شديد وأشدّ ، وخفيف وأخف ؛ فإن الثاني يستحق تخفيف العذاب بمقدار ما قدّم من أعمال أنا ، وإلله تعالى أعلم . ﴿ أَلَوْ تَرَأَكَ اللّهَ خَلَقَ السَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأَ أَيْدُهِ بَكُمُّ وَيَأْتِ عِنْلِق جَدِيدِ ۞ وَمَاذَلِكَ عَلَ اللّهِ يَعْزِينٍ ۞ وَبَرَرُواْ لِلّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضَّمَفَتُوُّا لِلّذِينَ اسْتَكَبَرُولًا إِنَّاكُمْ اللّهُ مَنَّ الْكُمُّ تَبَعَّا فَهَلَ أَنْتُم مُّغْنُونَ عَنَّامِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَيْءٍ فَالُواْ لَوْهَدَ مَنَا اللّهُ لَمَدَ يْنَكُمُ مُّسَوَاةً عَلَيْمَا لَا جَزِعْنَا أَمْ صَبَرَنَا مَالْنَامِن مَّحِمِسٍ ۞﴾

المفردات:

يده الم أثر.

وماذاك على الله بعزيز، أي : وليس ذلك بممتنع ، فلا يصعب تحقيقه على الله تعالى .

ويبرزوا لله جميعا ، أى: ظهروا لله جميعا . والمراد: أفهم خرجوا من قبورهم ؛ لحساب الله تعالى وحكمه. مسفسلسون عسلسا ، أى: دافعون عنا ، يقال : أغنى عنه ؛ إذا دفع عنه الغسر ، وأغناه ؛ إذا وحمَّل له النفع. سواعلينا الجزعا المسيرة : أى : مستو علينا الجزع والصبير ، والجزع : حزن يصرف الإنسان عما هو بصدده .

التفسيره

١٩ - أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ بِٱلْحَقِّ .

أَلَم تعلم أيها العاقل أن الله جلت قدرته ، خَلْقَ السَّمَوُاتِ وَالْأَرْضُ بِالْحَقّ ، أى: بالحكمة البالغة المنزهة عن العبث ، ويالوجه الصحيح الذي تقتضيه إرادته ؛ ليُستدل بهذا العلق البديم المنظم على كمال القدرة ، وجلال الوحدانية ، وليتأمل الإنسان في هذا الكون ونظامه ، وما فيه من إبداع وجمال وتناسق وتكامل ، ثم يقول : رُبّنًا مَا خُلْفَتَ هَلْذَا بُلِعِلاً شُبِحُنْلَكَ . (ل عمران ١٩٠١) ، أي : لم تخلقه عبدًا ، بل خلقته بالعق .

إِنْ يَشَأُ يُلْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقِ جَلِيلٍ .

إن يشأ الله سبحانه إهلاككم أيها المكدبون : يهلككم حتى لا يبقى منكم أحد ، زَيَّاتٍ بِحَثَّلِيَ جَعِيهِ . أهو ع لله منكم ، فإن من قدر على خلق هاتيك الأجرام العظيمة ، البالغة حدًّا كبيرا في الدقة والنظام والإبداع . قادر على إهلاك الناس ، والإتيان بخلق جديد ، أطوع لله من السابقين . قال تعالى : يَنَأَيُّهَا آلنَّاسُ أَشَمَّ ٱلْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ ٱلْفَيْحُ ٱلْحَبِيدُ ﴿ إِن يَشَأَ يُذْهِبُكُمْ وَيَأْتِ بِخُلْقِ جَدِيدٍ ﴿ وَمَا قَالِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَرِينِ . (دامل: ٢٥-٧).

وقال تعالى: إنْ يَشَأُ يُلْهِبُكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِمَاخَوِينَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَالِكَ قليرًا . (النساء: ١٣٣).

إن قدرة الله صغة رجودية قديمة قائمة بذاته تعالى ، فالكون جميعه فى قبضته وفى تصرفه ، وكل شىء فى الوجود ممتثل لأمره ، قال تعالى : إِنَّ اللَّهُ عَلَىٰ كُلُ شَيْءٍ قَلِيرٌ . (البقرة: ٢٠) .

وقال سبحانه : إِنَّمَا أَمُّرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيُّنَا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ . (يس: ٨٢).

• ٢ - وَمَا ذَالِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ .

أى: وما إنهابكم، والإتيان بخلق جديد مكانكم، بممتنع على الله ولا متعسر عليه.

٧١ - وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلصَّعَفَاتُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكُمُّرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ...

أى: برزت الخلائق كلها ، برُها وفاجرها ، لله الواحد القهار ، أى: اجتمعوا له في براز من الأرض، وهو المكان الذى ليس فيه شيء ليستر أحدا ، ومعنى بروزهم لله : ظهورهم من قبورهم للحساب والجزاء ، أمام الله سبحانه وتعالى ، ولما كان هذا البروز أمرًا محققا كائنا لا محالة عبر عنه بصيغة الماضى ، كأنه وقع فعلاً ودخل في دائرة الوجود .

وهذه على طريقة القرآن الكريم في عرض مشاهد القيامة أمام المشاهد ، كأن الأمر قد وقع فعلا ، فأنت نشاهد الناس جميعا ، قد برزوا ظاهرين أمام الله ، حيث كانوا في الدنيا يستترون ويختفون خلف الجدران والأماكن ، لكنهم في عرصات القيامة يظهرون بارزين ، لا يستطيعون الاستخفاء ، ولا إخفاء أي شيء، فقد ورد في الحديث الصحيح : « يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاء" ، فهم حفاة الأقدام ، عراة الأجساد ، غرلا لم تزل قلفتهم بل حشروا كيوم ولدتهم أمهاتهم بدون ختان .

وطريقة العرض هذه تبعث الرهبة في النقوس ، حيث تشاهد المشهد أمامك ، حيث ظهرت الشلائق جميعاً ، في مكان بارز أمام الله تعالى ، لا شيء يسترهم ، ولا مكان يختبئون فيه .

فَقَالَ ٱلضَّعَفَاوُا لِلَّذِينَ آسْتَكْبُرُ وَأَ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا .

أى: قال الأتباع الضعفاء في رأيهم وفكرهم ، الذين انقادوا لسادتهم وكبرائهم في الدنيا - قال

الضعفاء للكبراء والقادة : الذين استكبروا عن عبادة الله واتّباع الرُّسل : إِنّا كُمَّا لَكُمْ تَبَعًا . أي : كنا تابعين لكم تأمريننا فنأتمر ، وتفهوننا فننتهي .

فَهَلْ أَشُومُ مُعُنُونَ عَمَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ . أي : فهل تدفعون عذا اليوم شيئا من ذلك العذاب ، كما كنتم تعدوننا وتمنوننا في الدنيا ؟!

قَالُواْ أَوْ هَذَانَا اللَّهُ لَهَدَيْدَكُمْ. أَى: لو أرشدنا الله إلى طريق الهدى ، وأضاء أنوار بصائرنا ، وأفاض علينا من توفيقه ومعونته ؛ لأرشدناكم ودعوناكم إلى الهدى ، ولكنه لم يهدنا ؛ فضالنا السبيل وأضللناكم معنا ، واخترنا لكم ما اخترناه لأنفسنا ، لو كنا نستطيم النفم لنقصنا أنفسنا !

سَوَاتَا عَلَيْمًا أَجُوْعَنَا أَمْ مَبَرُنَا مَالُنَا مِن سُحِصٍ . أي : ليس لنا مهرب ولا خلاص مما تحن فيه ، إن صبرنا أو جزعنا وتالُمنا.

روى: أنّ أهل النار قال بعضهم لبعض (٢٠٠٠: إنما أدرك أمل الجنة منازلهم : بسبب بكاثهم وتضرعهم إلى الله : تعالوا ذبك ونتضرع إلى الله ، فبكوا وتضرعوا بدون فائدة ، فقالوا : تعالوا : فإنما أدرك أهل الجنة منازلهم بالصبر ، تعالوا نصبر ، فصبروا صبرًا طويلاً فلم ينفعهم ، فعند ذلك قالوا :

سَوْآءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَالَنَا مِن مَّحِيص .

أى: مستر عندنا الجزع والهلع مما تحن فيه ، أن الصبر عليه ، وليس لنا منجى ولا مهرب من هذا. المصير المؤلم .

ونرى فى الآية جانبا من هوان الشعفاء ، وذلتهم وانكسارهم ، فهم يطلبون وسيلة ما ؛ لتخفيف بعض بعض عذاب الله .

ونجد أيضا حسرة المستكبرين وضعفهم وعجزهم ، وتصريحهم بذلك حين قالوا:

لُو هَدَانَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَكُمْ سُوّاءً عَلَيْنَا أَجُزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَالَنَا مِن مَّحِيصٍ. وفي مثل هذه الآية قوله تعالى.

وَإِذْ يَتَحَاجُونَ لِى آثَارِ فَيَقُولُ ٱلشِّعَفَّـَةُ اللَّلِينَ ٱسْتَكَبُّواۤ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلَ أَشُم مُّعُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلثَّارِ مُ قَالَ ٱللِّينَ ٱسْتَكَبُّواۤ أَبَّا كُلُّ فِيهَمَا إِنَّ ٱللَّهُ فَلَا حَكُمَ يَيْنَ ٱلْجَادِ . (علق ٤٤٥٠) . ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَا قَضِى الْأَمْرُ إِنَ اللَّهَ وَعَلَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَعَدَتُكُو فَأَخْلَفْتُكُمُّ مَّوَاكَانَلِعَلَيْكُمْ مِن سُلطَنِ إِلَّا أَن مَوْثُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لَيْ فَلا تَلُومُونِ وَلُومُوا أَنفُسَكُمُّ مَّا أَتَالِمُصَرِخِكُمْ وَمَا أَنتُديمُصرِخِكَ إِنِي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكَمُمُونِ مِن فَبَلُ إِنَّ الظَالِمِينَ لَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ أَن وَأَدْخِلَ الَّذِينَ مَامُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَنْ عَبِي مِن تَغْنِهَا أَلاَّ مَهُ حَدَلِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمَّ فَعَالَابُ الْمَن فَعِيَنُهُمْ فِهَا سَلَمُ أَنْ ﴾

لمفردات ا

القضي الأمير؛ أي: لما أحكم وفرغ منه.

وهــــداليعق ، وعدًا من حقَّه أن ينجُّر.

ف أخمه في تركم ، أي : لم أنجز وعدى لكم ، يقال : أخلف وعده ، أي : لم يبرُّ به ،

سلطان ای: تسلط.

همسير قسكيم ، أي: بمغيثكم ، من أصرخه أي: أغاثه ، يقال: استصرخه فأصرخه ، أي: استغاث به فأغاثه. بمسير قسيريً ، أي: بمغيثي .

إلسى كسفسرت بما

أشركتمون من قبل ، أى : إنى كفرت بإشراككم إياى فى الدنيا ، أوإنى كفرت بالذى أشركتمونيه ، أى : بالله تعانى . من قبل إشراككم أنتم به ، فأنا مالك مثلكم .

التفسير

٢٧ - وَقَالَ ٱلشَّيْطُانُ لَمَّا قَضِي ٓ الأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعُدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدَتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُم ... الآية .

حملت سورة إبراهيم مواقف الحوار في الحشر ، بين المستكبرين وأتباعهم ، وهذه الآية تعرض حوارًا أخر ، بين الشيطان وأتباعه ، ومزية هذا الحوار ، أنه يبعث الحياة والحركة في المشهد ، ويجعل الغائب حاضرًا، ويعرض أمام الإنسان موقفًا سيأتي يوم القيامة ، بلغة الحديث عن الماضي كأنَّه مشاهد ملمه».

وَقَالَ ٱلشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ ٱلأَمْرُ .

أى: عندما قضى الله بين عباده ، فأدخل المؤمنين الجنة ، وأسكن الكافرين الذار ، مشاهد الكنار أن الرسول قد شفع للمسلمين ، فقال الكفار : من يشفع لنا ، ما هو إلاّ إبليس الذي أُصْلُنا ، فيأتونه ويسالونه ، فعند ذلك ⁷⁰⁰ يقول هذا القول .

إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ.

أى: على ألسنة رسله بأن يبعثكم ويحاسبكم ، ويجازيكم على أعمالكم بالإحسان إحسانا ويالسوء سوءاً ، ويعد الله حق وخبره صدق ، وقد أنجز ما وعد .

وُوَعَنتُكُمْ فَأَضْلَفُكُمْ . أي : وعدتكم : أن لا جنة ولا نار ولا حساب ولا جزاه ؛ ولنن كانا فنعم الشفهم لكم الأوثان والأصنام .

فَأَخْلَقْنُكُمْ. ما وعدتكم به ، وظهر كذبي فيما قلته لكم ؛ فقد كان وعدًا باطلاً ، زخرفا وأماني خادعة.

وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَلْنٍ . أي : من قوة وتسلط ؛ تجعلني ألجئكم إلى متابعتي على الكفر والمعاصى.

إِلاَّ أَن دُعُرِّكُمُّ فَآسَعَبَشُمْ لِي . أي : ولكن بمجرد أن دعوتكم إلى الضلال ، يوسوسنى وتزيينى ؛ استجبتم لدعوتي ، واتبعتم شهوات النفوس ، وخضتم في مسالك الردى .

فَلاَ تُلُومُولِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم. أي: فلا تلوموني بسبب وعودى الكاذبة ، ولكن لوموا أنفسكم ، فإنكم تقبلتم هذه الوعود الكاذبة ، بدون تفكر أن تأمل ، وأعرضتم عن الحق الواضح الذي جاءكم من ربكم .

مَّا أَنَا بِمُمْرِخِكُمْ وَمَا أَلْتُم بِمُصْرِخِيُّ . أي : بمغيثكم مما أنتم فيه من العذاب والنكال ، وما أنتم بمغيثي مما أنا فيه من العذاب والنكال : فقد انقطعت بيننا الأواصر والصلات ، والشيطان هنا يتبرأ من أتباعه ، ويلقى التبعة عليهم : حتى بيأسوا من نصره لهم ؛ لأنه لا يستطيع نصر نفسه ، فكيف يستطيع أن ينصرهم.

إِنَّى كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكُتُونِ مِن قَبْلُ . أي : إنى برأت اليوم من إشراككم إياى مع الله فى الدنيا ، حيث أطعتمونى فى الشرّ، كما يطاع الله فى الخير ، كأنى معبود معه ، ونظير هذا قوله تعالى : وَيَرْمَ ٱلْقِيْسَمَةِ يَكُفُّرُونَ بشركِكُمْ . (فاطن ١٤) . وذرى أن الشيطان قد قدّم للكافرين ، سلسلة من المعلومات تقصم ظهورهم ، وتضاعف عليهم الحسرات والمصائف :

١- أوضع لهم : أن مواعيده التي وعدهم بها في الدنيا كانت باطلة ، معارضة لوعد الحق سبحانه .

٧- أوضع لهم : أنهم قبلوا ما لا يتفق مع العقل .

٣-- لم يكن قوله إلاّ مجرد دعوة خالية عن البرهان .

عليهم أن يلوموا أنفسهم ، فقد اختاروا الباطل المحض .

٥- لا نصر عنده ولا إغاثة فهو مثلهم في بالأء وهيرة.

٣- أعلن : أنه كفر يمن أشركه في العبادة وأطاعه .

وفي ختام الآية :

إِنَّ ٱلطَّالِمِينَ لَهُمْ عَلَابٌ أَلِيمٌ .

وهى تقرر حقيقة ثابتة ، بأن جزاء النظام ؛ العذاب الأليم فى الأخرة ، ويحتمل أن تكون هذه الجملة من كلام الشيطان يقرر حقيقة واقعة أمام أتباعه ، تضاعف عليهم الحسرات واليأس والإحباط ، جزاءً وفاقا لما عملوه فى دنياهم ، وإنما حكى الله عنه ذلك ؛ لتكون بمثابة الإنذار المبكّر لهؤلاء الظالمين ؛ حتى يثوبوا إلى رشدهم .

ويحتمل أن تكون هذه الجملة ، حكاية لرد الله سبحانه وتعالى على الشيطان وأتباعه جميعا ، تابعين كانوا أو متبوعين – أى : إن الظالمين لهم منا عناب أليم ، فلا ينفعهم فى ذلك اليوم الندم ، ولا إلقاء بعضهم التبعة على بعض .

ولما كان هذا جزاء الظالمين ، من حسرات متتابعة ، قابل القرآن بين موقفهم وموقف المؤمنين ، على طريقة القرآن الفَذَة في الجمع بين الأصّداد . فقال سبحانه وتعالى :

٣٣- وَأُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَلتِ جَنَّلتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَلرُ ...

أى: أدخل الله تحالى فى ذلك الهوم العظيم المؤمنين الصالحين ، جنات ويساتين يانعة تجرى الأنهار من تحت أشجارها وقصورها : زيادة فى البهجة وحسن المنظر .

خَلْلِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبَّهِمْ . أي : ماكثين فيها أبدًا ، خالدين فيها خلودًا أبديا ، نعيمهم دائم سرمدي لا ينقطع.

بِاذْتَرْ رَبِّهِمْ، بأمر الله وفضله ، وهو أمر نافذ لا يردُه أحد ، ويفضله الذي لا حدُ له ، الذي يتفضل به على المرّمنين فيضاعف لهم الثواب ، رحمة منه وفضلا .

روى البخارى فى صحيحه : أن رسول الله ﷺ قال : « لن يُدخِل أحدًا عملُه الجنة » ، قالوا : ولا أنت ينا رسول الله ؟! قال : « ولا أننا : إلا أن يتغمننى الله بغضله ورحمته ، فسددوا وقاربوا ، ولا يتعنين أحدكم الموج: إ إما محسنا فلعله أن يزداد خيرا ، وإما مسيئا فلعله أن يُستعتب » أ^{مم} .

ومعنى يستعتب: يتوب ويندم ويستغفر.

تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَمٌ .

أى: تحيتهم في الجنة : سلام ، بمعنى : أمان وتحية ، وهى : تحية الله لهم ، وتحية الملائكة لهم ، وتحية المؤمنين بعضهم لبعض .

قال تعالى : سَلَنْمُ قَوْلاً مِّن رَّبُّ رَّحِيمٍ . (يس: ٥٨) .

وقال سبحانه : تَحِيُّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقُونَهُ سَلَمٌ . (الأحزاب: ٤٤) .

كما أن الملائكة تحيى المؤمنين بالسلام في الجنة ، قال تعالى : وَٱلْمَلَّذِيكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمٍ مِّن كُلِّ بَابٍ • سَلَنامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبِّرُتُمْ قِيْفِمُ عَقْنِي ٱلدَّالِ (الرعد: ٢٣) .

وقال تعالى : حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَلُتِيحَتْ أَبْرَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ مَوْلِتُهَا سَلَدُمٌ عَلَيْكُمْ طِيثُمْ فَآدَخُلُوهَا مُخلِدِينَ . (النهن ٧٣) .

* * *

﴿ أَلَمْ تَرَكَيْفَ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كِلْمَةَ طَيِّبَةً كَشَجَرَةِ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِثُ وَقَرْعُهَا فِى السَّمَاءِ ۞ تُوْقِ أَكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّها ۖ وَيَغْرِبُ اللَّهُ ٱلأَمْثَالُ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُ مُرْيَنَذَكَرُونَ ۞﴾

المفردات،

أثم تــــــــر، الخطاب هذا لكل ذى عقل يحسن فهم الخطاب ، والاستفهام هذا للتقرير بالعلم ، والمعنى: أثم تعلم . صُرب الله مشلاء المثل: الصفة العجيبة، وضرب المثل: تبيينه ووضعه في المكان اللائق به.

كلمة طيبة: المراديها هنا: كلمة الترحيد.

تؤتى اكلهاكل حين ، تعطى شمرها في كل وقت.

التفسيره

٢٤ - أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَكَلاً كَلِمَةً طَيَّةً كَشَجَرَةٍ طَيَّبَةٍ أَصْلُهَا قَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَاءِ.

ذكر سبحانه وتعالى فيما سبق : عقوبة الظالمين ، وجزاء المؤمنين ، وهنا خسرب لذلك مثلا حسيا ملموسًا فيه تشبيه للمعنويات بالملموسات ، والخطاب في الأية للرسول ﷺ ، أو لكل من يتأتى منه الخطاب.

والمعنى: ألم تر أيها المشاطب ، كيف اختار الله تعالى مثلا ، ووضعه فى موضعه اللائق يه والمناسب له ، وهذا المثل لكلمتى الإيمان والكفر.

فكلمة الإيمان والتوحيد في الإسلام ، وهي : شهادة ألا لا إله إلا الله ، أصلها ثابت متين ، معتمد على الإيمان بالله ، وصدق التوحيد ، والإخلاص له ، وتثمر أعمالا صالحة من الصلاة والصيام والحج والجهاد ، وسائر آداب الإسلام في العبادات والمعاملات .

شبُّه الله كلمة الترحيد بشجرة طيبة مثمرة هى : النظلة ، أصلها ثابت فى الأرض لا تزعزعه الرياح ، وفرعها متجه إلى السماء ، فهر عال رشيق مثمر .

٣٥- تُوْفِي أَكُلَهَا كُلُّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبَّهَا ...

فالنخلة لا تضن بثمارها في أي وقت من الأوقات ، ويؤكل البلح ليلا ونهازًا ، صيفًا وشتاءً ، ويؤكل منه الجمار والبلح والبسر والرطب والتمر ، وكل نتاج النظلة خير ويركة ، وهي كقلب المؤمن لا تجف ً صيفاً ولاشتاء .

وكذلك الإيمان في قلب المؤمن ثابت كجذور النخلة ، وأعمال المؤمن تصعد إلى السماء : إلّه يَضْمَلُهُ الْطُيّبُ وَالْمَمَلُ الْمَسْئِحُ يُوفَّقُهُ . (فاطن ١٠) ، والإيمان يؤتي ثماره في كل حين وأن ، من الأعمال الصالحة، والجهاد ، والذكر ، والصدفة ، وصلة الرجم ، ونشر العلم ، وأداء العبادات والمعاملات ، وكذلك النخلة أو كل شجرة مثمرة نافعة ، تؤتي أكلها وثمارها كل وقت وأن ، بإذلاز رُبّها ، أي : بأمره ومشيئته ، حيث شاء أن ينتفع الناس بهذه الثمار في كل حين .

وَيَصْرِبُ ٱللَّهُ ٱلأَمْشَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعَذَّكُرُونَ .

حتم الله ماتين الأبتين ببيان الحكمة من ضرب الأمثال في القرآن الكريم ، وهي : الحث على التفكر والتفكر والتفكر والتفكر والتفكر والتفكر من التفوس بها أكثر ، فهي تخرج المعنى من مذهبي المعنى من من من يقم بالفكر إلى ما يعلم بالحس والطبع ، وفيها تقريب للبعيد ، وتقرير للقريب ، وإبراز المعانى المحسوسة .

في أعقاب تفسير الآيتين :

المراد بالشجرة الطيبة عن جمهور المفسرين: النخلة ، وقيل · هي كل شجرة مثمرة طبية الثمار والمناقب المراد بالشجرة الطبية: النخلة: والمنطق والمناقب عن رسول الله 義婦 .

* * *

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِينَةِ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَادِ ۞ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱلْقَرْلِ ٱلثَّابِيفِ ٱلْحَيْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَفِ ٱلْآخِرَةً وَيُضِلُ ٱلتَّهُ ٱلظَّيٰلِينِ كَيْفَعُلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۞﴾

المطردات،

اجستسثت؛ قطعت واستوصلت.

مسن قسرار : من ثبات في الأرض .

بالقول الثابت: بكلمة التوحيد.

التفسير،

٧٦ - وَمَثِلُ كَلِمَةٍ خَبِيقَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيقة آجَتُكُتُ مِن فُوقِ ٱلأَرْضِ مَالَهَا مِن قَرَادٍ

أي، وصفة كلمة خبيثة ، هي: كلمة الكفر والشرق وكل فساد ؛ كشجرة خبيثة ، لا قرار ثابت لها ، فهي كالمنظل وكل نبات لا ثمر له ، ولا يرجى منه خير .

آجُسُّتُ مِن فَرْقِ آلاَر ص أي: اقتلعت جلتها وهيئتها ، من فوق الأرض : لقوب عروقها وجذورها من سطح الأرض .

مَالَهَا مِن قُرَار .

أي: ليس لهذه الشجرة أصل ثابت ، ولا فرع صناعد ، وكذلك الكافر ، لا خير فيه ، لا يصعد له قول طيب، ولا عمل صالح: لأنه لا إيمان عنده ، فهذا وجه تشبيه الكافر بالشجرة الغبيثة .

الشجرة الخبيثة

هى شجرة طعمها مر كالمنظل ، وليس لها ثمر ، وليس لها أساس ثابت ، وقيل : شجرة الشوك، وقيل: كل شجر لا يطيب له ثمر ، وقيل : هي شجرة لم تخلق على الأرض .

وقال ابن عطية: الظاهر أن التشبيه وقع بشجرة غير معينة ، جامعة لتلك الأوصاف التي وصفها الله بها.

والخلاصة: أن كلام المؤمنين نافع مفيد، أساسه قوى متين، وأهدافه ساهية، وثماره نافعة متعددة، وكلم الأشقياء وأصحاب الشهوات والنفوس الضعيفة ، باطل لا أساس له ، ولا ثمار ، أشبه بالحنظل أن بالأشجار العبيثة التي لا نفع فيها ولا فائدة .

٧٧- يُجَّتُ ٱللَّهُ ٱللَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقُولِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلآخِرَةِ ... الآية .

هذا من نضل الله ونعمائه على المؤمنين ، الذين استقر الإيمان في قلويهم ، فهزلاء يمدّهم الله بعونه وتثبيته : فلا تغريهم الفتلة ، ولا المال ولا المنصب ولا الجاه ، ولا يؤثرون الدنيا على الأخرة .

انظر إلى بلال وصهيب وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ ، وانظر إلى الدعاة والهداة والألمة في التاريخ القديم والحديث ، مؤلاء جميعا ثبتهم الله على الدين والإيمان ، والترحيد في الحياة الدنيا .

وَهِيْ ٱلْآَخِرَةِ . عند خروج الروح ، وعند سؤال القبر ، وعند البعث والحشر والحساب ، والميزان والصراط، في هذه المواقف يثبتهم الله على الإيمان ، وعلى شهادة : ألا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ﷺ ، كما ورد في الحديث الصحوح . (") .

ومن هذا التقبيت: أن روحه تخرج على التوحيد ، وأنه يُسأل في قبره فيقول : الله ربّى ، والإسلام ديني، ومحمد رسولي ، ثم يفتح له في قبره باب إلى الجنة .

وَيُصِلُّ ٱللَّهُ ٱلطُّلْمِينَ ؛ لأنهم اختاروا الضلال على الهدى ، ومالوا مع شهوات النفس ، وآثروا العاجلة على الأجلة ، قال تعالى: فَأَمَّا مَن طَغَيْه وَ وَعَاثَرُ ٱلْحَيْرَةُ ٱللَّذِيّاءَ فَإِلنَّ ٱلْجُحِيمَ هِي ٱلْمُأْوَىٰ. (النازعات: ٣٧-٣١). وَيَقَعُلُ آللُهُ مَا يُشَاءُ . من تثبيت المؤمنين : جزاء ثباتهم على إيمانهم ، ومن إضلال الكافرين : جزاء ضلالهم وكفرهم ، فلا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة ، وله الحكم فى الأولى والآخرة ، لا معقب لأمره ، ولا رادُ لقضائه ، ومن مشيئته : تثبيت المؤمنين ومثوبتهم ، وخذلان أهل الكفار وعقابهم . وَلاَ يَظْلُمُ رَبُّكَ أَصْدًا . (الكيف: 14).

قال تعالى: وَنَفْسٍ وَمَا سُوَّاهَا هَ فَٱلْهُمَهَا فُجُورَهَا وَتَقُوْاهَا هَ قَدْ ٱلْلَيْحَ مَن زُكَّاهَا ه وَقَدْ خَابَ مَن دُسُّاهَا. (الشعس ٧ - ١٠)

من هدى السنية

روى الشيخان: أن رسول الله ﷺ قال: « المسلم إذا سئل في القبر: يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا: رسول الله، فذلك قوله تعالى: يُشِّبُ ٱللَّهُ ٱلْفِينَ عَاشُواْ بِٱلْقُولِ ٱلثَّابِ فِي ٱلْحَيَّوْةِ ٱلدُّابُ وَفِي ٱلْخِيرَةِ مِنْ ﴿

وأخرج الشيخان "" وغيرهما: أن رسول الله ﷺ قال: ه إن العبد إذا وضع في قبره وتربَّى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعائهم إذا انصرفوا – أتاه ملكان فيقعدانه ، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد – ﷺ – فأما المرمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار أبدك الله به مقعدًا من الجنر أو المتافق فيقول: لا أدرى كنت أقول كما يقول الناس! فيقال: لا دريت ولا تليت! ثم يضرب بمطرقة من حديد ، ضربة بين أذنيه ؛ فيصحح صبحة فيسمعها من يليه إلا التقلين "".

من زبدة التفسير من فتح القدير للشوكاني :

يُئِبَّتُ ٱللَّهُ ٱلْلِينَ ءَاصَّوْ أَبِٱلْقَرْلِ ٱلْفَابِّتِ . وهي : الكلمة الطبية المنقدم ذكرهـًا : كلمة الطهادة « شهادة ألا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله » ، وسائر الكلام الحقّ ، فإن الآخذين بها يدرمون على القول الثابت .

في الْحَجَرُةِ اللَّمُنَا وَفِي الْآخِرَةِ . وقت المساءلة في القبر ويوم القيامة ، والمراد : أنهم إذا سئلوا عن معتقدهم ودينهم ، أوضحوا ذلك بالقول الثابت من دون تلعثم ، ولا تردد ولا جهل ، كما يقول من لم يوفق : لا أدرى ؛ فيقال له : لا دريت ولا تليت .

وَيُسِيلُ آلَكُ ٱلطَّلِمِينَ . أى : يضلهم عن حجتهم فلا يقدرون على التكلم بها فى قبورهم ولا عند الحساب٣٠ ﴿ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللّهِ كَفُرًا وَأَحَلُواْ فَوَمَهُمْ دَارَالْبُوارِ ۞ جَهَمَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَسَرَارُ ۞ وَجَمَلُوالِيّهِ أَندَادًا لِيُضِلُواْ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَنَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمُ إِلَى النَّادِ ۞ قُل لِعِبَادِى الَّذِينَ ءَاسَوْلُ يُقِبِمُواْ الصَّلَاةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَدَّفَنَهُمْ سِرَّاوَ مَكَرِينَةً مِن قَبْلِ أَن يَأْتِي يَوَمُّ لَابَيْحٌ فِيهِ وَلَاخِلَالُ ۞ ﴾

المفردات:

كيسط سراء كفن النعمة : جحدها .

دار السبيسوار ؛ دار الهلاك ، ويطلق البوار أيضًا على : الكساد .

وينشن النصرار ، ويئس المستقر .

أتسمسدادا عمم ند ، وهو : المثل والنظير .

مصيركــــم، مرجعكم.

لابيع هيه، لا فدية فيه.

و لا عسسسلال : الفلال معتاه : المغالة وهي : الموادة ، أن جمع خليل ، وهو الصديق ، أن جمع خلة ، يضم الغام وتشديد اللام مفتوحة ، وهي : الصداقة .

التفسير

٧٨ – أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدُّلُواْ يِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفُرا ... الآية .

الخطاب هنا مرجه إلى النبي ﷺ ، أو إلى كل من يصلح للخطاب ، مقصود به : التعجيب من صنع هؤلاء الكفار. والحمى : ألم تنظر إلى الذين بدلوا شكر نعمة الله عليهم ، فجعلوا مكانه كفرا عظيما .

والراد بهم : أمل مكة ، مكن الله لهم خرما آمنا ، يجبى إليه ثمرات كلّ شيء ، ويسر لهم رحلة الشتاء والصيف ، ودعاهم : إلى عبادة رب البيت الحرام ، وأرسل لهم نبيا منهم يعرفون نسبه وصدقه ، وأنزل علبه كتابا فيه مجدهم وصلاحهم ، وإنقائهم من براثن الكفر والشرك ، إلى نور الإيمان والتوحيد ، لكنهم بدلا من أن يشكروا الله على هذه النعمة ، فيؤمنوا برسوله ويتبعوا هديه ، قابلوا هذه النعمة بالكفر ، والإصرار على عبادة الأوثان ، ومحاربة محد ي ، ومن آمن به . رَأَحُلُواْ قَوْمُهُمْ ذَارَ ٱلْرَوَاوِ . وأُوْدُلُوا قومهم ومن أَطاعهم من أَمل مكة ، دار البوار والهلاك ، حيث قتلوا في غزية بدر ، وعدد من الغزوات حتى فتحت مكة ، وتعرضوا للهوان والهلاك .

والبوار : الفساد والهلاك ، الذي أنزلوه بأقوامهم ويأنفسهم ، كما قال تعالى في شأن فرعون : يَقَدُمُ فُوْمُهُ يُومُ ٱلْفَيْسَةِ فُأَوْرَكُهُمُ ٱلنَّرُ وَفِيسُ آلُورُهُ ٱلْمُؤرُودُ . (هديد ٩٨).

ثم بين الله دار البوار فقال:

٢٩ - جَهَنَّمَ (١٠٠٠) يَصْلُونَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ .

أى: إن دار البوار هي: جهنم ، يصطلون بحرها ؛ من صليت اللحم ؛ أصليه ؛ إذا شويته .

وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ .

ويئس المستقرُّ والإقامة هي ؛ لمن أراد الله به النكال والويال .

٣٠- وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لَيْضِلُّواْ عَن سَهِلِهِ ...

أى: اتخذوا لله الواحد الأحد ، الفرد الصعد ، أندادًا وبشركاء من الأصنام والأوثان ، أشركوهم به في العبادة .

تُّلْعِبْلُواْ عَن سَبِطِهِ . ليوقعوا قومهم فى الضلال ، ولاخروج عن سبيل الله وهو التوحيد ، بما زينوه لهم من شرك وافتراء .

وهذا عمل السادة المتبوعين من سدنة الأوثان وسدنة المذاهب الضالة(٥٠٠١

قُلْ تَمَثُّواْ أَفِانْ مُوسِرَكُمْ إِلَى آلْتَارِ . أي : تلذذوا بالمعاصى والشهوات ، التي تماديتم فيها ؛ فقد قابلتم النعمة بالكفر بدل الشكر ، وأغريتم الأتباع بالضلال وعبادة الأوثان والأصنام !

لَمُونَّ مَصِيرَ كُمُّ إِلَى آثَنَارٍ . أى : افعلوا ما بدا لكم ، فإن عاقبتكم جهنم ويئس القرار ؛ إذا لم تقلعوا عن غيكم وكفركم.

وهذا الأسلوب يراد به : التحذير ، كما يقول الطبيب لمريض يستهين بأوامره : تمتع بالأكل كما تشاه: فإن مصيرك الموت ! وكما يقول الحاكم لمن عصاه : افعل ما شئت : فإن مصيرك حبل المشنقة !

قال الشوكاني :

قُلْ تَمَتَّعُوا . بما أنتم فيه من الشهوات ، ويما زينته لكم أنفسكم من كفران النَّعم .

فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ .

أي: مرجعكم إليها ليس إلاً ، كأنه قيل: فإن دمتم على ذلك ؛ فإن مصيركم إلى النار. ا هـ.

وشبيه بهذه الآية قوله تعالى: قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفُولَةَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَلْبِ ٱلنَّارِ. (الزمن ٨).

وقوله تعالى : نُمَتُّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ مَضْطَرُهُمْ إِلَىٰ عَلَابٍ غَلِيظٍ . (لقمان: ٢٤) .

٣١- قُلِ لِّعِبَادِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوْةَ ...

من طبيعة القرآن الكريم المراوحة في الحديث ، والتنقل بين الحديث عن الكافرين ، وتوجيه الخطاب إلى المؤمنين .

والمعنى: قل يا محمد لعبادي ، الذين استجابوا لدعوة ربهم:

يُقِيمُواُ ٱلْمُلَزَةَ . يحافظوا على إقامة الصلاة في أوقاتها ، مع خشوعها وخضوعها وحضور القلب فيها، وإتمام أركانها ؛ حتى تؤدّى دورها في إصلاح الفرد والمجتمع .

وَيُتِهْفُواْ مِمَّا رَزُقْتَهُمْ مِرًّا وَعَلَائِلَةً . ويقدموا للفقراء والمساكين والمحتاجين ، جانبا من المال الذي استخلفهم الله فيه ، سواء أكان على وجه الصدقة فالإسرار فيه أفضل ، أم كان على وجه الزكاة فالإعلان فيه أفضل .

مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِي يَوْمٌ لا يَنْعٌ فِيهِ وَلا خِلْل .

أى: يقيموا للصلاة والعبادة ، والزكاة والصدقات فى هذه الدنيا ، من قبل أن يجىء يوم القيامة ففى هذا البوم لا يستطيع المقصرُ فى العمل أن يفدى نفسه ، بالبيع والشراء ، ولا يستطيع الخليل أن ينقذ خليله من أهوال هذا البوم ؛ لأن العملة الوحيدة فى ذلك اليوم هى العمل الصالح ، الذى قدّمه الإنسان فى دنياه .

وهى هذا المعنى يقول الله تبارك وتحالى: يَنْلَيُّهَا ٱلْلِينَ ءَاشُورًا أَفِقُواْ مِمَّا رَزَقَتْنَكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِي بُومٌ لاَّ يُتِجْ فِيهِ وَلاَ خُلَةٌ وَلا شَفْسَعَةٌ وَٱلْكَلِهُونَ مُمُ ٱلطَّلِهُونَ. (البقرة: ٢٥٤).

وعلى لسان إبراهيم الخليل يقول سبحانه : وَلاَ تَخْزِلِي يُوْمُ يَتَخُونَ * يُوْمَ لاَ يَنفُعُ مَالٌّ وَلاَ بُنُونَ * إِلاَّ مَن أَتَى آللَّهُ يَقَلْبٍ صَلِيمٍ . (الشعراء: ٧٧–٨٩) . ﴿ اللّهُ الّذِي خَلَقَ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَا اَهُ فَأَخْرَجَ بِهِ عِنَ الشَّمَاتِ مَا السَّمَاءِ مَا الشَّمَاتِ مَا الشَّمَاتِ رِزْقَا لَكُمُّ وَسَخَرَلَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِوَ الْ وَسَخَرَلَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِوَ وَسَخَرَلَكُمُ الْفَالَ الْمُلْكَ لِتَجْرِي فِي الْبَحْرِ وَالْمَارَقَ وَسَخَرَلَكُمُ الْقَلَ وَالنَّهَارَ اللهِ اللَّهُ مُوانِعَمْ اللهِ اللَّهُ اللهِ اللَّهُ اللهِ اللَّهُ اللهِ اللَّهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الله

المفردات:

وأنزل من السماء : كل ماعلا الإنسان فأظله ؛ فهو سماء. والمراديه هذا : السجاب .

رزق أو ينتفع به .

وسخر تكم الفلك ، أى: يسر الفلك لإرادتكم ، والفلك يسكون اللام : السفينة . يستعمل في الواحد ؛ فيذكر ، وفي الجمع : فيزنث .

والمسسسبين، في حركة دائمة لا يفتران. يقال: دأب في عمله دأبا، ويحرك: جدُّ فيه.

لا تقعمى وها ؛ لا تقدرون على حصرها وعدها ، والإحصاء فى الأصل : العد بالحصى ، ثم أطلق على العد مطلقاً .

ظلم المساسوم و الخالم شديد الظلم ، يقال : ظلم ، يظلم ، ظلما ، من باب ضرب فهر ظالم وظلوم ، والظلم : وضم الشيء في غير محله .

المستفسسان ؛ جاحد النعمة . يقال : كفر النعمة ، وكفر بالنعمة : جحدها .

التفسيره

٣٧ - ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَا وَاتِ وَٱلأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً ... الآية .

تعدد هذه الآيات جانبا من معم الله على خلقه ، وكأنها ترد على الكافرين المعاندين : إذ تقدّمُ أدلة ملموسة. يراما الأعمى والبصير ، والصغير والكبير ، والأمّى والمتعلم ، فمن هذه النعم ما يأتي :

١- ٱللهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ.

فهو سبحانه خلقهما على غير مثال سابق، وأوجد في السماء الأجرام العلوية، من نجوم وكواكب، ومجرات

ومظوقات تسبح بدقة عجيبة وترتيب بديع ، كما بسطالله الأرض وأنزل إليها الأمطار ، ويسُّر لها الأنهار والبحار، والجبال والهواء والفضاء ؛ حتى يعيش عليها النبات والحيوان والإنسان ، وحتى يعمر الكون ويتكامل .

٢ - وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً .

وهذا الداء هو أساس الحياة ، يشرب منه الإنسان والحيوان والزرع ، ويطون الوديان والأفلاج .

لْأَشْرَعَ بِهِ مِنَ ٱلْمُعَرَاتِ رِزَّلًا لَكُمْ . أي : أخرج بماء المطر أنواع النباتات والثمار : حتى يأكل منها الإنسان والحدوان ، قال تعالى : وَجَعَلْنًا مِنَ ٱلْمَاءِ كُلُّ شَيْءٌ حَيِّ ، (الأنبياء: ٣٠) .

٣- وَسَخْرَ ٱلْقُلْكَ لِتَجْرِى فِي ٱلْيَحْرِ بِأَمْرِهِ ...

أى: ذلل الله لكم السفن ، ويسر لكم استعمالها ؛ فصارت تجرى على شاطئ الماء ، بإذن الله وتيسيره ، الذي قدر قوانين الهواء والفضاء والماء ، والطفو على وجه الماء ، قال تعالى : وَلَهُ ٱلْحَوَّارِ ٱلْهُنشَـَّاتُ فِي ٱلْبَحْرِ كَالاَّعْلَامِ . (الرحمن: ٢٤) .

أى : ويفضل الله سخر السفن التي تجرى في البحر ، كالجبال العالية ناشئة على سطح الماء جارية عليه بنضل الله .

3 - وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلأَنْهَارَ .

أى : ذلل لكم الأنهار : تشربون منها وتسقون زروعكم ودوابكم ، وتشقون منها أنهارًا تسيرونها وفق إرادتكم، كنهر النيل ، والفرات وغيرهما .

٣٣ - وَسَخُرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَالِيِّينِ .

٥- سخر الله لكم الشمس والقمر دائمين في إصلاح ما يصلحان من الأبدان والنبات وغيرهما ، وهما دائمين
 في مكانهما بدون اضطراب أو اختلال ، ولا يقتران عن ذلك ما دامت الدنيا .

٦- وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْيُلَ وَٱلنَّهَارَ .

أى: جملهما متعاقبين يأتى أحدهما وراء الأخر، فالليل جعله الله سكنا ونومًا وهدوءًا وراحة ، والنهار جعله الله سبيلا للحركة والتياة ، والتجارة ، والزراعة ، والدُّراسة ، والقيام بسائر أنواع الحرف وفنون المعاش ، ولا غنى للناس عنهما ، ولو استمر للليل ؛ لتعطلت مصالح الناس ، ولو استمر النهار ؛ لضاق الناس بالحياة والحركة. قال تعالى : وَمِنْ عَايَنتِهِ مَنَامُكُم بِأَلَيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَآلِتِفَا أَرُّكُم مِّن فَعَظْلِهِ ... (الروم: ٢٣) .

وقول: التَحَمُدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَاتِ وَٱلَّوْرَ . (الأنعام: ١).

\$ ٣- وَءَاتَلْكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ...

٧- وأعطاكم من كل ما سألتموه ، أي : أعطاكم بعضا من جميع ما سألتموه إيداه من نعم ، أو أعطاكم من
 كل ما سألتموه ومالم تسألوه ، فحذف الثاني : لدلالة الأول عليه ، ونظيره : سُرائيلُ تَقِيحُمُ ٱلْحَرُّ . (النحل: ٨١) ، أي:
 والبرد.

وقرئ بتنرین کل ً: رالمعنی علی هذه القراءة : أعطاكم الله من كل شیء ابتداءً ؛ بدون سؤال منكم ، علی أن مًا نافية ، أي : أعطاكم من كل شیء ، حال كرينكم غير سائليه .

وَإِنْ تَعَدُّواْ يِغْمَتَ ٱللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا ..

٨- أندم الله عليكم نعما جمة لا تعدّ ولا تحصى؛ فهلا استعتدم بها على الطاعة ، وشكرتم الله عليها ، والشعدة وعدم الإشراك به ، وفي صحيح البخاري: أن رسول الله ﷺ كان يقول : «اللهم، لك الحمد غير مكنى ولا مردّ م ولا مستفنى عنه ربنا » : فهو سبحانه لم يكف غيره ، بل هو يكفى غيره .

ولا مودّع: غير متروك حمده.

ولا مستغنى عنه ربنا : فهو الذي يحتاج إليه الخلق .

قال الشوكاني في فتح القدير:

وَإِنْ تَكُدُّرُ أِيفَمَّتُ ٱللَّهِ لاَ تُحْصُرُهَا . لا تطبقوا إحصاءها ، يوجه من الوجوه ، ولو رام فرد من أفراد العبادة ، أن يحصى ما أندم الله به عليه ، في خلق عضو من أعضائه ، أو حاسة من حواسه ، لم يقدر على ذلك قطّ ، فكيف بما عدا ذلك من النَّم ، في جميع ما خلقه الله في بدنه ، والندم الواصلة إليه في كل وقت ، على تنرعها واختلاف أجذاسها ، اللهم ، إنا نشكرك على كل نعمة أنعمت بها علهنا ، مما لا يعلمه إلا أنث "" أ.

إِنَّ ٱلإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ .

هناك وجهان في تفسير هذه الآية .

الوجه الأول : المراد بالإنسان : الكافر الذي عبد غير الله ، أي : أن الإنسان الكافر الذي عبد غير الله ، لظلوم لنفسه : بإغفاله لشكر من أنمم عليه . كُفَّارٌ. شديد الكفر الله حيث عبد غيره ، وسجد للوثن والصنم ، مم أن المستحق بالعبادة هو الله تعالى .

والوجه الثاني: المراد من الإنسان: جنس الإنسان، ومن الكفر: كفر النعمة؛ بالتقصير في شكرها.

والمعنى : إن الانسان لا يُقدِّر ندم الله عليه ، وهى لا تحمى ، فتراه عظيم الظلم لنفسه ، شديد الكفران لنعم ريّه ، فهو دائم الانتفاع بها ، والتقسير فى أداه شكرها ، ووضعها فى غير موضعها ، ولى أنصف نفسه ، وعرف حق ريّه ، لاستدام شكره ، والوفاء بحقّه جلّ وعلالا¹⁰ ،

* * *

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَهِ مِهُ رَبِّ اَجْعَلْ هَذَا الْلِمَلَدَ اَلِمَا وَأَجْسُبَى وَيَنِيَّ أَن نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ

وَ رَبِّ إِنَّهُ الْمَالَلُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَن تَبِعَنى فَإِنَّهُ مِنِيَّ وَمَنْ عَصَافِى فَإِنَّكَ عَفُورٌ لَّ رَبِيا إِنَّهُ أَضَلَلْ كَثِيرًا مِن النَّاسِ فَن تَبِعَنى فَإِنَّهُ مِنْ وَمَنْ عَصَافِى فَإِنَّكَ عَفُورٌ لَرَّحِيدٌ فَلَ عَندينيك المُحَرَّم رَبَّنا لِيَعِيمُوا الصَلَوة فَاجْعَلَ افْشِدَة مِن النَّيسِ بَهُوي التَهِمْ وَارْدُقهُم مِن النَّمَرُتِ لَيْعَلَمُ مَن النَّمَرُتِ لَعَلَهُمْ مِنْ النَّمَرُتِ لَعَلَهُمْ مِنْ النَّمَرُتِ لَيْعَلَمُ مَا نَعْفِى وَمَا نَعْلِلُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي النَّهُمْ وَالنَّهُ مِن النَّهُ مِن شَيْءٍ فِي النَّهُ مِنْ وَلَا لَهُ لَا اللَّهُ مِن النَّهُ مِن النَّهُ مِن النَّهُ اللَّهُ مِن النَّهُ مِن النَّهُ مِن اللَّهُ مِن النَّهُ مِن النَّهُ مِن اللَّهُ مِن النَّهُ مِن اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللْهُ مِنْ اللَّهُ مِن اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِن اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِنْ اللْهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللْهُ مِنْ اللْهُ مِنْ اللْهُ مِنْ اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِنْ اللْهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللْهُ مِنْ الْهُ مِنْ اللْهُ مِن اللْهُ مِنْ الْمُنْعُمُ اللْهُ مِنْ الْمُنْفَالِلُونَ اللْهُ مِنْ اللْهُ مِنْ اللْهُ مِنْ

المقرداتء

السيسلسد، مكة المكرمة.

تنهدوى السيهم، تسرع اليهم شوقًا وحُبًّا. يقال: هوى إليه يَهْوِي مُويًّا بضم الهاء : إذا أسرع في السُير. مسافسفسف، ما نضمر ونستر. يقال: أخفيت الشيء: سترته، وخفي الشيء: استرت أو ظهر ضد. ومسافسعسلسن، وما نظهر. يقال: علن الأمر من باب: قعد، ظهر، وأعلنته: أظهرته.

لتفسيره

٥٠٠ - وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ - آجْعَلْ هَنْذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ... الآية .

رأى بعض المفسرين: أن ذكر جانب من قصة إبراهيم هذا ، كمثال للكلمة الطبية ، التي تثمر الخبر في كل وقت: لقصد الدعاء إلى الترحيد .

والمضى: وانكر أيها الرسول لقومك : هير إبراهيم ، أو انكر أيها المفاطب : قصة إبراهيم ، حين أسكن ولده إسماعيل وأمّّ ، وادى مكة ، ولم يكن بها زرع ولا ماء ، وكانت هاجر جارية قبطية ، تملكها سارة زرجة إبراهيم ، فأهدتها سارة إلى إبراهيم ، فتسرَّى بها ، وأنجب منها فى شيخوخته ولده البكر : إسماعيل ، وملكت الغيرة سارة : فناشدت زوجها أن يخرجها من عندها ، فذهب إبراهيم بهاجر وإسماعيل إلى أرض مكة ، ووضعهما هناك ، ووضع عندهما جرابا فيه تمر ، وسقاءً فيه ما ء ، ثم قفل راجعا ، فتبعته ثم إسماعيل ، فقالت : يا إبراهيم ، أين تنهب وتتركنا؟ بهذا الوادى الذى لا أنيس فيه ولا شيء ؟! قالت له ذلك مرازاً ، وهو لا يلتغت إليها ، فقالت له : ءآلله أمرك بهذا ؟! قال : نم ! قالت : إذا لا يضيعنا ، ثم رجعت .

وانطلق إبراهيم عليه السلام ، حتى إذا كان عند الثنية ، حيث لا يريانه ، استقبل البيت بوجهه ، وكان إذ ذاك مرتفعا من الأرض كالرابية ، ثم دعا رافعا يديه فقال : رُبُّمَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن دُرَّبِي بِوَادٍ ضَرِّ ذِى زُرْعٍ . . إلى قوله: كَفُلُهُمْ يُشَكُّرُ وَ . (١٠٠٠)

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ آجَعُلُ هَلَنَا آلْبُلَدُ ءَامِنًا . أي : واذكر أيها النبي ، وقت قول إبراهيم لريه ، بعد أن أسكن إسماعيل وأمه وادى مكة : رُبُّ آجَعُلُ هَلْنَا آلْبُلَدُ عَامِنًا . أي : ياربُ ، اجعل مكة بلدًا ذا أمن ؛ حتى يأمن أهله على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، وقد أجاب الله دعاء إبراهيم فجعل مكة حربًا آمناً .

وَآجَيْنِي رَبِينَيَ أَن نَشِيَّهُ آلاَصْنَامَ . أي : باعدني يارب ، أنا وأبنائي عن عبادة الأصنام ، وقبتنا على التوحيد، وقد استجاب الله دعوته ، في بعض بنيه دون بعض ، ولا ضير في ذلك ، وقد ورد هذا الدعني في قوله سبحانه: قَالَ إِلَي جَاعِلُكُ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذَرِيِّي قَالَ لاَ يَتَالُ عَهْدِي ٱلطَّلِيوِينَ . (البقرة: ١٢٤).

٣٦- رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مَّنَ ٱلنَّاسِ ...

أي: يارب، إن الأصنام أضلت كثيرا من الناس ، أي: كانت سببا في إضلال كثير من الناس ؛ بسبب الفتنة وإغراء الكبار للصغار ، فنسبة الإضلال للأصنام مجازية : لأن الأصنام أحجار لا تعقل ، لكن وضعها وإغراء سدنتها بعبارتها : أضات الناس ، كما تقول : فتنته الدنيا وأضائته ، وهو إضا فُتن وضلً سببها ، ثم أدرك إبراهيم بقطرته ، أن بنيه سوف ينقسمون بعده ، إلى موحدين ومشركين : ولذلك أظهر لربّه أنه لا يستحق الانتساب إليه , إلاً من لتُبعه على ملة التوحيد ، فقال :

فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ.

أى: فمن تبعنى على ملة التوحيد، وشايعني فى دينى وعقيدتى؛ فإنه يصير بهذا الاتباع من أمل دينى ، وهو دين الإسلام ، ومن عصانى ولم يقبل الدخول فى الدين الحق ؛ فإنى أفوض أمره إليك ، وأنت أهل للمففرة والتربه؛ لمن عن الشرك قبل موته .

قال مقاتل وابن حيًّان : المعنى : ومن عصائي فيما دون الشرك : فإنك غفور رحيم .

٣٧ - زَّبْسَا إِنِّي أَسْكُنتُ مِن فُرِّيْتِي بِوَادٍ غَيْرٍ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ...

عندما ترك إبراهم ماجر ، وابنها إسماعيل ، وهو رضيح : ليقيما في وادئ مكة ، وليس بمكة في ذلك الوقت نرع ولا ماء ، ثم اتجه إبراهيم إلى ربّه – وقلبه يتحرق إشفاقا على زوجته وابنه – فقال :

رَّبُّنَا إِلَىٰ أَشْكَنتُ مِن ذُرَّبْسِي بِوَادٍ غَيْرٍ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ .

أى: ربنا إنى استجابة لأمرك: إسكنت بعض ذريتي ، بواد لا ماء فيه ولا زرع ، عند المكان الذي أعدته لبيتك المحرم ، رغبة في جوار بيتك ، وأملا في رعايتك ونضلك لهم .

رُّمَّنَا لِقِيْمُواْ ٱلمَّسَلُوْةَ . أَى: أسكنتهم يجوار بيتك المحرم : ليتفرغوا الإقامة المسلاة في جوار بيتك ، وليعمروه بذكرك وطاعتك ، ودلت هذه الآية : أن المسلاة بمكة أفضل من المسلاة في غيرها .

قال رسول الله ﷺ : «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد ، إلاَّ المسجد الحرام، ومعلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة صلاقه ١٠٠٠ .

فَأَجْعَلُ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ.

أى: حرّك الرغبة فى قلوب بعض الناس ، من المؤمنين ؛ لتشتاق لزيارة هذا البيت ، وقد استجاب الله أيضا لهذه الدعوة ، وإنك لترى عجبا فى موسم الحج ، وفى شهر رمضان ، بل وفى سائر شهور العام ؛ منات وآلاف من الناس ، يقدمون معتمرين وحاجّين وزائرين ، وطائفين وراكمين وساجدين ، ومعتكفين بهذا البيت العتيق ، وقد استقر فى قلوبهم الإيمان والتبتل ، وغاهر على وجوههم الصلاح وسهما العبادة .

وَ آزُرُ قُهُم مِّنَ ٱلنُّمُرَاتِ لَعَلَّهُمْ يُشْكُرُونَ .

أى. وارزق من تركتهم وديعة في جوار بيتك ، من الثمرات المختلفة ما يغنيهم ويشبعهم ؛ لعلهم بهذا العطاء الجزيل ؛ يزدادون شكرا لك ، ومسارعة في طاعتك وعبادتك .

وقد استجاب الله دعاء إبراهيم فجعل البيت الحرام حرما آمنا ، تجبى إليه ثمرات كل شيء ؛ رزقا من لدنه .

وترى فى البيت الحرام ، وحوله فى مكة أم القرى أعجوبة الأعاجيب ، وهى اجتماع الغواكه المغتلفة الأزمان، من الربيعية والصيفية والضريفية والشنوية فى يوم واحد ، ويجودة متميزة ، وكثرة كافية ، فى بلد غير ذى زرع ، وتجبى إليه الثمار من الشرق والغرب: ليصبح من أغنى البلاد بالثمار والخيرات ، وسائر صنوف النعم.

ولقد كان من آثار دعوة إبراهيم عليه السلام ، أنَّ هاجر عندما نقد الماء منها ، ورأت رضيعها يتلوي من العمل ، من البشر ، وكررت ذلك سبع العملي ، ومن البشر ، وكررت ذلك سبع مرات ، وجعل ذلك من مناسك المبع : تخليدا لذكري هاجر ، ثم أرسل الله ملاكا ، فحفر عند زمزم حتى ظهر الماء ؛ فشريت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تضافى الضيعة ، فإن هاهنا بيت الله ، يبنيه هذا الفلام وأبوه ، وأن الله لن يضيك أهله ، ثم إنّه مرت بهم رفقة من قبيلة جرهم ؛ فقالوا لأم إسماعيل : أشركينا في مائك ؛ نشركك في أثباننا : فقعات ، فلما أدرك إسماعيل عليه السلام زيّجويه امرأة منهم .

وقد زار إبراهيم عليه السلام ولده إسماعيل ، فوجده قد خرج للصيد ، ووجد زوجته شاكية متبرَّمة بالحياة معه ، فقال لها: إذا جاء إسماعيل : قولى له : الشيخ يقرنك : السلام ، ويطلب منك أن تغيَّر عتبة الدار : فقال إسماعيل هذا أبى وقد أمرنى أن أطلقك : فطلقها إسماعيل وتزوج امرأة أخرى ، ولما زاره إبراهيم وجد زوجة راضية قائمة مؤمنة، فقال لها : قولى لإسماعيل : ثبُّت عتبة الدار ، فقال لها إسماعيل : ذلك أبى وقد أمرنى ألا أطلقك "" أ.

٣٨- زَبُّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا تُحْفِي وَمَا نُعْلِنُ ...

إنك يا الله سميع عليم ، تعلم السّر والنجوى : تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ، تعلم كل أحوالنا ، لا يخفى عليك شىء منها : فتعلم ما نخفيه ونستره ، وتعلم ما نظهره ، فكل ذلك عندك فى العلم سواء .

وذهب ابن عباس ، ومقاتل في تفسير هذه الجملة : تعلم جميع ما ألحفيه وما أعلنه ، من الوجد بإسماعيل وأمّه ، حيث أسكنتهما بوك غير ذي زرح .

وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلأَرْضِ وَلا فِي ٱلسَّمَاءِ.

أنت يا إلهي ، لا يخفى عليك شيء من الأشياء، سواء أكان هذا الشيء في الأرض ، أم في السماء ، أم في غيرهما ، وإنما ذكر السماء والأرض لمشاهدتهما ، وإلا فعلم الله سبحانه ، محيدً يكل ما في هذا الكون . ﴿ ٱلْحَمْدُلِيَّةِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِيعَلَى ٱلْكِبْرِ إِسْمَعِيلَ وَ إِسْحَقَّ إِنَّ رَقِي لَسَعِيعُ ٱلدُّعَآ رَبِّ ٱجْمَلِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوْةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيَّ رَبَّسَا وَتَقَبَّلُ دُعَكَ عِنْ رَبِّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلَوْلِذَى وَلِلْمُقَّمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ شَ

لمطرداتء

وهب لي على الكبر: رزقني مع تقدمي في السن.

إنك سميع الشهاء؛ أي : إنك مجيب دعاءً من دعاك .

التفسيره

٣٩ - ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَنْقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَاءِ .

الشكر لله تعالى والثناء الجميل له عز شأنه ؛ حيث منحنى الولد على كبر سنّى ، ويأسى من أن يكون لى ولد، ومع هذا الضعف والكبر استجاب دعائى ، ورزقنى إسماعيل وإسحاق ، إن ربى متغضل باستماع دعائى ، وإجابة سؤالى ، وفى هذا المعنى يقول الحق سبحانه ، وَإِذَا سَأَلْكَ عِبَادِى عَنَّى قَإِنِّى قَوِيبٌ أَحِيبُ دُعُوةٌ آللَاعٍ إِذَا دَهَائِهِ فَلْمُسْتِصِدُوا لِي وَلَوْلِمِنُوا فِي كَفَلُهُمْ يُرْضُلُونَ . (البقرية ، ١٨٦) .

ولم يحدد القرآن عمرًا لإبراهيم عندما رزق بولديه ، لكن أفاد : أنه كان شيخا كبيرا ، وعندما بَشُرت الملائكُ زوجته سارة بالولد والحفيد ؛ تعجبت من كبر سنها ، وكبر سن زوجها .

قال ابن عباس : ولد له إسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة ، وإسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة ١٠٠١.

قال تعالى: وَٱمْرَأَتُهُ قَاتِمَةٌ فَعَمَجِكَتْ فَيَشْرَلُهَا بِإِسْحَلَقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَلَقَ يَعْضُوبَ ٥ قَالَتْ يُلْوَيُلْتَنِجَ ءَالِلْهُ وَأَنَّا عَجُوزُ وَهَلْمَا يَقْلِي هُلِيَّةً إِنَّهُ هُلِمَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ . (هوي: ٧٠، ٧٧) .

٤ - رَبِّ آجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلْؤةِ وَمِن ذُرَيَّتِي ...

نلمح هنا عبادة إبراهيم خليل الرحمان ، وتقريه من ريه بالدعاء ، والمحب ، والذكر ، والتبتيل ، إلنَّ إِنْرَاهِيمَ لأَدُّانُّ خَلِيمٌّ . (التوبة: ١١٤) ، فهو دائم الرجوع إلى الله والتضرع إليه مع الحلم والأناة ، وفي هذه الآية يدعر ربه قائلا: رُبُّ آجَعَلْنِي مُقِيمٌ ٱلصَّلَوْةِ . وفقنى لأداء الصلاة في أوقاتها ، والمحافظة على خشوعها وخضوعها وإقامة أركانها : فهي رسيلة المناداة والمناجاة ، وسبيل الإيمان وذكر الرحمان ، وهي تفسل النفس من الداخل بالتوية والذكر والطهارة ، وإذلك كانت وسيلة إلى البعد عن الفحشاء والمنكر : لأن من عرف ريه وناجاه في صلاته : سكب الشفى قلب المتأمورات ولجتناب المنهيات .

وقد كان إبراهيم أمة في رجل ؛ فهو أبو الأنبياء ، وقد امتدت دعوته إلى الصالحين من ذريته ، فقال :

وَمِن ذُرُبُّتِي . أَى : ولجعل من ذريتي من يقيم الصلاة ، وقد وصف الله عباد الرحمان بقوله : وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رُبَّنَا هَبُ لَنَا مِن أَزْوَاجِنًا وَذُرَّبُّتِنا قُرَّةً أَغْيِنَ رُآجَعَلْنَا لِمُشْقِرَ إِمَانًا . (الفرقان: ٧٤).

وقد خص إبراهيم بعض ذريته بالدعاء ، فقال : رُحِرُ ذُرِّتُهِي ، أي : ويعض ذريتي : لأنه علم من استقرائه عادة الله في الأمم السابقة ، أن يكون في ذريته من لا يقيم الصلاة .

انظر إلى قوله تعالى : رَبُّنَا وَآجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِمَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لُكَ . (البقرة: ١٢٨) .

إن عدالة الله تأبى أن تحابى نبيا أو رسولا ، وإنما يكافئ المحسن أيا كان موقعه أو نسبه ، ويعاقب المسىء مهما كانت قرابته أو نسبته ، وَلاَ يَطْلِمُ رَئِكُ أَخَلًا . (الكيف: ٤٩) .

رُبُنَا وَلَقَبُّلُ ثُحَاءٍ . أي : يا رب تقبل دعائى ، وأجب دعائى وتبطى ، أو تقبل عبادتى ، أو هما معا ، تقبل دعائى حين أدعوك ، وعبادتى حين أعبدك ، وارزقنى الإخلاص والقبول والتوفيق .

١ ٤ - رَبُّنَا آغْفِرْ لِي وَلُوَ الدِّي وَلِلْمُؤْمِنِينَ يُوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ .

أى: اغفر لى يارب ما فرط منّى من الذنوب ، أو من عمل خلاف الأولى ، أو من الغفلة عن عبادتك ، واغفر لأبى وأمى .

قيل : كانت أمه مؤمنة : لأن الله ذكر عذره واستغفاره لأبيه دون أمّة حين قال سبحانه : وَمَا كَانَ ٱسْعِفْقَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِهِ إِلاَّ عَن مُوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ لَلْمَا تَبْيَنُ لَهُ أَلَّهُ عَلَى لِلَّهِ لَبَرَاهِ مِنْ إِنْهِ الْقِيمَةِ . (العربة: ١١٤)

وامتد دعاء إبراهيم الخليل ليشمل جميع المؤمنين والمؤمنات ؛ فقال :

وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ .

أى : واغفر لجميع المرَّمنين والمرَّمنات جميعا ، من ذريقى وغيرهم ، حينما يقومون للحساب والجزاء يرم القيامة ، وتلك دعوة وشفاعة منه لجميع المرَّمنين ، نرجو أن يتقبلها الله رب العالمين .

﴿ وَلَا تَحْسَبَ اللَّهَ عَنْفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤْمِّمُ لِيَوْمِ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَارُ (اللَّهُ مُهُطِعِينَ مُقْنِعِينُ مُ وسِبِمَ لاَ يَرْنَدُ إِلَيْهِمْ طَرُفُهُمُّ وَأَقْدَنُهُمْ هَوَا مُ اللَّهُ

المفردات:

تشخص هيه الأبسار: تكون فيه أيصار أهل الموقف مفتوحة لا تطرف. يقال: شخص البصر إذا ارتفع , ويتعدى بنفسه ، فيقال: شخص الرجل بصره : إذا فتح عينيه لا يطرف.

مسهسطسعون ، مسرعين ؛ من أهملع في عدوه ؛ إذا أسرع .

مقت عي رءوسهم ، رافعيها من إدامة النظر لا يلتفتون إلى شيء ، يقال : أقنع رأسه : رفعه .

لا ورتد إليهم طرفهم ، الطرف: الدين ، ولا يجمع ؛ لأنه في الأصل مصدر ، والمراد : لا ترجع إليهم أجفانهم التي تحتها الدين بل نظل مقتوحة .

وأهمت المعهم همواء ، أي : وقلوبهم خالية لا يشغلها سوى الخوف .

التفسيره

٢ ٤ - وَلاَ تَحْسَبَنُ ٱللَّهَ غَلِهِلاً عَمَّا يَعْمَلُ ٱلطَّلِلمُونَ ... الآية .

الخطاب منا للرسول 攤، والمراد: أمته ، أن كل من يتأتى من الخطاب ، وفي هذه الآية تسلية للرسول 攤 وللمؤمنين ، وتهديد روعيد لمشركي مكة ، ولجميع الظالمين .

قال ميمون بن مهران : هذا وعيد للظالم وتعزية للمظلوم .

أى: لا تحسين إمهال الظالم لفترة ما يسبب غفلة الله عنه ، بل سنة الله إمهال العصاة فى هذه الدنيا ، لعلهم يتريون أن يرجعون ، وفى الآية تعديد ووعيد لكل ظالم ، أى : لا تغتر بإمهالى لك ، ولا تظنن أنك أفلتُ من عقابى ؛ فإن هذا المقاب سيكرن يوم الجزاء .

إِنَّمَا يُؤْخِّرُهُمْ لِيُوْمِ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلأَبْصَلُ .

إن الله يُرْجل عقوبة الظالمين إلى يوم القيامة ، فإذا شاهدوا هول الموقف ؛ شخصت أبصارهم ، أى : بقيت مفترحة ، لا تتحرك أجفائها ولا حدقاتها .

قَالَ ابن عباس: تشخص أبصار الخلائق يومئذ؛ الشدة الحيرة ، أي: تبقى مفتوحة لا تطرف.

٣٧ - مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ

أي: مسرعين إلى الداع بذلة واستكانة ، كما يسرع الأسير والخائف.

مُقْبِعِي رُءُو سِهِمْ . أي : رافعيها مع دوام النظر ، من غير الثفات إلى شيء .

لا يُرَبُّدُ إِلَيْهِمُ طُرُقُهُمْ . أي: لا يرجع إليهم تحريك أجفانهم : كما كانوا يفعلون في الدنيا في كل لحظة ، بل تيقى أعينهم مقتوحة لا تطرف من شدة الفزع والفوف .

وُ ٱلْفَنْتُهُمُ هُوّاءٌ . أَى : إنها مضطرية تبيش في صدورهم ، تجيء وتذهب ، ولا تستقر في مكان حتى تبلغ الحذاجر : لشدة ما يرون من هول موقف الحساب .

* * *

﴿ وَانْدِرِ النّاسَ يَوْمَ يَأْنِهِمُ الْمَذَابُ فَيُقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُواْرَيَّنَا آخِرُنَا إِلَّنَ أَحَلِ فَرِبِ

يُّحِبُ دَعْوَتَكَ وَنَشَجِ الرُّسُلُّ أَوَلَمْ تَكُوثُواْ أَقْسَمْتُم مِّن فَبْلُ مَالَكُمُ مِّن
زَوَالٍ ۞ وَسَكَنَتُمْ فِي مَسْكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّرَ لَكُمُ الْأَمْثَ الَّيْ فَالْمُواْ أَنفُسَهُمْ وَيَبَدَّلَهِ
كَيْفَ فَمَكُنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَ الْكُمُ الْأَمْثُ الَّقِي وَقَدْ مَكُولُمَ مَكْرُهُمْ وَعِنداللّهِ
مَكُرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكُرُهُمْ وَيَنداللّهِ
مَكُرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكُمُ الْأَمْثُ الْوَلْ مِنْهُ ٱلْجِيالُ ۞ ﴾

المفردات ،

يوم يأتيهم العداب: يوم القيامة.

أخردًا إلى أجل قريب: أعدنا إلى الدنيا وأمهلنا إلى أجل قريب.

مالكم من زوال: أي : مالكم من بعث ونشور.

التفسيره

\$ \$ - وَأَنْلِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَلَابُ ...

تأتى هذه الآيات على طريقة القرآن الفدَّة الملفتة للنظر، بعرض مشاهد القيامة ماثلة أمام العيان، وتلحظ

فيها مواثق الحساب والجزاء ، وهيئة الظالمين يرجون أن يعودوا إلى الدنيا لوقت قصير ؛ حتى يفعلوا ما أهملوه في الدنيا ، وهو إجابة دعوة الله واتباع الرسل ، لكن يجيبهم الله بالتبكيت والثنكير بما فعلوه في الدنيا .

وَأَنلِهِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ .

أى: بلُّغ الناس جميعا: أهوال الموقف، حين يأتي للظالمين العذاب الذي يستحقونه.

فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخَرْنَا إِلَىٰ أَجَلِ قَرِيبٍ تُعِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتْبِعِ ٱلرُّسُلّ ...

أي: عند رؤية عناب الأخرة : يقول الظالمون : يارينا أعدنا ، إلى الحياة مرة أهرى ، وأخر أعمارنا وحسابنا إلى وقت قريب : حتى نستطيع أن نستجيب إلى دعوة الله ، بالدخول فى الإسلام وأن نتبع الرسل فى كل ما أمرونا به ، وأن نتدارك ما فرطنا فيه من أعمال فى الدنيا .

أَوْلَمْ تَكُولُواْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَالَكُم مِّن زَوَالي.

القرآن هنا يخاطب الظالمين ، وينتقل المشهد أمام القارئ ؛ فالظالم يعتدر ويطلب الإمهال ، والقرآن يعرض مشهد الردّ عليه حالاً ، بدون أن يقول : فيقال لهم : أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَفْسَمُهُم . فيعطى للقارئ انطباعًا بأن المشهد حاضر، وأن النقاش أمامه حالا ، وأن الجواب بالرفض والردع سيكون جزاء الظالمين ، ويهذا يتنبه الظالم الآن ، قبل فوات الأوان .

لقد أقسم الكفار أكثر من مرة على أنه لا بعث ولا جزاء ، ولا حشر ولا حساب ، وإنما هى الحياة الدنيا ، ثم يدفنون فى القبر ، دون بعث أو حشر أو حساب أو جزاء ، وهنا يلتفت القرآن إليهم فيقول : أَوَلَمُ تَكُونُواۤ أَقَسَمُتُم مِّن قَبَلُ مَالكُمُ مِّن زَوْالْمِ .

إنكم جابهتم الرسل بتكذيبهم ، وقلتم : مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا ٱللَّذِيا نَمُوتُ وَنَحْيًا وَمَا يَهْلِكُنَا إِلاَّ ٱللَّهْرُ . (الجالية. ٢٤).

وتأكيدًا لكلامكم ؛ أقسمتم عليه من قبل وقلتم : مَالَكُم مِّن زُو الرر.

والزوال: الانتقال من مكان إلى آخر ، أو من حال إلى حال ، والمراد هنا : انتقالهم من قبورهم إلى الحساب يوم القيامة ، فتقول لهم الملائكة على سبيل التوبيخ والتبكيت : أولم تكونوا تقسمون بالأيمان المغلظة في الدنيا : بأنكم بعد موتكم ، ستيقون في قبوركم إلى أن تبلى أجسامكم ، وأنه ليس بعد ذلك من يعث ولا حساب ، ولا ثواب ولا عقار ٢٠٠١ .

وقريب من هذه الآية قوله تعالى:

حَثَيْنَ إِذَا جَنَّهَ أَخَدَهُمُ ٱلْمُوْتَ قَالَ رَبَّ آرْجِعونِ • لَعَلَّى أَغْمَلُ صَلِحًا فِيمَا تَرَكُتُ كُلَّ إِلَهَا كَلِمَهُ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَحُ إِلَىٰ يَوْم يُشَعُونَ . (الدينون: ٩٩. ١٠٠).

وقوله سبحانه : وَأَنْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهَةَ أَيْمَنْهِمْ لاَ يَنْمَتُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلْيَ وَعَدًا عَلَيْهِ خَفَّا وَلَلْكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُعْلَمُونَ • لِنَيْنَ لَهُمُ ٱللَّذِي يُطْتِلُونَ فِيهِ وَلِيْغُلَمِ اللَّذِي كَشَرْوًا أَلْهُمْ كَالُواْ كَلْبِينَ . (النحل: ٢٩.٣٨).

ه ٤- وَسَكَنعُمْ فِي مَسَاكِن ٱلَّذِينَ ظَلَمُوۤا أَنفُسَهُمْ ...

أى: أتمتم فى مساكن الذين كفروا من الأمم الشالية ، أن حللتم فى ديارهم ، وقتا يكفى للاتعاظ والاعتبار، وكان كفار قريش يمرون بديار قوم ثمود فى رحلتهم إلى الشام ، وكانوا يحطون رحالهم هناك ، كما كانوا يمرّون على ديار قوم عاد فى رحلتهم إلى اليمن .

وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ .

وظهر لكم عن طريق مشاهدة القرى الهالكة ، وعن طريق تواتر الأخبار ، ماذا فعلنا يهم من الإهلاك والتدمير، جزاء فسوقهم وعصيانهم لرسلهم .

وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَشْالُ . ومثلنا لكم فيما كنتم مقيمين عليه من الشرك : الأشباه والنظائر .

قال في الغسير الوسيط: أي : بينا لكم في التنزيل على ألسنة الأنيباء : أحوالهم جميعا ما فعلوه وما فعل بهم من الأمور التي هي في الغرابة كالأمثال المضروبة : لتكون لكم فيها عظة وعبرة بقياس أعمالكم على أعمالهم، ومألكم على مألهم ... أو بينا لكم : أنكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب ، وتكون الأمثال على هذا جمع : مثّل بمعنى: الشبه والنظير(''')

٣ ٤ - وَقَدْ مَكُرُواْ مَكْرُهُمْ ...

أى: إن هؤلاء الظالمين لم يعتبروا بما أصاب السابقين من الهلاك؛ كغرق قوم نوح ، وهلاك عاد وثمود ، حيث بين الله لهم عاقبة الكفر ، وضرب لهم أمثلة تنتهي باندحار الباطل ، وانتصار الحق ، ولم يعتبروا بهذه الأمثال.

ثم : مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ .

دبِّروا الكيد لمساندة الياطل ، ومقاومة الحق ، واستقرغوا في ذلك كل جهدهم .

وَعِندَ ٱللَّهِ مَكُرُهُمْ.

وفي علم الله تعالى جزاء مكرهم الذي فعلوه ، وسيكون العقاب من جنس العمل .

وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱللَّهِجَالُ .

إن هذا نافية بمعنى : ما ، وفي قراءة ابن مسعود : وما كان مكرهم لِتزول منه الجبال .

أى: إن مكرهم مهما عظم واشتد : لم يكن أهلا لإزالة الآيات والنبوات الثابتة ثبات الجبال ، فالباطل مهما عظم إلى زوال ، والدق مهما قل أتباعه باق بقاء الجبال ، وهذا هو رأى الجمهور ، ومقصوده : الاستخفاف بمكر الظالمين ، ويبان : أن ما يضمرونه ليس خافيا على الله ، ولن يزلزل المؤمنين في عقيدتهم ؛ لأن إيمانهم كالجبال الرواسي في ثباته ورسوخه .

وذهب الكسائي("" إلى أن المراد من هذه الجملة الكريمة : التعظم والتهويل من شأن مكرهم ، أي : وإن كان مكرهم يبلغ في الكيد إلى إزالة الجبال : فإن الله ينصر دينه .

وقريب من هذا المعنى قوله تعالى : وَقَالُواْ آتَحَفَّ ٱلرَّحْمَانُ وَلَدًا ه أَفَقَد جِئْتُمْ شَيْكًا إِذًا ه كَكَادُ ٱلسَّمَـٰنُواْتُ يَتَفَطُّرُنَ مِنْهُ وَسَطَقُ ٱلأَرْضُ وَتَعِيرُ ٱلْجَمِّالُ هَذَّا ه أَنْ دَعَوْاْ لِلرَّحْمَانِ وَلَدًا ه وَمَا يَسْبَطِي لِلرَّحْمَانِ أَنْ يَشْجِدُ وَلَدًا . (مريم، ٨٥-٩٢)

﴿ فَلَا تَعْسَبُنَ اللّهَ مُعْلِفَ وَعْدِهِ وَرُسُلَهُ وَإِنَّ اللّهَ عَزِيزُ ذُو اَنِفَامِ ۞ وَمَ بُنَدَّلُ الأَرْضُ عَبْرَ الْأَرْضِ عَبْرَ الْأَرْضِ عَلَى الْمُعْمَرِثُ وَيَرُوا لِلّهَ الْوَحِدِ الْفَهَادِ ۞ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَ بِلْهُ مَن فَطِرَانِ وَتَعْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّالُ يَوْمَ بِلْ مُعْمِدِهُ الْمُعَلِينِ وَيَعْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّالُ فَيَا اللهُ مَن اللهُ عَرِيمُ الْمُحَلِينِ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللللّهُ اللللل

المفردات ا

بـــــرژوا، خرجوا من قبورهم.

مستقسسرتين ، المقرَّنون : المجموعون بعضهم مع بعض في قَرَن ، وهو : الحبل الذي يريط به .

سراب كه القميص . جمع سريال ، وهو : القميص .

المسطيران: القطران: سائل أسود تطلي به الإبل الجربي.

تقشى وجوههم النار ، تعلوها وتحيط بها .

التفسير،

٧ ٤ - فَلاَ تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُحْلِفَ وَعَدِهِ رُسُلَهُ ...

الخطاب هذا الرسول ﷺ ، أو لكل من يتأتَّى منه الخطاب.

أى: لا تظنن أبها الرسول الكريم أنت وأمتك ، أن الله تعالى سيخلف ما وعدكم به ، من نصر الدومنين على المدانه ؛ بنا اعدائهم ؛ فإن وعد الله حق وصدق ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ . (ل عدران: ١٩) ، فقد قال سيحانه : إِنَّا لَتَنعُمُرُ رُسُلْنَا وَٱلْلَيْنِ عَاشُواْ فِي ٱلْحَيْلِةِ ٱللَّنَا وَيُوْمَ يُقُومُ الْأَطْهَاتُ . (غافر: ١٥) ، وقال عز شأنه : كَتَبَ ٱللَّهُ لاَّ طُهِنَّ أَلاَ وُرُمُنِيَّ إِنَّ ٱللَّهُ قُومً عُورِيَّ . (المهادلة: ٢١) .

إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ.

إنه سيحانه غالب قاهر ، لا يمتنع منه من أراد عقوبته ، قادر على كل من طلبه ، لا يقوته بالهرب منه ، وهو ذو انتقام ، ممن كفر برسله وكذبهم ، وجحد نبوتهم ، وهذه الفقرة بمثابة التطليل للفقرة السابقة ، أى : ما دام هو قادر قاهر ، فإخلاف الوعد منتف في حقّه تعالى .

٨٤ - يَوْمَ تُبَدُّلُ ٱلأَرْضُ غَيْرَ ٱلأَرْضِ وَٱلسَّمَاوَاتِ ...

تصف الآیات کما تری مشهدا من مشاهد القیامة ؛ حیث تبدل الأرض غیر الأرض ، فیحشر الناس علی أرض تغیرت صفاتها ، فسیّرت جبالها ، وفجرت بحارها ، ولا یری فیها عوجًا ولا ارتفاعا ولا انتفقاضا ، بل می أرض منبسطة معتدة ، مستویة معتدلة : كأنما خلقت خلقا جدیدا من أجل المحشر .

قال تعالى : وَإِذَا ٱلأَرْضُ مُدَّتْ * وَٱلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبَّهَا وَحُقَّتْ . (الانشقاق: ٣-٥).

(واعلم أن التبديل قد يكون في الذات ، وقد يكون في الصفات ، والآية ليست نصًّا في أحد الوجهين ، والله أعلم كيف يتم مذا التبديل!""، والسماوات ستتبدل ، وتنشق السماء على غلظها ، وتتعلق الملائكة بأرجائها ، والشمس تفقد جانبا من ترمجها ، وتصبح من النجوم القرمة ، وكذلك النجوم تنكدر ويذهب ضورُها ، وتتفير السماوات والأفلاك والأبراج والنجوم ، بمخلوقات أخرى مناسبة للحياة الآخرة .

وفي آيات كثيرة وردت في القرآن تفيد: أن هذا الكون كانت له بداية ، حيث خلقه الله من عدم ، وبعد ملايين السنين صار صالحا للحياة ، وتكونت الشمس والأقمار والنجوم والمجرات ، ووجد هذا الكون البديع المتكامل ، الممالح للحياة ، بحيث تمطر السماء ، وتنبت الأرض ، ويسخّر السحاب والقضاء ، والشمس والقمر ، والهواء والرياح والبحار والأنهار ، الإعمار الكون والحياة .

قال تعالى: وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآهُ بِالْفَهَدْمِ وَلَوْلَ ٱلْمَلَكِكُةُ تَنزِيلاً ﴿ ٱلْمُلْكَ يَوْمِيلُ ٱلْحَقُّ لِلرَّحَمُّنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى آلكُنفرينَ عَسِيرًا . (الفرقان: ٢٠).

وهي سورة التكوير يقول سبحانه : إِذَا ٱلسَّمْسُ كُوّرَتَ * وَإِذَا ٱلنَّجُومُ ٱلكَذَرَتَ * وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُسَّتَ . (الأماد: ١-٣).

وهَى سورة الانفطار يقول سبحانه : إِذَا السَّمَاءُ الفَطَرَتْ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنْتَفَرَتْ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فَجُّرَتْ وَإِذَا ٱلْفُيُورُ يُغِيِّرَتْ ، عَلِيْمَتْ فَفْسٌ مَّا قَلَّمْتُ وَأَخْرَتْ . (الانطبار: ١-٥) .

أى: أن هذا الكون سيتغير ويتبدل بقدرة الله ، كما أنه أوجد بقدرة الله ، وصار صالحا للحياة بمشيئته وأمره، فانشقت السماء بالمطر ، وانشقت الأرض بالنبات ، وتكاملت دورة إعمار الكون بالجبال ، والبحار ، والأنهار ، والليل ، والنهار ، قال تعالى : أَوَلَمْ يَرَ ٱللِّينَ كَفُرُواْ أَنَّ ٱلسَّمَارَاتِ وَآلاَرْ مَن كَانَتَا وَقُعًا فَفَقَتُهُمَا اللّهِ وَجَعَلْنَا فِي الْمُورِ وَوَاسِي أَن تَعِيد بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيها فِجَاجًا سُهُمُ لَقَهُمْ يَهَمُلُونَ و وَجَعَلْنَا فِي اللّهِ مَن عَالِمُهمْ يَهْمُلُونَ و وَجَعَلْنَا فِي اللّهِ مَن عَالِمْهِم أَن تَعِيد بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيها فِجَاجًا سُهُمُ لَقَهُمْ عَنْ عَالِمْهِمْ أَن نَعِيد بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِي اللّهِ مَنْ عَالِمْهِمْ وَجَعَلْنَا فِي اللّهِ مَنْ عَالِمْهِمْ مَنْ عَالِمْهِمْ مَنْ عَالِمْهِمْ وَجَعَلْنَا فِي اللّهِمَا وَاللّهُمْ وَاللّهُمُ وَلَاللّهُمْ وَاللّهُمْ وَاللّهُ مَنْ عَالْمُ اللّهُمْ وَلَاسِي اللّهِ وَاللّهُمْ وَاللّهُمْ وَاللّهُمُ وَاللّهُمْ وَاللّهُمْ وَاللّهُمْ وَاللّهُ وَاللّهُمْ وَاللّهُ وَلَهُمْ عَلَى اللّهُمُوالِمُ وَلَا وَلَمْ وَلَالْ وَاللّهُمْ وَاللّهُمُ وَلَالِهُمْ وَاللّهُمْ وَاللّهُمْ وَاللّهُمْ وَاللّهِمَا وَاللّهُمُ وَلَاللّهُ وَاللّهُمْ وَاللّهُمْ وَلَالْهُمْ وَلِمُواللّهُمْ وَلِمُواللّهُ وَلِمُنْ اللّهُمْ وَلَاللّهُ وَاللّهُمُ وَاللّهُمُ وَاللّهُمُ وَاللّهُمْ وَاللّهُمُ وَاللّهُمْ وَاللّهُمُ وَاللّهُمُ وَاللّهُمُ وَاللّهُمُ وَاللّهُمُ وَاللّهُمُ وَلّمُ وَاللّهُمُ وَلّمُ اللّهُمُ وَاللّهُمُ وَلّمُ اللّهُ اللّهُمُ وَلّمُ اللّهُمُولِمُولِمُ اللّهُمُ وَلِمُلْكُمُ اللّهُمُ وَلِمُلْكُمُ وَلِمُولِمُلْكُمُ وَاللّهُمُ وَلّهُمُ عَلّمُ وَلِمُلْكُمُ وَاللّهُمُ وَلِلْمُلْكُمُولُمُولُولُهُمُ وَلِلْمُلْكُمُولُولُولُولُ

وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ .

أى : خرجت الناس جميعا من قبورها ، ويرزت وظهرت بأعمالها : للوقوف بين يدى الواحد الأحد ، الغرد الصعد ، مالك يوم الدين ، الذي قهر كل شيء وغلبه ، ودانت له الرقاب ، فلا مستفاث لأحد إلى غيره ، ولا مستجار سواه .

٩ ٤ - وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمِئِلِ مُقَرِّينَ فِي ٱلأَصْفَادِ .

كان الحديث في الفقرة السابقة بصيغة الماضى ، وهنا تغير الحديث إلى المضارع : ليعرض الموقف شاخصا أمام المشاهد ، كأنه حاضر الآن أمام عينيه .

إن القيامة تكون على رءوس الفلائق، وطالما تجبرُ الشالمون في هذه الدنيا، وأساءوا محاملة المؤمنين، وها هم يحشرون يوم القيامة والذل والعار على وجوههم، ويشاهدهم جميع الخلائق، مُقَرِّبِينَ. أي: يقرن بعضهم إلى بعض في القيود، ويضم كلُّ إلى مشاركه في كفره وعمله ؛ فيضمٌ عابد الوثن إلى عابد الوثن، ويضم شارب الغمر.

فِي ٱلأَصْفَادِ . في الأغلال والقيود ، التي يوضع فيها المجرمون والسجناء في هذه الدنيا .

ه ٥- سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانِ ...

تكمل هذه الآية رسم صورة للظالمين ، فليابهم أن قمصهم من قطران ، وهو سائل حار أسود اللون ، منتن الراحة ، بمنتن الراحة ، بساعد على سرعة اشتعال النار ، تطلى به جايد أهل الجربي ، فيحرق القطران الجرب ، كما تطلى به جايد أهل النار ، حتى يكون عليهم كالسرابهل ؛ لينوقوا أشد العذاب وأقساه ، بنار سريعة الاشتعال ، تبعل أجسامهم سوداء داكنة فيجتمع عليهم أربعة ألوان من العذاب : لذع القطران وحرقته ، وإسراع اشتعال النار في الجلود ، واللون الأسود الموحش ، ونتن الربع .

وَتَفْشَىٰ وَجُوهَهُمُ ٱلثَّارُ .

إن رجوههم تعلوها النار ، التي تلهب وجوههم وتحيط بها ، كما تحيط بأجسادهم المسربلة بالقطران ، وتخصيص الوجره بالذكر ؛ لكونها أعز الأعضاء الظاهرة وأشرفها .

ونظير الآية قوله تعالى : أَفَعَن يَشْقِي بَوْجُهِهِ شُوّءَ الْفَذَابِ يَوْمُ ٱلْقِيْاحُةِ . (الزمر٢٤)، وقوله سبحانه : يُؤمُ يُسْحُونُ فِي ٱلثّارَ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ ذُولُواْ اَسُّ سَقَرَ . (القمر ٤٤).

القطران والجسرب

اجتمع الفرزدق وجرير والأخطل فقالوا: ليأت كل واحد منا ببيت من الشعر لا يستطيع الأخر نقضه.

فقال أولُّهم :

أنبا التقطران والشنعبراء جريني وفني القطران للتجريني شفاء

فقال الثاني:

أنا الطاعون ليس له دواء

فیسان تسبه زق زاملسة فانی فقال التالث:

فليس لهارب مثى نجاء

أنسا الموت السذى يسأقسى عسليكم

٥١ - لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلُ لُفْسِ مَّا كَسَبَتْ ...

تأتى هذه الآية في أعقاب معاقبة الظالمين : فمنهم مقرنون في الأغلال ، ثيابهم من قطران ، وتلفح النار وجوههم ، وتحرق أسماعهم وأيصارهم ، ومجمع الحواس منهم .

وهنا يقول الحق سبحانه : لقد فعلت بهم ذلك ؛ جزاءً وفاقا بما كسبوا في الدنيا من الآثام ، ولتكون الأهرة دار جزاء يكافأ المحسن بإحسانه ، ويعاقب المسيء بإساءته .

إِنَّ ٱللَّهُ سَرِيحُ ٱلْحِسَابِ. فيحاسب جميع الناس في وقت واحد، كما يرزقهم في وقت واحد؛ فهو سبحانه لا يشظه شأن عن شأن، ولا يحتاج إلى تأمل وتدبر في إصدار حكمه، بل يتمَّه في أعجل وأسرع زمن.

٧ ٥ - هَذَا بُلاَغٌ لِلنَّاسِ وَلِيْنَذُرُواْ بِهِ وَلِيْعَلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَنْهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذُكُرَ أُولُواْ ٱلأَلْبَابِ.

تأتى هذه الآية في ختام سورة إبراهيم ، التي تحدثت عن رسالة الرسل وموقفهم من المنكرين ، ورسمت صورة مؤلمة للظالمين ، وختمت السورة بهذه الآية ، وفيها رئين وإيقاع متميز ، يوضح أهداف الرسالات السماوية، في سورة إبراهيم ، أن في القرآن الكريم ، فهذه السورة بَلاَّغُ لِلنَّاسِ ، أي : تبليغ ودعوة وإعلام بهذا الكتاب ، كما قال سبحانه : يُنْآيُهُمْ الرَّهُ لِنَّالُ مُنَا تُرْزِنُ إِلَيْكَ مِن رَبِّكُ . (المائدة: ١٧) .

وَلِيْنَذُرُواْ بِهِ.

أى: ليكون نذيرا للظالمين ، وتنبيها للكافرين : ليتأملوا ما أصاب الأمم السابقة في الدنيا ، وما يصبب الظالمين يوم القيامة .

وفى هذا المعنى يقول تعالى : ٱلْمَحَمُدُ لِلَّهِ ٱلَّذِينَ أَنزَلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِسَّابَ وَلَمْ يَبخُعل لَهُ عِوَجًا • قَيْمًا لَيُسْدَرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَدُنْهُ ... (الكهند ١٠ ٢) .

وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَنَّهُ وَاحِدٌ .

ليحلم الناس أن خالق هذا الكون البديع المنظم ، إنما هو إله واحد لا شريك له ، ولا ندُّ له ، ولا مثيل ، ولو كان معه آلهة أخرى : لاخترًا نظام الكون واضطرب . قال تعالى : لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلاَّ ٱللَّهُ لَفَسَنَتًا . (الأنبياء: ٢٧) .

وَلِيَدُّكُرَ أُولُواْ ٱلأَلْبَابِ.

أي: ليتنظ ويستفد من هذا الكتاب أصحاب العقول الفاقهة ، والقلوب المتفتحة : فإنما يستفيد بالرسالات
 والكتب السماوية أصحاب للعقول ، والقلوب التي تفتحت وآمنت ، وتزودت بالعلم والتقوى .

قال الإمام الرازى : هذه الآية دالة على : أنه لا فصيلة للإنسان إلا بسبب عقله : فقد بين القرآن : أن الله إنما أنزل هذه الكتب وإنما بعث الرسل : لتذكير أولى الألباب ...(١٠٥)

في ختسام سبورة إبراهيم

تلك سورة إبراهيم الخليل التي اشتمات على ما يأتي :

(أ) هداية الناس إلى معرفة ربهم الشائق للسماوات والأرض.

(ب) بيان : أن الرسل إنما يرسلون بلغات قومهم ؛ ليسهل عليهم فهم الأوامر والنواهي .

(ج) التذكير بأيام الله : بهيان : ما حدث للرسل مع أقوامهم : تسلية للرسول الأمين ، وتحذيراً لجميع الكافرين والمشركين .

(د) وعيد الكافرين بالعذاب ، ووعد المؤمنين بجنات النعيم .

(هـ) دعرة إبراهيم إلى الترحيد ونبذ الأصنام ، ثم شكره على ما وهبه الله من الأولاد على كبر سنه ، ثم طلبه المغقرة كه ولوالديه وللمؤمنين يوم العرض والعساب .

(و) رسمت صورة للظالمين ، وما يلقونه من النكال والعذاب ، وأفلحت السورة في عرض المشهد ماثلا أمام العيان.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحيه وسلم ، تم تفسير سورة إبرهيم ، بجامعة السلطان قابوس ، بسلطة عمان – مسقط ، في مساء يوم الأربعاء الأول من شهر رمضان المبارك عام ١٥ ا هـ / الموافق الأول من فبراير ١٩٩٥ م .

والحمد لله حمدًا كثيرا مباركا فيه كما يرضي ربنا ويحب.

اللهم ، تقبل أعمالنا وصلاتنا وصيامنا ، واجعل عملنا خالصا لوجهك الكريم ، وألهمنا التوقيق والقبول ، وأعنًا على أعمالنا ، ويسر لنا إتمام تفسير القرآن الكريم ، يفضلك ومنك وتوفيقك وعونك يا رب العالمين.

وَمَا تَوْفِيقِينَ إِلاَّ بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ . (مود: ٨٨).

وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهم ، إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلمه .



(١) يا عبد الرحمان بن سمرة ، لا تسأل الإمارة :

رواه البخارى فى الأيمان والنذور (۱۹۲۷) وفى كفارات الأيمان (۱۷۷۳) وفى الأحكام (۷۱٤۷،۷۲) ومسلم فى الأيمان (۱۹۵۷) من حديث عبد الرحمان بن سمرة قال . قال النبى ﷺ : «يا عبد الرحمان بن سمرة ، لا تسأل الإمارة : فإنك إن أوتبتها عن مسألة : وكلت إليها وإن أرتبتها من غير مسألة ، أعنت عليها ، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها: فكفر عن معنك وأت الذي هو خيره . .

(٢) ﴿ مَا ﴾ هذا استفهامية ، الاستفهام للتعجب من كرم عزيز مصر .

(٣) العين حق :

رواه البخاري في الطب (۷۶۴) وفي اللباس (۹۶۴) ومسلم في السلام (۲۱۸۷) من حديث أبي هريرة رضي الله عنهم عن النبر ﷺ قال : و العين حق ، و وفي عن الوشم ، وفي الباب : عن عائشة وابن عباس .

(٤) العين تدخل الرجل القبر :

قال انسيوطي في الدر المنثور : وأخرج أبر نعيم في الملية : عن جابر : أن النبي 義 قال : « العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر».

(a) أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان :

رواه البخارى فى أحاديث الأنبياء (٣٣٧١) وأبر داود فى السنة (٣٧٧) والترحذى فى الطب (٣٠٦٠) وابن ماجة فى الطب (٣٠٤٠) وابن ماجة فى الطب (٣٠٤٥) وأحمد فى مسنده (٢١١٣) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبى ﷺ يعوذ الحسن والحسين ميقوان: « إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق : أعوذ بكلمات الله الشامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ».

(٦) ويقول : إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل :

تقدم فيما قبله .

(٧) التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي ، سورة يوسف ص ٢٠٠، ٢٢١ ، وزبدة التفسير من فتح القدير ص٣١٣ .

(٨) تفسير أبي السعود ٤/٤/٤ .

(٩) انظر : زيدة التفسير من قتح القدير ص ١٣١٤ .

(٠٠) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم ، والسبع المثاني للألوسي ٢٨/١٣ .

(٩٩) سعيد حوّى ، الأساس في التفسير ، دار السلام للطباعة والنشر ، القاهرة وبيروت ٥/ ٠ ٢٦٨ .

(١٢) تفسير أبي السعود ١٩٨/٤.

(١٣) انظر : تفسير التعالبي ، وتفسير القاسمي .

(١٤) زبدة الطسير من فتح القدير ص ١٩١٥ .

(١٥) إن العين تدمع والقلب يحزن:

رواه البخارى في الجنائز (١٣٠٣) ومسلم في الفضائل (٢٣١٥) من حديث أنس بن مالك رضمي الله عنه قال : رخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين ، وكان ظائرا لإبراهيم عليه السلام ، فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقيله وشمه ، ثم مخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تفرفان ؛ فقال له عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : وأنت يارسول الله ؛ فقال : « يا ابن عوف إنها رحمة » ، ثم أنبعها بأخرى ، فقال ﷺ . « إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى رينا وإنا بغرائك يا ابراهيم لمحزه بور » .

- (١٦) تفسير روح المعاني للآلوسي ه/٠٠٠ ، وورد المعني في تفسير القرطي ، والتفسير المنبر ، والتفسير الوسيط .
- (١٧) التفسير الوسيط، تأثيف لجنة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر . الحزب ٢٥ ص ٢٧٤ .
 - (١٨) تفسير أبي السعود ٢٠٣/٤ ، وزيدة النفسير من فتح القدير ص ٣٩٦ .
 - (١٩) تفسير الكشاف للزعشري.
 - (٢٠) تفسير أبي السعود ٤/٥٠٣ .
 - (٢١) تفسير الراغي ٢٩/١٣ .

(٢٢) من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه :

رواه البخارى فى المظالم (٢٤٤٩) من حديث أبى هرورة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من كأنت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شىء فليتحلله منه البوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل ممالح: أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات: أهذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » .

(٢٣) الكريم ابن الكريم:

رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٨٠ ، ٣٣٩) وفي القضير (٢٨٨٠) وأحمد في مسند (٤٧٨) من حديث ابن عمر رضم الله عنهما : عن الذي ﷺ قال : « الكريم ابن المناسبة الكريم الكر

(٤ ٢) أي الدُّنب أعظم عند الله ؟ قال : أن تُعِمَل لله تدا :

رواه البشارى في تفسير القرآن (٤٤٧٧) ، ومسلم فى الإيمان (٨٦) ، من حديث عبد الله بن مسعود قال : سألت النبى ﷺ: أى الذنب أعظم عند الله ٦ قال : « أن تجمل لله نبا وهو خلقك » قلت : إن ذلك لعظهم ، قلت : ثم أى ، قال : « وأن تقتل ولمك ؛ تشاف أن يطمم ممك » قلت : ثم أى ، قال : « أن تزانى حليلة جارك » ، البشارى (٣٣٣٩) .

(٥٧) انظر أيضا : تفسير المراغى للأستاذ / أحمد مصطفى المراغى ٤٩/١٣ ، ٥٠ .

(۲۹) تفسير القاسمي ۲۹۷/۹ .

(۲۷) ورح المغاني للآلوس ۳ ۳۸/۱ ، وفيه من أهل العمور ، وهو خطأ ، والصواب : من أهل العمود ، أي : الحيمة التي تبني على العمود الرئيس الذي يرفع الحيمة . (٢٨) النفسير القرآني للقرآن، للرستاذ / عبد الكرير الخطيب ١٣ / ٩٠ .

(24) زاد المسير في علم الطسير لاين الجوزي ٢٩٦/٤ .

(٣٠) إنّ الله تجاوز الأمني:

رواه البخارى فى الأيمان والنذور (٦٦٦٤) ، وابن ماجة فى الطلاق (٤٤٠٠، ٤٤٠٤) (٧٤٢٧) ، من حديث أبى هريرة يرقمه قال : إن الله تجاور لأمتى عما وسوست أو حدثت به أنفسها : ما لم تممل به أو تكلم .

(٣١) نحن أحق بالشك من إبراهيم :

رواه البخارى في أحاديث الأنبياء (٣٣٧٧)، وفي التفسير (٣٩٥ ٤، ٤٦٩٤)، ومسلم في الإيمان (٥١٩)، وأحمد في مسنده (٨٩٢٩)، من حديث أبمي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « نحن أحق بالنثك من إبراهيم إذ قال : ﴿ وَبِّ أربى كيف تحى المربى قال أولم تومن قال بلي ولكن ليطمئن قلى ﴾ » .

(٣٢) تفسير روح المعاني للآلوسي 4 1/0 9 .

(٣٣) تفسير روح المعاني للآلوسي ٢١/٥٧، والاتساء: جعلهم أسوة وقدوة .

(٣٤) تقسير القاسمي ٢٩٩/٩ .

(٣٥) ما يصيب السلم ، من نصب ، ولا وصب ، ولا هم :

رواه المخارى في المرضى باب: ما جاء في كفارة المرضى (٩٦٨) ، عن أبي سعيد القدرى ، ومن أبي هريرة عن النهي هي النهي ﷺ قال: د ما يصبب السلم ، من نصب ، ولا وصب ، ولا هم ، ولا حزن ، ولا أنى ، ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها : إلا كفر الله المؤمن فيما الله بها من خطاياه » ، ورواه المبخارى فيما تشهر (٩٣٧) ، ومسلم في البر والصلة والأداب ، باب : ثواب المؤمن فيما يصببه من مرض أن حزن (٢٥٧٧) عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « ما من مصبينة تصبيب المسلم : إلا كفر الله بها عنه ، حتى الشوكه يشاكها » .

(٣٩) أشد الناس بلاء الألبياء:

بوب به البخارى فى كتاب المرضى ، ورواه الترمذى فى الزهد ح ٢٣٩٨ ، وابن ماجة فى الفتن ح ٢٣ - ٤ ، وأصدح ١٤٤٨. ١٤٩٧ ، ١٥٥٨ ، ١٦٦٠ ، والدارمى فى الرقاق ح ٢٧٨٣ ، من حديث سعد بن أبى وقاص ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

(٣٧) إمَّا الصير عند الصلعة الأولى:

رواه الهخارى فى الجنائز (۲۰۲۳ / ۱۳۰۳) ، ومسلم فى الجنائز (۲۷٪) ، وأبو داود فى الجنائز (۲۷٪) ، والترمذى فى الجنائز (۲۷٪) ، والترمذى فى الجنائز (۲۰۱۸) من الجنائز (۲۰۱۷) ، والنسائنى فى الجنائز (۲۰۱۸) ، والنسائنى فى الجنائز (۲۰۱۸) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : من الذبى ﷺ الله عنى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : من الذبى ﷺ الله عنى فيلان الله عنه المناز الذبى ﷺ المائن الله عنه يوابين ، فقالت لم أعرفك ؛ فقال : وإنما الصديم خلا أولى » .

(٣٨) الأساس في التفسير للأستاذ / سيد حوى ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ص ب ١٦٦ ، غورية ت ١٩٣٥٦٤٤ الجلد الحامس ص ٢٧١٩، لقلاع تنقسيم : في ظلال القرآن .

(٣٩) تفسير ابن كثير ٤٩٨/٢ .

- (. ٤) من كتاب أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم / د. عبد الله شماتة ١٠ ١٥ .
 - (١٤) مختصر تفسير ابن كثير تحقيق محمد على الصابوني ٢٦٨-٢.
 - (٤٧) الميزان في تفسير القرآن مجلد ١١ جزء ١٣ صفحة ٣٢٢.
 - (٤٣) تفسم الكشاف ٢/٢٥٥.
- (٤٤) تفسير الطبري جزء ٢٩ حققه وخرج أحاديثه: محمود محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ١٩١٩ ، كورنيش النيل القاهرة ، ص٣٥٧.
 - (٥٤) قارن بما ورد في تفسير القاسمي لهذه الآية .
 - (٢ ٤) إن الله ما أخد وله ما أعطى :

رواه البخارى في البخائز (۱۲۸۶)، وفي المرضى (٥٦٥) ، وفي الأيمان (١٢٥٥) ، وفي التوحيد (١٢٥٥) ومسلم في البخائز (١٨٥٨) ، وبسلم المجائز (١٨٥٨) ، والنسائي في البخائز (١٨٦٨) ، والنسائي في البخائز (١٨٥٨) ، ويقول: ويتوان أن المحافز المحاف

(٤٧) زبدة التفسير من فتح القدير للشوكاني ص ٣٢٧.

(٤٨) يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل والنهار:

رواه البخاري في مواقيت الصلاة ح ٥٠٥ ، وفي الترحيد ح ٢٤٨٠ ، ٢٥٨٠ ، ومعلم في السناجد ح ٣٣٠ ، والنسائي في الصلاة ح ٨٨٥ ، وأصدح ٢٣٠٨ ، ٢٣٨٠ ، ١١١١ النامة الصلاة ح ٣٦٥ ، من حديث أبي مريزة بلفظ: « يمحاقبون فيكم ملاكة بالليل وسلاككة بالنهار ورواه البخاري في الأذان ح ١٤٥ ، وفي تصير القرآن ح ٢٧٧ ، ومعلم في السناجد ح ١٩٥٩ ، والترمذي في التقسير ح ٣٣٠ ، والنسائي في الصلاة ح ٨٦٥ ، وابن ماجة في الصلاة ح ٢٠٠ ، وأحد ح ٧١٥ ، ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ ، من ملاكة حديث أبي مريزة أيضًا بلفظ: « فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد نصس وعشورن درجة ترتجلس ملائكة الليل ، و ملائكة النهار في صلاة الصبح يقول أبد مريزة الترويا إن تشتر فو فرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودًا في

(٩ ٤) إن الناس إذا رأوا الطَّالُم ولم يأخلوا على يديه :

رواه أبر داود فى الملاحم (۴۳۲۸) ، والترمذى فى الفتر (۲۳۱۸) ، وأحمد فى مسنده (۳۰ ، ۲۱) ، من حديث قيس قال . قال أبو بكر بعد أن حمد الله وأثنى عليه : يا أيها الناس ، إنكم تقرءون هذه الآية وتضعونها على غير مواضعها : ﴿ عليكم ّ أتُفسكم لا يعتركم من طبل إذا العنايتم ﴾ ، قال : عن خاك : وإنا سمعنا الذبي ﷺ يقول : «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أرخك أن يعميم الله يعقاب » .

(٥ ٥) مختصر تفسير ابن كثير - تحقيق محمد على الصابوني ٢٧٤/٧.

(١ ٥) اللهم لا تقعلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك:

رواه الترمذي في الدعوات (٣٤٥٠) ، وأحمد في مسنده (٥٧٢٩) ، من حديث عبد الله بن عمر : أن رسول الله ﷺ كان إذا

سمع صوت الرعد والصراعق : قال : « اللهم ، لا تقتلنا بغضيك ، ولا تهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك » . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الرجه .

(٢) سبحان الذي يسبح الرعد بحمده :

رواه مالك في الموطر كتاب الجامم (١٨٦٩) ، قال : حدثني مالك : عن عامر بن عبد الله بن الزبير أنه كان إنا سمم الرعد؛ ترك الحديث ، وقال : سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ، ثم يقول ، إن هذا لرعيد لأهل الأرض شديد .

(٩٥) أهمداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم للدكتور / عبد الله شحانة - طبع ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب صنة ١٩٧٦، ص ١٥٥ .

(٤٥) إن السماء أطت وحق لها أن تنط:

رواه الترمذي في الزهد (۲۳۱۷) ، وابن ماجة في الزهد (۴۹۰ ٤) ، وأحمد في مسنده (۲۱۰۰) ، من حديث أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: « إني أرى ما لا ترون ، وأسمع ما لا تسمعرن ، إن السماء أطت ، وحق لها أن تنط: ما فيها موضع أربع أصابح إلا وملك وأضع جبهته ساجدا لله ، والله لو تطمون ما أعلم : لفسحكم قلهلا وليكيتم كثيرا، وما تلذذتم بالنساء على الفرشات ، ولفرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله ، والله لوديت أنى كنت شجرة تعضد » ، وقال الترمذي : حسن غريب .

(۵۵) روى هذه القصة الحافظ الطرانى: عن عطاء بن يسار عن ابن عباس مفصلة أكثر من هذا . اهد . نقلا عن مختصر تفسير ابن كثير— تحقيق عمد على الصابونى ٧/٣٧٠.

(٥٦) تفسير الميزان للسيد / عمد حسين الطباطبائي ١١/ ٥ ٣٥ بتصرف .

(٧٥) في ظلال القرآن - جزء ١٣ صفحة (٢٥٠).

(٥٨) انظر: فتح القدير للشوكاني.

(9 9) مثل ما بعص الله به من الهدى و العلم :

رواه البخاري في العلم (٧٩) ومسلم في القضائل (٢٩٨٧)، وأحمد في مسنده (٢٧٦٨٧) من حديث أبي موسى . عن النبي إلل الحال المسلم المسلم من الهدى والعلم ، كمثل الغيث الكثير أسماب أرضنا فكان منها نقية قبلت العاء فأنبتت والمسلم الكلير، وكانت منها أجالب أسمك العام، فغفع الله يها الناس فشروا وسقل وترروا وأسابت منها طائفة المحرى ا أخرى ، إنما هي قيعان لا تصبك ماء ولا تنبت كلاً ، فنذك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما يحثني الله يه ، فعلم وعلم ،
ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقول هدى الله الذي أرسلت به ، قال : أبو عبد الله ، قال : إسحاق وكان منها طائفة قبلت الماء فاع علم المستوى من الأرض.

(٩٠) اضمنوا في ستا من أنفسكم :

رواه أحمد ح ۲۲۲۹۱، من حديث عبادة بن الصامت .

(١١) آية المنافق ثلاث:

رواه اللبخارى فى الإيمان ح ٣٣ ، وفى الشهادات ح ٢٦٢٨ ، وفى الوصايا ح ٢٧٤٩ ، وفى الأدب ح ٦٠٩٥ ، ومسلم فى الإيمان ح ٩٥، ٧٤ ، والقرمذى فى الإيمان ح ٣٦٣١ . وقال : حسن صحيح .

(٩٢) من سره أن يسط له في رزقه :

البخاري في البيوع (٢٠٦٧) ، ومسلم في البر والصلة (٢٠٥٧/ ٢٠) ، وأبو داود في الزكاة (٢٠١٧) ، كلهم عن أنس .

(٩٣) هل تدرون أول من يدخل الجنة :

رواه أحمد في مسنده (۱۹۷۶) من حديث عبد الله بن معرو بن العاص ، عن رسول الله ﷺ آنه قال : « هل تعرون أول من يدخل الجنة من خلق الله القفراء والدهاجرين الذين تسد يدخل الجنة من خلق الله القفراء والدهاجرين الذين تسد يمم النفود ، ويتقى بهم النكاره ، ويعرت أحدهم وحاجته في صحره لا يستطيع لها قضياء ، فيقول الله عز وجل لمن يشاء من ملاككته : انترائية من المنافقة والمنافقة وال

(١٤) ما ١ ، للدنيا:

رواه الترمذي في الزهد (٢٤٨٣)، وابن ماجة (٤٠٠٩)، وأحمد (٢٧٣٩، ٢٧٣٩) من حديث عبد الله بن مسعود، وقال الترمذي ، هذا حديث صحيح - ونكره السيوطي في "الدر المتثور" ، وزاد نسبته لابن أبي شهبة والحاكم : عن ابن مسعود رضي الله عنه - أن النبي ﷺ غام علي حصير فقام وقد الرفي حبينه ، فقانا - يا رسول الله ، لو اتخذا لك ٤٠ منال : ومالي وللدنيا ، ما أنا في الدينا إلا كراكب استقال تحت ظل ضجرة ثم راح وتركها » . وذكره العجلوني في "كشف الغفا " ، وزاد نسبته للطبراني والحاكم والبيهتي في الشعب عن ابن مسعود . وللطبراني وابن حبان والحاكم والبيهتي في الشعب عن ابن مسعود . وللطبراني وابن حبان والحاكم والبيهتي عناس وذكره الهيئمي من حديث ابن عباس وقال : ورجال المصحيح غير هلال بن عباب وهو نقة .

(30) فيها ما لا عين رأت :

يراه البخاري في بده الفلق ح ٣٣٤٤ . وفي التفسير ح ٤٧٧٩ : ٤٧٨٠ ، وفي القوحيد ح ٩٠٩٨ . ومسلم في البغة ح ٢٨٢٤ والترمذي في التفسير ح ٢٩١٩، ٣٢٩٧، وابن ملجة في الزهد ح ٤٣٣٨ ، وأحمد ح ٩٣٦٥ ، ٩٦٨٨ ، ١٩٦٨ ، ١٠٠١ ، والدارمي في الرقاق ح ٢٨٨٧ ، من حديث أبي هريرة .

(٣٦) أكتب: باسمك اللهم:

 الله لاتبعناك ، ولكن اكتب : اسمك واسم أبيك ، فقال الذبي ﷺ : « لكتب : من محمد بن عبد الله » ، فاشترطوا على النبى ﷺ أن من جاء منكم لم نريده عليكم ومن جاءكم منا زيدتموه علينا فقالوا : يا رسول الله ، أنكتب هذا ، قال : « نعم، إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله ، ومن جاءنا منهم سيجنل الله له فرجها ومخرجها » .

(٧٧) انظر : تفسير ابن جرير الطبري ٢ ٧/١٤ ٤ ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، آثار ٣٩٩ ، ٢ ، وما يعدها .

(48) ما من الأنبياء نبي إلا أعطى ما مفله آمن عليه البشر:

رواه البخارى فى فضائل القرآن ((۴۹۸) ، وفى الاعتصام (۷۲۷) ، ومسلم فى الإيمان (۱۹۲) ، وأحمد فى مسئده (۷۲۸)، من حديث أبى هريرة قال: قال النبى ﷺ: « ما من الأنبياء نبى إلا أعطى ما مثله أمن عليه البشر، وإنما كان الذى اوتيت وحيا أرحاء الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة .

(٦٩) تفسير الطبري ٢١/٥٥٤، تحقيق : محمود عمد شاكر مطابع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٩ .

(٧٠) تفسير الطيري ٢١/١٦ ، تحقيق : محمود شاكر ، مطابع دار المعارف بمصر .

(٧١) إنَّ الله ليملي للظالم ، حتى إذا أخذه لم يفلته :

رواه البخارى فى التفسير باب: قرله : ﴿ وكذلك أحد ربك إذا أحد القرى ومى ظالمً إن أحدة أليم شفيد ﴾ ، (٩- ٤٤) ، ومسلم فى البر والصلة والأداب ، باب : تحريم الظام (٧٥٨٣) ، وابن صاجة فى الفتن باب المقويات (١٤٠١٨) ، عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسيل ﷺ : « إن ألله ليعلى للظالم ، حتى إذا أخذه لم يفلته » . قال : فم قرأ : ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أحد القرى وهى ظالمًة إن أحدة أثيم شنيد ﴾ .

(٧٢) جملة : ﴿ تَجرى من تحتها الأنهار ﴾ خبر عن ﴿ مَثَلُ ﴾ وجملة : ﴿ أَكُلُهَا دَائِمٍ ﴾ خبر ثان .

(٧٣) قمن رغب عن سنعي :

رياه البخاري في النكاح (6707) ، من حديث أنس بن مالك قال : جاء ثلاثة رهط إلى ببوت .. العديث – وقيه : « أما والش إن لأحشاكم الله وأتقاكم له لكني أصوم وأنظر وأصلي وأرقد وأنزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى : فليس منى » ورزاه البخاري في النكاح (770 °) ومسلم في النكاح (/١٤٠١) (والنسائي في النكاح (/٢٣١) ، وأحمد (/٢٣١٦، ١٣٢٢) . ا/٢٣٦١ ، ورزاه ابن ماجة في النكاح (/١٨٤) بلفنا: « النكاح من سنتي فمن لم يعمل بسنتي ؛ فلهي منى .. الحديث». كلهم من حديث أنس . ورزاه أحمد (/٢٢٩٣) ، عن مجاهد عن رجل من الأنمار ورواه الدارمي في النكاح (/٢١٩) ، من حجاهد عن رجل من الأنمار ورواه الدارمي في النكاح (/٢١٩) ، من

(٧٤) تفسير أبي السعود ٣٧/٥ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان .

(۷۵) من ذلك ما ورد من الوصايا العشر فى سورة الأنعام ، وليهما يقول اختى سبحانه : فو قمل تعالوا أثل ما حرم وبكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقنلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقتكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهير منها وما بعلن ولا تقنلوا النفس الني حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون » ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي لهي أحسن حتى يسلع أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكلّف ففسا إلا وسعها وإذا للنم فاعدلوا وفو كان ذا قربي وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به تعلكم تذكرون كي . (الأتعام: ٥٩ ه / ١٥ ه) و ١)

(٧٦) التفسير الوسيط، تأليف لجنة من علماء الأزهر ص ٢٥٣.

(٧٧) جف القلم بما أنت لاق:

رواه البخارى في النكاح (٧٠١ه) ، وذكره في القدر باب: جف القلم على علم الله – معلقاً – والنسائي في النكاح (٣٢١ه) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال: قلت . يا رسول الله ، إنى رجل شاب وأنا أضاف على نفسى العنت ، ولا أجد ما أثرزج به النساء فسكت عنى ثم قلت مثل ذلك فسكت عنى ثم قلت مثل ذلك ؛ فقال النبي ﷺ . « يا أبا هريرة ، جف القلم بما أنت لاق: فامتص على ذلك أن ثر » .

(٧٨) أهداف كل سورة ، د/ عبد الله شحالة .

(٧٩) لم يبعث الله نبيا إلا بلغة قومه :

رواه أحمد في مسنده (۲۰۹۰۱) من حديث أبي نر قال : قال رسول الله ﷺ : « لم يبعث الله نبيا إلا بلغة قومه » .

(٨٠) عجباً لأمر المؤمن :

أخرجه مسلم (۲۹۹۹) ، وأحمد (۲۸۵۰ ، ۱۸۵۲۰ ، ۲۳۴۰ ، ۲۳۴۱) ، والنارمی (۲۲۷۷) ، من حدیث ممهیب بن سنان قال : قال رسول اش ﷺ : « عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن : إن أصابته سراه شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراه صبر فكان خيرا له » .

(٨١) من أعطى الشكر لم يمنع الزيادة :

قال الهيشمى في المجمع : عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : من أعلى أربعا : أعلى أربعا ، وتفسير ذلك في كتاب الهيشمى في المجمع : عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : من أعلى أربعا : أعلى أربعا ، وتضعير ذلك في كتاب الإجابة : لأن الله تعالى يقول : ﴿ لأنكر وفي أذكر كم ﴾ ، ومن أعمل الدعاء : أعلمي التكري : إعلى الزيادة : لأن الله تعالى يقول : ﴿ لأن المنفور والكم إله كل المنافر والأوسان في الدين المنفور والأوسان وإذا المنظور والمنافر المنفور والمنافر والمنافر والمنافر والمنافر والمنافر والمنافر والمنافر والمنفور والمنافر وال

(٨٢) إن العبد ليحرم الرزق باللنب :

رواه ابن ماجة في الفتن (٢٧ - ٤) ، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٨٠، ٢٨٢) .

(٨٣) لو أن أولكم وآخركم:

رواه مسلم في البرر والمسلة والآداب (۲۵۷۷) ، والترمذي في صفة القيامة (۲۵۹۹) ، وابن ماجة ح (٤٢٧٥) ، وأحمد (م/ع٥١، ١٩٠/، ١٧٧) ، وعبد الرزاق ح (۲٬۲۷۷) ، من حديث أبي تر . وأوله : « يا عبادي ، إني حرمت الظلم على نفسي»

(٨٤) من آذي جاره ؛ أو رثه الله داره :

قال العجلوبني في كشف الخفاء (٢٣٢٤): كذا رأيته في كلام بعض من جمع في العديث معن لايعرف ، لكن بلفظ ورثه يتشديد الزام، فلينظر حاله ، ثم رأيت النجم قال: أورده في الكشاف ، ولعله مثل سائر وليس بحديث ومأخذه في كتاب الله من قوله تعالى : ﴿ وقال اللّهِن كفووا لرسلهم لنخر جكم من أوضنا أو لصودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمن ولنسكنكم الأوض من بعلهم ﴾ .

(٨٥) تفسير ابن كثير ٢٧/٢ ٥، نشر مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة .

(٨٩) أَعْمُص القدم : ما تجافي عن الأرض وهو بوزن (أَحْمَد) .

(٨٧) إن أهون أهل النار علمايا :

رواه البخارى فى الرفاق (٢٥٦١، ٢٥٩٢) ، ومسلم فى الايمان (٢٦٣) ، والترمذى فى صفة جهنم (٢٦٠٤) وأحمد فى مسئده (١٧٧٣) من حديث النصان بن يشير قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ إِنْ أَمُونَ أَمَّلُ النَّزِلُ عِدْابًا من له نملان وشراكانُ من نار يغلى منهما دماغه ، كما يغلى السرجل ، ما يرى أن أحدا أشد منه عذابًا ، وإنه الأمونهم عذابًا ».

(٨٨) ﴿ مثل ﴾ مبتدأ ، و ﴿ أعمالهم ﴾ مبتدأ ثان ، و ﴿كرماد ﴾ خبر المبتدأ ثناني .

(٨٩) يقصد العباس بقوله : ما أغتيت عن عمك أبا طالب ، ومعنى : يحوطك : يصولك من المشركين بالدفاع عنك .

ضحضاح النار : النار القليلة جدًّا بالسبة إلى غيره من أصحاب النار .

الدرك الأسف : أقصى قاع جهنم .

(٩٠) انظر : تفسير المذار الشهرس الأبجدى لعذاب النار ، وتفسير الألوسى للآية ٧ ، ٨ ، من سورة الزلزلة ، والتفسير الوسيط ، تأليف لجنة من علماء الأرهر ، سورة إبراهيم ص ٨١.٤ .

(٩١) يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا :

رواه البخارى في الرقاق (٢٩٣٧) ، ومسلم في الجنة (٢٨٥٩) ، والنساني في الجنائز (٢٠٨٧) ، وابن ماجة في الزلمد
(٢٨٦)، وأحمد في مسنده (٢٩٧٤) ، من حديث عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : « تحشوري حفاة عرائه
غرلا ، قالت عائشة ، فقات : يا رسول الله : الرجال والنساء ينظر يعضمهم إلى بعض ! فقال : « الأمر أشد من أن يهمهم ذلك ه.
لهراه البخارى في أحاديث الأنبياء (٢٣٤٩) ومسلم في البغنة (٢٨٨٠) ، والترمذي في صفة القايمة (٢٤٤٣) وفي تفسير
القرأن (٢٣٣٧) ، والنمائي في البغنائي (٢٠٨١) ، والدعد في مسنده (٢٨١٦) ، وفي تفسير
حديث ابن عباس : عن النبي ﷺ في البغنائي (٢٠٨١) ، والدول في الرقاق (٢٣٣٠) ، وفي تفسير وعمل عليا
إنا كنا فاعليّه ، وأول من يكسى يوم القيامة إلى المرابع منذ فارقتهم ، فأقول كما قال المبدال الصالح : ﴿ وَكَا عنا عليهم فيها
أصحابي، فيقول : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعلبهم منذ فارقتهم ، فأقول كما قال المبدال الصالح : ﴿ وَكَا عنا عليهم فيها
ما هدت فيهم فلما توقيتي ... إلى قوله : الغزيز الحكم ﴾ ، ورواه الدارس في الرقاق (٢٨٠٠) من حديث ابن مسعود . عن
ما هدت فيم فلما توقيتي ... الى قوله : الغزيز الحكم ﴾ ، ورواه الدارس في الرقاق (٢٨٠٠) من حديث ابن مسعود . عن
ما هدت فيم فلما توقيتي ... بالى قوله : الغزيز الحكم في أد ورواه الدارس في الرواق (٢٨٠٠) من حديث ابن مسعود . عن
ما هدي كما ينظ المعمود ؟ قال : «ذاك يوم يغزل الله تعالى على كرسيه ينظ كما يغط الله بالله تعالى : كسوا
والأخورن » .. وين بالله مقاما يغطني الأولون وينوب الله مقاما يغطني الأولون ... وين الله مقاما يغطني الأولون ... والمؤون بين الله مقاما يغطني الأولون ... والمؤون المؤون من يعين الله مقاما يغطني الأولون ... والمؤون ... والمؤون عين ين الله مقاما على المؤون ... ويولون المؤون المؤون عين يعين الله مقاما على المؤون ... والمؤون عين يعين الله مقام على المؤون ... والمؤون عين الله المؤون ... والمؤون المؤون ... والمؤون المؤون المؤون المؤون المؤون المؤون المؤون المؤون المؤ

(٩٧) الظ : تفسير ابن كثير .

(٩٣) د. محمد سيد طنطاوي ، تفسير سورة إبراهيم ص ٥٦ نقلا عن تفسير الفحر الرازي .

(ع 9) أن يدخل أحدا عمله الجنة ؛ قالوا : ولا أنت ؟ [:

رواه البخاري في الدرضي (٥٧٢٧) ، ويسلم في صفة القيامة والبينة والنار (٢٨٦٦) ، من حديث أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لن يدخل أحدا عمله الجنة ، قالوا ولا أنت يا رسول الله ، قال : لا ولا أنا إلا أن يتفعدني الله يفضل ورحمة : فسندوا وقاربوا ولا يتعنين أحدكم الدوت : إما محسنا ظعله أن يزداد خيرا ، وإما مسينا ظعله أن يستعقب ».

(٩٥) انظر : تفسير الطبرى ، وفيه ما ورد في البخارى : أن المؤمن يعبّت على شهادة : ألا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله .

(٩٦) قال: السلم إذا سئل في القبر ؛ يشهد:

رواه البخارى في الجنائز (١٣٦٩) ، وفي التفسير (١٣٦٩) ، ومسلم في الجنة (٢٨٧١) ، من حديث البراه بن عازب: أن رسول الله ﷺ قال : « المسلم إذا ستل في القبر: يشهد: أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، فذلك قوله : ﴿ يثبت الله اللين عاموا بالقول الثابت في الحجود الذب وفي الآمرة كي ..

(٩٧) إن العبد إذا وضع في القير وتولى عنه أصحابه ، إنه ليسمع قرع :

رياه البضاري في البخائز (۱۳۲۸، ۱۳۳۵) ، ومسلم في اللبنة (۲۸۷۰) ، وأبو داود في البخائز (۲۲۲) ، وفي السنة (۲۷۷) ، وأبو داود في البخائز (۲۲۹) ، وفي السنة (۲۵۷) ، والديد إذا رفت عنه عنه عنه عنه عنه عنه عنه عنه المنهي ﷺ قال: النبل رفت في البخائز (۲۶۹) من مدين أنس رضي كانه عنه ، عنه النبي ﷺ قال: تقول من في المناز والمناز في المناز والمناز والمناز

(٩٨) الثقلان هما : الإنس والجن ، والحكمة في عدم سماعهما : الامتحان ، والابتلاء ، والإمهال ؛ حتى تجزى كل نفس بما تسعى .

(٩٩) زبدة التفسير من فتح القدير للشوكاني ، طبع على نفقة وزارة الأوقاف والشتون الإسلامية - الكويت ، ص ٣٣٤ .

(٩ - ١) ﴿ جهنم ﴾ عطف بيان لدار البوار ، ﴿ يصلونها ﴾ : في محل نصب حال من جهنم .

(١٠١) زبدة التفسير من فتح القدير للشوكاني .

(٢ • ١) زبدة التفسير من فتح القدير للشوكاني ص ٣٣٥.

(٢٠٣) انظر: التقسير الوسيط، تأليف نحية من علماء الأزهر ص. ٥٠٠٥.

(٤ • ١) ﴿ إِذْ ﴾ : ظرف لما مضى من الزمان ، وهو منصوب على المفعولية لفعل محلوف تقديره : اذكر .

﴿ رب ﴾ : منادى بحرف نداء محلوف تقليره : يا رب .

(٩٠٥) وردت هذه القصة مطولة في صحيح الباعاري ، ووعتها كتب التفسير والحديث .

(٩٠٩) صلاة في مسجدي هذا :

البخارى فى فضل الصلاة (١٩١٠) ، ومسلم فى العج (١٩٦٤/٥٠) ، والترمذى فى الصلاة (٣٦٥) ، وقال : حديث حسن صحيح ، والنسائى فى المسلجد (١٩٤٤) ، وابن ماجة فى إقامة الصلاة (١٤٠٤) ، كلهم عن أبى هريرة .

(١٠٧) انظر : صحيح البخاري ؛ تجد فيه حديثا طويلا في الموضوع ، وانظر : تفسير الآلوسي ، والتفسير الوسيط .

(١٠٨) انظر : تفسير الفخر الرازي .

(٩٠٩) التفسير الوسيط، سورة إبراهيم د. محمد سيد طنطاوي ، ص ٩٣.

(١١٠) التفسير الوسيط، تأليف لجنة من العلماء بالأزهر ص ١١٥.

(١ ١ ١) قرأ الكسالي : تَعْرولُ : بقتم اللام على أنها لام الابتلاء ، ورفع الفعل بعدها ، و﴿ أَن ﴾ : عنفقة من الفقيلة .

(١٩٢) التفسير الوسيط، تأليف لجنة من العلماء، بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ص ٩٣٥.

(١٩٣) الرتق ضد الفتق ، أى : كانتا ملتصقتين ففتق الله هذه من هذه ، فرفع الله السماء ، ووضع الأرض و لمصل بينهما بالهواء ، فأمطرت السماد وأنبت الأرض .

(£ 1) التفسير الوسيط للدكتور / محمد سيد طنطاوى ، نقلا عن تفسير الفخر الرازى للآية الآخيرة من سورة إبراهيم .

A 8 8

تمت الهوامش وتخريج الأحاديث بحمد الله وبها تم الجزء (الثالث عشر)

محتويات الكتاب

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
1577	﴿ومِا أَبِرِئ نَفْسِي إِنْ النَفْسِ لأَمُّارة بِالسَوِء﴾	٥٣
15.41	وقال الملك اثنتونسي به أستسف لصبه لنفسسي	30
1777	﴿ أَسَالَ اجْسِعِ السِّنْسِي عَسَاسِي خَسِرَائْسِنَ الأَرْضِ ﴾	00
7777	﴿ وكناك مسكسنا لسيسوسة فسي الأرض ﴾	٥٦
7777	﴿ وَلاَجِ الآخِ الآخِ عَيْرِ ﴾	٥٧
7777	﴿ وجِساء إشدوة يسوسف فسنشطسوا عسلسيسه	٥٨
3577	﴿ راما جِــهـــزهـــم يــجــهــازهــم قـــال﴾	٥٩
3.797	﴿ فســان لم تـــاتــونـــى بـــه فـــلا كــيـــل لــكــم﴾	٦٠
3544	﴿ الساه﴾	71
7777	﴿ وقال لَفْتَيَانَهُ اجْعَلُوا بَضَاعَتُهُمْ فَي رَحَالُهُمْ﴾	77
7777	﴿ فَسَلَّمَا رَجِيعِيوا إِلَى أَسِينِهِم قَبَالِيوا بِيا أَبِيانَا﴾	75"
7777	﴿قال هل ءامنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل﴾	٦٤
7777	﴿ ولما فتصوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ربت إليهم ﴾	٦٥
7777	﴿قَالَ لَنْ أَرْسِلُهُ مِعِكُمْ حِلْي تَوْتُونَ مِوثَقًا مِنْ اللَّهِ﴾	77
7779	﴿ وقسال يسابسنسي لا تستشطسوا مسن بساب واحسد ﴾	٦٧
7771	﴿ ولما دخسلسوا مسن حسيث أمسرهم أبسوههم﴾	٦٨.
7771	﴿وَلَمَا دَحُـلُـوا عَبَاسَى يَسْوسَفُ ءَاوَى إلْبَيْتُهُ أَغْبَاهُ﴾	74
7777	﴿ فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أشيه﴾	٧٠
7777	﴿ السوا وأقسه السواعد السوسم ﴾	٧١
7777	﴿قــــالــــوا نـــــفــــقــــد مــــــواع الملك ﴾	٧٧
7770	﴿قَالُوا تَالِيُّهُ لَقَدَ عَلَمَتُمْ مَا جِئْنَا لَنَفْسَدُ فَي الأَرْضَ﴾	٧٣
7440	وقالسوا فسما جسزارته إن كسنستسم كاذبين	٧٤
7770	وقالوا جنزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه	٧٥
7770	ونبدأ بارعديدتهم قبيل وعداء أخديده	٧٦
. 4444	وُقـالـوا إن يسـرق فـقـد سـرق أخ لـه مـن قـبــل﴾	\ vv
7774	وقالوا يما أيمها العريس إن له أبما شيخا كبيرا ﴾	VA.
7477	وقال مماذ الله أن نأهذ إلا من وجدنا مثاعنا عنده	٧٩
		L

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7779	است بسوا منه خلصوا نجيا﴾	۸۰
7474	﴿ارجِعِوا إلى أبسهِ كسم فسقسواسوا يسا أبسانسا﴾	۸۱
7779	﴿وستشل المقبريمة الستني كسنسا فسيسهسا والنعير﴾	AY
777.1	﴿قَالَ بِسِلُ سَسِواتُ لَسَكُمُ أَنْسِقُسَكُمُ أُمُسِرًا﴾	۸۳
777.1	﴿ وتولى عشهم وقبال ينا أستفنى عملني يدوستف ﴾	٨٤
7777	﴿ تَسَالُوا تَسَالُبُكَ تَسَعَّتُوا تَسَذَّكُ رَيْسُ وَسَفَ ﴾	٨٥
7777	﴿قال إنما أشكروا بسلسي وحرزني إلى السلب﴾	۸٦
777.0	﴿ يَمَا بِمَنْسَى الْحَمْدِ وَا فَمُسْتَحَسِسُوا مِنْ يَدُوسُ فَ وَأَحْدِينَهُ ﴾	۸۷
77A7	﴿ فِلْمَا دِخْلُوا عَلَيْهُ قَالُوا بِنَا أَيْنِهَا الْبَعَرْيِيزْ ﴾	٨٨
7777	﴿قَالَ هَلَ عَلَمَتُم مَا فَعَلَتُم بِيوسَفَ وَأَهْيِهُ﴾	.49
rayy.	﴿ قـــالــــوا أمنك لأنت يـــوســف ﴾	4.
4444	﴿قَالِسُوا تَالِيلُهُ لَيْقَدُ وَالْسِرَى النَّابِ عَلَيْسَنَّ﴾	41
777.A	﴿قــال لا تثريب عــاــيـــكـــم الــيـــوم﴾	44
7474	﴿الْمَاسِوا بِقَمَيْصِي هَذَا مُثَلِقَوهِ عَلَى وَجِهَ أَسِي﴾	44
444.	﴿ وَلِمَا فَصِيْتِ الْعَيْرِ قَبَالَ أَبِوهِمْ إِنِّي لأَجِدَ رِيحٍ يُوسِفَ﴾	48
444.	﴿قَـالَـوا تَــالَـلَـه إِنْكَ لَـبَقْسَى مُسِلالِكَ الْـقَـديم﴾	40
7791	﴿ فَـلَـمَا أَنْ جَاء البَيْشِيرِ ٱلبَقَاءُ عَلَى رَجِهَه ﴾	47
7797	﴿قَالُولَ إِنَّا أَبِنَا اسْتَخْفُر لَنَّا ذَنُولِنًا﴾	47
7797	﴿قبال سِوفِ أسِيتَ فِيقِي لِكِم ريسَى﴾	4.4
7797	﴿ فَمَا مَمَا دَخُلُوا عَلَى يَوْسِفَ ءَاوِي إِلَيْهَ أَبِيوِيهُ ﴾	99
3877	﴿ورضع أبسويسه عسلس السعسرش وخسروا لسه سسجسدا﴾	١٠٠
7847	﴿رب قد ءاتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث	1.1
7797	﴿ذَكَ مَـــنَ أَنْسَهِـــاءَ السَّعْـــيَبِ نَسَوَحَــيَـــه إِلْـــيك﴾	1.4
7444	﴿ ومسا أكثر السنساس ولسو حسرصت بمؤمسنين	1.4
YYAA	﴿وما تسنسلهم عليه من أجر﴾	1.5
7899	﴿ وكسأيسن مسن ءايسة فسي السمساوات والأرض	١٠٥
7799	﴿ ووسيا يسيق ن أكثره م بسيالله ﴾	1.7
7799	﴿أَفَامِنُوا أَنْ تَأْتِيهِم عَاشِيةَ مِنْ عَذَابِ اللهُ﴾	1.4

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
1-37	﴿قَــل هــــــــــــــــــــــــــــــــــ	۸۰۸
75.4	﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نسوحي إليهم﴾	1.9
72.4	﴿حتى إذا استهتس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا﴾	11.
72.7	﴿ لَــــَّـــ كَــــانَ فِـــى قصصـــهــم عبرة لأولى الألــبـــاب ﴾	111
78.9	خاتمة سورة يوسف	
7811	تفسير سورة الرعد	
7217	نظرات في سورة الرع د	_ !
7870	﴿ الْمَرِ تِــَــِكَ ءَابِــَاتَ الْـــكِـــتِــَابِ﴾	\
787.	﴿الله السدى راسع السهارات بسفير عسمسد	۲
727.	﴿ وهدو البذي مد الأرض وجدعل قيسهما رواسس	۳ .
767-	﴿ وَفَى الأَرْضَ قطع منتجاورات وجِنَّات من أعناب ﴾	٤
7878	﴿ وإن تسعيجِ فعيجِ قعولهم أوذا كنيا تسرايها ﴾	٥
7277	﴿ ويستعجارنك بالسيئة قبل المسئة ﴾	٦
AFSY	﴿ويعقبول الدنيين كغروا لبولا أنزل عليه ءاية من ريه	٧
757.	﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد	٨
754.	﴿عــــــالم الــــــــــــــــــــــــــــ	٩
724.	وسواء مستكم من أسر القول ومن جيوريه	١.,.
7277	وله منعقبات من بين يندينه ومن خلفه	11
7575	وم و الددى يسريدكم البرق خسوفها وطمسعسا	17
3737	ورس بح البرعد بصمده والملائكة من غيفته)	14
3737	وله دعموة الدق والمذيسن يستعمون مسن دونسه	١٤
3737	ون يسجد من فسى السماوات والأرض	10
455.	وقـــل مـــن رب الســمــاوات والأرض قـــل الله	17
7881	﴿أنسزل مسن السمساء مساء فسسالت أوديسة﴾	17
Y221	وليا ذين استجاب والريهم الحسبني ﴾	1.4
7880	﴿أَفَ مَسَنَ يَصِيلُهِمُ أَنْمَا أَنْصَرُلُ إِلْسِيكُ مَسِنَ رِيكَ الْحَقِّ﴾	11
7337	﴿السِنْيِسِنْ يِسِرِهُ سِنْ بِعِسِهِ دَاللهِ﴾	٧٠
7887	ووالسنيسن يصلون مسا أمسرالله بسه أن يسومسل	41
h	L 	L

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7887	﴿والذين صبروا ابتفاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة	77
4584	﴿جِنَات عدن يدخلونها ومن صلح من ءابائهم وأزواجهم وذرياتهم﴾	74
P337	وسلام عاميرتم)	37
7800	﴿ وَالدَّيْنَ يَسْتَغَصُّونَ عَنْهِ لَا لَنَّهُ مُنْ بَعَدَ مَيْثَاقَهُ ﴾	70
7800	﴿الله يــــبــــــــــــــــــــــــــــــــ	77
7637	﴿ ويعقول الدّين كفروا لولا أنسزل علميه علية	44
7607	﴿ الدِّينَ ءامستوا وتعلمستن قبلويهم يدكر الله ﴾	YA
7607	﴿ السَّدِيسِنْ وامستَسوا وعسمسلسوا العمسالحات ﴾	44
7200	﴿كذلك أرسلنناك في أمنة قد شات من قيلها أمم﴾	۳٠
7607	﴿ وَلُو أَنْ قَدْءَانَا سِيرَتَ بِنَهُ الْجِينَالُ أَوْ قَطْعَتَ بِنَهُ الْأَرْضُ﴾	77
757.	﴿واقت استسهري برسل من قبلك﴾	44
451.	﴿ أَفْدِمُدِنْ هُـو قَدَائِمَ عَـالِي كِيلَ نَبِفُس بِمَا كَسِيتُ ﴾	٣٣
· 737	﴿ لَهُم عَذَابِ فَي العَهَاةَ الدَّنِيا وَلَحِنَابِ الآخَرةَ أَشْقَ ﴾	37
7577	﴿مســــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٣٥
4574	﴿ وَالدَّيْنَ ءَاتَيْنَاهُمُ الكِتَّابِ يَفْرِضُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾	777
3737	﴿وكنلك أنسزا خياه دكما عريسيسا﴾	77
7577	﴿وَلِقَدَ أُرْسَلْنَا رَسَلًا مِنْ قَبِلُكُ وَجِعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجِا وَنَرِيَّةً﴾	4.4
VF3Y	﴿ مِم سِ السَّابِ مِنَا يَشْسَاء ويَسْتُ بِينَ﴾	44
7579	﴿ وإن ما نسريستك بسعض السذى نسمسم	٤٠
PF37	﴿أَوَام يروا أَنَا نَأْتَى الأَرضَ نَنقَعَنِهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾	٤١
454.	﴿وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا﴾	23
727.	﴿ ويــــقـــول الــــذيـــن كـــفــروا لست مـــرســـــلا	٤٣
7877	موجز أهكار سورة الرعد	_
7877	تقسير سورة إبراهيم	_
7575	نظرات هي سورة إبراهيم	_
764.	﴿الركتاب أَدْرَلْنَاه إليك لتخرج النَّاس مِن النَّالْمَات إلى النَّور﴾	١
75.4.	﴿ الله السدى لسه مسا قسى السسمساوات ومسا قسى الأرض ﴾	۲
484	﴿ السَّذِيدَن يُستَحَجِّونَ الدِينَاةِ الدَّنِينَا عَلَى الأَضْرَةَ ﴾	٣

1024	ر فهرس موضوعات)	الجزء التالت غش
رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
78.87	﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قدومه ﴾	٤
7887	﴿ ولقد أرسلنا موسى بسأيسانسا أن أخرج قومك ﴾	ď
4540	﴿ وإذ قال موسى لنقومه الكروا نعمة الله عليكم	٦
0 A 3 Y	﴿ وإذ تسأذن ريكم لـــــن شكسرتم لأزيدنكم	V
YEAV	﴿ وقسال مسوسس إن تكفيروا أنستم ومن في الأرض	٨
YEAV	﴿ أَلُم يَسَأْتُكُم نَسَبَسُوا السَّذِيسَ مَسَنَ قَسَبِسَلُكُم﴾	٩
78.49	﴿قِــــالت رســـ ا ــــهـــم أقـــــى الــــــــــه شك﴾	1.
PA37	﴿قَالَت لَسَهُم رَسَالُهُم إِنْ نَسَمَانَ إِلَّا يَشْمَرا ﴾	11
7849	﴿ومالنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا﴾	17
7897	﴿ وقسال الذيب ت كنفروا لسرسلهم لشخرجتكم	14
7897	﴿ول نسب ك نبك م الأرض من يسعدهم ﴾	١٤
4848	﴿ واستفتحوا وخاب كنل جبسار عند ﴾	10
3837	﴿	17
7848	«يــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	117
7847	﴿مستل الدِّينَ كَفَروا بِدريهِم أعمالِهِم كرماد﴾	14
7899	﴿ أَلَم تَـــر أَن الــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	11
7844	وما ذلك عمامين السلمة بمستمين في السام	٧٠
7899	ورسرزوا لسلبه جمع يبعدا فقسال الضبع فبناء	41
70.7	﴿ وقيال الشيطان لما قضى الأمر ﴾	44
70.7	ورادخيل المدين وامينوا وعماليوا الصبالمات	74
70.0	﴿ أَلُم تَسْرَكُ بِينِيْفَ فَسَارِبِ النَّابِ مَسْئِلًا كَلَامَةً طَيِينَةً﴾	71
70.0	وترقتي أكسلسها كسل حين بساندن ريسهسا	Y0
Y0.Y	﴿ رمال كلمة هبيئة كشجرة هبيئة﴾	77
Y0.V	ويشبت البلبه البذيين وامينوا بالمقدول الشابت	77
701.	﴿ أَلُم تَسْرِ إِلَى السَّدِينَ بِسَدَلِسَ اسْعَسَتَ السَّلِيهُ كَسَمَا ﴾	44
701.	﴿حِسهِست،م يصابونسها ويستس السقسرار﴾	79
701.	وُوجِ مِنْ اللَّهِ أَنْ ذَاذَا لَيَضَالُوا عَنْ سَيْدِ لِلَّهُ ﴾	٣٠
701.	﴿ قَـل لَـعـبِـادى البذيبن عامـنـوا يـقـيـمـوا الصـلاة ﴾	۳۱

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
4014	﴿السامة الذي خاصة السمساوات والأرض	77
7017	﴿وسِ عَبِر لِـكِم الشِّعس والسِّقَـمِـر دائسيين﴾	77
7017	﴿وءاتساكه مسن كسل مسا سسألستسمسوه﴾	4.5
7017	﴿ وإذ قال إبراههم رب اجعمل هذا البك ءامضا ﴾	٣٥
7017	﴿رِبِ إِنْ هِنْ أَصْلَالَ نَكِيْرًا مِنْ النِّياسِ﴾	41
7017	﴿ربنا إنسى أسكنت من ذريتى بواد غير ذي زرع	77
7017	﴿ربِنَا إِنْكَ تَعَلَمُ مَا نَصْفَى وَمَا نَعَلَىنَ﴾	٣٨
404.	﴿العمد لله الذي وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق﴾	79
707.	ورب اجعالتى مقيم الصالة ومن ذريستى	٤٠
707.	﴿رينسا اغفراني وإسوالسدى وإسلمومومينين	٤١
7077	﴿ ولا تدسين السلمة غنافسالا عنصنا ينصمنان السقاسالمون ﴾	٤٢
7777	﴿مهطمين مقنعي رموسهم لا يرتد إليهم طرفهم﴾	24
7075	﴿ وَأَنْدُرُ الْسَنَّاسِ يَسِومَ يَسَأَنِّينِهِمَ السَّعَدَابِ ﴾	٤٤
7077	﴿ وسكنتم في مساكن النين ظلموا أنفسهم ﴾	٤٥
7075	﴿وقد مكبروا مكرهم وعبند البله مكرهم﴾	13
7077	﴿ فِاللَّا تَحْسَيْنَ السَّالِيَّةِ مِثْلِسَفَ وَعَادِهِ رَسَّلْسِهِ ﴾	٤٧
7077	﴿يــوم تــــــدل الأرض غير الأرض والســمـــاوات	£A.
7707	﴿ور المجرمين يسرمسان مسقسرنين ﴾	٤٩
7077	السرابي المهم من قسط ران	٥٠
7077	﴿ليبجيزي البليه كيل نيفس منا كسبت﴾	٥١
7077	﴿مـــذا بـــــلاغ لــــلــنــــاس واـــيــنـــذروا بـــه﴾	70
17071	ط ی حُتام سورة إبراهیم	-
7077	تخريج أحاديث وهوامش	_
7020	ظهرس موضوعات	_

تم بحمد الله تفسير الجزء الثالث عشر ويليه تفسير الجزء الرابع عشر إن شاء الله تعالى

تفسيرالقرآن الكريم

الجزء الرابع عشرمن القرآن الكريم

الدكتور

عبد الله شحاته





نظرات في سورة الحجر

سورة المجر سورة مكية ، ومحور هذه السورة الأول هو : إبراز المصير المغيف الذي ينتظر الكافرين المكذبين .

وحول هذا المحور يدور السياق في عدة جولات متنوعة الموضوع والمجال ، ترجع كلها إلى ذلك المحور الأصيل ، سواء في ذلك القصة ، ومشاهد الكرن ، ومشاهد القيامة ، والتوجيهات والتعقيبات التي تسبق القصم وتتخلله وتعقب عليه .

وإذا كان جو سورة الرعد يذكر بجو سورة الأنعام ، فإن جو هذه السورة – سورة الحجر – يذكر بجو. سورة الأعراف .

لقد كان ابتداء سورة الأعراف بالإنذار ، ثم ورد فيها قصة آدم وإبليس ، ويلى القصة عرض لبعض مشاهد الكون ، في السماوات والأرض ، والليل والنهار ، والشمس والقمر ، والنجوم ، والرياح ، والسحاب ، ويلى ذلك قصص : قوم نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، وهوسى .

وهنا في سورة الحجن يجيء الإنذار كذلك في مطلعها ، ولكن ملفعا بظل من التهويل حين يقول : فَسُوْلَ يَعْلَمُونَ » وَمَا أَهْلَكُنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابُ مَثْلُومٌ * مَّا تَشِقُ مِنْ أَمْقِ أَجْلُهَا وَمَا يَسْتَصْحُرُونَ . (الحجن ٣-٥)

ثم يعرض السياق بعض مشاهد الكون: السماء ، وما فيها من بروج ، والأرض الممدودة ، والرواسي الراسة ، والنواسي الراسة ، والنواسي الله الله في الله الله والنواس المحميم ، يلى ذلك: والنهاس المحميم ، يلى ذلك: وعمل الله وإبليس ، منتهية بمصير التباعه ، ومصير المؤمنين .. ومن ثم لمحات من قصة إبراهيم ، ولموط، وشعيب ، ومسال المكذبين .

ويمكن تقسيم سياق السورة هذا إلى عدة جولات أو عدة مقاطع يتضمن كل منها موضوعا أو مجالا:

تتضمن الجولة الأولى: بيان: سنة الله التي لا تتخلف في الرسالة والإيمان بها والتكنيب ، مبدوءة بذلك الإنذار الضمني الملقم بالتهويل: ذَرْهُمْ يُأكُلُواْ وَيَتَمَّعُواْ وَيُلْهِهُمُ الْأَمْلُ فَسَرُفُ يُعْلُمُونَ . (المجر: ٢).

ومنتهية بأن المكذبين إنما يكذبون عن عناد لا عن نقص فى دلائل الإيمان ، وأنهم جميعًا من طراز واحد . لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ شُنَّةُ ٱلأَوْلِينَ . (المجر: ١٣) .

وتعرض الجولة الثانية : بعض آيات الله في الكون ، في السماء وفي الأرض ، وما بينهما ، وقد قدرت بحكمة ، وأنزلت بقدر ، وإلى الله مرجع كل شيء وكل أحد في الوقت المقدر المعلوم حيث يقول سبحانه :

وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَآئِتُهُ وَمَا نُنزَّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ . (المحجر: ٢١) .

وتعرض الجولة الثالثة : قصة البشرية وأصل الهدى والغواية في تركيبها وأسبابها الأصلية ، ومصير الغاوين في النهاية والمهتدين ، وذلك في خلق آدم من صلصال من حماً مسنون ، والنفخ من روح الله في هذا الطين ، ثم غرور إبليس واستكباره وتوليه الغاوين دون المخلصين .

والجولة الرابعة : في مصارع الغابرين من قوم لوط وشعيب وصالح مبدوءة بقول الله تعالى : لَهُمْ عِبَادِيّ أَلْيَ ٱلْكُالُّورُ ٱلرُّحِيمُ و زَانُ عَلَمُ إِي هُوَ ٱلْفَكَابِ ٱلْأَلِيمُ . (الحجر: ١٤، ٥٠)

ثم يتتابع القصص يجلو رحمة الله مع إبراهيم ولوط ، وعذابه لأقوام لوط وشعيب وصالح .

أما الهولة الخامسة والأخيرة: فتكشف عن الحق الكامن في خلق السماوات والأرض الملتبس بالساعة وما بعدها من ثواب وعقاب ، المتصل بدعوة الرسول ﷺ ؛ فهو الحق الأكبر الشامل للكون كله وللبدء والمصير .

الأييات الكونيية في سورة الحجر

عرضت سورة الحجر لألوان المكابرة والعناد القي يلجأ إليها الكافرون ثم انتقلت إلى معرض الآيات الكونية مبدرءا بمشهد السماء فمشهد الأرض ، فمشهد الرياح اللواقع بالماء ، فمشهد الحياة والموت فمشهد البعث والمشر ... كل أولئك آيات يكابر فيها المعاندون . قال تعالى :

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَاءِ بُرُوجًا وَرُقِسُّهَا لِلنَّظِرِينَ * وَحَقِطْنَهَا مِن كُلِ شِيَطَانِ رُجَيم * إِلاَّ مَن ٱسْتَوَقَ ٱلسَّمْعَ فَالْبَعَهُ شِهَابٌ ثُمِينًا . (لعج: ١٦–١٨).

إنه الفط الأول فى اللوحة العريضة ، لوحة الكون العجيب الذى ينطق بآثار اليد المبدعة ، ويشهد بالإعجاز ، ويكشف عن دقة التنظيم والتقدير ، كما يكشف عن عظمة القدرة على هذا الخلق الكبير ، والبروج قد تكون هى النجوم والكواكب بضخامتها ، وقد تكون هى منازل النجوم والكواكب التى تنتقل فيها فى مدارها. وهى فى كلتا الحالتين شاهدة بالقدرة وشاهدة بالدقة ، وشاهدة بالإبداع الجميل . قال تعالى :

وَزَيِّنْكُهَا لِلنَّلْظِرِينَ .

وهي لفتة إلى جمال الكون ، ويخاصة أن تلك السماء ، تشى بأن الجمال غاية مقصودة في خاق هذا الكون ، فليست الضخامة وحدها ، وليست الدقة وحدها : إنما هو الجمال الذي ينظم المظاهر جميعا ، وينشأ من تذاسقها حميعا .

وإن نظرة مبصرة إلى السماء في الليلة الحالكة ، وقد انتثرت فيها الكواكب والنجوم توصوص بنورها ثم تبدو كأنما تنهو ، ريثما تنتقل العين لتلبى دعوة من نجم بعيد .. ونظرة مثلها في الليلة القمرية والبدر حالم ، والكون من حوله مهموم كأنما يمسك أنفاسه ؛ حتى لا يروقظ الحالم السعيد .

إن نظرة واحدة شاعرة لكفيلة وإدراك المقبقة في الجمال الكونى ، وعمق هذا الجمال في تكويف ، ولادراك معنى هذه اللفتة المجبية .. وَزُلِّتُنْهُمُ لِلنَّمْظِونِينَ .

والفط الثانى في اللوحة الدريضة الهائلة هو : خط الأرض المعدودة أمام النظر المبسوطة للخطو والسير، وما فيها من رواس وما فيها من نبت وأرزاق المناس ولغيرهم من الأحياء . قال تعالى :

وَٱلْأَرْضَ مَدَدُنَتُهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَلْبَنْنَا فِيهَا مِنْ كُلَّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ . (المجر: ١٩) .

إن ظل الضخامة واضح في السياق ، فالإشارة في الأرض إلى الرواسي ، ويتجسم ثقلها في التعبير بقوله : وَأَلْقِنَا فِيهُا رُوَّاسِيِّ

وإلى النبات مومموغا بأنه : فُوَّرُوثٍ ، وهي كلمة ذات ثقل ، وإن كان معناها : أن كل نبت في هذه الأرض في خلقه دقة وإحكام وتقدير .

والآية الكونية منا تتجاوز الآفاق إلى الأنفس ، فهذه الأرض الممدودة للنظر والخطو ، وهذه الرواسى الملقاة على الأرض تصاحبها الإشارة إلى النبت الموزون ، ومنه إلى المعايش التى جعلها الله للناس فى هذه الأرض ، وهى الأرزاق المؤهلة للعيش والحياة فهها ، وهى كثيرة شتى .

وهذه الأرزاق -- ككل شيء -- مقدرة في علم الله تابعة لأمره ومشيئته ، يصرفها حين يشاء ، وكما يريد ، في الوقت الذي يُريدُهُ ، حسب سنته التي ارتضاها وأجراها في الناس والأرازق . قال تعالى :

وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَانَا خَزَائِتُهُ وَمَا نُنزَّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ . (الصجر: ٢١) .

فما من مخلوق يقدر على شىء أن يمك شيئا ، إنما خزائن كل شىء – مصادره وموارده – عند الله في علاه ينزله على الخلق في عوالمهم : بقَلَر فَعُلُوم . فليس من شىء يذزل جزافا وليس من شىء يتم اعتباطا ، بل كل شىء يتم بحكمة العليم الخبير وتقدير السميع البصير: إِنَّا كُلُّ فَيْءٍ خَلْقَنْلُهُ بَقَدَر . (التمر: ٤٩) .

قصة آدم في سورة البقرة والأعراف والحجر

ذكرت قصة آدم فى القرآن مرتين من قبل ، فى سورة البقرة ، وفى سورة الأعراف ، ولكن مساقها فى كل مرة كان لأداء غرض خاص فى معرض خاص وفى جو خاص ، ومن ثم اختلفت الحلقات التى تعرض منها فى كل موضم واختلفت طريقة الأداء .

فى سورة البترة كانت نقطة التركيز هى استخلاف آدم فى الأرض التى خلقها الله للناس جميعا : إَاذَ قَالَ رُبُّكُ لِلْمَلَلَّبِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فى الدَّرْضِ خَلِفَةً . (البترة: ٣٠) ، ومن ثم عرض الأسرار فى هذا الاستخلاف ، وبين قدرة الإنسان على الاستنباط والاستنتاج وتمتعه بالإرادة والاختيار ، ثم عرض حكاية سجرد الملائكة وإباء إبليس واستكباره ، وسكنى آدم وزوجه البنة وإزلال الشيطان لهما عنها وإخراجهما منها ، ثم الهبوط إلى الأرض للخلافة فيها بعد تزويده بهذه التجربة القاسية ، واستغفاره وتربة الله عليه.

وفى سورة الأعراف ، كانت نقطة التركيز فى السياق هى الرحلة الطويلة من الجنة وإليها ، وإبران عداوة إلميس للإنسان منذ بدء الرحلة إلى نهايتها ، حتى يعود الناس مرة أخرى إلى ساحة العرض الأولى ، ففريق منهم يعود إلى الجنة التى أخرج الشيطان أبويهم منها : لأنهم عادوه وخالفوه ، وفريق ينتكس إلى الناز؛ لأنه اتبع خطوات الشيطان العدو اللدود .. ومن ثم عرض السياق حكاية سجود الملائكة ، وإباء إلميس واستكباره ، ثم إسكان آدم وزوجه الجنة يأكلان من ثمرها كله إلا شجرة واحدة ، وهى رمز المحظور الذى تبتلى به الإرادة والطاعة ، ثم وسوسة الشيطان لهما بتوسع وتفصيل ، وأكلهما من الشجرة وظهور سوآتهما لهما ، وعتاب الله لأدم وزوجه وإهباطهما إلى الأرض جميعا للعمل فى أرض المعركة الكبرى .

فأما منا في سورة الحجر فإن نقطة التركيز في السياق هي سر التكوين في آدم ، وسر الهدى والضلال، وعواملهما الأصلية في كيان الإنسان .. ومن ثم نُمنُّ ابتداء على خلق الله آدم من صلصال من حما مسنون ، ونفخه فيه من روحه المشرق الكريم ، وخلق الشيطان من قبل من نار السعوم ، ثم عرض حكاية سجود الملائكة وإباء إبليس استنكافا من السجود لبشر من صلصال من حما مسنون ، وطرد إبليس ولعنته وطلّب الانتظار إلى يوم البحث وإجابته ، وزاد أن إبليس قرر على نفسه أن ليس له سلطان على عباد الله المخلصين ، إنما سلطانه على من يدينون له ، ولا يدينون لله ، وانتهى بمصير هؤلاء وهؤلاء في غير حوار ولا عرض ولا تفصيل تبعا لنقطة التركيز في السياق وقد استوقت ببيان عنصرى الإنسان ، وييان مجال سلطة الشيطان .

خلق الإنسان

تفيد الآيات الواردة في سورة الحجر: أن الإنسان قد خلق من صَلْصَـٰلُ مِنْ حَمَاٍ مُسْتُونٍ . (الحجر: ٢٦).

والصلصال: هو الطين اليابس الذي يصلصل أي: يصوَّت إذا نقر.

والحمأ : هو الطين الذي تغير واسود من طول مجاورة الماء .

والمسود : هو المصور أو المصبوب ليبيّس من سنّه إذا صبّه ، أي : أن الإنسان مخلوق من طين يابس قد لختلط بالماء ومُرر على هيئة الإنسان ، ثم نفح الله فيه من روحه فصار بشرا سويا .

وتغيد آيات القرآن الأخرى : أن الله خلق آدم من تراب ومن طين ، ومن حماٍ مسنون ، ومن طين لازب، ومن صلصال كالفخار ، ومن عَجَر ؛ ومن ماءٍ مهين .

قال مقاتل بن سليمان في تفسيره الكبير:

ويجمع بين هذه الآيات على أنها دليل على تدرج الخلقة ، فقد بدأ خلق آدم من أديم الأرض ، وهو: التراب ، ثم تحول النراب إلى طين ، وتحول الطين إلى سلالة ، ثم تغيرت رائصة الطين فتحول إلى حماً مسنون، ثم لمعنى فتحول إلى طين لازب ، ثم صار له صوت كصوت الفضار ، ثم نفخ فيه الروح ، فأراد أن ينهض قبل أن تتم الروح فيه فذلك قوله : خُبِلِقُ آلْإِلسَّنُ مِنْ عُجَلٍ ، ثم جعل ذريته من النطقة التي تنسل من الإنسان ومن الماء المهين وهو الضعيف⁽⁶).

الربع الأخير من سورة الحجر

يتضمن الربع الأخير من سورة الحجر نماذج من رحمة الله وعذابه ممثلة في قصص إبراهيم وبشارته على الكبر بغلام عليم ، ولوط ونجاته وأهله إلا امرأته من القوم الظالمين ، وأصحاب الأيكة وأصحاب الحجر وما حل بهم من عذاب أليم .

هذا القصص يساق بعد مقدمة هي :

لِّنْي عِبَادِيَّ أَلِّي أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * وَأَنْ عَلَى بِي هُوَ ٱلْعَلَى ابُ ٱلأَلِيمُ . (المجر: ٤٩، ٥٠).

فيجيء بعضه مصداقا لنبرا الرحمة ، ويجيء بعضه مصداقا لنبرا العذاب ، كذلك هو يرجع إلى مطالع السورة فيصدق ما جاء فيها من نذير . ذَرْهُمْ يَأَكُلُواْ وَيَتَمَتُّواْ وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوفَ يَعْلَمُونَ هِ وَمَآ أَهْلَكُنَا مِن قَرَيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَنابَ مَعْلُومٌ • مَا تَسْمِقُ مِنْ أَمَّةُ أَعْلَهَا وَمَا يَسْتَشْعُوهُ وَنَى (الصحد ٣-٥٠).

فهذه نماذج من القرى المهلكة بعد النذر ، حل بها جزاؤها بعد انقضاء الأجل .

الحمير

سميت هذه السورة بسورة الحجر ؛ إشارة إلى أصحاب الحجر وهم : قوم صالح ، والحجر تقع بين الحجاز والشام إلى وادى القرى ، وهى ظاهرة إلى اليوم ، فقد نحتوها فى الصخر فى ذلك الزمان البعيد ، مما يدل على القوة والحضارة .

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَلْبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ . (المعر: ٨٠) .

وهم لم يكذبوا سوى رسولهم الصالح . ولكن صالحا ليس إلا مثلا للرسل أجمعين ، فلما كذبه قومه قيل: إنهم كذبوا المرسلين : توحيدا للرسالة وللرسل وللمكذبين فى كل أعصار التاريخ وفى كل جوائب الأرض على اختلاف الزمان والمكان والأشفاص والأقوام .

وَعَاتَيْنَاهُمْ عَايَاتِنَا فَكَأْنُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ . (الصور: ٨١).

وآية مسالح كانت الناقة ، ولكن الآيات في هذا الكون كثيرة ، والآيات في هذه الأنفس كثيرة ، وكلها معروضة للأنظار والأفكار ، وليست الشارقة التي جاءهم بها مسالح وهي وحدها الآية التي آتاهم الله ، وقد أعرضوا عن آيات الله كلها ، ولم يفتصوا لها عينا ولا قلبا ولم يستشعرها فيهم عقل ولا ضعير .

وَكَالُواْ يَنْحِثُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ يُبُوتًا عَامِينِنَ ﴿ فَأَخَلَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَالُواْ يَكْسِبُونَ. (السهن ٨٦ - ٨٤).

لقد اتخذ قوم صالح بيوتا حصينة أمينة فى صلب الجبال فأخذتهم الصيحة فى وقت الصباح ، وهم فى ديارهم الحصينة آمنون ، فإذا كل شىء ذاهب ، وإذا كل وقاية ضائعة ، وإذا كل حصين واهن ، ولم يبق لهم مما جمعوا ومما كسبوا ومما بنوا ومما نحتوا شيئا يغنى عنهم ويدفع الهلاك الخاطف .

وهكذا تنتهى الطقات الفاطفة من القصص في سررة الحجر محققة سنة الله في أخذ المكذبين عند انقضاء الأجل المعلوم ، فتتناسق نهاية هذا الشوط مع نهايات الأشواط السابقة في تحقيق سنة الله التي لا تختلف ولا تحيد . وفي ختام السورة ذكر للسنن العامة التي لا تنظف والتي تحكم الكون والحياة وتحكم الجماعات والرسالات وتحكم الهدى والضلال ، وتحكم المصائر والحساب والجزاء والتي انتهى كل مقطع من مقاطع السورة بتصديق سنة منها ، تلك السنن شاهد على الحكمة المكنونة في كل خلق من خلق الله وعلى الحق الأصيل الذي تقوم عليه طبيعة هذا الخلق .

ومن ثم يعقب السياق في ختام السورة ببيان هذا الحق الأكبر الذي يتجلى في طبيعة خلق السماوات والأرض وما بينهما ، وطبيعة الساعة الأتية لا ريب فيها وطبيعة الدعوة التي يحملها الرسول ﷺ وقد حملها الرسل قبلة ، ويجمع بينها كلها في نطاق الحق الأكبر الذي يربطها ويتجلى فيها ويبين أن الله هو الخالق لهذا الرجود ، ولكل ما فيد™.

إِنَّ رَبُّكَ هُوَ ٱلْخَلِّنْقُ ٱلْعَلِيمُ . (العجن ٨٦) .

بِنْ إِلَّهُ الْخَرْالِينِ إِلَّهُ الْخَرْالِينِ إِ

﴿ الرَّ يَلْكَ مَايَنْتُ ٱلْكِتَنْبِ وَقُرْءَانِ شِّينِ ۞ ثُبُكَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَ فَرُوا لَوْكَانُواْ مُسْلِمِينَ ۞ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِمْ ٱلْأَمَٰلُّ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۞ وَمَا اَهْلَكُنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَا وَلَمَا كِنَابٌ مَعْلُومٌ ۞ مَّانَسْمِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَايَسْتَغْرُونَ۞﴾

المفردات :

ربهمسمسسا، بضم الراء وتخفيف الباء وتشديدها ، كلمة تدل على أن ما بعدها قليل الحصول.

يسف هم يشغلهم .

م___اتس___يــــق، ما يتقدم زمان أجلها .

التفسير،

۱ – آئے ...

تقدم في سورة البقرة وآل عمران والأعراف حديث عن الحروف المقطعة في فواتح السور.

وخلاصته : أن للعلماء في هذه الأحرف رأيان رئيسان :

الأول : أنها مما استأثر الله تعالى بعلمه ، وهذا معنى ما نراه فى تفسير الجلالين وغيره ، الله أعلم بمراده فى ذلك .

الرأى الثاني: أن لهذه الأحرف معان ، وقد اختلف العلماء في معاني هذه الأحرف:

١-- قمتهم من قال : إنها أسماء للسورة .

٧- ومنهم من قال: إنها إشارة إلى أسماء الله تعالى أو صفاته.

٣- ومنهم من قال: إنها مثل أدوات التنبيه ، كالجرس الذي يقرع ؛ فيتنهه التلاميذ لدخول المدرسة ؛ فقد
 كان الكفار يتراصون: بالإعراض عن استماع القرآن ، فلما طرقت أذهانهم هذه الأحرف : تنبّهوا أمام
 هذا الأمر المحيي .

٤- ومنهم من قال: هي حروف للتحدّي والإعجاز، وبيان: أن الخلق عاجزون عن الإتيان بمثل القرآن، مع أنه مكنّ من حروف عربية ، ينطقون بها ويتكلمون بها ، وقد عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن ، فدلُ ذلك: على أن القرآن ليس من صنع بش ، ولكنّه تنزيل من حكيم حميد.

ومنهم من ذهب إلى أنّ من إعجاز هذه الأحرف : اشتمالها على جميع المعانى التى ذكرها العلماء في
 تفسيرها ، فهي أسماء للسورة ، وهي تشير إلى أسماء الله أو صفاته .

وهي في نفس الوقت أدوات اللتنبية .

وهي حروف للتحدّي والإعجاز.

وهي مما استأثر الله تعالى بعلمه ، والله أعلم .

تِلْكَ ءَايَكْتُ ٱلْكِعَلْبِ وَقُرْءَانٍ مُّينٍ.

أى: هذه الآيات التي استملت عليها هذه السورة ؛ من آيات ذلك الكتاب الكامل ، ومن آيات القرآن المبين الواضح ، وقد جمع الله للكتاب صفتان : فهو الكتاب الكامل من بين الكتب المنزلة ، وهو القرآن الواضح في بيانه وإحكامه ، وقد تميز القرآن من بين سائر الكتب بصفتين :

الأولى: حفظه وقراءته عن ظهر قلب، والكتب السابقة تقرأ ولا تحفظ، كما يُحفظ القرآن.

الثالية: كتابة القرآن في حياة رسول الله ﷺ وتجميع كتابته في مصحف واحد في حياة أبي بكر، * ثم كتابته بالقصحي وبلغة واحدة في حياة عثمان بن عفان ، وظل المصحف العثماني ، بالخطأ العثماني مصحف عن أخر : تصديقا لقوله تمالي:

إِنَّا نَحْنُ نَزُّلْنَا ٱلذُّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَنْفِظُونَ . (العجن ٩) .

والأناجيل كتبت بعد وفاة المسيح عليه السلام بعشرات السنين ، وقد جمعها تلاميذه على ما غلب على غذهم أن المسيح قاله ، وقد اختلفت الأناجيل عن بعضمها ، وغلب على كل إنجيل صفة كاتبه ومعلوماته .

فإن كان فيلسوفا ؛ ظهرت الفلسفة في إنجيله ، وإن كان طبيبا ؛ غلب عليه العناية بالأمور الطبية . ولا يوجد في العالم كتاب يشبه القرآن ، في دقّته ونقاته وسلامته من الأخطاء .

٧ - زُبَمَا يَوَدُّ ٱللَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَالُواْ مُسْلِمِينَ .

هذا إخبار من الله تعالى عن الكفار ، بأنهم سيندمون على كفرهم حين يرون العذاب فى الأخرة ، ويتمنون أن لو كانوا مسلمين .

وقد ورد في الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: « إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاه الله من أهل القبلة، قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟! قالوا: بلي، قالوا: فما أغني عنكم الإسلام، وقد صرتم معنا في النار! قالوا: كانت لنا ذنوب فأخِذْنا بها، فسمع الله ما قالوا: فأمر بعن كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا، فلما رأى ذلك من بقي من الكفار قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين، فنخرج كما خرجوا^{الا}،

قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ : أعوذ بنالله من الشيطان الرجيم ، الَّمَّرَ تِلْكَ عَالِمْتُ ٱلْكِتْسِ وَقُرْ وَانِ مُّجِينِ ﴿ رُبَّمَا يَوْذُ ٱللَّهِينَ كَفُرُوا أَنْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ، (الصور: ١٠٠) .

وقد جاءت رُبّمًا للتقليل على سنة العرب فى نحو قولهم : ربّما تندم على ما فعلت ، ولعلك تندم على ما فعلت ، ولعلك تندم على ما فعلت ، ولعلك تندم على ما فعلت ، لا يقصدون التقليل فى نحو ذلك ، وإنما يريدون أن الندم لو كان مشكوكا فيه ، أو نو كان قليلا لحقّ عليك ألاً تقعل هذا الفعل ، إذ الماقل يتحرز من التعرض للغمّ المظنون ، كما يتعرض للفم المتيقن ويبتعد عن الكثير .

والكافر يتمنى أن أو كان مسلما في مواقف عديدة :

١- إذا رأى الإسلام ينتمس والكفر ينهزم.

إذا رأى ملك الموت وتيقن بسوء الخاتمة .

٣- إذا رأى هول الموقف، وشاهد المسلمين يساقون إلى الجنة، ويساق الكفار إلى النار.

٤-- إذا خرج المسلمون المعذبون بذنويهم من عذاب النار ويقى الكافرون في جهنم.

قَالَ الْرَجَاجَ : إِنَ الكَافَرِ كَلَمَا رأَى حَالاً مِنْ أَحَوَالَ العَفَابِ ، ورأَى حَالاً مِنْ أَحَوَالَ المسلم : و.ُ أَنْ لَو كَانْ مسلما .

وقريب من هذه الآية قوله تعالى : وَلَوْ تَرَىّ إِذْ مُؤْقِعُواْ عَلَى آلنَارٍ فَقَالُواْ يَنلَيْتَنَا لُوذُ وَلاَ نُكَذَّبْ بِنَايِسْتِ رَبَّنا وَنكُونُ مِنَ آلْمُؤْمِينَ . (الانعام: ۲۷). ٣- ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ .

أى : اتركهم أيها الرسول الكريم في غفلاتهم ، يأكلون كما تأكل الأنعام ، ويتمتعون بلذات الدنيا وشهواتها ، ويأخذون حظوظهم من دنياهم ، وتلك أخلاقهم ولا خلاق لهم في الآخرة .

وَيُلْهِهُمُ ٱلْأَمْلُ , أي : تشغلهم الآمال عن الأخذ بحظُّهم من الإيمان والطاعة .

فَسَوْفَ يُعْلَمُونَ . سوء صنيعهم إذا هم عاينوا سوء جزائهم ، وسوء عاقبتهم ، وهي هذا وعيد وتهديد .

من تفسير الفخر الرازي

دلت الآية على : أن إيثار التلذد والتنعم ، وما يؤدى إليه طول الأمل ، ليس من أهلاق المؤمنين ، ومن بعضهم : التمرُّغ في الدنيا من أهلاق الهالكين ، والأخبار في دم الأمل كثيرة ، فمنها ما روى عن النبي ﷺ أنه قال : « يهرم ابن آمم ويشيب معه الثنان : للحرص على المال وطول الأمل ، "0.

وعنه ﷺ أنه نقط ثلاث نقط ، وقال : « هذا ابن آدم ، وهذا الأمل ، وهذا الأجل ، ودون الأمل تسع وتسعون منية فإن أهذته إحداهن ، وإلا فالهرم من ورائه »⁽⁶ .

وعن على رضى الله عنه أنه قال: إنما أخشى عليكم اثنين: طول الأمل ، واتباع الهوى ، فإن طول: الأمل ينسى الله والآخرة ، واتباع الهوى: يصدّ عن الدقّ ، والله أعلم"ا.

\$ - وَمَا أَهْلَكُنَا مِن قَرْيَةِ إلا وَلَهَا كِتَابٌ مُعْلُومٌ .

كان أهل مكة يستبطئون العذاب ، ويقولون : متى يجىء ما تعدنا به يا محمد من نزول العذاب ؟! فأخير الله تعالى : بأن كل قرية من القرى الظالمة ، كان هلالكها وقت مقدر ، فقد هلك قوم نوح بالطرفان، وهلك فرعون فى ماء النيل ، وهلكت عاد وثمود بعذاب شديد ، قال تعالى : فَلَمَنْمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِلَنْهِمْ فَسُواهَا » وَلاَ يَخَلَفُ عُقْبُاها . (الشسن ١٤٠٠).

ومعنى الآية : ما أملكنا أمل قرية من القرى الظالمة ، التى كذبت رسل الله تمائى ، إلا ولها أحل مقدر مكتوب فى اللوح المعفوظ ، لا ينسى ولا يفغل عنه .

٥- مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَنْخِرُونَ .

أي: لا يتقدم هلاك أمة قبل مجيء أوانه ، ولا يتأخر الهلاك متى حل الأجل .

قال ابن كثير: وهذا تنبيه لأمل مكة وإرشاد لهم إلى الإقلاع عما هم عليه من العناد والإلحاد ، الذي يستحقون به الهلاك .

* * *

﴿ وَقَالُواْ يَتَاثِّمُ الَّذِى نُزِلَ عَلَيْهِ الذِّكُرُ إِنَكَ لَدَجْنُونٌ ۞ لَوْمَا تَأْيِسَا بِالْمَلَتِهِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّدِيقِينَ ۞ مَا نُنَزِلُ الْمَلَتِهِكَةَ إِلَا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُواْ إِذَا مُنظرِينَ ۞ إِنَّا عَتَى ثَنَّ اللَّذِكْرُ وَإِنَّاللَهُ لَتَفِظُونَ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن فَبْلِكَ فِي شِيعَ الْأَوَٰلِينَ۞ وَمَا يَأْتِهِم مِن رَسُولِ إِلَّا كَانُوا بِهِ عَسْنَهْ يَهُونَ ۞ كَذَلِكَ نَسَلُكُمُ فِي قُلُوبِ المُتَجْرِمِينَ ۞ لاَيُوْمِنُونَ بِقِهُ وَقَدْ خَلَتْ مُنَةً ٱلْأَوْلِينَ ۞ وَلَوْفَنَحْنَا عَلَيْمِ الْبَائِلَ السَّمَ عَافِظُ أَوْلِيهِ يَعْرُجُونَ ۞ لَقَالَوْ إِلَيْ اللَّهُ الْفَالِينَ اللَّهُ الْمَائِلُ الْمَنْعُونُونَ

المفردات:

السيستكسسر، القرآن.

____وم____ا، مثل ملاً كلمة تفيد : الحثُّ والحضُّ على فعل ما يقع بعدها .

مستسطسريست، مهملين.

نسية كه؛ أي: ندخله ، يقال: سلكت الخيط في الإبرة ، أي: أدخلته فيها .

وقد غلت سنة الأولين ، أي: وقد مضت سنة الله في الأقوام الأولين ، بإهلاك من كذُّبوا الرسل منهم ، وهذا وعيد الأهل مكة .

يسعسرچون، يصعدون.

سيكسرت، سدَّت، ومُنعت من الإيمدار.

مسيع ورون: سحرنا محمد بظهور ما أبداه من الآيات.

التفسيره

٣ - وَقَالُواْ يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذُّكُرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ .

يخير الله سبحانه وتعالى عن كفرهم وعنادهم ، في قولهم :

يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ . أي : الذي تدَّعي ذلك .

إِنَّكَ لَمَجُّونٌ . أي : في دعائك إيانا إلى اتَّباعك ، وترك ما وجدنا عليه آباءنا .

٧- لُّوْمَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّائِقِينَ .

أي : هلا جنتنا بالملائكة يشهدون لك ، بصدق ما جنت به من الرسالة ، إِنْ كُنتَ مِنَ ٱلْمُسْلِقِينَ ، في دعواك ، فإن قدرة الله تعالى ذلك مما لا ربي فيه ، وكذا احتياجك إليه .

وفي معنى هاتين الأيتين وردت آيات في القرآن الكريم على لسان الكافرين ، تتهم الرسل بالجنون ، وتطلب منهم إحضار الملائكة لتصديقهم ، من ذلك قول فرعون : فَلُوْلاَ أَلْقِي عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهْبِ أَوْ جَاءً مُتَهُ آلْمَيْكُمْ فَقُولِهِمْ . (من ذلك قول فرعون : فَلُوْلاً أَلْقِي عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهْبِ أَوْ جَاءً مُتَهُ اللّهِ عَلَيْهِ أَسْوِرَةً مِّنْ لَعْبِ أَوْ جَاءً مُتَهُ اللّهِ عَلَيْهِ أَسْوِرَةً مِّنْ لَكِنْ . (الدَحْوَاتُ ٢٠٠) .

وقول كفار مكة وأشباههم وما حكاه القرآن عنهم بقوله:

وَقَالَ ٱلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْ لاَ أَنْوِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَنْدِئَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ ٱسْتَكَثَرُواْ فِي ٓ أَنْفُسِهِمْ وَعَنُو غُنُوا كَبِيرًا • يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمُلَنِّكِنَةَ لاَ يُشْرِعِنَ يَقِيدُ لِلْمُحْرِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مُحْجُورًا . (الفرنان: ٢٧. ٢٢).

٨ - مَا نُنزِّلُ ٱلْمَلَائِكَةَ إِلا إِٱلْحَق وَمَا كَانُواْ إِذًا مُنظَرِينَ .

أى: من شأن الحق سبحانه وتعالى أن يجرى أعماله لحكمة إلهية ، فهو سبحانه حكيم فى عمله وصنعه ، ومن هذه الحكمة : أن يرسل الملائكة : لتنزل بالوحى والرسالة على المرسلين ، أو ينزل الملائكة بالعذاب على المكذبين .

قال الزمخشرى في تفسير الكشاف:

مَا نُتِزُلُ ٱلْمَالَيْكِكُمُ إِلاَّ بِٱلْحَقِّ. أَى: إلا تنزلا متلبسا بالحكمة والمصلحة ، ولا حكمة في أن تأتيكم عيانا تشاهدونهم ، ويشهدون لكم بصدق النبي ﷺ: لأنكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ، ومثله قوله تعالى : وَمَا خَلَقَنَا ٱلسَّمَانُواتِ وَٱلْأَرْضُ وَمَا يَيْتُهُمَّ إِلاَّ بَالْحَقُّ. (السجر: ٨٥).

وقيل: الحق: الوحى ، أو العذاب".

وَمَا كَالُوٓ أَ إِذًا مُّنظَرِينَ .

أى : لو نزلنا الملائكة قلم يرّمنوا : لعاجلناهم بالعذاب ولم نمهلهم ، وذلك مخالف لسنة الله تعالى فى إمهال الناس دون إهمالهم ، أو لسنته تعالى فى إمهال الناس : رجياء إيمانهم .

وجملة : وَهَا كَالُوْلَا إِذَّا مُتَطَّرِينَ . جواب وجزاء لجملة شرطية محذوفة ، والتقدير : ولو أنزلنا العلائكة لعوجلوا بالعقوبة. وما كانوا إذا منظرين ، فالجملة جزاء للجملة الشرطية المحذوفة⁴⁴

وهي هذا المعنى يقول الله تعالى : وَقَالُواْ لَوْلاَ أَنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكَ وَلَوْ أَنْزِكُ مَلَكَ ٱلْفَضِيَ ٱلأَمْرُ كُمْ لاَ يُنظُرُونَ . (الأنعام: ٨) .

٩ - إِنَّا نَحْنُ نَزُّكُنَا ٱللَّاكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ .

تأتى هذه الآية في مقام الرد على هؤلاء المستهزئين ، الذين اتهموا النبي ﷺ بالجنون ، فترد عن الرسول ﷺ ، وتبين : أن الله وحده هو الذي أفزل القرآن ، وهو سبحانه المتكفّل بحفظه ، وقد تميز القرآن عن غيره من الكتب ، بأن أعدادًا غفيرة من المسلمين ، تحفظه عن ظهر قلب ، وتتوارث حفظه خلفًا عن سلف ، وقد ألهم الله المسلمين بكتابته في حياة الرسول ﷺ، وتكرر جمعه في مصحف في عهد أبى بكر ، وكتابته على لهجة واحدة في عهد عثمان ، ومن حفظ الله تعالى لكتابته : مرور عصور طويلة من المفلام ، ضعف فيها شأن المسلمين ، وانحسر سلطانهم ، وظلً القرآن الكريم محفوظًا في الصدور ، مكتريا في السطور، مثلًا على الألسنة ، مسجلًا على الأشرطة ، مذاعا في إذاعات العالم المسموعة والمرئية : تأكيدًا لتعهده سبحانه بحفظ

ونلاحظ أن الله استحفظ الأحبار والرهبان الكتب السابقة ، وتكفل هو بحفظ كتابه ، قال تعالى : وَٱلْرَائِيُونَ وَٱلاَّجَارُ بِمَا ٱسْتُعُفِّقُوا مِن كِتَابِ ٱللَّهِ. (المائدة: ٤٤).

وقال سبحانه : إِنَّا نَحْنُ نَزُّلْنَا ٱللَّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ . (المجر: ٩) .

١ - وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَع ٱلأَوْلِينَ .

يقول تعالى مسليًا رسوله ﷺ ، حيث يبين له : أن تكذيب كفار مكة له ليس بدعا ، وإنما سبق أن أرسلت رسل قبله نكتُّبها .

في شِيع ٱلأُوِّلِينَ .

أي: فرقهم وأحزابهم ، جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريقة ومذهب.

١ ١ - وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولِ إِلاَّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ .

أى: لم يأت أمة أو طبعة أو فرقة من رسول إلا كذبوه ، واستهزموا به ، كما كان يفعل كذار مكة مع النبي ﷺ ، قال تعالى : وَلَقَدْ كُلُبُتُ وُسُلُّ مِن قَلِكَ فَصَبَّرُواْ عَلَيْهَا كُلُّهِا وَأُودُواْ عَثَمَ أَنْسُهُمْ فَصُرُفًا . (الانعام: ٣٤).

١٧- كَلَالِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ.

أي: كما سلكنا الكفر في قلوب شيع الأولين ، بالاستهزاء بالرسل ، كذلك نفعل ذلك في قلوب مشركي قومك ، الذين أجرموا بسبب الكفر بالله ، ويجوز أن يعود الضمير في نَسَلُكُمُ . على القرآن الكريم .

والمعنى: كما سلكنا القرآن فى قلوب المرمدين ، بالمحافظة عليه وتلاوته واتباع أوامره وهديه ، نسلكه فى قلوب المجرمين ، وندخله فى سويدائها فكذب به المجرمون وكفروا عناذا وكبرا .

١٣- لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّهُ ٱلأَوَّلِينَ .

إن هزلاء المشركين قد تمكن الشرك من قلويهم ، وسلك الكفر طريقه إلى نفوسهم ، فلا يؤمنون بالقرآن الكران الله سننا الكريم ، ولا يصدّلون بالقرآن الله سننا الكريم ، ولا يصدّلون بالنبى محمد ﷺ ، وهؤلاء الكفار سيصيبهم العناب : جزاء تكديبهم ، فإن الله سننا لا تتخلف ولا تتبدل ، ومن هذه السنن : نجاة المرسلين ، وهالك المشركين ، وفي هذا تهديد لأهل مكة ووعيد لهم : بأن يصيبهم ما أصاب المكذبين من الأمم قبلهم ، قال تعالى : فُلِكُ جُزَيْتُهُم مِمَّا كَفُرُوا وَهَلْ لُجُنْزِيَّ . [لاِ الْكَفُورُ ، (سبإ: ١٧) .

وقال سبحانه : وَمِثْهُم مِّنْ حَسَفُنَا بِهِ ٱلأَرْضُ وَمِنْهُم مِّنْ أَغَرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِمَهُمْ وَلَلَكِن كَانُواْ أَنْفُسَهُمْ يُطْلِمُونَ . (العنكموت: ١٤).

٤ ١ - وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ .

عندما طلب كفار مكة ، نزول الملائكة : حتى يؤيدوا محمدًا في دعواه الرسالة – إن كان من الصادقين- ردّ عليهم القرآن فيما سبق. وهذا يقول : لو سلمنا جدلا قبول اقتراحهم ، وأصعدناهم إلى السماء ، وفتحنا لهم بابا من أبوابها ، نظل أفيه يصعدون : حتى شاهدوا الملائكة والملكوت .

ه ١ - لَقَالُوا ۚ إِنَّمَا سُكِّرَتُ أَبْصَلْوْنَا بَلِّ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ .

أي : لقالوا ، لفرط مكابرتهم وعنادهم ، إنما سُدُت أبصارنا وخدعت بهذا الارتقاء والصعود .

بَلِّ نَحْنُ أَوْمٌ مَّسْحُورُونَ . أي : سحرنا محمد وخيل إلينا ذلك ، وما هو إلا سحر مبين .

وقد سبق أن اتهم قوم فرعون سيدنا موسى بالسحر ، وَقَالُواْ يُنَالُّهُ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبُّكَ .. (الزهرف:٤٩).

قال الفخر الرازي في تفسيره :

اعلم أن هذا الكلام هو المذكور في سورة الأنعام في قوله : وَلَوْ نَزَّتُنَا عَلَيْكَ كِتَنْبًا فِي قِرْ طَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِالْبِيهِمُ قَلَالًا اللَّهِينَ كَثُورًا إِنْ هَـلَهُ إِلاَّ سِحْرٌ شُونَ. (الانعام: ٧) .

ثم نقل الفخر الرازى عن ابن عباس أنه قال: « ولو ظل المشركين يصعدون فى تلك المعارج وينظرون إلى ملكوت الله تعالى ، وقدرته وسلطانه ، وإلى عبادة الملائكة ، الذين هم من خشيته مشفقون ؛ لشكّرا فى تلك الرزية ، ويقوا مُصرين على كفرهم وجهلهم ، كما جحدوا سائر المعجزات ، من انشقاق القمر ، وما خص به النبي ﷺ من القرآن المعجز ، الذي لا يستطيع الجن والإنس أن يأتوا بمثله".

ملحق بالأيية

(أ) فَطَلُواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ .

يقال : ظل فلان نهاره يقعل كذا إذا فعله بالنهار ، ولا تقول العرب : ظل يظل إلا لكل عمل بالنهار ، كما لا يقولون بات ، يبيت إلا بالليل ، والمصدر : الظلول⁰⁰ .

أى: إن صعودهم لو كان في وضع النهار، وشاهدوا ذلك عيانا مع وضوع الرؤية ، لأنكروا وعاندوا.

يَعْرُجُونَ ، يقال: عرج ، يعرج ، عروجا ، ومنه المعارج وهي المصاعد التي يصعد فيها ، ومن إعجاز
القرآن، نجد أن السماء لا تعرف الخط المستقيم ، وإنما يذكر الصعود إلى السماء بالعردج ، قال تعالى : مَنْ ٱللّهِ
فِي الْمَعَارِج • تَعْرُخُ أَلْمُنْكِكُمُ وَالْوِحْ إِلَيْهِي يُومْ كَانْ مَقْدَازُهُ خَمْسِنَ أَلْفَ سَنَةً . (المعارج: ٤٠٤).

وهذا قال: فَطَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ .

وقد أيَّد ذلك العلمُ الحديث ، والقرآن غنى عن هذا التأييد ، ولكنا نقول : أنَّى لمحمد النبي الأمِّي أن يعرف دقة هذا التعبير ، الذي يصدقه العلم بعد أكثر من ألف عام .

(ب) معنى: سُكُّرَتْ أَيْصَارُنَا.

أى: غيُرت أبصارنا عما كانت عليه ، فهي لا تعطينا حقائق الأشياء كما كانت تغمل ، ومنه سكران أى: توقف عقله عن اتخاذ القرار ، سكرت الربح ، أى: توقفت عن الهبرب ، وسكّرتُ الباب: أغلقته .

وعبر بعض المفسرين عن هذه اللفظة بقوله : غشى على أبصارنا ، وقال بعضهم : عميت أبصارنا ، و وهذا ونحوه تفسير بالمعنى لا يرتبط باللفظ، ويقال أيضا : هؤلاء المبصرون عروج الملائكة ، أن عروج أنفسهم، بعد قولهم : سُكِّرَتُ أَبْصَدْرُنَا ، بِل سحرنا حتَّى لا نَعْقِل الأشياء كما يجِب ، أي : صرف فينا السحر^(١١).

* * *

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجُا وَزَيَّنَاهَا لِلنَّظِرِينَ ۞ وَحَفِظْنَهَا مِن كُلِ شَيْطَنِ وَرَ رَجِيدٍ ۞ إِلَّا مَنِ السَّمَّ فَالسَّعَ فَالْبَعَدُ شِهَابُ ثُمِينٌ ۞ وَالأَرْضَ مَدَدْ نَهَا وَالْقَسْنَا فِيهَ ارَوْسِي وَالْبَنْنَا فِيهَا مِن كُلِ شَيءٍ مَّوْزُونِ۞ وَجَعَلْنَا لَكُوْ فِهَا مَعَيِشَ وَمَن لَسَتُم مِرْزِوْنِنَ ۞ وَإِن مِن شَيْءً إِلَّا عِنْدَنَا خَرَابِينُهُ وَمَا أَنْزَلُهُ وَإِلَّا مِثَلَا اللَّهُ عَلَيْ وَهُونَ وَنِينَ ۞ الرَّيْحَ لَوْقِحَ فَأَنْزَلُهُ وَهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ وَعِنْ زِيْنَ ۞ ﴾ الرَّيْحَ لَوْقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءَ فَأَسْقَيْنَكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ وَعِنْ زِيْنَ

المفردات:

يــــو عند الكواكب ، أو هي : منازل الشمس والقمر .

وزيناها للناظرين؛ لمن نظر إليها.

إلا من استرق السمع : لكن من يسترق السمع من الشياطين ؛ ليستمع ما يتحدث به في السماء .

فأتبعه شهاب ، فيتبعه شهاب من النان.

مسسسين ، بين أثره فيه ، إما أن يحرق النجم المِنى أو يفسده ويخبله .

والأرض مددناها و يسطناها .

وألقينا فيها رواسى؛ أثبتنا فيها جبالا ثابتة.

من کل شيء موزون ۽ معلوم مقدور .

وجعلنا لكم فيها معايش، جمع معيشة.

ومن نستم له برازقون، قيل: العبيد والإماء، والدواب والأنعام، وقيل: الوحش.

وإن مسن شسيء عنى : من الأمطار .

الأبيشنر مسلوم: حده ومبلغه.

وأرسلتا الرياح: جمع ريح.

المطرب أي: تستخرج منه المطرب وتمري السحاب ، أي: تستخرج منه المطرب

فاسقيشاكموه؛ لشرب أرضكم.

وما أنتم له بخازين، بمانعين ، يقول : ولستم بخازنى الماء الذى أنزلناه من السماء فتمنعوه من أسقيه ، لأن ذلك بهدى – أو أن الله ييسر للمطر الذهاب إلى الأنهار والمحيطات : فيخزنه بمعرفته: لينتقع به الناس بعد ذلك ، ولو وكل للإنسان أمر المطر وتخزينه : لعجز عن ذلك : لأن الله للحكيم هو العدير لكل أمر موزون .

التفسيره

١٦ - وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَاءِ أُرُوجًا وَزَيِّنْكُمَا لِلتَّنظِرِينَ

تأتى هذه الآيات للدلالة على قدرة الخالق ويديع صفته ، فهو سبحانه رافع السماء ومكمل خلقها وهو الذى زينها بالنجرم ، وأتم حفظها ، وهو سبحانه باسط الأرض ، وخالق الجبال ، ومسخّر السحاب والأمطار ومنبت النبات ، وكأنَّ القرآن يقول لهم : إن أردتم دليلا على وحدانية الخالق ، وصدق الرسالة فانظروا إلى ما حولكم ، من السماء والأرض والجبال وستجدين التكامل والإبداع في هذا الكون .

وَلَقَدُ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا .

تطلق البروج على النجوم ، وأصل البروج : الظهور ، ومنه تبرُّج المرأة بإظهار زينتها ، وقيل البروج : الكواكب المطّام ، وحقيقة البرج : البناء الكبير المتخذ للسكنى ، أو للتحمثُن ، وهو يراد في القصر ، قال تمالي: أَيْنَمَا تَكُولُواْ يُفِرَكُمُّ الْمُوْتُ وَلَارْ كُسُّمْ فِي بُرُّوحٍ شُشِّيَةً . (النساء ٧٨) .

وقال سبحانه : وَٱلسَّمَاءِ ذَاتِ ٱلَّهُرُوجِ . (البروج: ١) .

جاء في تفسير القرطبي:

والبروج: القصور والمنازل ، قال ابن عباس : أي : جعلنا في السماه بروج الشمس والقعر ، أي : منازلهما ، وأسماء هذه البروج : العمل ، والثور ، والجوزاء ، والسرطان ، والأسد ، والسنبلة ، والميزان ، والعقرب ، والقوس ، والجدى ، والدلو ، والدوت .

والعرب تعدُّ المعرفة بمراقع النجوم وأبرابها ، من أجلُ الطوم ، ويستدلون بها على الطرقات ، والأوقات والقصب والجدب ، وقالوا: الذلك : الذا عشر برجًا⁰⁹ .

ومعنى الآية : ولقد خلقنا في السماء نجوما عظاما ، من الكواكب الثوابت والسيارات ، وجعلنا السماء والكواكب بهجة لمن تأمل وكرر النظر في عجائبها الظاهرة ، وأبهاتها الباهرة .

وقريب من هذه الآية قوله تعالى: إِنَّا زُيِّنَا السَّمَاءَ اللَّهُمَّا يَوْيَةَ الْكُوَاكِيدِ . (المسافات:) ، وقوله سبحانه : يَبَارُكُ الَّذِي جَمَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَمَلُ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا شَيْرًا . (الندان: ١١) .

١٧ - وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ الشَيْطَانِ رُجَيمٍ.

كانت الشياطين تسترق أهبار السماء ، وتغير بها الكهان ، فلما أرسل الله محمدًا ﷺ : شدت الحراسة على السماء ، فكانت الجن إذا أرادت استراق أهبار السماء ؛ ترمن بعضها فوق بعض ، كل جني يضع قدميه فوق أكتاف الأول ، ومكذا ، ثم يتسمّع الأهير إهبار الملائكة عن أمور الغيب ، فلما أرسل الله محمدًا ﷺ : منعت الجن من استراق السمع ، ومن أراد استراق السمع ؛ رُمِيّ بالشهب فتقتله أن تخبله .

وفيها : وَأَلَّا لَمُسْنَا ٱلسُّمَاءَ لَوَجَلَنَهُما مُلِّتَ حَرَسًا هَدِيدًا وَهُهُمَا * وَأَلَّا كُمُّا تَفَعُدُ مِنْهَا مَعَلِمِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَعِمَ آلانَ يَجِدُ لَهُ شِهَابًا رُسَلًا . (العِن: ١٨.٥) .

وَحَفِظْتُلْهَا مِن كُلِّ شَيْطَلْن رُّجَيم.

أى: حفظنا السماء وحرسناها ، ومنعنا كل شيطان مرجوم مطرود من الوصول إليها ، قال تعالى فى آية أخرى : وَحِفْظًا مِّن كُلُّ شَيْطُلَن مَّادِدٍ * لاَ يُسَمَّعُونَ إِلَى آلْمَلاٍ ٱلأَعْلَى وَيُقَلَّعُونَ مِنْ كُلُّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَلَابٌ وَاصِبُ * إِلاَّ مَنْ حَعِلْفَ ٱلْخَطْفَةَ لَأَتَّهُمُ بَهُابُ قَالِبٌ . (المسافات: ٧- ١٠).

إن المثال في خلق السماء ، وإحكام البناء ، وتزيينها بالنجوم ، وحركة النجوم ومواقعها ، وعدم اضطرابها أو اصطدامها – ثم إن هذا الاصطدام وارد ، وهو لحكمة عليا ، هي نزول شهب تخبل الجثي أو تقتله – يستقين أن كل ذلك يشير إلى قدرة عليا تمسك بزمام هذا الكون .

١٨ - إلا من ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ .

أى: لكن من أراد المقطاف شيء من عالم الغيب ، مما يتحدث به الملائكة في الملا الأعلى ، تبعه كوكب مشتعل نارًا ظاهرًا : فأحرقه ، ولم يصل إلى معرفة شيء مما يدبّر في ملكوت السماوات .

ويعد أن ذكر عظمة الخالق ، وقدرته في خلق السماوات وإبداع نظامها وحفظها ، أنبع ذلك ببيان قدرته ونعمته في خلق الأرض .

١٩ - وَٱلْأَرْضَ مَدَدُنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْتِنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مُؤزُونٍ .

إن يد القدرة المبدعة التي زينت السماء وحفظتها ، قد بسطت الأرض وحفظت توازنها بالجبال الراسيات الثوابت ، وأرسلت الماء إلى الأرض فتمت حياة الأرض بالنبات الموزون بميزان الحكمة بلا زيادة ولا نقصان .

أو بمعنى مستحسن متناسب من قولهم : كلام موزون ، وقد ذكر الشريف الرضى (⁽⁶⁾ أن العرب استعملته بهذا المعنى كقول عمر بن أبى ربيعة :

وحديث ألده هو مما تشتهيه النقوس يوزن وزناا"

وجاء في تفسير المراغي :

أن كل نبات قد وزنت عناصره ، وقدرت تقديرًا ، فترى العنصر الواحد يختلف فى نبات عنه فى آخر، بواسطة امتصاص الغذاء من العروق الضارية فى الأرض ، ومنها يرفع إلى الساق والأغصان والأوراق والأزاهير. وهناك عنصر البوتاس تراه يدخل في حب الذرة الذي تأكله بمقدار ٣٧٪ وفي القصب ٣٤.٣٪ وفي البرسيم بمقدار ٣٤.٦٪ وفي البطاطس بمقدار ١٠٥٪ ويهذا التفاوت صلح القصب لأن يكون سكرًا ، والبرسيم لأن يكون قوتًا للبهائم ، والذرة والبطاطس لأن تكون قوتًا للإنسان ١٠٠٠.

فسيحانك اللهم أبدعت نظام الكرن وجعلت كل شيء في الحياة موزونًا بقدر معلوم ؛ لنتدبر نظم الحياة، ونعرف قدرة المنشئ الذي لم يخلق شيئًا جزافًا بل أبدع ودبر، وخلق كل شيء فقدره تقديرًا.

٢ - وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَلَيْشَ وَمَن لَسْتُمْ لَهُ بِرَا إِلِينَ .

أي : جملنا لكم في الأرض أرزاقًا مرفقة للعيش والحياة فيها ، وأنواع معايشكم من غذاء وماء ولباس ودواء وقد سخرناها لكم في الأرض ، فلا السمك في البحر غذيتموه ، ولا الطير في الجو ربيتموه ، ولا غيرها من أشجار الجبال والغابات وحيوان البر والبحر خلقتموه .

وَمَن لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ . أنتم تعيشون على أرزاق الله التي جعلها لكم في الأرض ، وما أنتم إلا أمة من هذه الأمم التي لا تحصى، أمة لا ترزق سواها ، إنما الله يرزقها ويرزق سواها ، ثم يتفضل عليها فيجعل لمنفعتها ، ومتاعها وخدماتها أمما أخرى تعيش من رزق الله ولا تكلفها شيئًا .

٢ ٢ - وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَالِتُهُ وَمَا نُنزُّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ.

وما من شيء إلا ونحن قادرون على إيجاده ، وتكوين أضعاف ما وجد منه ، شبه اقتداره على كل شيء وإيجاده ، بالخزائن المودعة فيها الأشهاء ، المعدة لإخراج ما يشاء منها وما يخرجه إلا بقدر معلوم، استعارة تمثيلية^(۱۷) فقد ضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور .

قال في ظلال القرآن:

هذه الأرزاق – ككل شىء – مقدرة فى علم الله تابعة لأسره ومشهنته ، يصرفها حيث يشاء ، وكما يريد فى الوقت الذى يريده حسب سنته التى ارتضاها وأجراها فى الناس والأرزاق .

وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنَهُ وَمَا نُنَزَّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مُعْلُومٍ .

فما من مخلوق يقدر على شيء أو يملك شيئا ، إنما خزائن كل شيء مصادره وموارده عند الله في علاه ينزله على الخاق في عوالمهم بِقَدَرٍ مُعَلِّرِم ، فليس من شيء ينزل جزافًا ، وليس من شيء يتم اعتباطًا ، ومدلول هذا النص المحكم : وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِنْنَا خَرْآئِكُ وَمَّا لَنَزَّلُهُ إِلاَّ بِقَدْرِ مَعْلُومٍ. يتجلى بوضرح أكثر كلما تقدم الإنسان في المعرفة ، وكلما اهتدى إلى أسرار تركيب هذا الكون وتكوينه ، ومداول خَرْآئِفُ يتجلى في صورة أقرب بعدما كمنه الإنسان عن طبيعة العناصر ، التي يتألف منها الكون المادى ، وطبيعة تركيبها وتحليلها – إلى حد ما – وعرف مثلا أن خزائن المراة الأساسية هي ذرات الأيدروجين والأكسجين وأن من خزائن الرزق المتمثل في النبات الأخضر كله ذلك الأزوت الذي في الهواء ، وذلك الكربون وذلك الأكسجين المركب في ثاني أكسيد الكربون و رتلك الأكسجين المركب في ثاني أكسيد الكربون و رتلك الأشعة التي ترسل بها الشمس أيضًا ، ومثل هذا كثير يوضع دلالة خزائن الله التي توصل الإنسان إلى معرفة شيء منها .. وهو شيء على كثرته قليل قليل ...١٠٥

٢٢ - وَأَرْسَلْنَا ٱلرَّيْلَحُ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِن ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بحَنزيينَ .

من قدرة الإله المثالق أنه أبدع نظام السماء ، وأبدع نظام الأرض ، وأبدع نظامًا متكاملاً في هذا الكون ، وعنده هزائن الأرزاق ومواعيدها المناسبة ومن هذه الأرزاق :

أنه سخر الرياح حوامل بالسحاب لأنها تحمل السحاب؛ في جوفها ، والرياح تنطق وفق نواميس كونية، وتحمل الماء وفقاً لهذه النواميس ، وتسقط الماء كذلك بحسبها ، ولكن من الذي قدر هذا كله من الأساس؟! فقد قدره الخالق ، ووضع الناموس الكلى الذي تنشأ عنه كل الظواهر.

فهو سبحانه حالق الإنسان ، وهالق الكون ، ويبيده الطلق والأمر ، قال تعالى - آللَّهُ آلَايِي يُرْسِلُ آلرِيْكِ َ فَشِيرُ سَحَانا فَيَسْمُطُهُ فِي آلسَّمَاءَ كَيْفَ يَشَاءً وَيَجْعَلُهُ كِسُفًا فَتَرَى آلُودَقَ يَخْرُجُ مِنْ حِلَلِهِ فَإِذَا أَمَنابٍ بِهِ مَن يَشَاءً مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يُسْتَجِشُورُونَ . (الروم ١٤٨٠) .

وقال عن شانه : لَقَرْ رَفِيتُمُ ٱلْمُنَاءُ ٱلَّذِي تَشْرَبُونَ » ءَأَلَتُمُ ٱلزَّلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُرْدِلُمُ آلْمُونُ الْمُنولُونَ » لَوْ تَشَاءُ جَعَلْنَنهُ أَجَاجُا لَلَوْلاً تَشْكُرُونَ. (الوالعة ٢٠٠-٧).

قال المهاعي:

وَأَرْسُكُنَا الْرَيِّنَامُ لُوَلِغَ . أي : تلقع السحاب أي : تجعلها حوامل بالماء ؛ وذلك أن السحاب بخار تصير بإصابته الهواء البارد حوامل للماء '' فَانِزْكُا مِنَ السَّمَاءَ مَاءً فَأَسْفَيْتُكُمُوهُ . أي : فأنزلنا من السحاب مطرًا فأسفيناكم ذلك المطر ؛ لشرب زرعكم ومواشيكم وفي ذلك استقامة أمور معايشكم وتدبير شئون حياتكم كما قال سبحانه : رَجَعَلُنا مِنْ النَّاءِ كُلُّ هُيْءٍ حُيِّ ، (الأنبياء: ٣٠) . وَمَآ أَشُمْ لُهُ بِحَرْدِينَ . أَى : بقادرين على إيجاده وإنزاله ، والغزن : اتخاذ الغزائن يستعار للقدرة كما مر، أو بحافظين له في أمكنة يتابيعه ، من سهول وجبال وعيون وآبار ، بل هو تعالى وحده الذي حفظه وسلكه ينابيم في الأرض وجملنه عنها ورحم للعباد بسقياه .

* * *

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ثَنِّي ءَنِيْبِيتُ وَغَنُ ٱلْوَرِثُونَ ۞ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمُ وَلَقَدْعَلِمْنَا ٱلْمُسْتَغْجِرِنَ۞ وَإِنَّ رَبِّكَ هُوَ يَعْشُرُهُمُ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ۞﴾

المفردات :

ولقد علمنا الستقدمين منكم

ولقد ملمنا المستأخرين؛ أى: من تقدم ميلادًا وموتا ومن تأخر، أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد، أو من تقدم في الإسلام ومن تأخر.

يسسحشسرهسسم، أى: يجمعهم، والحشر لفة: جمع الناس للحرب، والحشر هنا يراد به: إحياء الله الله الله الله الله الله الموتى وإخراجهم من قبورهم، بعد جمع ما تفرق من أجزائهم الأصلية، ثم جمعهم في يرم الحشر ويسمى: يرم الحمم.

التفسيره

٢٣ - وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْي وَنُعِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَارِثُونَ .

تأتى هذه الآيات في سياق الحديث عن جوانب القدرة الإلهية ، فهو سيحانه القادر وحده على إيجاد الحياة في المخلوقات ، والقادر على سلبها عنها .

جاء في تفسير ابن عطية :

وإنا نحن نحيى من نشاء بإخراجه من العدم إلى وجود الحياة ، ونردّه عند البعث من مرقده ميتا ، ونميت بإزالة الحياة عمن كان حيًّا ^(۱).

وَلَحْنُ ٱلْوَارِقُونَ .

أى: ونحن الباقون بعد فناء الخلق، نرث الأرض ومن عليها، وإلينا يرجعون، وبشبّه سبحانه بقاءه بعد زوال كل شيء بالوارث: لأن الوارث، هو الذي يرث غيره بعد موته، قال تعالى: إِنَّا نَحُنُ نُرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلْيَّا يُرْجُونَدُ. (مريم: ١٠). وفي هذا المعنى يقول الله تعالى : كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا قَانِ هِ وَيَنْفَى وَجُهُ رَبَّكَ ذُو ٱلْجَلَلُ وَٱلْإِكْرُامِ . (الرحمن: ٢٧،٣٦). جاء في كتاب تيسير التفسير :

وَلَحْنُ ٱلْوَارِثُونَ .

الباقون بعد فناء الخلق ، فالإرث مجاز مستعار ، من إرث الميت بمعنى : القيام على تركته ، أو الوارلون مالهم بعد أن ملكوه ، وهذا مجاز أيضا ، لا مالك للمالم سواه ، ومن الأول قوله 義: « اللهم، أمتعنا بأسماعنا وأبصارتا وقوتنا ما أحييتنا ولجعله الوارث منا^س.

أي: اجعل ما ذكر، أو الامتاع باقيا إلى الموت، أو اجعلها كأنها تبقى بعدنا (١٠٠٠).

٤ ٧- وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَعْجِرِينَ .

أحصى سبحانه كلِّ شيء علما ، فهو سبحانه عالم بالمستقدمين ، أي : كل من مات من لدن آدم عليه السلام ، وهو محيط علما بالمستأخرين ، أي : الأحياء ومن سيأتي بعدهم إلى يوم القيامة .

وقيل : المراد : علمه سبحانه بالمتقدمين للجهاد ، والمتأخرين عنه ، وقيل : المراد : المتقدمين في صغوف المسلاة والمتأخرين فيها .

ونلاحظ أن هذه كلها أمثلة تُحمل على التمثيل لا على الحصر ، والغرض: أنه تعالى محيط علمه بمن تقدم ويمن تأخر ، لا يخفى عليه شيء من أحوال العباد ، وهو بيان لكمال علمه، بعد الاحتجاج على كمال قدرته .

٣٥ - وَإِنَّ رَبُّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ.

يجمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة للحساب والجزاء.

إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ . باهر الحكمة ، واسع العلم بجميع خلقه ، عادل في جزائه .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسُنَ مِن صَلْصَلِ مِنْ حَمْ المَّسْتُونِ ۞ وَٱلْجَانَ خَلَقَنَهُ مِن قَبُلُ مِن نَارِ
السَّمُومِ ۞ وَإِذَ قَالَ رَبُّكَ الْمَلَيِّ كَة إِنِّ حَلِيقٌ بَشَكَرًا مِن صَاحَدُ لِ مِنْ عَمْ السَّمُومِ ۞ وَإِذَ قَالَ رَبُّكَ الْمَلَيِّ كَة إِنِّ حَلِيقٌ بَشَكُونِ ۞ فَإِذَ مَا لَمَلَيْكِ كَة إِنَّ حَلَيْنَ ۞ فَسَجَدَ ٱلْمَلَيْكَة لَهُ السَّمُومِ فَعَ فُواللَّهُ سَجِدِينَ ۞ فَسَجَدَ ٱلْمَلَيْكَة لَكُونَ مَعَ السَّنجِدِينَ ۞ قَالَ يَعْلِيشُ مَالكَ كُمُ لَا مَنْ كُونَ مَعَ السَّنجِدِينَ ۞ قَالَ يَعْلِيشُ مَالكَ مَا لَكَ مَنْ الشَيْحِدِينَ ۞ قَالَ لَمْ أَكُن لَا شَجْدَ لِبَشَرِ خَلَقَتَهُ مِن صَلْعَمُ لِ مِنْ مَلْعَلَى مَا لَكَ مَنْ الشَيْحِدِينَ ۞ قَالَ لَمْ أَكُن لَا شَجْدَ لِلشَيْرِ خَلَقَتَهُ مِن صَلْعَمُ لِ مِنْ مَلْعَلْ لِمِنْ مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَ الشَيْحِدِينَ ۞ قَالَ لَا مَن اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ عَلَى مَن اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ الْمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ وَالْمَالِ فَلَا مَن اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَى مَالْمَ اللَّهُ الْمَن اللَّهُ عَلَى مِنَ الْعَلَقُ مِنْ الْمَنْ الْمَعْلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَى الْمَالِقُ الْمُعْلَى اللَّهُ الْمَن الْمَعْلَى اللَّهُ الْمُعْلَى الْمِن التَعْمَ عَلَيْهُمْ الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمَالْمُ اللَّهُ عَلَى مِنْ الْمُعْلَى اللَّهُ الْمَالِمُ اللَّهُ الْمُعْلَى اللَّهُ الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُنْ الْمُعْلَى الْمُنْ عَلَيْهِ مِنْ الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُنْ الْمُعْلَى الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُعْلَى الْمُنْ الْمُعْلِى الْمُنْ الْمُعْلِى الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُعْلِى الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللِهُ الْمُنْ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْ اللْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ الْم

المفردات :

مسيئيون، مصور مفرغ على هيئة الإنسان.

الهـ الله الله الله الله عن ، وقيل : هو إبليس ، ويمسح أن يراد به : جنس الجن ، وإذا أريد بالإنسان : أدم، أريد بالجان : أبو الجنّ .

نسار السمسوم؛ هي النار الشديدة الحرارة ، التي تنفذ في المسام ، فتقتل بحرّها .

بش را، أي : إنسانا ، وسمى بذلك ! لظهور بشرته أي : ظاهر جلده .

سمسويستسم، أتممت خلقه ، وهيأته لنفخ الروح فيه .

ونفذت فيه من روحي: أفضت عليه من الروح ، التي هي خلق من خلقي فصار بشرا حيًّا .

رجــــيــــــم؛ أي: مرجوم بالحجارة ، والمراد هذا: مطرود .

<u>الله منه</u>: الإيعاد على سبيل السخط.

يسوم السديسة ، يوم الجزاء .

المطرني، أمهاني وأخَّرني ولا تمتني.

التيظرين، الممهلين، المؤجلين.

يوم الوقت العلوم: وقت النفخة الأولى حين تموت الخلائق.

الإغسيسواء الإضلال .

قال رب بما اغويتني: أي : بسبب إغوائك لي ، وإضالالك لي .

الأزيان تهم في الأرش، الأزينن لذرية أدم المعاصى والآثام.

الشاعث ومرضاتك ، فلا قدرة لي على إغوائه .

هذا صراط على: أي : حق الابد أن أراعيه .

مستقيم واضح ، وسنة أزلية لا تتخلف وهي تخليص المخلصين من إغواء الشيطان .

الساطان، التسلط والتصرف بالاغواء

ســــمـــة الهواب، أى : لجهنم سبعة أبواب يدخلون منها ، وروى : أن جهنم سبع طبقات ، طبق فوق طبق ، وأنها دركات بعضها أشد من بعض .

جره مقسوم، أي: فريق معين مفروز من غيره.

التفسيره

٢٦ - وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنسَنْنَ مِن صَلْصَلْلِ مِّنْ حَمَاٍ مَّسْتُونٍ .

أى: خلقنا الإنسان من طين يابس ، يسمع له صلصلة ، أى : صوت إذا نقر ، والمراد بالإنسان : آدم عليه السلام ، وقد ذكرت آيات أخرى: أن الإنسان خلق من تراب ، وفي آيات أنه خلق من طين ، وهنا ذكر: أنه خلق من صلصال من حماً مسنون .

وقد ذكر مقاتل بن سليمان في تفسير خمسمائة آية من القرآن الكريم ، وفيها بيان للمتشابه من آيات القرآن : أن هذه الآيات في مجموعها تشير إلى مراحل الخلق الثي مرّ بها خلق الإنسان ، فالمراحل الأولى لطق الإنسان كانت من التراب ، ثم أضيف الماء إلى التراب فصار طينا ، وهذه هى العراحل السابقة ، قال تمالى : إنَّ مُثَلَ عِيسَيْع عِندَ ٱللَّهِ كُمَنُكُ وَاثَمَ خَلَقَةُ مِنْ تُرَابِ ثُمِّ قَالَ لَهُ كُن قِيْكُوثُ . ((ال عمران : ٥٩) .

وقال عز شأنه : إِنِّي خَالِقٌ بَشْرًا مِّن طِيرٍ. (ص: ٧١).

والآية التي معنا تشير إلى المراحل الأخيرة في خلق الإنسان ، وهي مرحلة الخلق مِن صَلْعَـُلُم، أي: طين يصلِمل ويصوّت: إذا نقر أو حرَّك ، وإذا ترك الطين في الساء حتى أنتن واسردٌ ، وتغيّر فهو الحماً المسنون ،وإنما خلقه على ذلك الوضع؛ ليكون خلقه أعجب ، وأتم في الدلالة على القدرة .

جاء في زبدة التفسير من فتح القدير :

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإنسَانَ .

هو: أدم ، والصلصال هو: الطين اليابس ، يتصلصل إذا حُرُّك ، فإذا طبخ في النار فهو الفخار.

والحمأ: الطين الأسود المتغير.

والمُستوث : هو المتغير ، فالتراب لما بلُ : صار طينا ، فلما أنثن ؛ صار حماً مسئونا ، فلما يبس ؛ صار صلحالا . ا هـ .

وجاء في التفسير الوسيط:

والمقصود من هذه الأيات الكريمة : التنبيه على عجيب صنع الله تعالى ، وعظيم قدرته ، حيث أخرج سيمانه ، من هذه الموادّ بشرا سويا في أحسن تقويم (**)

وقال السفى : وفى الأول كان ترابا ، فعين بالماء طينا ، فمكث : فصار حماً ، فخلص ؛ فصار سلالة، فصرًر ويبس ؛ فصار صلصالاً .

٧٧ - وَٱلْجَانُ خَلَقْتُهُ مِن قَبْلُ مِن نَارِ ٱلسَّمُومِ.

الجانُ للجن كآدم للناس ، أي : خلقنا أبا الجن من قبل آدم ، أو خلقنا جنس الجنَّ ، من قبل الإنسان .

مِن نَارِ آلسَّمُومِ. أي : نار الربح الحارة التي لها لفح وتقتل من أصابته .

روى مسلم فى صحيحه ٢٩٩٤/٤ : عن عائشة رضى الله عنها تالت : قال رسول الله 響 : « خُلِفَتْ الملائكة من نور ، وخُلق الجان من مارج من تار ، وخُلِقَ آدم مما وصف لكم » .

وجاء في زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي:

قال ابن مسعود: من نار الربح الحارة ، وهي جزء من سبعين جزءا من نار جهنم .

والسموم في اللغة : الريح الحارة وفيها تأر ، قال ابن السائب : وهي تار لا دخان لها .

وروی البخاری ۲۲۸/۳ ، ومسلم ۲۱۸۶/۴ ، عن أبی هریرة رضی الله عنه : أن النبی ﷺ قال : «نارکم جزه من سیمین جزه امن نار جهنم» (۳۰) .

٧٨ - وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِيْكَةِ إِنِّي خَلِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْمَال مِّن حَمَا مُسْتُونٍ .

تشير الآية إلى تكريم الإنسان ، وتشريف الملاتكة بإخبار الله لهم عن خلق آدم ، وتكليفه لهم بالسجود للإنسان عند اكتمال خلقته ، أى : واذكر أيها الرسول لقومك ، حين نزّه ربكم بذكر أبيكم آدم ، في ملائكته قبل خلقه .

٩ ٧ - فَإِذَا سَوْيَتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَلْحِدِينَ .

أى : إذا عدّلت خلقته وأكملتها .

وُ لَشَحْتَ لِهُ مِن رُوحِي . أي: وضعت فيه قوة لطيفة السريان ، قوية التأثير ، بها تتم الحياة ، وإضافة الروح إلى الله تعالى ، إضافة تشريف وتكيم ، مثل: بيت الله ، وناقة الله .

قال الزمخشرى في تفسير الكشاف:

وَلْفُحْتُ فِيهِ مِن رُّوجِي . وأحييته ، وليس ثمة نفخ ولا منفوخ ، وإنما هو تمثيل ؛ لتحصيل ما يحيا به فيه.

فَقَعُواً لَهُ سَلجِدِينَ .

أى: اسقطوا له ساجدين بقصد التعظيم ، وفيه تكريم الله للأصل الإنسانى ، حيث أمر الله الملائكة بالسجود للإنسان ، سجود تحية وتكريم لا سجود عبادة ، وفيه بيان سمو الإنسان بهذه اللطيفة الريانية ، التي أودعها الله فيه ، فإن هو تسامى بروحه وغرائزه ، وامتنع عن الشهوات والمعاصى ؛ صار من الفالحين، وإن هو سار في طريق المعاصى ، واستسلم لفرائزه وشهواته ؛ صار من الخاسرين .

قال تعالى : وَنَفْسِ وَمَا سَوَّاهَا هَ فَأَلْهُمَهَا فُجُورَهَا وَتَقُواهَا هَ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ه وَقَدْ حَابَ مَن دَسَّاهَا . (الشمين ٧ - ١٠) والله تعالى حكيم عليم بخلقه ، وهو سبحانه يصطفى من يشاء ويختار ، فقد فضًل سبحانه الأنبياء على الملائكة ، وامتحن الله الملائكة بالسجود لأدم ، تعريضا لهم للثواب الجزيل ، وبيان لما أودع الله في هذا الإنسان من التكريم ، قال تعالى : وَلَقَدْ كُرْشًا يُبْنَ عَالَمُ ... (الإسواء: ٧٠) .

ه ٣١. ٣١- فَسَجَدَ ٱلْمَكَنِكُةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ هِ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَلِيٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّلجِدينَ .

استجاب الملائكة لأمر الله ، ونجحوا في طاعتهم لأمر خالقهم ، وهم أيضا لا يعصون الله ما أمرهم ويفطون ما يؤمرون ، وقد سجد الملائكة جميعا من أوُلهم إلى آخرهم في وقت واحد ، لأنم عليه السلام كما أمرهم الله .

لكن إبليس لم يسجد فقد تكبر وامتنع عن السجود ، زاعما : أنه أفضل من آدم عليه السلام .

٣٣ ، ٣٣ - قَالَ يَآتِيلِيسُ مَالَكَ أَلاَّ نَكُونَ مَعَ ٱلسَّنجِدِينَ ٥ قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشْرٍ خَلْفَتُهُ مِن صَلْصَلْلٍ مِّنْ حَمَّلٍ مُسْتُولِا . مُسْتُولِا .

نادى الخالق سيمانه على إبليس: لماذا لم تسجد كما سجدت الملائكة ؟!

فأجاب إبليس مبينا أسباب عناده وتكبره : بأنه خلق من نار ، وآدم خلق من طين ، والنار أفضل من الطين - في رأيه - فلا يجوز أن يسجد المفضول للقاضل في رأيه .

وهَى آية أخرى يقول القرآن الكريم: قَالَ مَا مَتَعَكَ أَلاَّ تُسْجُدُ إِذْ أَمْرُتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنهُ خَلَقْتُنِي مِن نَارٍ وَخَلَقْتُهُ مِن طِينِ . (الأعراف: ١٧) .

وفی هذا ضلال من إبلیس : لأن الله هو الذی خلقه من ذار ، وهو الذی أمره بالسجود لآدم ، ولله أن یکرم من یشاء من مخلوقاته کوف یشاء بما یشاء .

وقال بعض العلماء :

هذا من غرور إيليس ، فالنار هائنة ، والطين أمين ، إذا وضعت الذبات في الأرض؛ أنبتته ، وإذا وضعت الحب في النار: أحرقته ، ثم إن الملائكة خلقت من نور ، وإبليس خلق من نار ، والنور أفضل من النار ، وقد استجابت الملائكة لأمر الله تمالي .

وجاء في فتح القدير:

قيل: كان من جنس الملائكة ، ولكنه أبي ذلك استكبارا وحسدًا لأدم؛ فحقت عليه كلمة الله.

وقيل : إنه لم يكن من الملائكة ، ولكنه كان معهم ، فغلب اسم الملائكة عليه ، وأمر بما أمروا به ، فترك السجو د على وجه الرفض . ل. ه. .

والرأى الراجح : أن إبليس لم يكن من الملائكة ، وإنما كان موجرياً؛ بينهم ، وقد أمروا جميعا بالسجود، فسجد الملائكة ولم يسجد إبليس ، ثم أصر على معصيته ، وادعى : أنه أفضل من آدم ، أى : أنه لم يمتثل لأمر الله ، ولم يستجب لما أمر به ، ثم ركبه الغرور ، فادعى : أنه أفضل من آدم .

وقد صرح القرآن الكريم : بأن إبليس من الجن ، قال تعالى : إِلاَّ إِبْلِسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنَّ فَهُسَقَ عَنْ أَمْر زُبِّهِ . (الكهف: ٥٠) .

ونى صحيح مسلم ٢٩٩٤/٤ : أن رسول الش 義 قال : « خَلِقَت الملائكة من ذور ، وخُلق الجان من مارج من ذار ، وخلق آدم مما وصفت لكم ها^{ردي} .

وقال الحسن البصرى : « والله ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين » .

٣٤ ، ٣٥- قَالَ فَآخُرُجْ مِنْهَا فَإِنْكَ رَجِيمٌ ه وَإِنْ عَلَيْكَ ٱللَّهْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ

أى: أخرج من الجنة ، أو من السماء ؛ فَإِنْكُ رَجِيمٌ . أى : مرجوم وملعون ومطرود : لأن من يطرد يرجم بالحجارة ، وهذا الطرد واللعن مستمر عليك إلى يوم القيامة .

٣٦ - قَالَ رَبُّ فَأَنظِرْنِيَّ إِلَىٰ يَوْمِ لِيُعَثُونَ .

طلب إبليس من ريه أن يمهله ، وأن يؤخر موته إلى يوم يبعث آدم وذريته ، كأنه طلب ألا يموت أبدا ؟ لأنه إذا أخر موته إلى البعث ، فهو يوم لا موت فيه .

٣٧ ، ٣٨- قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ .

أي: استجاب الله لإبليس؛ فأمهله، وأخبره: بأنه من جملة من أخر آجالهم من مخلوقاته.

إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ .

وهو وقت نفع إسرافيل في الصور ، فيموت إبليس كغيره ، ويبعثون جميعا بعد أربعين سنة ، قال تمالى : وُلُفخ فِي ٱلصُّورِ لَهَمَعِنَ مَن فِي ٱلسُّمَـٰوَاتِ وَمَن فِي ٱلأَرْضِ إِلاَّ مَن شَـاءَ ٱللَّهُ ثُمَّ تُفخَ فِيهِ أَخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِبَامُ يَعظُرُونَ . (الزمز: ٦٨) .

قال ابن كثير :

(أجابه الله تعالى إلى ما سأل: لما له فى ذلك من الحكمة والإرادة والمشيئة التي لا تخالف) ، ولعل من هذه الحكم : الاشارة إلى أن ناموس الشرّ ، لا ينقضى من عالم الحياة الدنيا ، وأنّ نظامها قائم على التصارع بين الخير والشر ، وبين الأخيار والأشرار ، قال تعالى : بَلْ نَقْلُوفْ بِأَلْحَقَ عَلَى ٱلْبُطِلِ فَيْدَمُهُ فَإِذَا هُوّ ذَاهِنَّ ، (الأنساء: ١٨) .

٣٩ - قَالَ رَبُّ بِمَا أَغْوَيْتِي لأَزْيْنَ لَهُمْ فِي ٱلأَرْضِ وَلأُغْوِيْتُهُمْ أَجْمَعِينَ .

أى: أقسم بإغوائك إياى: لأزيئرُ للناس المعاصى والسيئات ، والمنكر والشهوات : حتى يعيلوا عن الحق إلى الهوى، وعن الرشاد إلى الضلال .

وَ لِأُعْوِنَتُهُمْ أَجْمَعِينَ . أي : والله لأضلنهم جميعا ، ما دمت قادرا على ذلك ولأعملن على إضلالهم بدون فتور أو يأس .

وهي معنى هذه الآية ، قوله سبحانه : ثُمَّ لآتِنَهُم مَّنْ يَسْرُ أَيْدِيَهِمْ وَمِنْ خَلْهِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنْهِمْ وَعَنْ شَمَّالِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْمُوهُمْ شَنْكِرِينَ . (الأعواف: ١٧) .

والآية تصرّر أمل إبليس في إضلال الناس، ورغبته في تزيين المعاصي لهم، وفي مقابل ذلك وعد الله سبحانه بالتوية على التانبين، وقبول رجوح النادمين، إلى باب الله التواب الرحيم.

• ٤- إلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُحْلَمِينَ .

أى: إلا من أخلص منهم لطاعتك، ووفقته لمرضاتك، فلا قدرة لي على إغوائه.

وقد قرأ نافع وحمزة وعاصم والكسائي بفتح اللام في ٱلْمُخْلَصِينَ.

أى : الذين استخلصتهم واصطفيتهم ، واخترتهم من الناس لعبادتك ، وقرأ ابن كثير : الخُلِمين بكسر اللام ، أى : الذين ألفلصوا قلويهم للله ، فهولاء يدتُّهم الله يعونه ومدده .

قال تعالى : إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱلْقُواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَنْيَفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ . (الأعراف: ٢٠١).

١ ٤ - قَالَ هَلْدًا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٌ.

أى: قال الله: هذا طريق مستقيم واضمع، وسنة أزلية لا تتخلف وهي:

٤٧ ~ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ .

أى: ليس لك يا إبليس تصرُّف أو تسلط على عبادى المخلصين : فهم فى حصن من إيمانهم ، وإخلاصهم لربهم ، وهم فى يقين وقوة تحفظهم من وسوستك ، لكن من اتبعك واختار طريقك : صار أهلاً لغوايتك .

ونلاحظ أن هذه سنّة إلهية ، وقاعدة ريانية محكمة ، التزم بها الخالق سبحانه ، وهي: حفظ المتقين، ورعاية المخلصيين ، وتوفيق المؤمنين ، فشيطانهم ضعيف هزيل ، عاجز عن استمالتهم ؛ بسبب فرة إيمانهم، أما ضعاف الإيمان ، وعبيد الشهوات ، ومرضى القلوب ، فهؤلاء أسرى للشيطان ، وفي هذا المعنى يقول الحق سبحانه :

إِنْهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى ٱلَّذِينَ عَامَتُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ • إِنَّمَا سُلْطَكُهُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلُّونَهُ وَٱلَّذِينَ لَهُم بِهِ مُصْرِكُونَ . (النصل ٩٩ . ١٠٠)

ونحو الآية قوله تحالى حكاية عن إبليس : وَقَالَ ٱلسَّيْطَانُ لَمَّا قَضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهُ وَعَدَكُمُ وَعَدَ ٱلْحَقَّ وَوَعَدَكُمُ فَاصْلَفُكُمْ وَمَا كَانَ فِي عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانِ إِلاَّ أَن دَعُودُكُمْ آاسْتَجَيَّمْ فِي . (ابراميم: ٢٢) .

لقد خلق الله الإنسان ، وزوده بالإرادة والعزيمة ، ويسر له طريق الخير ، وأرشده إلى الاستعانة بالله، والاستعادة بالله من الشيطان الرجيم ، فمن لجأ إلى الله ، واحتمى بحصنه ؛ فذلك هو المؤمن المخلص ، ومن ضعف عن الحق ؛ سقط في طريق الرذيلة ، وصار من أتباع الشيطان وقد علمنا القرآن أن نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ، قال تمالى ، فإذا قراً أثراً الأَمْوَانُ فَاستَجِدْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، (النحاد ، ٨٥).

أى: اطلب من الله أن يعينك منه ، وأن يحقظك من وسوسته وإغوائه ، وفي آخر سررة من القرآن الكريم، نجد قوله تعالى : قُلُ أُخُوذُ بِرَبُ آلتَّاسِ « مَلِك آلتَّاسِ « إِلَّهِ آلتَّاسِ « مِن شَرِّ آلُوْسُوَاسِ آلْخَتَّاسِ « آلَاِسُ يُوسُوِسُ في صُدُور آلتَّاسِ » مِنَ آلْجِنَّةِ وَآلَتَاسِ . (الناس: ١-٦) .

27 - وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُوْعِلُهُمْ أَجْمَعِينَ .

أى: إن جهنم موعد جميع من اتبع إبليس ، جزاء فسادهم ، وكناء ما دنسوا به أنفسهم من قبح المعاصى.

\$ \$ - لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لَّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ .

أى . لجهنم سبعة أبواب يدخلون منها لكثرتهم ، وروى: أن النار دركات طبق فوق طبق ، ويعضمها أشد. من بعض .

لَّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مُقْسُومٌ . أي : لكل جماعة من أتباع إبليس ، باب معين معلوم .

قال ابن كثير: كل يدخل من باب بحسب عمله ، ويستقر في درك بقدر عمله . ا هـ.

وجاء في تفسير ابن عطية :

قيل: إن النار بجملتها سبعة أطباق ، أعلاها جهنم ، ثم لظى ، ثم الحطمة ، ثم السعير ، ثم سقر، ثم الجمعم – وفيه أبر جهل – ثم الهاوية ، وإن في كل طبق منها بابا ، فالأبواب – على هذا – بعضها فرق بعض ، وعبر في هذه الآبة عن النار جملة : بجهنم ؛ إذ هي أشهر منازلها وأولها ، وهي موضع عصاة المؤمنين الذين لا يخلدون ، ولهذا ورد: أن جهنم تخرب وتبلى ، وقبل : إن النار أطباق كما ذكرنا ، لكن الأبواب السبعة كلها في جهنم على خط استواء ، ثم ينزل من كل باب إلى طبقه الذي يغضي إليه ، واختصرت ما ذكر المفسرون في المسافات بين الأبواب ، وفي هواء النار ، وفي كيفية الحال : إذ هي أقوال كثيرة ، أكثرها لا يستند ، وهي في حيز الجائز ، والقدرة أعظم منها ، عافانا الله من ناره ، وتفمدنا برحمته وفضله "!".

* * *

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَقِينَ فِي حَنَّاتِ وَعُبُونٍ ۞ آدْخُلُوهَا بِسَلَيْمِ ءَامِنِينَ ۞ وَنَزَعْنَامَا فِي صُدُورِهِم يَنْ عَلِّ إِخْوَانًا عَلَى شُرُرِمُّنَقَامِلِينَ ۞ لَا يَمَشُّهُمُ فِيهَا نَصَبُّ وَمَاهُم مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۞ ﴾

المفردات :

المُتصَفِين، هم الذين اتقوا الكفر والفواحش، ولهم ذنوب من الصغائر، تكفرها الصلوات وغيرها.

جسسات: جمع جنة ، وهى: كل بستان ذى شجر متكاثف ، والمراد بها هنا : الدار التي أعدها الله تعالى: لتكريم عباده المؤمنين في الأخرة .

عيون أنهار جارية ، والمقصود بها هذا : المياه المنتشرة في الجنات .

بسلام: أي: سلامة من الأفات، وأمن من المخافات.

المقياري الحقد والضفينة .

السمود: جمع سرير وهو المكان المهيأ لراحة الجالس عليه ، وإدخال السرور على قلبه .

متقابلين ، لا يرى بعضهم قفا بعض ، بل يقابل وجهه وجه أخيه .

المنصب الإعياء والتعب.

التفسيره

ه \$ - إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونِ .

تحدثت الآيتان السابقتان عن جهنم وعذابها ، ومن شأن القرآن أن يقابل بين عذاب الضالين ، ونعيم المتقين ، فبيَّن هنا: أن المتقين في جنات وعيون .

والتقوى: هي: الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والاستعداد ليوم الرحيل.

وأيل: التقوى هي : دويان الحشا ، لما سيق من الخطا .

وقيل: التقوى هي: ألا يراك حيث نهاك ، وألا يفقدك حيث أمرك.

ونخلص من ذلك : إلى أن التقوى هي : طاعة الله والتزام أوامره ، وترك ما نهى عنه .

والجنات: هي: البساتين والحدائق، والمنازل الكريمة، والعين هي: عيون الماء والخمر والسلسبيل والتسنيم، وغير ذلك مما ذكر أنه من شراب الجنة الله؟

قال تحالى : ظُلُ ٱلْجَنَّة الَّي وُعِدَ ٱلْمُتَقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مَن سَّاءٍ غَيْرِ ءَاسِنِ وَأَنْهَارٌ مَن أَسُ لِّمَ يَنَعَبُو طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مَنْ خَمْر لَّذُهِ لَلشَّرِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلُ مُعَنَّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلُّ ٱلْغَرَاتِ ... (محد: ١٠).

٤٦ - آذْخُلُوهَا بِسَلَلْمِ ءَامِنِينَ .

أى. يقال لهم الدخلوها سالمين من الآفات ، مسلمًا عليكم ، آمنين من كل خوف وفزع ، لا تخافون إخراجا ولا فناء ولا زوالا .

٤٧ - وَانْزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مَّنْ غِلَّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُدٍ مُّتَقَلِّيلِينَ .

أى: أخرج الله ما كان فى صدورهم فى الدنيا من الشحناء ، أن العداوة والبغضاء ؛ فصاروا إخواننا متحابين ، جالسين على سرر متقابلين ، لا ينظر الواحد منهم إلى ظهر أخيه ، وإنما ينظر إلى رجهه فهم فى رفعة وكرامة . لقد أكرم الله المتقين في الدنيا بالمحبة والطهارة والنقاء ، وأخلص قلوبهم من الحسد والبغضاء ، فهم في الآخرة إخوانا متحابين ، لا تشوب أخرِّتهم ضغينة أو بغضاء ، وهذا التأخي هو تأخى المصافاة والإخلاص ، وقد منحهم الله التكريم والقبول ، فهم جالسون على أسرة متقابلين يرى كل واحد منهم وجه أخيه .

جاء في الصحيح :

عن أبى سعيد الغدري: أن رسول الله ﷺ قال: « يخلُص الدوّمنون من النان، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا: أَذْنَ لهم فى دخول الجنة ي⁴⁰،

وأخرج ابن جرير وابن المنذر: عن على كرم الله وجهه أنه قال لابن طلحة: إنى لأرجو أن أكرن أنا وأبوك من الذين قال الله تعالى فيهم: وَلَزَهُنَا مَا فِي صُدُورهِم مِّنْ فِلِّ إِخْوَلُنَا كَفَلِ سُرُر مُّقَسِّلِينَ.

لقد اجتهد هؤلاء الكرام ، ومرت بهم إحن وقتال ، والله مطلع على نياتهم ، فإذا دخلوا الجنة : طهُر الله قلوبهم من التحاسد على الدرجات فى الجنة ، ونزع منها كل غل ، وألقى فيها التُواكُ والتحابُ والتصافى ، وقد روى : أن الأسرَّة تدور بهم حيثما داروا : فهم فى جميع أحوالهم متقابلين ، لا ينظر بمضهم إلى أقفية بمضى ، وهم يجتمعون ويتنادمون ويتزاورون ويتواصلون .

84 - لاَ يَمَشُّهُمْ فِيهَا نَصَبُّ وَمَا هُم مَّنْهَا بِمُحْرَجِينَ.

لا ينالهم التعب ولا المشقة والأذى: لأنهم ليسوا فى حاجة إلى ما يوجب نلك من السعى والتعصيل، فجميع ما يشتهونه يجدونه أمامهم ، قال تعالى : وُفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلأَفْفُسُ وَتَلَدُّ ٱلْأَغْيُنُ وَأَلْتُمْ فِي التحصيل، فجميع ما يشتهونه يجدونه أمامهم ، قال تعالى : وُفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلأَفْفُسُ وَتَلَدُّ ٱلْأَغْيُنُ وَأَلْتُمْ فِي التحصيل فَي التحصيل ال

والخلود فى الجنة حلود أبدى سرمدى دائم ، لا تنفيص فيه ولا زوال ، فهم فى عيشة راضية مُتمتعين بالنعيم الأبدى السرمدى ، لا يخافون ، ولا ينزل بهم البؤس ، ولا زوال النعمة ، قال تعالى : أَكُلُهَا ذَاكِمٌ وَظُلُهَا . (الرعد: ٣٠) ، وقال سيحانه: إِنَّ هَلْلاً لُورَأَتْنَا مَالَهُ مِن تُفَافٍ . (من: ٤٥) ، وقال سبحانه : أَفَعَا تَحْنُ بِمَثِينَ وَإِلَّا مُوْتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُغَلِّينَ هَ إِنَّ هَلْلَا لُهُورَ الْفَرْأَ لَنْظِيمُ وَلِهِلَّى مِثْلُكَ الْلَيْعَلِ مُلْكَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُغَلِّينَ هَ إِلَّى مُثَلِّعَ لَهُورًا لِقَطْرٍ عَلَى مَلَا فَلَيْعَوْلِ الْمُثَعِلُونَ . (المسافات: ٨٥–٦١). ﴿ فَهَ يَجَ عِبَادِي ٓ أَيْ ٓ أَنَاٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيدُ ١ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيدُ وَنَبَقْهُمْ عَنصَيْفِ إِبْرَهِيمَ الله إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَنَا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ الله عَالُواْ لَانْوَجُلْ إِنَّا نَبُشِّرُكَ بِغُلَيْرِ عَلِيهِ ۞ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٓ أَن مَّسَى ٱلْكِبُرُ فِيمَ تُبَيِّدُ رُونَ اللهِ قَالُواْ بَشَرْنَكَ وِالْحَقِ فَلَاتَكُنْ مِّنَ الْقَنْظِيبَ اللهِ قَالَ وَمَن يَفْ نَطُ مِن رَّحْمَةِرَيِهِ عِلَا الضَّالُون ۞ قَالَ فَمَاخَطْبُكُمُ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ۞ قَالُوٓ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوۡمِ تُجۡوِمِينَ ۞ إِلَّاءَالَلُوطِ إِنَّالَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۞ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥفَدَّرَنَّأ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَنْبِرِينَ ۞ فَلَمَّاجَأَةَ ءَالَ لُوطِ ٱلْمُرْسَلُونَ ۞ قَالَ إِنَّكُمْ قَوَّةٌ مُّنكَرُونَ ٣٠ قَالُوا بَلْ حِثْنَكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتُرُونَ ٣٠ وَأَتَيْنَكَ بِٱلْحَقِّ وَ إِنَّا لَصَلَا قُونَ ٢٠ قَاصَرٍ بِأَهْلِكَ بِقِطْعِ مِنَ أَلَيْلِ وَأَتَّبِعُ أَدْبَكُوهُمْ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنكُوا أَحَدٌّ وَٱمْضُواْ حَيْثُ ثُوْمَرُونَ ۞ وَقَضَيْنَاۤ إِلَيْهِ ذَلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتَوُلَآءَ مَفْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ١٠ وَجَاءَ أَهَـ لُ الْمَدِينَـ فِي يَسْتَبْشُرُونَ ١٠ قَالَ إِنَّ هَلَوُلَا عَشِفِي فَلا نَفْضَحُونِ ٣٥ وَالْقُواْ اللَّهَ وَلَا تُغْرُونِ ٣٥ قَالُواْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْمُعْلَمِينَ ٥٠ قَالَ مَعْوُلاً عِبْنَاتِ إِن كُنتُدْ وَنعِيلِينَ ١٠٠ اَمَتُرُكِ إِنَّهُمْ لَغِي سَكْرُيهِمْ يَعْمَهُونَ ١٠٠ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ١٠٠ فَجَعَلْنَا عَلِيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرُنَا عَلَيْهُمْ حِجَارَةً مِّن سِجِيلٍ 🥙 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَأَيْنِ لِّلْمُتَوْسِّعِينَ۞ وَإِنَّمَا لِيَسَبِيلِ مُّقِيمٍ۞ إِنَّ فِ ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ۞ وَإِنَّانَ أَصْحَبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَلِينِ ٥ فَأَنْفَسْنَامِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لِيإِمَامِ مُّبِينِ ۞ وَلَقَدْكَذَّبَأَصْمَتُ ٱلْحِجْرِٱلْمُرْسَلِينَ ۞ وَءَانَيْنَهُمْ ءَاينِنَا فَكَانُواْعَنْهَا مُعْرِضِينَ ۞ وَكَانُواْيَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصِّبِحِينَ ۞ فَمَا أَغْنَى عَنَّهُم مَّا كَانُواْ يكسِبُونَ ١٠٠٠

المضردات ء

مُسيشا إسواهيم، يطلق على الواحد والجمع ، والأفصح في كلمة الضيف ألاّ تثنَّى ولا تجمع حين تستعمل للمثنى والحمم .

ه ميم تسيه من كبره وكبر امرأته . ه ميم تسيه من كبره وكبر امرأته .

السقسان علين ، الياتسين ، يقال : قنط ، يقنط ، قنطًا ، وقنوطًا : يئس .

الضـــالــون، الكفار الذين لا يدركون كمال قدرته وسعة رحمته.

هما خطيكم : أى: ما شأنكم وأمركم الذي لأجله أرسلتم ، والخطيه هو: الأمر الهام الذي يخاطي فيه الإنسان. قسيسترفسيسا ، أي: قضينا وكتبنا .

السفسابسريسيَّ ، أي: الباقين مع الكفرة؛ للهلاك . يقال : غير ، يغبر ، غبررًا ، أي: بقي ومضى ، وهو من الأفعال التي لها معنيان متضادان ، وأصله من الغبرة ، وهي بقية اللبن في الضُّرِّ .

مستسكسرون، نتكركم ولا تعرفكم.

يما كلتوا فيه بمشروق؛ يشكُّون من عداب الله أنه نازل يهم .

فاسر باهناك، أي: فسر ليلا، يقال: سرى، يسرى نهارًا، أمَّا أسرى يسرى إسراء فليلا.

بقطع من اللهل: ببقية منه ، أو بقطعة منه ، أو بطائفة منه .

واتبع أدبارهم ، سرخلف أهلك ، وهم أمامك ، وأدبار : جمع دُبْر أو دُبُر ، وهو مؤخر الإنسان .

ولا ينتفت منكم أحد، وراءه .

وامضوا حيث تؤمرون، حيث أمرهم الله عز وجل.

وقضينا إليه ذلك الأمن وأوحينا إليه: أن هولاء سيستأصلون ، وهم داخلون في وقت الصباح.

مسقسط وع، مهلك مستأصل، وقطع الدابر كناية عن الاستئصال.

وجاء أهل المديئة : مدينة سدوم ، وهم قوم لوط .

ضيد في المفرد والجمع.

فلا تنفضحون، الفضيحة: إظهار ما يوجب العار.

ولاتسم فسرون و لا تهينوني وتذاوني بالتعرض لضيفي .

أولم نصيصك ؛ أن تضيف أحدًا من العالمين.

هــؤلاء بـــــــاتـــي: تزوجوا النساء ، ولا تفعلوا ما حرم الله عليكم .

المسمسرك، وحياتك.

يسعسمسهسون: يتحيرون، والعمه للبصيرة: كالعمى للبصر.

الصــــيـــحــــــة ، صوت مزعج آنبعث من السماء فأهلكهم ، وأخرج ابن المنذر عن ابن جرير : أن الصبحة: المناعقة ، وكل شيء أهلك به قوم فهو صبحة وصاعقة ، ا هـ .

مشمير وقين، داخلين في وقت شروق الشمس.

المستوسمين ، أي : المتفكرين المتفرسين ، الذين يعرفون حقيقة الشيء بسمته ، أي : بعلامته .

وإنـــهــا، أي: المدينة.

البسبيل مقيم ، أي : بطريق ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها .

الأب ك قيضة "غيضة شجر بقرب مدين ، وأصحاب الأيكة : هم قوم شعيب ، وقد كانوا في مكان كثير الأشحار ، كثيف الغيار ،

والسهسما: أي: مدينة قوم لوط، ومدينة أصحاب الأيكة.

لسيسامسام مسين ، ليطريق واضح يراهما الناس .

الهجيــــــــر ، واد بين المدينة والشام كانوا يسكنونه ، ويسمى كل مكان أحيط بالحجارة : حجرا ، ومنه حجر الكعبة .

آسات الماء هي الناقة ، وفيها آيات كثيرة كعظم خلقها ، وكثرة لبنها ، وكثرة شربها .

وكانوا ينحتون من

الجبال بيوتا آمنين : قيل : آمنين من عذاب الله .

الصييمية، صوت هائل أعقبه هلاكهم.

مصيب حين : حين أصبحوا من اليوم الرابع.

ما كانوا يكسبون، يرتكبون من الأعمال الخبيثة.

تمهيد،

تتحدث الآيات على رحمة الله الواسعة ، ومففرته للتائبين ، وعن عذابه المزام للعصاة المذنبين ، ثم فصلت ذلك الوعد والوعيد ؛ فتحدثت عن قصة إبراهيم ، والبشارة له بغلام عليم ، وقصة إهلاك قوم لوط ، بما ارتكبوا من فاحشة اللواط ، حتى مساروا كأمس الدابر ، وأصبحوا أثرًا بعد عين ، وإهلاك أصحاب الأيكة قوم شعيب جزاء ظلمهم ، وإهلاك أصحاب الحجر قوم ثمود الذين كذبوا صالحا وكانوا ذوى حول وطول ، فأخذتهم الصبحة وقت الصباح ، ولم يغن عنهم مائهم من دون الله شيئا ، حين جاء أمره .

التفسيره

٩ ٤ - لَبِّيْ عِبَادِيّ أَنِّي أَنَا ٱلْفَفُورُ ٱلرَّحِيمُ .

أى: أخبر عبادى خبرًا مؤكدًا: بأن الله تعالى هو أَلْفُورُ لمن استغفر وتاب ، آلرَّ حِبُمُ بعباده ؛ حيث قسّم رحمته مائة جزء ، أنزل جزءًا واحدًا في الدنيا يتراحم به الناس ، والُخر تسعا وتسعين جزءًا ، يرحم بها عباده في الأخرة ، كما رواه الشيخان .

ه - وَأَنَّ عَلَالِي هُوَ ٱلْعَلَابُ ٱلأَلِيمُ

وأخبرهم أيضا: بأن عذابى لمن أصر على المعاصى وأقام عليها، ولم يتب منها، هو العذاب الشديد المؤلم، وبالاحظ أن الله تعالى جمع في هاتين الآيتين بين التبشير والتحذير: ليظل العبد على قدمى الرجاء والخوف، والأمل والعمل، وقد تحدث القرآن الكريم عن الثوية والاستغفار، وعن فتح أبواب الرجاء أمام التائبين، وحارب الهأس والقنوط من رحمة الله.

ويهذا يأخذ القرآن بيد الناس إلى طريق العمل والأمل ، ويحذّرهم من المعصية والجحود ، وقد غلّب القرآن هنا جانب الرحمة ، حيث بدأ بجانب المغفرة والرحمة ، وأكد ذلك بعدد من المؤكدات ، وتكلم عن العذاب بتأكيد أقل ، مما يدل على أن رحمة الله تعالى سبقت غضبه ، وأنتا ينبغى أن نعتمد في التربية على التبشير والتشجيم ، وفتح أبواب الرجاء ، وإنا أن نلجأ العقاب عند الضرورة .

٥ - وَنَبُّنْهُمْ عَن ضَيْفٍ إِبْرَاهِيمَ .

وأخبرهم يا محمد عن ضيوف إبراهيم المكرمين، وهم الملائكة الذين أرسلهم الله لإهلاك قوم لوط.

٧ ٥- إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلاَمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ .

دخل الملائكة على إبراهيم ، فقالوا : سلامًا ، أي : سلمت من الآفات والآلام ، سلامًا ، وكان إبراهيم يكنى : أيا الشيفان ، فقال إبراهيم للضيوف : إنا خاتفون منكم ؛ لأنهم دخلوا بلا إذن ، أو لما رأى أيديهم لا تمتد إلى ما قريه إليهم من الضيافة ، وهو العجل الحنيذ ، المشرى بالحجارة المحماة .

قال تعالى : فَلَمَّا رَءَا أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ حِيفةٌ . (مود: ٧٠) .

٣٥- قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَم عَلِيم .

أى: قالت الملائكة لإبراهيم: لا تخف: لقد جئنا إليك من أجل البشرى بغلام ذى علم وفطنة ، وفهم لدين الله ، وسيكون له شأن ؛ لأنه سيصير ذبيا ،ونحو الآية قوله تعالى : وَبُشَّرِنْكُ بِإِسْحُلَقَ بَيِّا مِنَ آلمَسُلُحينَ . (الصافات: ١١٣).

\$ ٥- قَالَ أَبَشَرْتُمُونِي عَلَيْ أَن مَسْنِي ٱلْكِبَرُ فَهِمَ تُبَشِّرُونَ .

تعجب إبراهيم من هذه البشارة مع كبر سنّه ، فقال مستفهما فى معنى التعجب : أبسرتمونى بالولد مع كبر سنى ، فبأى شىء تبشرون ، وكلمة فَلَيْ هنا يمعنى : مع ، ومُشْيُنُ بمعنى : أصابنى .

فُهِمُ يُشَرُّرُونُ . أي : بأي أعجوية تبشرينني ؟؛ إذ لا سبيل في العادة إلى مثل ذلك ، فالعادة أن الشباب والرجال الأقوياء هم الذين ينجبون .

٥٥- قَالُواْ بَشُرْنَكَ بَالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ ٱلْقَلْنِظِينَ .

أى: قالت الملائكة لإبراهيم: بشرناك بما هو حق ثابت ، وإنا لنعلم أن الله قد وهب لك غلاما.

فَلاَ لَكُنْ مَنَ ٱلْقَلْطِينَ ، اليائسين ، الذين يقنطون وييئسون من فضل الله ورحمته ، وهو سبحانه على كل شيء قدير ، فقد أوجد الإنسان من تراب ، وهو قادر على إيجاد الإنسان من أي شيء كأبوين عجوزين.

واخلاصة : أنه عليه السلام استعظم نعمة الله عليه ، فاستفهم هذا الاستفهام التعجييّ ، المبنيّ على السنن التي أجراما الله بين عباده ، لا أنه استبعد ذلك على قدرة الله : فهو أجلٌ من ذلك قدرا .

٣ ٥- قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبُّهِ إِلاَّ ٱلصَّالُونَ .

أى: لا ييأس من رحمة الله ؛ إلا من أخطأ سبيل الصواب، وغفل عن رجاء الله، الذي لا يخيُّب من رجاه.

قال القاسمي في تفسيره:

يعنى : لم أستنكر ذلك قنوطا من رحمته ، ولكن استيعادًا له في العادة التي أجراها الله تعالى ، والتصريح برحمة الله في أحسن مواقعه اهـ.

وقريب من الآية قوله تعالى على لسان يعقوب: إِنَّهُ لاَيُأَيْسَ مِن رُوْحِ ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلْقُومُ ٱلْكَنْفِرُونَ . (بوسف: ٨٧). ٧- قالَ فَهَا خَطْلُكُمْ أَيَّهَا الْمُؤْسَلُونَ .

أي: ما شأنكم وما هو الأمر الجليل الذي جثتم من أجله ، فقد علم إبراهيم عليه السلام ، من سياق حديثهم معه ، أن لهم مهمة جليلة أخرى غير البشرى ، فالبشرى لا تحتاج إلى هذا العدد من الملائكة ، فقد اكتفى بملك واحد ، في بشارة زكريا ومريم عليهما السلام .

٨٥- قَالُواْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ .

أي: تالت الملائكة: إن الله أرسلنا إلى قوم مجرمين ، أي : كافرين مكذبين من قوم لوط ، واكتفوا بهذا القدر من الجراب : لأن ابراميم يعلم أن الملائكة إذا أرسلوا إلى المجرمين ، كان ذلك لهلاكهم وإبادتهم.

٩ ٥- إلاَّ وَالَ لُوطِ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ .

لقد أمرهم الله بإهلاك المجرمين ، الذين يرتكبون المنكر واللواط والشذوذ علنا ، دون تأسف أو ندم. وأمر سبحانه وتعالى بنجاة المؤمنين جميعا ، الذين آمنوا بلوط عليهم السلام ، فهم أهله .

٠ ٦- إِلاَّ آمْرَأَلَهُ قَلَدُوْنَا إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْفَلْيِرِينَ .

هذا استثناء من الاستثناء ، أى استثنى المؤمنين ، أتياع لوط من الهلاك ؛ فهم ناجون بإذن الله ، واستثنى من الناجين زوجته ، التى كانت متواطئة مع قومها ، إنّها لَمِنَ ٱلْمُعْرِينَ ، أى : الباقين مع الكفرة الهالكين ، وقد أضاف الملائكة التقدير فى قولهم : قَدْزُكًا . إلى أنفسهم ، مع أنه لله تعالى ؛ لما لهم من القرب والاختصاص بالله تعالى ، كما يقول خاصة الملك : دبّرنا كذا ، وأمرنا بكذا ، أى : دبرنا بأمر الملك ، وأمرنا بتنفيذ أمر الملك .

٩ ٦ ، ٣ ٦ - فَلَمَّا جَلَّةَ عَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ * قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ .

تبدأ من هنا قصة الملائكة مع لوط عليه السلام ، أى : لما انتهت مهمة الملائكة مع إبراهيم عليه السلام ويشروه بالولد ، نمبوا إلى لوط عليه السلام فى قرية سدوم، فأنكرهم لوط ولم يعرفهم ، وقال لهم: من أى الأقوام أنتم ؟! ولأى غرض جئتم ؟! .

قَالَ إِنَّكُمْ فَوْمٌ مُّنكَرُونَ .

أى: إنكم قوم غير معروفين لدىّ ، تنكركم نفسى ، قيل : أنكر حالتهم ، وخاف عليهم من إساءة قومه: لمّا رآهم شبانا مردًا حسان الرجوه ، ونحو الآية قوله تعالى : وَلَمَّا جَاءَتُ رُسُلُنا أُوطًا سِيَّةَ بِهِمْ وَصَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا رَقَالَ مُلْكًا نُومٌ عُصِبٌ . (هود: ٧٧) .

٣٣ - قَالُواْ بَلْ جِنْنَكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ .

أي: تالت الملائكة لذينُ الله لوط: فقد جنناك بما يسرُّك ، وهن عذابهم وهلاكهم وممارهم ، الذي كانوا يشكون في وقوعه بهم .

\$ ٦- وَأَنْ لَكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَعَمَا لِمُونَ .

أي: جنناك باليقين والحق الثابت المتيقن.

وَإِنَّا لَصَلْدِقُونَ , فيما أخيرناك به .

وفي معنى الآية قوله تعالى - مَا لَنزَّلُ ٱلْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ . (المجر:٨).

ه ٣- فَأَشْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلنَّالِ وَٱتَّبِعُ أَدْبَسُرُهُمْ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْشُواْ حَبْثُ تُؤْمَرُونَ .

أى: سر بأهلك المرمدين بعد مضى جزء من الليل ، أو في آخر الليل ، وُاتَّحِمُ أَدْبَارُهُم . أي : كن على أثهرهم تدودهم ، وتسرع بهم وتطلع على حالهم .

وَلاَ يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَخَدُ . أَى : لا ينظر أحد منكم إلى خلفه : ليرى ما وراءه ، فيرى من الهول مالا يطبقه، أن حتى لا يرق لطالهم ، في موضع لا تجوز فيه الرقّة .

وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ . أي : حيث أمركم الله .

لقد أمروا بمواصلة السير ، ونهوا عن التوانى والتوقف ؛ ليكون ذلك أقطع للعلائق ، وأحق بالإسراع للوصول إلى المقصد الحقيقى ، وهو بلاد الشام .

٣ ٧- وَقَصَيْنَا ٓ إِلَيْهِ وَالِكَ ٱلأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَنَّوُلآءِ مَفْفُوعٌ مُّصْبِحِينَ .

أى: أرحينا إليه وحيا مبتوتا مقضيا ، ذَلِكَ آلأَمْرَ ، دم قصل ذلك الأمر فقال : أَنَّ دَايِرَ مَثَلِلآءٍ مَقُطُرعُ تُصْبِحِينَ . أي: أن آخر هؤلاء وأولهم مستأصل وقت الصباح ، كقوله تعالى : إِنَّ مَوْعِنَهُمُ ٱلصُّبُّ أَلْسَ ٱلصُّبُّ هُوَيِهِ ، (هون ٨١) .

وتفيد الآية : أنهم يُستأصلون عن آخرهم ، فلا يبقى منهم أحد .

٧٧ - و جَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدينَةِ يَسْتَبْشِرُ ونَ .

أى: جاء أهل مدينة سدوم ، قرم لوبط حين علموا أن ضيوفه صباح الوجوه : مسرورين مستبشرين، آملين فى ارتكاب المنكر وهو اللواط بهم ، وهذا دليل على فساد ذوقهم وشدة جرمهم ، فإنهم بلغوا درجة كبيرة من الفجور والتبجح ، والإعلان الجماعى عن رغبتهم فى هذا العمل القبيح ، ويدلا من إكرام الضيف والدفاع عنه ، نجد عندهم الرغبة فى اللواط بهم .

قيل: إن الملائكة كانوا في غاية الحسن ، واشتهر حالهم حتى وصل إلى قوم لوط ، وكأنَّ الله سبحانه وتعالى وصل أولوط ، وكأنَّ الله سبحانه وتعالى أولاء في صورة شبان مرد صباح الوجهم : ليظهر مكنون أسرارهم ، وخبايا نفوسهم ، وما يضمرونه من الرغبة الجامحة في اللواط بهؤلاء الأضياف: ليكون ذلك علة كافية لهلاكهم ، حال كونهم متلبسين بجريعتهم ، أو راغبين في ارتكاب الفعلة الشنعاء.

٨٨- قَالَ إِنَّ هَـٰ آوُلاءِ طَهُفِي فَلاَ تَفْضَحُونِ .

أى: قال لوط لقومه : إن هؤلاء شيوفى ، فلا تفضحونى بارتكاب ما يؤدى إلى العار معهم ، والشيف يجب إكرامه ، فإذا قصدتموه بالسوء : كان ذلك إهانة لى .

٩ ٩- وَٱللَّهُ وَلاَ تُحْرُّونَ .

أى : وخافوا عقاب الله واحذروا غضبه وعذابه .

وَلاَ لَخُزُونِ . ولا تذلوني بإذلال ضيفي ، ولا توقعوني في الغزى والهوان والعار بالإساءة لهم .

٥ - قَالُواْ أُولَمْ لَنْهَكَ عَن ٱلْعَلَمِينَ.

أى : ألسنا قد نهيناك أن تكلمنا في أحد من الناس ، إذا قصدناه بالفاحشة ، ونهيناك أن تضمف أحدا، وتوعدوه بالشرّ، وعلى لسانهم ، قال تعالى : قِين لَّمْ تَسَعُو يَلُوطُ تَتَكُونَنَّ مِنْ ٱلْمُحْرَجِينَ . (الشعراء ١٦٧).

١ ٧- قَالَ هَـٰ وَلاَّءِ بَنَاتِيٓ إِنْ كُنتُمْ فَلْعِلِينَ .

أى : إن رغبتم قضاء الشهوة ، فانهبوا إلى زوحاتكم ؛ فالنبي أب لقومه ، أو عرض عليهم الزواج من بنتيه.

وفي سورة الأحزاب: آلنِّي أَوْلَى بآلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَـٰتُهُمْ ... (الأحزاب: ٦) .

٧٧- لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ .

أى: قال الله لمحمد ﷺ: وحياتك إن قوم لوط فى غوايتهم يتحيرون ، وفى خضوعهم لشهواتهم يعمون عن الهدى ، ويسيرون فى المصلال ، ويجوز أن تكون هذه الآية خطاب من الملائكة لذبى الله لوط ، تخبره : أنهم غلبت عليهم الشهوة والهوى والضلال ، فهم أسرى للخواية ، وهم أهل للمقوبة .

٧٧- فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ .

أي: أسمعهم الله صيحة العذاب المهلكة .

مُشْرِقِينَ . أي : داخلين في وقت شروق الشمس .

٤٧- فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْظَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةٌ مِّن سِجِّيلٍ.

أى: جعلنا عالى المدينة سافلها ، أى : فى أعماقها فانقلبت عليهم ، وأنزل الله عليهم حجارة من طين متحجر طبخ بالنار .

لقد مر عدابهم بثلاثة أنواع :

١ – المبيحة الهائلة المنكرة .

٢ - أنه جعل عاليها سافلها .

٣- أنه أمطر عليهم حجارة من سجِّيل.

٥٧- إِنَّ فِي قَالِكَ لَآيَكْتِ لِلْمُعَوِّسُمِينَ.

أي: إن في ما فطناء يقوم لوط من الهلاك والعذاب ، لدلالات للمفكرين ، الذين يعتبرون بما يحدث في الكون من عظات وعبر ، ويستدلون بذلك على ما يكون لأمل الكفر والمعاصى من عذاب بنيس بما كانوا يغطون.

وقد روى البخارى: أن رسول الله ﷺ قال: « اتقوا فراسة المؤمن: فإنه ينظر بنور الله » ، ثم قرأ النبى ﷺ : إنَّ في ذَلِكَ لاَيَسْتِ لِلْمُوَّسِّمِينَ (٣٠).

٧٦- وَإِنْهَا لَبِسُبِيلٍ مُقِيمٍ.

أي: وإن هذه المدينة - مدينة سدوم - التي أصابها هذا العذاب لبطريق واضح ، لا تخفى على

المسافرين المارين بها ، فأشارها ما نزال باقية إلى اليوم ، في الطريق من الحجاز إلى الشام ، كما قال تعالى : وَإِنْكُمْ تَشَرُّونَ عَلَيْهِم شُمْسِعِنَ * وَبِاللَّيِلُ أَفَلَا تَغْفِلُونَ . (الصافات: ١٣٨،١٣٧) .

٧٧- إِنْ فِي ذَالِكَ لا يَهُ لَلْمُؤْمِنِينَ .

إن في هذه القصة ، أى . فيما فعلناء بقوم لوط من الهلاك والدمار ، وإنجائنا لوطا وأهله : لدلالة وعبرة للمؤمنين المتعظين : إذ هم يعرفون أن ذلك كان انتقاما من الله تعالى لقوم لوط ، ومعجزة ونجاة لنبي الله لوط ، أما الذين لا يؤمنون بالله فيجعلون ذلك حوادث كونية ، وسئون أرضيه ، جعلت الأرض تنهار لحدوث فراغ من بعض أجزائها – والمؤمنون يرون أن هذا سبب ظاهر ، وأن مسبب الأسباب هو الله تعالى ، وهو على كل شيء قدير .

٧٨ - وَإِنْ كَانَ أَصْحَلْبُ ٱلأَيْكَةِ لَطُلْلِمِينَ .

أى: إن أصحاب الأبكة ، وهم قوم شعيب ظالمون ، بسيب شركهم بالله وقطعهم الطريق ، ونقصهم المكهال والمهزان : فانتقم الله منهم بالصيحة والرجفة ، وعذاب يوم الظلة ، جزاء تكذيبهم لنبيّهم ، وارتكابهم المويقات ، والأبكة : الشجر الكثير الملتف .

جاء في تفسير المراغي :

أخرج ابن مردوية وابن عساكر: عن ابن عمر قال : قال رسول ﷺ : « إن مدين وأصحاب الأيكة أمّان بعث الله إليهما شعيبا » .

٧٩- فَآنَتَفَهُنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ.

أى . انتقم الله من أصحاب الأيكة جزاء ظلمهم وكفرهم ، حيث أصابهم عناب يوم الطلة ، وهو إصابتهم بحر شديد سبعة أيام ، لا ظل فيه ، ثم أرسلت عليهم سحابة فجلسوا تحتها ، فأرسل الله عليهم نارًا فأحرقتهم ، وأمًّا أهل مدين فقد أخذتهم الصيحة .

وَإِنْهُمَا لَيَامُهُ مُّيِّرِ. أى : وإن كلا من قرى قوم لوط ، ويقعة أصحاب الأيكة ؛ لبطريق واضح يسلكه الناس فى سفرهم ، ويهتدون به فى سفرهم ، وجعل الطريق إمامًا ؛ لأنه يؤم ويتبع : حتى يصل السائر فيه إلى الموضع الذى يريده .

. ٨- وَلَقَدْ كُدُّبَ أَصْحَلْبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ .

يعنى : ثمود ، كذبوا صالحا عليه السلام ، ومن كنّب واحدا من الأنبياء عليهم السلام ؛ فقد كنّب الجميع: لاتفاقهم على التوحيد والأصول التي لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار . والحجر: وأد بين المدينة والشام كانوا يسكنونه ، معروف يجتازه ركب الحج الشامي .

٨ ١- وَ ءَاللَّهُمْ ءَالِلَّهَا فَكَالُوا عَنْهَا مُعْرضينَ .

وأريناهم آياتنا الدالة على نبوة صالح عليه السلام ، مثل : الناقة التي أخرجها الله من صخرة صماء؛ بدعاء صالح عليه السلام، فأعرضوا عنها، وعقروا الناقة، وخرجوا عن طاعة الله، ولم يعتبروا بهذه الآيات البيئات.

٨٢ - وَكَانُواْ يَنْحُنُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ يُبُونًا عَامِدِينَ .

وكانوا لقوتهم وغناهم ؛ يتخذون لأنفسهم بيوتا في بطون الجبال ، وهم أمنون مطمئنون ، أو يقطعون الصغر منها ؛ ليتخذوه بيوتا لهم.

وفي جاء هذا المعنى في الآية ٧٤ من سورة الأعراف قال تعالى: وَٱذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلْفَآءَ مِنْ يَعْد عَادِ وَبُوَّ أَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَحَدُّونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحُونُ مِنَ ٱلْحِمَالِ لُهُ تُل

لقد كانوا في نعمة ورفاهية ؛ فبنوا القصور الفارهة في السهل ، والبيوت المنيعة الحصينة ، الآمنة من سملو اللصوص ، أو نقب الناقبين في الجبال ؛ فوجب عليهم أن يشكروا نعم الله عليهم ، قانعين بهذا الفضل ، وأن يمتنعوا عن الفساد والعدوان .

وقد مرّ علهه الصلاة والسلام بهذه البيوت ، وهو ذاهب إلى غزوة تبوك ، فغطى رأسه بثويه ، وأسرع بدابَّته ، وقال الأصحابه : « لا تدخلوا بيوت القوم المعذَّبين ، إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تبكوا فتباكوا؛ خشية أن يصيبكم ما أصابهم! «^(٢٠).

قال الفخر الرازي في التفسير الكير ، وجاء في صفوة التفاسير أيضا:

وَكَالُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا عَامِينَ .

أي : كانوا ينقبون الجبال فيبنون فيها بيوتا ، آمنين يحسبون أنها تحميهم من عذات الله ، وقال الفرَّاء : ءَامِينَ أَن يقع سقفهم عليهم .

٨٣ - فَأَخَلَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ .

أي : أهلكهم الله صباحاً في وضم النهار ، عيانا جهارًا ، حيث أخذتهم صيحة الهلاك ، حين كانوا

في ضحوة اليوم الرابع من اليوم الذي أوعدوا فيه بالعذاب ، كما جاء في قوله تعالى : فَقَالَ تَمَعُّمُواْ فِي دَارِكُمُ تُلَنَّةُ إِنَّامَ وَلِكَ رَعْدُ غَيْرٌ مَكُذُّوبِ . (هود: ١٥) .

فهلكرا في ديارهم جاثمين على ركبهم من الهول ، دون أن يغنى عنهم شيئا ، ما كانوا يكسونه من جمع الأموال ، وما كانوا يصنعونه من نحت البيوت في الجبال ، وهكذا ضاع تحصنهم في الجبال ، وأمانهم المزيف ، ومنعتهم بالسهول والجبال ، حين أعرضوا عن هدى السماء : فاستحقوا عقاب الله .

٨٤- فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ .

أى : فما دفع عنهم ما نزل بهم مًّا كَانُوا يُكْسِّونَ . من نحت البيرت ، وجمع الأموال ، وكثرة العُدد ، وجمع النُدد ، بل خرُّوا جاتمين هلكي ، حين حلَّ بهم عذاب الله .

* * *

﴿ وَمَا خَلَقَنَا ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا يَنَهُمَاۤ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَاَيْهَ ۗ فَأَصْفَح ٱلصَّفَحَ ٱلْجَيِيلَ۞ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَقُ ٱلْعَلِيمُ۞﴾

المفردات ،

يسسسالون بالعدل والإنصاف ، والحكمة والمصلحة .

الساعسة ، يوم القيامة .

الصنطيع، ترك التثريب واللوم.

الصفح الهميل، ما خلا من العتب.

التفسيره

ه ٨ - وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَنُوْتِ وَٱلأَرْضَ وَمَا يَنْتَهُمَا ۚ إِلاَّ بِٱلْحَقُّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَأَصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَعِيلَ.

تأتى هذه الآية كأنها تعقيب على هلاك السابقين من الأمم السابقة ، فالله تحالى له نواميس كونية، وقوانين إلهية ، ومن هذه النواميس : خلق الكرن كله بالعدل والحكمة والإنصاف والحق ، ومن هذه النواميس : نصر المؤمنين والمرسلين ، وإهلاك المكنبين ، وفى الآية تنبيه إلى التأمل فى هذا الكون بكل ما فيه من السماء والأرض ، وما يَنْهُما من الفضاء والهواء والإنسان ، فقد خلق الله هذا الخلق بالحكمة والعدل ، ومن الحكمة والعدل : إثابة الطائع وتعذيب العاصى ، فما أصاب المرسلين من النصر، وما أصاب المكريين من النصر، وما أصاب وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لِآتِهُ . أَى : لا تأس يا محمد من تكنيب قومك ؛ فالقيامة حق ثابت ، وسوف ينالون جزاءهم العادل في الآخرة ، فاصفح عنهم ، بلا عتاب ولا لوم، قال تعالى : فَآصَفُعُ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَمٌ فَسُوْفَ يَعْلُمُونَ . (لازخرف: ٨٨).

وقال تعالى : فَأَعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بَأُمْرِهِ إِنَّ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . (البقرة ١٠٩٠).

٨٦- إِنَّ رَبُّكَ هُوَ ٱلْخَلِّلْقُ ٱلْعَلِيمُ.

أي: إن ربك هو الذي رعاك وآواك ، ونصرك وأيدك ، هو كثير الشلق ، كثير العلم ؛ فغوض الأمور إليه ، وتذرع بالصفح الجميل والحلم ، فهو سبحانه خالق الكون ، وخالق النفوس ، وهو الحليم بطباعها ، فالصفح والعقو من شأنه أن يستميل الآخرين ، إلى دعوتك ورسالتك ، وقد أثمرت هذه التوجيهات الحكيمة ثمرتها ، فقدت مكة ، وبخل الناس في دين الله أقواجا ، واستجاب الله دعاء رسوله الأمين حين قال : واللهم ، اهد قومي ، فإنهم لا يعلمون » .

+ + +

﴿ وَلَقَدْ الْيَسْكَ سَبَعًا مِنَ الْمَنَانِ وَالْقُرْ وَالْقُرْ وَالْقَلْمِ الْاَتَمَدُنَ عَيْنَكَ إِلَى مَا مَتَعَنَا بِهِ الْوَكَ الْمُنْوَفِينَ ﴿ وَالْقَرْ وَالْمَعْنَا فِيهِ الْوَكَ الْمُوْفِينَ ﴿ وَالْمَنْ الْمُنْ الْلَهُ وَالْقَرْ وَالْمَعْنَا فِيهِ الْمُنْ الْمُنْ وَالْفَرْ وَالْمُوسِينَ ﴾ الْمُنْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُولُونَ وَالْمُولِونَ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَا وَاللَّهُ وَالْمُؤْمِنَا وَالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَالِ وَالْمُؤْمِنَالِمُؤْمِنَا وَاللَّهُ وَالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَا وَاللَّهُ وَالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَا وَالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَا وَاللَّهُ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُومِ وَالْمُؤْمِنَا وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَا وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِنَالِمُ وَالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَا وَالْمُؤْمِنَا وَالْمُؤْمِنَا وَالْمُؤْمِنَا وَالْمُؤْمِنَا وَالْمُؤْمِنَا وَالْمُولَةُ وَالْمُؤْمِنَا وَالْمُؤْمِنَا وَالْمُؤْمِولَ وَالْمُؤْمِنَا وَالْمُؤْمِلُومُ وَالْمُؤْمِنَا وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِلُومُ

المفردات ،

سبيسامين للشأشيء أي: سبح آيات وهي: الفاتمة ، وقيل : سبع سور ، وهي: الطوال ، وسابعها الأنفال والتوية، والمثاني من التثنية ، فإن كل ذلك تثنى وتكرر قرامته .

أزواجها مستهم ، أي أشباها ، وأقرانا من الكفار .

ونفقش چنامك المؤمنين، يراد به : التواضع واللَّين ، وأصل ذلك أن الطائر إذاً أراد أن يضمُّ فرحه إليه ، بسط حناحه له ، والجناصان من الإنسان : جانباه .

كما انزلنا على القتسمين، أى : مثل العذاب الذي أنزلناه على المقتسمين ، وهم رجال اقتسموا مداخل مكة أيام الحج: لينفروا الناس من الإسلام ، وقال الطبرى : المقتسمين ، اليهود والنصارى ، وكان اقتسامهم : أنهم اقتسموا الكتاب فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه .

الذين جعلوا القرآن عشين، فرقا متفرقه مأخوذه من قولك : عصّيت الشيء إذا فرقته ، فقال بعضهم : سحر ، وقال يعضمهم: شعر ، وقال بعضهم : كمانة ، وعنى بـ الّذين جَعَلُوا ٱلْقُرْوَانُ عِفِينَ : كمان قريش.

فاصده بما تقمر 1 أي: اجهر بما تؤمر من : صدّعُ بالحجة : إذا تكلم بها جهارا .

إناكفيناك المستهزدين، الذين كانوا يستهزنون برسول الله ﷺ ويسفرون ، فأهلكهم الله كلُّهم يوم بدر . بشــيـــق مســدرك ، ينتهض من المسرة والحزن .

هسبح بحمد ريك ، أي : فافزع إلى ربك بالتسبيح والتحميد .

الساج المصلِّين .

السيسيسية إن الموت ، وسمى به ؛ لأنه أمر متيقن لا شك فيه .

التفسيره

٨٧ - وَلَقَدْ وَالَيْنَاكَ سَيْعًا مِّنَ ٱلْمَعَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ .

أى: ولقد أعطيناك وأكرمناك بسبع آيات ، هى: الفاتحة التي تثنى وتكرر فى كل صلاة ، وأكرمناك أيضا بالقرآن العظيم . وتسمّى الفاتحة : أم القرآن ، وأم الشيء أعلاه وأهمّه ، ومنه : أم القرى ، وتسمى: السبع المثانى : لأنها سبع آيات تكرر فى الصلاة ، وقيل : سميت مثانى : لأنها قسمان ، قسم ثناء على الله، وقسم دعاء له .

وأيضًا النَّصِف الأول منها: حق الربوبية ، وهو الثناء .

والنصف الثاني : حق العبودية ، وهو الدعاء .

وفى المحديث: أن الذبى ﷺ قال: « يقول الله تعالى: قسمت المسلاة بينى وبين عبدى نصفين ، ولعبدى ما سأل ، فإذا قال العبد: أَلْحَمُدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ؛ قال الله تعالى: حمدنى عبدى ، وإذا قال العبد: آلرَّحُنَهَنَ ٱلرَّحِيمَ ؛ قال الله تعالى: أثنَى على عبدى ، وإذا قال العبد: مَالِكَ يُوْمُ ٱلنَّيْنِ ؛ قال الله تعالى: مجدنى عبدى ، فإذا قال : إِيَّاكُ نَعْبُدُ وَإِيَّاكُ نَسْتَعِينُ ؛ قال الله تعالى : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل ، فإذا قال: أَهْدِينَ الْصَرَاطُ الْمُسْتَقِيمَ ه صِرَاطُ الَّذِينَ أَنَعْمَتَ عَلَيْهِمْ فَيْرِ الْمُفْشُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الشَّالَيْنَ ؛ قال : هذا لعبدى و لعبدى ما سأل "٢٠" ، لضرجه مسلم .

وقال ابن عباس : السبع المثانى هي: السبع الطوال : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام، والأعراف ، والأنفال والتوبية معا ..

وعطف القرآن على السبع المثاني ، من باب عطف العام على الخاص ، وتخصيص الفاتحة بالذكر من بين القرآن الكريم ؛ لمزيد فضلها ، على نحو ما جاء في قوله تعالى : وَمَلْتِهِكُمِّهُ وَرُسُّهِ وَرَّجُرِيلً وُسِكُّلُالً ، (البقرة 8.4).

٨٨- لا تَمُدُنْ عَيْنِكَ إِلَىٰ مَا مَتُعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مُنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَآخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ .

لا تنظر أيها الرسول الكريم إلى ما يتمتع به الأغنياء ، من اليهود والنمسارى والمشركين ، من زينة الدنيا ورخرفها : فإن الله قد أعطاك الفاتمة والقرآن العظيم وهما خير عطاء ، والخطاب في الأية للرسول ﷺ ، والمراد : أمته ، أي : لا تنظروا إلى نعيم الدنيا الذي يتمتع به المشركون واعتروا بإسلامكم وما معكم من القرآن والإيمان . قال أبو بكر رضى الله عنه : من أوتى القرآن ، فرأى أن أحدًا أوتى من الدنيا أفضل مما أوتر . : فقد صغر عظيما ، وعظم صفيه ا .

جاء في تفسر القاسمي :

أَزْوَاجًا مُّنْهُمْ .

أي: أصنافا من الكفار متمنيا أن تكون مثلهم ، فإنه مستحقر بالنسبة لما أوتيته .

وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ .

أي: لا تتأسف على المشركين إذا لم يؤمنوا. اه..

قال تعالى : لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ . (البقرة: ٧٧٧) ، وقال سبحانه : لَعَلَكَ بَــْمِعَ نَفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُواْ مُوْمِينِنَ . (الشعراء: ٣) .

وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ .

أى: تواضع لمن محك من فقراء المؤمنين ، وألن جانبك لمن آمن بك ، واستغن بهم عن إيمان الأغنياء

الأقوياء ، فهذا هو قدرك ومهمتك ، قال تعالى: فَهِمَا رَحْمَةٍ مَنَ اللّهِ لِمِنتَ لَهُمْ وَقَلْ كُنتَ فَظُا غَيِطَ الْقَلْمِ لِاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفَ عَنْهُمْ وَاَسْتَطْفِرْ لَهُمْ وَشَارِدُهُمْ فِي الْأَمْرِ ... (ال عمران: ٢٥٩) ، وقال سبحانه في وصف أصحاب النبي ﷺ : أَخِدَاءً عَلَى الْكُفُّارِ رُحَمَاءً يَنْهُمْ . (الفتح: ٢٩) ، وقال تعالى : أَذِلَّهُ عَلَى الْمُؤْمِينَ أَعِرَةً عَلَى آلْكُنْفِرينَ . (المائدة: ٤٥) .

٨٩ - وَقُلْ إِنِّي أَنَا آتَتُلِيرُ ٱلْمُبِينُ .

أي: اجهر برسالتك ، وبلِّغ دعوتك ، وأدَّ مهمتك قائلا :

إِنِّي أَنَا ٱلنَّفِيرُ ٱلْمُبِينُ . إنى منذر الكافرين بالعذاب ، وأنا أحذر من لم يؤمن بالله ورسوله والهوم الآخر.

قال تعالى : يَنَأَيُّهَا آلْشِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكُ شَاهِنَا وَمُبَشَّرًا وَلَذِيرًا ﴿ وَدَامِيًا إِلَى آللَهِ بِإِذْلِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا. (الأحزاب: ٤٦،٤٥).

ويتضمن المعنى أيضا : إنى أحدِّر الكافرين من أهل مكة ، أن يصيبهم ما حل بالأمم المتقدمة المكذبة لرسلها ، وما أهاط بهم من لنتقام وعذاب .

جاء في الصحيحين:

أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مثلى ومثل ما بعثنى الله به ، كمثل رجل أتى قومه، فقال: ياقوم ، إنّى رأيت الجيش بعينى ، وإنى أنا النذير العريان ، فالنجاء النجاء ، فأطاعه طائفة من قومه ، فأدلجوا وإنطاقوا على مهلهم ، فنجوا ، وكذبه طائفة منهم ؛ فأصبحوا مكانهم ، فمسجّعهم الجيش ، فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعنى واتبع ما جئت به ، ومثل من عصائى وكذّب ما جئت به من الحق »(").

٩٠ - كَمَا أَنزَكَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ .

تحتمل هذه الآية المعانى الآتية:

- وَلَقَدْ عَالِيَتُكُ صَبُّعًا مَنَ أَلْفَعًانِي وَالْقَرْوَاتُ ٱلْعَقِلْمِ ، كما آتينا من قبلك من اليهود والنصارى: التوراة والإنجيل، وهم الذين اقتسموا القرآن وجزَّمره أجزاء ، فأمنوا يبعضه الذي وافق كتابيهما ، وكفروا ببعضه وهم ما شائقهما ، أهرج ذلك البضاري وغيره .

- المعنى الثاني

أن يتعلق : كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ . بقوله تعالى : وَقُلْ إِنِّي أَنَا ٱلنَّلِيرُ ٱلْمُبِينُ .

أى : وأنذر قريشا بالعذاب مثل ما أنزلنا على المقتسمين – يعنى : اليهود – وهو ما جرى على قريظة والنضير، فجعل المتوقع بمنزلة الواقع، وهو من الإعجاز ؛ لأنه إخبار بما سيكون، وقد كان^(m).

٣- المعنى الثالث :

أى : أنذر الكافرين بالعذاب ؛ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ .

أى: مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين ، وهم أصحاب صالح عليه السلام ، الذين تقاسمها بالله : لنبيتنُه وأمله ، أى: نقتلنهم ليلا ، فأخذتهم الصيحة ، فالاقتسام من القسم لا من القسمة ("").

1- المعنى الرابع :

أنذر قريشًا بعداب مثل ما أنزلنا على المقسمين ، وهم : الاثنا عشر ، القسموا مداهل مكة أيام الموسم، فتعدوا في كل مدهل متفرقين : لينفروا الناس عن الإيمان برسول الله ﷺ : يقول بعضهم : لا تفتروا بالشارج منا : فإنه ساهر ، ويقول الأهر: كذاب ، والآهر : شاعر ، فأهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفرية بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والأسود بن المطلب وغيرهم " أ.

٩ ٩ - ٱللينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ .

أي: أجزاء جمع: عِضه يعنى: كفار مكة ، قالوا: سحر ، وقالوا: كهانة ، وقالوا: أساطير الأولين .

أو المعنى: الذين جعلوا القرآن أصنافا ، صنف مند ، وصنف منه شعر ، وصنف منه كهائة. أو آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ، وعملوا ببعض وتركوا بعضا ، بتواطؤ العلماء والزعماء .

٩٢ ، ٩٢ - فَوَرَبُّكَ لَنسْتَكَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ .

أى: ظنساً أن الكفار جميعا ، سؤال توبيخ لهم ، على ما كانوا يقولون ويفعلون ، وسنجازيهم عليهما الجزاء الأوقى ، وعن أبى العالية: يسأن العباد عن خلتين : عما كانوا يعيدون ، وعمَّاذا أجابوا المرسلين^{(٢٦}).

ويمكن أن تكون الآية عامة ، في سؤال جميع الخلائق عن أعمالهم كبيرها وصغيرها ، جليلها وعظيمها . روى ابن أبى حاتم : عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ « يا معاذ ، إن المرء يسأل يوم القيامة ، عن جميع سعيه : حتّى كُحل عينيه ، وعن فتات الطينة بأصبعه ، فلا الفينك يوم القيامة ، وأحد غير ك أسعد مما آتاك الله منك » .

وعن ابن عباس قال: لا يسألهم الله هل عملتم كذا؟ لأنه أعلم بذلك منهم ، ولكن يقول : لم عملتم كذا و كذا؟!⁽⁷⁾

جاء في تفسير ابن عطية :

وقوله تعالى: فُورَيُّكُ تُسْمُنُكُهُمُ أَخْمُونِيَّ هَ هُمَّا كَانُواْ يُغْمُلُونَ . شمير عام ، ورعيد محض يأخذ كل أحد منه بحسب جرمه وعصيانه : فالكافر يُسأل عن : لا إله إلا الله ، وعن الرسل ، وعن كفره وقصده ، والمؤمن العاصى يسأل عن تضبيعه ، والإسام عن رعيته ، وكل مكلف عما كلَّف به ، وفي هذا أحاديث⁶⁰ .

٩٤ ، ٩٥- فَأَصْدَعْ بِمَا لُؤُمْرُ وَأَعْرِضْ عَن ٱلْمُشْرِكِينَ • إِنَّا كَفَيْنَكَ ٱلْمُسْتَهْزِعِينُ .

أي: أجهر بدعوتك يا محمد ، ويلُغ رسالتك علنا ، أن أجهر بصلاتك ، وأعرض عن سفاهات المشركين وسوء أدبهم .

وجاء في تيسير التفسير:

وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ . لا تبال بما يقولون ولا يهمنك قولهم . أ هـ.

قال عبد الله بن مسعود : مازال النبي ﷺ مستخفيا بدعوته ، حتى نزلت هذه الآية ، فخرج هو وأصحابه. إِنَّا كُفَيِّنَكُ ٱلْمُسْتَهْرِ بِينَ .

وهذه الآية كالتعليل لما سيقها ، أي : إن الله هو حارسك رولي أمرك ، وحافظك حين تجهر بالدعوة، وتعلن على الملاج : أنك رسول الله حقا ، تدعو إلى توحيد الله والتصديق برسوله وياليوم الآخر ، وقد تحقق وعد الله لنبيه ، فأهلك أعداءه من كبار المشركين ، ببوائق من الله أصابتهم ، لم يسع بها محمد ولا تكلف فيها مشقة .

(وقال عروة بن الزدير ، وسعيد بن جبير : المستهزئون خمسة نفر ، الوليد بن المغيرة ، والعاص بن واثل ، والأسود بن المطلب أبو زمحة ، والأسود بن يغوث ، والصارت بن قيس) ٣٠٠ .

وقد ماتوا جميعا بأهون الأسباب ، وقال قوم : هم سيعة من أشراف قريش ومشركيها ، كانت لهم قرة رشوكة ، وكانوا كليرى السفاهة والأذى لرسول الله ﷺ حين يرونه ، أو يمر بهم ، أفناهم الله وأبادهم وأزال كيدهم . وقد اختلف المفسرون في عدد هرّلاء المستهزئين وفي أسمائهم ، ولا حاجة إلى شيء منها ، والقدر المعلوم : أنهم طبقة لهم قرة وشوكة ورياسة ، دبرٌوا الكيد لرسول الله ﷺ فأفناهم الله وأبادهم ، وجعلهم عبرة لكل من يجرو على الاستهزاء برسول الله ﷺ ""!

٩ ٩- ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاحَرَ فَسَوَّفَ يَعْلَمُونَ .

يروى : أن جبريل أوماً وأشار إلى كل واحد من هؤلاء المستهزئين : فهاكوا بقدرة الله القدير ، وقد وصفهم الله بأنهم التخدوة ألهة أخرى ، من دون الله يعبدونها ، فهم لم يقتصروا على الاستهزاء بالنبي ﷺ بل تعدّوا ذلك إلى عبادة ألهة أخرى غير الله .

فَسُوفَ يَعْلَمُونَ .

توعدهم الله بعذاب الدنيا ، كما توعدهم بعذاب الآخرة ، أى : فسوف يعلمون عاقبة كفرهم ، حين يحل بهم عذاب رئهم الدنيوى والأخروى .

٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ – وَلَقَدْ نَعَلَمُ أَنَّكَ يَعِينُ صَدَّرُكَ بِمَا يَقُولُونَ هَ فَسَيَّحْ بِحَمْدِ رَبَّكَ وَكُن مَنَ ٱلسَّـْجِينَ ه وَٱعْبَدُ رَبُّكَ حَتْنِ يَأْتِيكَ ٱلْقِينَ .

تأتى هذه الآيات فى ختام السورة ، تصف حال رسول الله ﷺ فى مكة ، وهو بشر ، يحيط به هؤلاء المستهزءون ، من أشراف مكة يتهمونه بالسحر والجنون ، والكهانة والكذب : فيضيق صدره حزنا وألما من كلمات المشركين واستهزائهم ، كما هو دأب الطبيعة البشرية حين ينوب الإنسان ما يؤلمه ويحزنه ، ويجد فى نفسه انقباضا وضيقاً فى الصدر ، وأسى وحسرة على ما حلّ به ، ثم أرشده الله تعالى ، إلى أسباب دفع الهم والحزن فقال .

فَسَيِّح بِحَمْدِ رَبُكُ وَكُن مِّنَ ٱلسَّنْجِائِينَ . أي : نزه الله تعالى عما يليق به ، وأكثر من ذكره وشكره وحمده وعبادته ، والصلاة له والسجود له سبحانه .

وقد يتساءل الإنسان ، عن العلاقة بين ضيق الصدر وذكر الله والسجود له ؟!

والجواب: أن المؤمن إذا لجا إلى الله بالذكر والعبادة والثناء عليه والصلاة والسجود له : فإن الله تعالى يطرح صدره وييسر له أمره ويلهمه رشده (١٠٠٠).

قال تعالى : وَمَن يَتَى ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرَا . (الملاق: ٤) .

وقد كان ﷺ إذا حزبه أمر : فزع إلى المسلاة ، روى الإمام أحمد عن ابن عمار : أنه سمع رسول شﷺ يقول: " قال الله تعالى : يا ابن آمم ، لا تمجز عن أربع ركمات من أول النهار : أكفك آخره » .

وَٱعْبُدْ رَبُّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ .

أى: أخلص فى العبادة والثبتل والطاعة طول عمرك ، حتى يأتيك الموت ، وتلقى الله مؤمنا به متيقنا برجوده .

وأكثر المفسرين : على أن المراد بالهقين هذا : الموت ، أى : اعبد ريك طوال حياتك إلى نهاية عمرك، وفي هذا دليل على أن العبادة كالصلاة ونحوها ، واجبة على المرء مادام ثابت المقل .

روى البخارى : عن عمران بن حُصين : أن رسول الله ﷺ قال : « صل قائما ، فإن لم تستطع ؛ فقاعدا، فإن لم تستطع ؛ فعلى جنب ء"" .

وجاء في تفسير ابن عطية ما يأتي :

و آلِيَّقِينُ: الموت ، بذلك فسّره هنا ابن عمر ومجاهد وقتادة والحسن وابن زيد ، وليس البقين من أسماء الموت، وإنما العلم به يقين لا يمترى فيه عاقل فسمًاه هنا يقينًا تجرُّزا ، أي : يأتيك الأمر البقين علمه ووقوعه ، وهذه الغاية معناها : مدة حياتك ، ويحتمل أن يكون المعنى : حتى يأتيك البقين في النصر للذي وعدته ⁰⁰.



خلاصية ما اشتملت علييه سورة الحجير

١- وصف القرآن الكريم.

٢- إبراز المصير المغيف الذي ينتظر المكذبين.

٣- إلماء الأدلة على وجود الله ، بما نزاه من مشاهد الكون في السماء والأرض ، والجبال ، والنبات،
 والرباح ، والماء ، والمهاة والموت .

٤- قصة آدم وإبليس ، ولمحات من قصص الأنبياء ، وإظهار مصير الغاوين في النهاية والمهتدين.

٥-- بيان : حال أمل الجنة ، وأمل الناريوم القيامة .

الحق الكامن في خلق السماوات والأرض ، الملتبس بالساعة ، وما بعدها من ثواب وعقاب .

٧- ذكر ما أنعم الله به على نبيه من السبع المثاني والقرآن العظيم .

٨- نهى النبي والمؤمنين عن تمنّي زخرف الدنيا وزينتها.

٩- الدعوة للدين ، والجهر بالدعوة ، وعدم مبالاة المشركين .

٠ ١ -- التسبيح والعبادة والالتجاء إلى الله في الشدائد.



دروس من سورة النحل

عرض إجمالي للسورة:

سورة النحل سورة مكية ، وعدد آياتها « ۱۲۸ » آية ، وهي سورة هادثة الإيقاع ، عادية الجرس ، ولكنها مليئة حافلة ، موضوعاتها الرئيسة كثيرة منوعة ، والإطار التي تعرض فيه واسع شامل .

وهى كسائر السرر المكية تعالج موضوعات العقيدة الكبرى: الألوهية ، والوحى والبحث ، ولكنها تلم
بموضوعات جانبية أخرى تتعلق بتلك الموضوعات الرئيسة ، تلم بحقيقة الوحدانية الكبرى التي تصل بين
بين إبراهيم عليه السلام ، ودين محمد
به وتلم بحقيقة الإرادة الإليية والإرادة البشرية فيما يختص
بالإيمان والكفر والهدى والضلال ، وتلم بوظيفة الرسل ، وسنة الله في المكذبين لهم ، وتلم بموضوع التحليل
والتحريم ، وأوهام الوثنية حول هذا الموضوع ، وتلم بالهجرة في سبيل الله ، وقتنة المسلمين في دينهم ،
والكثر بعد الإيمان وجزاء هذا كله عند الله ثم تضيف إلى موضوعات العقيدة موضوعات المعاملة : العدل
والإحسان ، والإنفاق والوفاء بالعهد ، وغيرها من موضوعات السلوك القائم على العقيدة ، وهكذا هي مليئة
حافلة من ناحية الموضوعات التي تعاليها .

فأما الإطار الذي تعرض فيه هذه الموضوعات ، والمجال الذي تجرى فيه الأحادث فهو فسيح شامل.. هو السعاوات والأرض ، والماء الهاطل ، والشجر النامي .. والليل والنهار ، والشمس والقمر والنجوم . والبحار والجبال والمعالم والسبل والأنهار ، وهو الدنيا بأحداثها ومصائرها ، والأخرى بأقدارها ومشاهدها ، وهو الغيب بألوانه وأعماقه في الأنفس والآفاق .

في هذا المجال الفسيح يبدر سياق السورة وكأنه حملة ضخمة للتوجيه والتأثير واستجاشة العقل والضمير ، حملة هادئة الإيقاع ، ولكنها متعددة الأوتار ، نيست في جلجلة سورة الأنعام وسورة الرعد ، ولكنها في هدوئها تخاطب كل حاسة وكل جارحة في الكيان البشري ، وتتجه إلى العقل الواعي كما تتجه إلى المجدان الحساس إنها تخاطب العين ؛ لتري ، والأذن ؛ لتسمع ، واللمس ؛ ليستشعر ، والوجدان ؛ ليتأثر والعقل ؛ ليتدبر ، وتحشد الكون كله : سماءه وأرضه ، وشمسه وقمره ، وليله ونهاره ، وجباله ويحاره ، وفجاجه وأنهاره ، وظلاله وأكتافه ، ونبته وثماره ، وحيوانه وطيوره ، كما تحشد دنهاه وأمرته ، وأسراره وغيويه .. كلها أدوات توقع بها على أوتار الحواس والجوارح والعقول والقلوب ، مختلف الإيقاعات التي وغيويه .. كلها أدوات توقع بها على أوتار الحواس والجوارح والعقول والقلوب ، مختلف الإيقاعات التي لا يغلق أمامها إلا القلب الديت ، والحقل المنكوس ، والحس المطموس .

هذه الإيقاعات تتناول التوجيه إلى آيات الله في الكون وآلائه على الناس ، كما تتناول مشاهد القيامة، وصور الاحتضار ومصارع الغابرين ، تصاحبها اللمسات الوجدانية التي تتسرب إلى أسرار الأنفس، وإلى أحوال البشر وهم أجنة في البطون ، وهم في الشباب والهرم والشيخوخة ، وهم في حالات الضعف والقوة ، وهم في أحوال النعمة والنقمة ، كذلك تتخذ السورة الأمثال ، والمشاهد ، والحوار ، والقصص الخفيفة، أدوات للعرض والإيضاح .

فأما الظلال المعيقة التي تلون جو السورة كله ، فهي : الآيات الكونية تتجلى فيها عظمة الخلق ، وعظمة النعمة ، وعظمة العلم والتدبير .. كلها متداخلة ، فهذا الخلق الهائل العظيم المدبر عن علم وتقدير ملحوظ فيه أن يكون نعمة على البشر لا تلبى ضروراتهم وحدها ، ولكن تلبى أشواقهم كذلك ، فتسد الضرورة ، وتتخذ للزينة ، وترتاح بها أبدائهم وتستريح لها نفوسهم ، لعلهم يشكرون ، ومن ثم تتراءى في السورة ظلال النعمة ، وظلال الشكر ، والتوجيهات إليها : والتعقيب بها في مقاطع السورة وتضرب عليها الأمثال ، وتعرض لها للنماذج وأظهرها نموذج إبراهيم :

شَاكِوا لِأَنْفُهِهِ آجْنَيْهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ . (النحل: ١٢١) .

كل أولئك في تناسق ملموظ بين الصور والأفكار ، والعبارات والإيقاعات ، والقضايا والموضوعات نرجو أن نشاهده في أثناء استعراضنا لأجزاء السورة .

التوحييد في السورة

تبدأ سورة النحل بآية مشهورة تقال كثيرا عندما يحين الأجل ويقف الإنسان عاجزا أمام حوادث القدر، يقول سبحانه :

أَتَىٰ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَكَةً وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ . (النحل: ١) .

ومن أسباب نزول هذه الآية: أن أهل مكة كانوا يستعجلون الرسول ﷺ أن يأتيهم بعذاب الدنيا أو عذاب الآخر. وكلما امتد بهم الأجل ولم ينزل العذاب: زادوا استعجالا، وزادوا استهزاء واستهتارا، وحسبوا أن محمدا يخوفهم بما لا وجود له ولا حقيقة: ليؤمنوا له ويستسلموا، ولم يدركوا حكمة الله في إمهالهم ورحمته في إنظارهم ولم يحاولوا تدبر آياته في الكون، وآياته في القرآن.

نعم الله

تسترسل الآيات في سورة النحل تستعرض نعم الله سبحانه على الإنسان ؛ فتذكر خلق السعاوات والأرض والإنسان ، والأنعام والنبات ، والليل والنهار ، والجبال والبحار ، والشمس والقمر والنجوم ، وهي نظواهر طبيعية ملموسة ولكتنا إذا قرأنا الآيات من ٢ إلى ١٨ في سورة النحل نجد أنذا أمام لوحة كرية معروضة تنقل بالإنسان من مشهد إلى آخر وكل مشهد يدل على وحدانية الخالق ، ووحدانية المناوات والأرض لمنعم . وتعرض الآيات هذه النعم فوجا فوجا ومجموعة مجموعة بادئة بخلق السماوات والأرض

خَلَقَ ٱلسَّمَلُواتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقُّ . (اللنط: ٣) .

فالحق قوام خلقهما والحق قوام تدبيرهما ، والحق عنصر أصيل في تصريفهما وتصريف من فيهما وما فيهما : فما من شيء من ذلك كله عبث ولا جزاف ، إنما كل شيء قائم على الحق وملتبس به وسائر في النهابة إليه .

ثم تستعرض الآيات نعمة خلق الأنعام ، والأنعام المتعارف عليها في الجزيرة العربية كانت هي : الإبل ، والهقر ، والضأن ، والمعز . وقد أباح الله أكلها أما الخيل ، والبغال ، والحمير ؛ فللركوب والزينة ولا تزكل ، ثم يجيء التعقيب على هذه النعمة يقول سبحانه :

وَيَخْلُقُ مَالاً تَعْلَمُونَ . (النحل: ٨) .

ليظل المجال مغنوحا في التصور البشري لتقبل أنماط جديدة من أدوات العمل والنقل والركوب والزينة. إن الإسلام عقيدة مفتوحة مرنة قابلة لاستقبال طاقات الحياة كلها ومقدرات الحياة كلها ، ومن ثم يهيئ القرآن الأذهان لاستقبال كل ما تتمخض عنه القدرة ويتمخض عنه العلم ، ويتمخض عنه المستقبل، استقباله بالوجدان الديني المتقدم المستعد لتلقى كل جديد في عجائد الفلق والعلم والحياة .

ولقد وجدت وسائل للحمل والنقل والركوب والزيفة ، لم يكن يعلمها أهل ذلك الزمان وستجد وسائل أغرى لا يعلمها أهل هذا الزمان ، والقرآن يهيئ القلوب والأذهان بلا جمود ولا تصجر حين يقول :

وَيَخْلُقُ مَالاً تَعْلَمُونَ .

والقوج الثاني من أيات الخلق والنعمة ، هو :

إنزال الماء وإنبات النبات والمرعى والزروع التي يأكل منها الإنسان مع الزيتون والنخيل والأعناب وغيرها من أشجار الثمار.

والقوج الثالث من أقواج الآيات:

تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم ، وكلها ذات أثر حاسم في حياة الإنسان ومن شاه فليتصور نهارا بلا ليل أو ليلا بلا نهار ، ثم يتصور مع هذا حياة الإنسان والحيوان والنبات في هذه الأرض كيف تكون ، كل أولئك طرف من حكمة التدبير ، وتناسق النواميس في الكون كله . يدركه أصحاب المقول التي تتبر وتمقل :

إِنَّ فِي لَا لِكَ لَآ يَسْتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . (النسل: ١٢) .

والقوج الرابع من أقواج النعمة فيما خلق الله للإنسان:

وَمَا ذَرَّا لَكُمْ فِي ٱلأَّرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنْ فِي ذَالِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَكُّرُونَ . (النحل: ١٣) .

امتن الله على عباده بما خلق لهم فى الأرض من ألوان المنافع ، ويما أودعه فيها للبشر من مختلف المعادن التى تقوم بها حياتهم فى بعض الجهات وفى بعض الأزمان ولفت أنظارهم إلى هذه النخائر المغبوءة فى الأرض ، المودوعة للناس حتى يبلغوا رشدهم يوما بعد يوم ، ويستخرجوا كنوزهم فى حينها ووقت الحاجة إليها ، وكما قبل : إن كنزا منها قد نفد أعقبه كنز آخر غنى ، من رزق الله المدخر للعباد قال تمالى :

إِنَّ فِي ذَا لِكَ لِآيَةً لِقُوْمٍ يَدُّكُّرُونَ .

ثم امتن سبحانه على عباده بالبحر المالح وما يشتمل عليه من صنوف النعم: فمنها: اللحم الطرى من السمك وغيره للطعام ، وإلى جواره الحلية من اللؤلؤ ومن المرجان وغيرها من الأصداف والقواقع .

ومنها: مرور السفن تمخر عباب البحر، وتيسر المصالح وتبادل المنافع بين الناس قال تعالى:

وَهُوَ اللَّذِي سَخْرَ اللَّهُورُ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةَ تَلَسُونَهَا وَتَوَى الْفُلْكُ مُواخِرَ فِيهِ وَلَيْبَعُواْ مِن فَضَلِمِ وَلَطَلَكُمْ فَشَكُرُونَ. (للنجل: 18).

وعندما ينتهى استعراض النعم يبين القرآن : أن من يخلق ليس كمن لا يخلق وأن نعم الله على الإنسان لا تعد ولا تحصى .

وَإِنْ تَعُلُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لاَ تُحْمُوهَا . (النحل: ١٨).

وحدة الألوهية

تتعرض الآيات من ٢٢ إلى ٥٠ في سورة النحل ، لتقرير وحدة الألوهية فيقول سبحانه : وَإِلنَّهُكُمُ إِلنَّهُ رَاحِدٌ.

وكل ما سبق فى السورة من آيات الفلق وآيات النعمة وآيات العلم يؤدي إلى هذه الحقيقة الكبيرة البارزة وهى : أن هذا الكون البديع المنظم لا يحفظ نظامه إلا إله واحد والذين لا يسلمون بهذه الحقيقة : قلويهم منكرة : فالجحود صفة كامنة فيها ، والعلة أصيلة فى نفوسهم المريضة ، وطباعهم المعاندة المتكبرة عن الإقرار الإذعان والتسليم .

وتختم هذه الآيات بمشهد مؤثر : مشهد الظلال فى الأرض كلها ساجدة لله ومعها ما فى السماوات وما فى الأرض من دابة ، والملائكة قد برئت نفوسهم من الاستكبار وامتلأت بالخوف من الله والطاعة لأمره بلا جدال. هذا المشهد الخاشع الطائع يقابل صورة المستكبرين المتكبرة قلويهم فى مفتتح هذه المجموعة من الآيات .

وبين المطلع والفتام يستعرض السياق مقولات أولئك المستكبرين المنكرين للوحى والقرآن ! إذ يزعمون : أنه أساطير الأولين ، ومقولاتهم عن أسباب شركهم بالله وتحريمهم ما لم يحرمه الله : إذ يدعون : أن الله أراد منهم الشر وارتضاه . ومقولاتهم عن البعث والقيامة ؛ إذ يقسمون جهدهم : لا يهعث الله من يموت، ويتولى الرد على مقولاتهم جميعا ، ويعرض في ذلك مشاهد امتضارهم ومشاهد بعثهم وفيهها يتبرءون من تلك المقولات الهاطلة كما يعرض بعض مصارح الغابرين من المكذبين أمثالهم ويخوفهم أخذ الله في ساعة من ليل أو نهار وهم لا يشعرون وهم في تقلبهم في البلاد ، أو وهم على تخوف وتوقع وانتظار للعذاب .

إلى جوار هذا يعرض صورًا عن مقولات المتقين المؤمنين وما ينتظرهم عند الاحتضار ويوم البعث من طيب الجزاه... وينتهى هذا الدرس بذلك المشهد الخاشع الطائع للظلال والدواب والملائكة فى الأرض والسماء والسماء والسياق القرآنى يعبر عن خضوع الأشياء لتواميس الله بالسجود وهو أقصى مظاهر الفضوع – ويوجه إلى حركة الطلال المتفيئة - أى : الراجعة بعد امتداد – وهى حركة لطيفة خفيفة ذات دبيب فى المشاعر والأعماق ، ويرسم المطلوقات داخرة أى : خاضعة خاشعة ويضم إليها ما فى السماوات وما فى الأساعر والأعماق ، ويضيف إلى الحشد الكونى .. الملائكة فى مقام خشوع وعبادة وسجود ، قال الأرض من دابة ويضيف إلى الحشد الكونى .. الملائكة فى مقام خشوع وخضوع وعبادة وسجود ، قال تعالى : وَلِلْهُ مِنْ اللهِ يُسْتَكُمُ وَلَهُ مُنْ مُنْ يُوتُهُمْ مَنْ فَوْلَهُمْ مُنْ فَوْلَهُمْ مُنْ فَوْلَهُمْ مُنْ فَوْلَهُمْ لَا يُعْرَدُنَ . (النحل: 23 م . 6) .

أدلية الوحدانيسة

تستمر الآيات من ٥١ إلى ٧١ في سورة النحل في إثبات قضية الألوهية الواحدة اللتي لا تتعدد ، تبدأ فتقرر وحدة الإله ووحدة المالك ، ووحدة المنعم في الآيات الثلاث الأولى متواليات وتختم بمثلين تضربهما للسيد المالك الرازق ، والعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء ولا يملك شيئا .. هل يستوون ١٢ فكيف يسوّى الله المالك الرازق بمن لا يقدر ولا يملك ولا يرزق : فيقال : هذا إله وهذا إله ؟١.

وفى خلال هذ الدرس تعرض الآيات نموذجا بشريا للناس حين يصيبهم الضر فيجأرون إلى الله وحده، وإذا كشف عنهم الضر راحوا يشركون به غيره .

وتعرض الآيات صورا من أوهام الوثنية وخرافاتها في تخصيص بعض ما رزقهم الله لآلهتهم المدعاة، في حين أنهم لا يردون شيئا مما يملكونه على عبيدهم ولا يقاسمونهم إياه وفي نسبة البنات إلى الله على حين يكرهون ولادة البنات لهم: وَإِذَا بُشِراً أَحَكُمُ بِالْأَنْيُ ظُل رَّجُهُهُ مُسْرَدًا وَفُو كَظِيمٌ " (تنمل ١٥٥).

وفي الوقت الذي يجعلون فقد ما يكرهون تروح أنسنتهم تتشدق: بأن لهم الحسنى ، وأنهم سينالون على ما فعلوا خيرا وهذه الأومام التي ورثوها من المشركين قبلهم ، هي التي أرسل الرسول ﷺ ، يبين لهم الحقيقة فيها ، وليخرجهم من ظلمات الشرك إلى نور اليقين ثم تأخذ الأيات في عرض نمانج من صنع الألوهية الحقة في تأملها عظة وعبرة : فالله وحده هو القادر عليها الموجد لها ، وهي هي دلائل الألوهية لا سواما ؛ فالله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد مرتها والله يستى الناس – غير الماء – لبنا سائفا يخرج من بطون الأنمام من بين قرث ودم ، والله يطلع للناس ثمرات النخيل والأعناب يتخذون منها سكرا ورزقا حسنا ، والله أوحى إلى النحل لتتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم تخرج عسلا فيه شفاء للناس .

اسم السبورة

وقد سميت هذه السورة بسورة النحل للإشارة إلى الأمر العجيب الدقيق في شأن النحل فهي تعمل بإلهام من الفطرة التي أودعها إياها الخالق، وهذا الإلهام فون من الوحي تعمل النحل بمقتضاه وهي تعمل بدقة عجيبة يعجز عن مثلها العقل المفكر سواء في بناء خلاياها ، أو في تقسيم العمل بينها ، أو في طريقة إفرازها للعسل المصفى .

وهي تتخذ بيوتها حسب فطرتها في الجبال والشجر ، وما يعرشون أي : ما يرفعون من الكروم وغيرها، وقد ذلل الله لها سبل الحياة ، بما أودع في فطرتها وفي طبيعة الكرن حولها من توافق ، هَال تعالى: وأَوْحَى رَبُكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَن ٱلْتَجْلِى مِن ٱلْحِبَالرِيُّونَا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِنَّا يَغْوِشُونَ * فَمَّ كُلِي مِن كُلُّ ٱلْمَوَرَاتِ فَآسَلُكِي سُهُلَ رَبُّكِ ذُلِلاً يَخْرُجُ مِنْ يُطُولِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفَ ٱلْوَاللَّهُ فِيهِ هِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَالِكَ لاَيَةً لِقَوْمٍ يَتَشَكُرُونَ * (الدحل: ١٨٠ ، ١٨).

وقد سئل الإمام الشافعي: بم عرفت الله؟ قال: بالنحلة: نصفها يعسل ونصفها يلسع. وفي الحديث:
«المرّمن كالنحلة» أي: أنه خفيف الظل مترفع في هدفه ، لا يأكل إلا طبيا ، ولا يترك إلا أثرا حسنا ، وإذا وقع
على شيء لم يكسره . وتستمر الآيات في عرض أدلة القدرة الإلهية فتذكر: أن الله يخلق الناس ويتوفاهم
على شيء لم يكسره . حتى يشيخ فينسى ما تعلمه ويرتد ساذجا لا يعلم شيئا ، والله فضل بعضهم على بضع في
الرزق ، والله جعل لهم من أنفسهم أزواجا ، وجعل لهم من أزواجهم بنين وحفدة ، وهم بعد هذا كله يعبدون
من دين الله ما لا يملك لهم رزقا في السماوات والأرض ، ويجملون لله الأشباء والأمثال !

هذه اللمسات كلها في أنفسهم وفيما حولهم ، يوجههم إليها : لعلهم يستشعرون القدرة ، وهي تعمل في ذواتهم ، وفي طعامهم ، وفي شرابهم ، وفي كل شيء حولهم .

وفسى كسل شبيء لبنه آيسة تسدل عبلني أنسه السواحسد

مظاهر القدرة الإلهية

تتحدث الآيات من ٧٧ إلى ٨٩ في سورة النحل عن مظاهر القدرة الإلهية فتوضع عظمة الفالق وفيض نعمته وإحاطة علمه وتركز الآيات في هذا الشوط على قضية البعث . والساعة إحدى أسرار الغيب ، الذي يضتص الله بعلمه فلا يطلع عليه أحدا .

وموضوعات هذا الدرس تشمل ألوائنا من أسرار غيب الله في السماوات والأرض ، وفي الأنفس والأفاق.

غيب الساعة التي لا يعلمها إلا الله وهو عليها قادر وهي عليه هيئة ، وَمَا أَمُرُ ٱلسَّاعَةِ إِلاَّ كَلُمْحِ ٱلْمُسَرِ أَوْ هُوَ أُقْرَبُ . (النمل: ۷۷) .

وغيب الأرحام والله وحده هو الذي يخرج الأجنة من هذا الغيب لا تعلم شيئا ، ثم ينعم على الناس بالسمع والأبصار والأفندة : لعلهم يشكرون نعمته .

وغيب أسرار الخلق ويعرض منها تسخير الطير في جو السماء ما يمسكهن إلا الله.

يلى هذا الدرس استعراض لبعض نعم الله المادية على الناس وهي بجانب تلك الأسرار وفي جوها، نعم السكن والهدرء والاستظلال في البيوت المبنية والبيوت المتخذة من جلود الأنعام للظعن والإقامة، ، والأفاث والمتاع من الأصواف والأويار والأشعار.

وتذكر الآيات من نعم الله: الظلال ، والأكنان وهي ما يستر الإنسان ويغطّيه والسرابيل وهي ما يلبسه الإنسان من قمهمن يقيه المر والبرد أو درع تقيه بأس المرب :

كَلْأَلْكَ يُعَمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلَمُونَ . (النحل: ٨١) .

ثم تفصل الآيات أمر البعث في مشاهد يعرض فيها المشركون وشركاؤهم والرسل شهداء عليهم والرسول ﷺ شهيد على قومه . ويذلك تتم هذه الجولة في جر البعث والقيامة .

الأوامس والنواضي

تتعرض الآيات من ٩٠ إلى ١٩٠ فى سورة النحل لشرح بعض أهداف القرآن ويبدأ هذا الدرس بآية شهيرة يرددهـا النطباء على المنابر فى نهاية خطبة الجمعة وهى قوله تعالى :

إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُونُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلإِحْسَانِ وَإِيتَاهِ ذِى ٱلْقُرْنَى وَيَنْهَى عَنِ ٱلْفَحَشَاءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلَّهُمْ ِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ لَمَكُ وَنَ . اللنجاء ٩٠).

وفى هذا الدرس أمر بالوفاء بالعهد ونهى عن نقض الأيمان بعد تركيدها وكلها من مبادئ السلوك الأساسية التي جاء بها القرآن الكريم .

وفي هذا الدرس بيان : الجزاء المقرر لنقض العهد ، واتخاذ الأيمان : للخداع والتضليل ، وهو العذاب العظيم ، والبشرى للذين صبروا ومضاعفة الثواب لهم .

ثم تذكر الأيات: بعض آداب تلاوة القرآن ، وهي: الاستعادة بالله من من الشيطان الرجيم لطرد شبحه من مجلس القرآن الكريم ، كما تذكر بعض تقولات المشركين عن القرآن فمنهم من يرمى الرسول ﷺ بافقرائه على الله ومنهم من يقول : إن غلاما أعجميا هو الذي يطمه هذا القرآن .

وفي نهاية الدرس يبين : جزاء من يكثر بعد إيمائه ، ومن يكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان . ويبين : جزاء من فتنوا عن دينهم ثم هاجروا وجاهدوا وصبروا . وكل أولئك تبيان وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين . وفي الآيات إباحة لمن أكره على الكفر أن ينطق لسانه به ما دام القلب عامر بالإيمان ؛ روى ابن جرير بإستاده أن العذاب لما اشتد على عمار بن ياسر : نطق ببعض ما أرادوا ، ثم شكا ذلك إلى النبي ﷺ : فقال له النبي ﷺ : « كيف تجد قلبك ؟ » قال : مطمئنا بالإيمان ؛ قال النبي : » إن عادوا فعد » فكانت رخصة في مثل هذه الحال .

وقد أبى بعض المسلمين أن يظهروا الكفر بلسانهم مؤثرين الموت على لفظة باللسان كذلك صنعت سمية أم عمار بن ياسر، وهي تُطعن بالحرية في موضع العقة حتى تموت، وكذلك صنع أبوه ياسر.

وقد كان بلال رضوان الله عليه يعذب أشد العذاب حتى لتوضع الصخرة العظيمة على صدره في شدة الحر ويطلب منه أن ينطق بكلمة الشرك فهابي وهو يقول : أحد أحد .

ولست أبائي حين أقتل مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي

ختيام سبورة النحيل

يتحدث الربع الأخير فى سورة النحل عن مثل ضربه الله ؛ لتصوير حال مكة وقومها المشركين الذين جحدوا نعمة الله عليهم ؛ لينظروا المصير الذى يتهددهم من خلال المثل الذى يضريه لهم ، حين يقول سبحانه :

وَ صَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتَ عَامِنَةً مُّطْمَتِنَةً يَأْتِهَا رِزَّقَهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفُرتْ بِأَنْمُو ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبُاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْمَوْفِ بِهَا كَانُواْ يَصَنْعُونَ . (النحل: ۱۹۱۷) .

وهي حال أشبه شيء بحال مكة : جمل الله فيها البيت ، وجعلها بلدا حراما من دخله فهو آمن مطمئن
لا تمتد إليه يد ولو كان قاتلا ، ولا يجرز أحد على إيدائه وهو في جوار بيت الله الكريم ، وكان الناس
يتخطفون من حول البيت وأهل مكة في حراسته وحمايته آمنون مطمئنون ، كذلك كان رزقهم يأتيهم هيئا
هنيئا من كل مكان من الحجيج ومع القوافل الأمنة مع أنهم في واد قفر جدب غير ذي زرع ، فكانت تجبى
إليهم ثمرات كل شيء فيتدوقون طعم الأمن وطعم الرغد منذ دعوة إبراهيم الخليل ، فإذا كنب أهل مكة بدعوة
محمد وجددوا رسالته ؛ استحقوا العقاب ، والعذاب ، ولباس الجرع والخوف : جزاء كذيهم وعنادهم .

ثم ينتقل السياق بهم إلى الطيبات التي حرمتها قبائل مكة على أنفسها اتباعا لأوهام الوثنية ، وقد أحلها الله لهم ، وحدد المحرمات ويبنها وليست هذه منها وذلك لون من الكفر بنعمة الله وعدم القيام بشكرها يتهددهم بالعذاب الأليم من أجله ، وهو افتراء على الله لم ينزل به طريعة . ويمناسبة ما حرم على المسلمين من الخبائث ، يشير إلى ما حرم على اليهود من الطيبات بسبب ظلمهم . وقد جعل هذا التحريم عقوية لهم على عصيانهم . ولم يكن محرما على آبائهم فى عهد إبراهيم الذى كان أمة قانتا لله حنيفا ، ولم يكن من المشركين ، شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم . فكانت حلالا له الطبيات ولبنيه من بعده حتى حرم الله بعضها على اليهود فى صورة عقوية لهم خاصة ، ومن تاب من بعد جهائته فإن الله غفور رحيم .

ثم جاء دين محمد ﷺ امتدادا واتباعا لدين إبراهيم : فعادت الطيبات كلها حلالا وكذلك السبت الذي منع فيه اليهود من الصيد ، فإنما السبت على أمله الذين اختلفوا فيه ، ففريق كف عن الصيد وفريق نقض عهده : فمسخه الله وانتكس عن مسترى الإنسانية .

وتختم السورة عند مذه المناسبة بالأمر إلى الرسول ﷺ أن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة المسنة، وأن يجادلهم بالتى هى أحسن ، وأن يلتزم قاعدة العدل فى رد الاعتداء بمثله دون تجاوز .. والصبر والعقو خير ، والعاقبة بعد ذلك للمتقين المحسنين : لأن الله معهم ينصرهم ويرعاهم ويهديهم طريق الخير والغلاح .

وفي أسباب نزول القرآن: أن الآيات الأخيرة من سورة النحل نزلت في حمزة بن عبد المطلب حين استشهد في غزوة أحد. وفي هذه الغزوة مثل المشركون بالمسلمين فيقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم وما تركوا أحدًا غير ممثول به غير حنظلة بن الراهب ، كان الراهب أبل عامر مم أبي سفيان فتركوا حنظلة لذلك. ثم وقف رسول الله على جثة حمزة وقد مثل به فرآه ميقور البطن : فقال : « أما والذي أحلف به ، إن أظفرني الله به لأحدثن وقد مثل به فرآه معقور البطن : فقال : « أما والذي أحلف به ، إن أظفرني

وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِيْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّلبِرِينَ . (النحل ١٣٦) .

ولما نزلت هذه الآية : كفر النبى عن يعينه وكف عما أراده ، ومن هذا نهبوا إلى أن خواتيم سورة النحل مدنية ، ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الأخيار باالنهى عنها حتى بالكلف العقور.

بن إِنَّةُ وَالْحَجَمِ

﴿ أَنَّهَ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا نَسْتَعْمِلُوهُ شُبْحَنَدُهُ وَتَعَلَىٰ حَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ يُزِلُ ٱلْمَلَتِحِكَةُ بِالرُّوجِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَآهُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ أَنْ أَنذِرُوٓ أَأَنَّهُ لَاۤ إِلَنَهُ إِلَّا أَسَافًا تَقُونِ۞﴾

اللقردات،

اتين أمسر الله ، قرب ودنا ، وهذا وعيد للمشركين .

أم المشركين . العذاب والهلاك لهؤلاء المشركين .

السيسيروح؛ الوحى والرحمة.

مسمن أمسموه ، يأمره ومن أجله .

على من يشاء من عياده ، الذين اصطفاهم للرسالة .

ان ائسسستروا ؛ أي : خوفوا عبادي سطوتي وعقويتي لهم على كفرهم .

السه لا إلسه إلا الساء لا إله إلا هو سيمانه ، ولا تصلح الألوهية إلا له .

في التي قي ون ، أي : خافوا عقابي ؛ لمخالفة أمرى وعبادة غيري .

تفهيده

كان رسول الله ﷺ يمرِّف المشركين بعداب الدنيا تارة ، ويعذاب الآخرة تارة ، ثم إنْهم لما لم يشاهدوا ذلك : احتجرا وكذُّبوا رسول اللهﷺ، وقالوا : أين العداب الذي وعدتنا بوقوعه ؟! وقد حكى القرآن ذلك عنهم فقال :

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْفَلَابِ وَلَوْ لاَ أَجُلُّ مُّسَمَّى لَجَاءُهُمُ ٱلْفَلَابُ وَلِلَّائِشُهُم بَعُثَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ . (العنكبوت: ٣٠). وقال سبحانه : وَيُقُولُونَ مَنْهِمُ فَلْمَا ٱلْوَعْدُ إِن كُتُمْ صَلَاقِينَ . (يونس: ٤٨).

وقد حكى القرآن عنهم قولهم:

وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَلْمَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةٌ مِن ٱلسّمَآءِ أُو ٱلْتِنَا بِعَذَابِ ٱللّمِ . (الأنفال: ٣٧)

وقد بين القرآن: أنْ فقه نواميس وسننا في إنزال العذاب بالناس ، وفي تأجيل عقوبتهم إلى حين ، قال تمالي: وَلُوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسُ بِطُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن ذَا يَّهِ وَلَكِنْ يُؤَخِّدُهُمْ إِلَيِّ أَجَلُ مُسمَّى . (النمل: ١٦) .

جاء في كتب التفسير ما يأتي :

روى : أنه لما نزل قوله تعالى : ٱلْتَرَبَّتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَ ٱلْقَمَرُ . (القمر: ١) .

قال الكفار فيما بينهم: إن مذا يزعم: أن القيامة قد قريت فأمسكوا عن بعض ما تعملون : حتى ننظر ما هو كانن فلما تأخرت : قالوا ما نرى شيئا مما تخوفنا به : فنزل قوله تعالى : أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ . (الأبياء: ١) : فأمفقوا وانتظروا يومها ، فلما امتدت الآيام : قالوا - يا محمد ، ما نرى شيئا مما تخوفنا به : فنزل قوله تعالى : أَنَيْ أَمُرُ اللهِ ؛ فوثب رسول الله ﷺ ، ورفع الناس رءوسهم ، فنزل قوله تعالى:

والحاصل : أنه عليه السلام لما أكثر من تهديدهم بعناب الدنيا ، وعناب الأخرة ، ولم يروا شيئا نسبوه إلى الكذب ، فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله : أَنَّىَ أَامُّزُ ٱللَّهِ فَلاَ تُسْتَعْجِلُوهُ ('').

التقسير،

١- أَتَىٰ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجُلُوهُ ...

أي: قرب عذاب المشركين وهلاكهم ، أما إتيانه بالفعل وتحققه فمنوط بحكم الله النافذ ، وقضائه الغالب على كل شيء ، فهو يأتي في الحين الذي قدَّره وقضاه .

وممنى قوله : لَلْاَكْسُعُجِلُوهُ ، لا تطلبوا حصوله قبل حضور الوقت المقدر في علمه تعالى ؛ فلله سنن ونواميس في إنزال العذاب ، وهو سبحانه لا يعجِل لعجِلة العباد ، وكل شيء عنده بمقدار .

سُبْحَلْنَهُ وْتَعَلَّلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ .

ادعوا : أن عبادتهم الأصنام لتشفع لهم عند الله : حتى يتخلصوا من هذا العذاب المترقِّع : فأجاب القرآن عن هذه الشبهة ، بتنزيه الله عن شركة الشركاء والأنداد .

قال الفخر الرازي :

عَمَّا يُشْرِكُونَ . يجوز أن تكون ما مصدرية ، والتقدير: سبحانه وتعالى عن شركهم ، ويجوز أن تكون

بمعنى : الذى، أى : سبحانه وتعالى عن هذه الأصنام ، التى جعلوها شركاء لله : لأنها جمادات خسيسة . فأى مناسبة بينها وبين خالق الكائنات ، ومدير الأرض والسماوات ؟!

٧- يُنزَّلُ ٱلْمَلْكِكَةَ بَالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْكِرُواْ أَنَّهُ لا إِلَـٰهُ إِلا أَنَا فَاتَّقُونِ .

سبحانه وتحالى ينزل الملائكة بالوحى والقرآن ، وهو روح القلوب وحياتها ، ينزل هذا الوحى بأمره وإرادته ، على من يصطفيهم من الأنبياء والمرسلين ، وهو سبحانه يختارهم بمعرفته وهو أعلم حيث يجعل رسالته .

أَنْ أَنْدُرُواْ أَنَّهُ لا إِلَيْهَ إِلاَّ أَنَمْ فَاتَّقُونِ .

أى: أنذروا عبادى: أن إله الخلق واحد لا إله إلا هو ، وأنه لا ينبغى الألوهية إلا له ، ولا يصح أنّ يعبد شيء سواه ، فاحتروه وأخاصوا له العباده .

ويطلق الروح على جبريل عليه السلام ، وهو أمين الوحى ، ويطلق أيضا على القرآن الكريم .

قال تعالى: نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلأَمِينُ • عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنكِرِينَ . (الشعراء: ١٩٣، ١٩٤).

وقال عز شأنه : وَكَلَالِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا . (الشربي: ٥٧).

وفى الآية إشارة إلى أن الوحى من الله تعالى إلى أنبيائه ، لا يكون إلا بواسطة الملائكة ، وفى آهر سورة البقرة آيتان من قرأهما فى ليلة : كفتاه ، أى : كانتا له كفاية وحفظا من كل سوء ، وفيهما يبدأ الإيمان بالله ، ثم بالملائكة الذين يحملون وحى السماء ، ثم بالكتب المنزلة من الله ، كالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن ، ثم بالرسل الذين نزلت عليهم هذه الكتب .

قال تعالى : عَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُولِلَ إِلَيْهِ مِن رَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ عَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَيْحِكَهِ وَكُفِيهِ وَرُسُلِهِ لاَ لَفَرَقَ بَيْنَ أَحْدِ مِن رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطْفَنا خَفْرَائكُ رَبِّنَا وَالْلِكَ الْمَصِيرُ ﴿ لاَ يَكُلُفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْمَهَا لَهَا مَا تَحْسَبُتُ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَمَا حَمَلُتُهُ عَلَى مَا تَحْسَبُتُ وَعَلَيْهَا مَا الْحَصَلَتُ وَبَنَا لاَ تُؤَاخِلْنَا إِنْ نُسِيئا أَوْ أَخْطَأنُا رَبّنَا وَلاَ تَخْوِلْ عَلَيْمَ إِمْمُوا تَحْمَلُتُهُ عَلَى اللّهُ وَمُعْمَلًا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَآخَفُ عَنّا وَآخَفِرْ لِنَا وَآرَحْمَنّا أَلْتَ مَوْلَئنا فَالسُولُ عَلَى الْقَوْمِ اللّهُ مِنْ اللّهُ وَمُعْلَى مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَآخَفُ عَنّا وَآخُفِوْ لِنَا وَآرَحْمَنّا أَلْتَ مَوْلِئنا فَالسُولُ عَلَى ٱلْقُومِ اللّهُ مِنْ اللّهُ وَلا يَعْمِلُوا مَا اللّهُ مِنْ اللّهُ وَمُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ وَاللّهُ وَمُعَلِّمُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ اللّهُ مُعْلَىٰ وَاللّهُ وَمُعْلِمُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ وَلَمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مِنْ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَمُؤْمِنُونَ مَا لاَ عَلَيْتُ اللّهُ وَمُنْ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَمُؤْمِنُونَ مِنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلأَرْضِ بِٱلْحَقُّ تَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ خَلَفَ ٱلإنسكنَ مِن نُطْفَةِ فَإِذَاهُوحَصِيدُ مُنْبِينٌ ٥ وَٱلْأَنْعَكُمَ خَلَقَهَ أَلَكُمُ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالُّ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَمْرَحُونَ ٥ وَتَعْمِلُ أَثْقَ الصَّحُمْ إِلَى بَلَدِلَمْ تَكُونُواْ بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقَ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَيَّكُمْ لَرَءُوكُ رَّحِيعٌ ۞ وَلَلْيَلَ وَالْبِعَالَ وَٱلْحَمِيرِلِتَرْكَبُوهَا وَذِينَةٌ وَيَعْلُقُ مَالَاتَمْـلَـنُونَ ۞ وَعَلَى اللَّهِ فَصْدُ السَّكِيلِ وَينْهَا جَمَآيَرٌّ وَلَوْشَآةَ لَمَدَىكُمْ أَجْمَعِينَ ۞ هُوَالَذِى أَسْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَأَةً لَكُرُمِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تْسِيمُوكَ ۞ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرَعَ وَالزَّيَّوُكَ وَالنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرُتِّ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَ لَقَوْمِ يَنْفَكَّرُونَ اللَّهُ وَسَخَّرَلَكُمُ ٱلْيَلَوَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْفَكَّرُ وَالنَّجُومُ مُسَخَّرَتُ إِأَمْرِقِيَّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَأَيْتِ لِقَوْمِ يَعْقِلُونَ اللهُ وَمَاذَرَأَ لَكُمْ فِ ٱلْأَرْضِ مُغْنَلِقًا أَلْوَنُكُ إِلَى فِي ذَلِكَ لَآلِيَةً لِقَوْمِ بَدَّكَرُونَ ٥٠ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَلَسَّنَخْرِجُواْ مِنْـهُ حِلْيَـةُ تَلْبَسُونَهَا وَتَسرَعِ ٱلْفُلُكَ مَوَاخِسَرَ فِيهِ وَلتَجْتَغُواْ مِن فَضَيامِهِ وَلَعَلَكُمْ تَشَكُّرُونَ ٥ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَسِي أَن نَعِيدُبِكُمْ وَأَنْهَٰزُا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞ وَعَلَىٰمَاتً وَالْنَّجْمِ هُمُّ يَهْ تَدُونَ 📆 🏟

المضردات ،

مسن نسط فيه ، أصل النطقة: الماء القليل ، والمراد بها هنا : مادة التلقيح ، أى : ماء الرجل عند اختلاطه بماء العراق .

الأنسيس عسمام، هي: الإبل والغنم والبقر، ولا يقال لها: أنعام إلا إذا كان معها الإبل.

وفي ما يُستدفأ به من الأكسية .

ومسئماهسع؛ مركب ولين ولحم، والحرث بها، وحملها الماء، وتحوذك.

حين تسريح ون : حين تردُّونها بالعشي من مسارحها ، إلى مراحها ومباركها التي تأوي إليها .

وحين تسسر حمون : أي : حين تخرجونها بالغداة إلى مسارحها ومراعيها .

الأشهمة المسافى ولحدها: ثقل وهو متاع المسافر.

شــــق الأنـــفس: مشقتها وتعبها.

وعلى الله قصد السبيل، أي : وعليه السبيل القصد ، أي : المحتدل ، فإن قصد ، يقصد ، قصدًا ، أى : استقام واعتدل، ومنه الاقتصاد ، أي : الاعتدال والتوسط ، جاء في تفسير المراغى : يقال: سبيل قصدٌ وقاصد ، إذا أدّاك إلى مطلوبك .

ومستسها جسائس ؛ أي : ومن السبل ماثل عن المجهِّة ، متحرف عن الحق .

درا ؛ خلق ، یقال : درأ یدرأ .

المسموالمسمة المستافة.

مـــــــواشــــــــر: جمع ماخرة أي: جارية في الماء، وأصل المش «قق الماء، يقال: مخرت السفن، تمخر مخرا، أي: جوت شاقة الماء.

والتبية قواء أي: والتطلبول.

رواسم على الأرض من الجبال .

أن تقيسه بسكسم: يعنى: لثلا تميد بكم، والميد: هو الحركة والاضطراب يمينا وشمالا.

علامات أي: معالم الطرق بالنهار ، وكل علامة يستدل بها على الطريق من الجبال والفجاج
 وغيرها داخلة فيها .

محتوى الآيات،

تأتى هذه الآيات فى مقام الرد على المشركين ، الذين عبدوا الأصنام ، راغبين فى شفاعتهم ، فبين القرآن لهم فى تسخير القرآن لهم فى هذه الأقران لهم فى هذه الأيات : طائفة من أنعم الله على عباده ، فى خلق الكون ، وخلق الإنسان ، ثم فى تسخير الأنمام له للركوب ، والأكل واللبن والزينة ... ، ثم فى إنزال الماء وإنبات النبات ، وتسخير الليل والنهار ، والشعر ، والقمر ، والتعمر ، والتعمر

التفسيره

٣- خَلَق ٱلسَّمَلُواتِ وَٱلأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَلَّلَيْ عَمًّا يُشْرِكُونَ .

تبتدئ هذه الآيات بذكر: أدلة القدرة ، وقد بُرثت يذكر الأشرف فالأشرف ، ذكر هذا السماوات ، ثم ثنى بالإنسان ، ثم ثلُث بأحوال الميوان ، ثم ربِّم بذكر أحوال النبات .. إلخ .

ومعنى الآية :

خلق الله السماوات وما فيها من أفلاك وأبراج ، وخلق الأرض وما عليها من جبال وأنهار ونبات وفجاج ...

بالبَّقِيِّ. أي : على نهج تقتضيه الحكمة ولم يخلقها عبثا ، وقد أوجدهما على أقدار وصور وأوضاح، وخواص مختلفة قدَّرها بحكمته ، ولم يشركه في إنشائها وإحداثها شريك ، ولم يعنه على ذلك معين .

تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ .

تنزه سبحاته وتعالى عما يشركونهم معه فى الملك : إذ ليس فى قدرة أحد سواه أن ينشئ السماوات والأرض ، فلا تليق العبادة إلا له .

٤ - خَلَقَ الإِنسَانَ مِن تُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ حُصِيمٌ مُّبِئٌ .

خلق الإنسان من نطفة ، أى : من ماء مهين ، خلقًا عجبا فى أطوار مختلفة ، ثم أخرجه إلى ضياء الدنيا، وجعل له السمع واليممر والقوة والإبراك والمعقل ، وتدرج من الضعف إلى الشباب والقوة ، ومن القوة إلى الضعف والشيخوضة ؛ حتى يتأمل فى خلقه ، ويستدل بذلك على قدرة الخالق المبدع ، القادر على إعادته عقد البحث للحساب والجزاء .

بيد أن الإنسان المخلوق يكابر ويجادل ، ويقول . مَن يُحْي ٱلْمِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، (يس ٧٨).

فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ .

إذا به مخاصم عنيف ينكر وجود خالقه ، ويكنّب رسله ، ويعمل على صدّ الناس عن اتباعهم ، وروح الأبة تشير إلى موقف كفار مكة ، وإنكارهم للبعث ، وترشدهم إلى أن الإيمان بالله هو الذي ينقّى أرواحهم، ويرشدها إلى حكمة الحكيم ، وإلى قدرة الفائق العظيم ، سبحانه وتعالى .

ه- وَٱلْأَنْعَلَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ .

امتن الله على عباده بما خلق من الحيوانات ، وفي سورة الأنعام ذكر سيحانه : ثمانية أزواج ، هي. الإبل ، والبقر ، والفقم ، والمغن.

من الإبل اثنين هما: الجمل ، والناقة .

ومن البقر اثنين هما: الثور، والبقر.

ومن الغنم اثنين هما: الكيش ، والشاة .

ومن المعز اثنين هما: التيس ، والمعز .

والإنسان يستفيد بأصوافها وأربارها وأشعارها وجلودها ، ويتخذ منها أكسية تدفئة وتستر عورته. وينتفع بلحومها وألبانها ، ويستفيد بها في حرث الأرض وسقيها ، ويأكل من لحومها .

وانتصب الأنعام بفعل مقدر يفسره المذكور بعده ، أي : وخلق الأنعام خلقها لكم .

ومعنى الآية: ومن مظاهر قدرته ونعمه عليكم: أن خلق لكم الأنعام ، وجعل لكم فيها ما تستدفنون به من الثباب المأخوذة من أصوافها وأوبارها وأشعارها ، فتقيكم برودة الجوّ ، وجعل لكم فيها منافع متعددة : بالبيع والاستفادة بألباتها ولحومها وزينتها ، وسائر المنافع الأخرى ، وفي هذا المعنى يقول الله تعالى :

وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْصَامِ لَعِبْرَةٌ تُسْقِيكُم مّمًا فِي بُعُلونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَسْفَعٌ تَكِيرَةً وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . (المؤمنون: ٢١) .

١ - وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تُسْرَحُونَ .

للأنعام فوائد أساسية ، وهى: الأكل ، والدفء ، وشرب اللبن ، والاستفادة بها في السقى والحرث ، وغير ذلك من المنافع ، وهناك منافع فرعية هى : جمال هذه الحيوانات ، حين تعود من مراعيها ، وقد امتلأت ضروعها باللبن ، وامتلأت بطونها بالطعام ، وتحركت في منظر جميل مع رعاتها ، وكذلك في الصباح حين تذهب إلى مسارحها ومراعيها ، وقدم الرواح في العشي على التحرك إلى المسارح في المسباح لأنها تعود وهي في قمة جمالها حين تعتلى بطونها بالطعام ، وضروعها باللبن ، وفي الصباح تذهب خاوية البطون ، خاوية الضروع .

٧- وَتَحْمِلُ أَلْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدِ لَمْ تَكُونُواْ بَلْلِغِيهِ إِلاَّ بشقُّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبُّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ .

أى وتحمل أحمالكم الثقيلة ، وأمتعتكم التي تعجزون عن حملها ، إلى بلد بعيد لم تكونوا : لتصلوا إليه بدونها ، إلا بعد تعب شديد وجهد مضن .

إِنَّ رَبُّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ .

أى: ريكم لعظيم الرأفة والرحمة بكم : حيث لم يترككم تحملون أثقالكم بأنفسكم ، وتقطعون المسافات الطويلة على أرجلكم ، بل أوجد هذه الأثمام ؛ امتافعكم ومصالحكم .

٨- وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لَتَرْكُبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَالاً تَعْلَمُونَ .

أي : وخلق الغيل والبغال والحمير ، للحمل والركوب ، وهي كذلك زينة وجمال (١٠٠).

جاء في حاشية الجمل:

والخيل: اسم جنس لا واحد له من لفظه ، بل من معناه ، وهو فرس ، وسميت هيلا : لاختيالها في مشيتها، والبغال : همم بغل وهو المتولد بين الفيل والحمير .

والزينة: اسم لما يتزين به الإنسان ، والله تمالي يمتن على عباده بهذه النعمة ، فالجمال المتمثل في الزينة : اسم لما يتزين به الإنسان ، والله تمال عمير النبية الضرورات ، من طعام وشراب وركوب ، بل تلبية الأشواق الزائدة عن الضرورات ، تلبية حاسة الجمال ، ووجدان الفرح ، والشعور الإنساني المرتفع على ميل الحيان . وحاجة الحيوان .

قال القرطبي في تفسيره:

هذا الجمال والتزيّن وإن كان من متاع الدنيا ، إلا أن الله تمالى ، أذن به لعباده ، ففى العديث الشريف: « الإبل عز لأهلها ، والغنم بركة ، والخيل فى نواصيها الخير «^(۱۷) . خُرِجه البرقانى ، وابن ماجة فى السنن .

وَيَخْلُقُ مَالاً تَعْلَمُونَ .

أي: من وسائل المواصلات والحمل والركوب ، مالم يكن يعلمه السابقون ، وسيخلق أشياء لا نعلمها نحن ، وقد وجدت بعد نزول هذه الآية الغواصات التي تمخر عباب الماء ، والأساطيل البحرية للصيد والسياحة والحرب ، ووجدت السيارات والدبابات والمدرعات ، والناقلات العملاقة ، والقاطرات والطائرات وغيرها ، والقرآن بذلك يهيئ القلوب والأنهان للاستغادة من كل جديد . واستغلال التقدم العلمي ، ووسائل التقنية والاختراع ، وتحديث العقل والعلم والصناعة والزراعة : حتى تظل الأمّة قوية عزيزه الجانب ، قال تعالى : وَأَصَوْرا أَيْهِ مَا اسْتَطَعْتُهُمْ مَنْ هُوَّةً . (الأنفال: ١٠) .

والقوة تقدر في كل زمان بقدرها ، كانت القوة في الرميّ ، وتطورت إلى استخدام المدفع والنباية والقنّاصة والطائرة والبارجة ، ولا يتم النصر إلا بتطور السلام ؛ ليكون في قوة سلاح الخصم أو يزيد ، ومن قراعد أصول الفقه : ما لا يتمّ الواجب إلاّ به فهو واجب .

وحتى لا يقول بعض الناس : إنما استخدم آباؤنا الأنعام والخيل والبغال والحمير ، فلا نستخدم سواها ، وإنما نص القرآن الكريم قد هيأ الأذهان سواها ، وإنما نص القرآن الكريم قد هيأ الأذهان والقلوب ، للاستفادة من كل نافع ومقيد حين قال : وَيَعْلَقُ مَالاً تَعْلَمُونَ ؟ "".

٩- وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآلِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ.

القصد : الاستقامة ، وآلسُيلِ : الطريق ، وقصد السبيل على تقدير مضاف ، أي : وعلى الله بيان · الطريق المستقيم ، وهو طريق الإسلام .

وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف؛ فاقه سبحانه بحكمته العالية ، بين للناس: الطريق المستقيم، وهو طريق المهدى وطاعة الرحمان ، واتباع الإسلام ، والإيمان بالله وملاتكته وكتبه ورسله ، ومن السبل والطرق طرق جائزة مائلة عن الاستقامة منحرفة عن الجاده ، وهى كل طريق تخالف ما جاء به خاتم الرسل على من عقائد وشرائع وآداب ، فالطريق القصد المستقيم ، يوصل إلى الإسلام ، والطريق الجائر المنحوف، يوصل إلى الكثر والضلال ، وفي هذا المعنى قال تعالى : وَأَنَّ هَلَا اَ صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَبُعُوهُ وَلاَ تَتُعُواْ المُسْلَمَ مَنْ صَيله . (الأنمام ١٥٠٠).

وَلُوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ .

لو أراد الله تعالى أن يهديكم جميعا إلى الإسلام لهداكم ، أى : لأجبركم على الهدى كالملائكة ، وهم عباد مكرمون ، لا يَعضُونَ آللُهُ مَا أَمْرَهُمْ وَيَقْفُلُونْ مَا يُؤْمُرُونُ . (التحريد ٦) .

لكنه أراد سبحانه أن يخلق للإنسان العقل والإرادة والاختيار ، وحرية الفكر والتصرف ، فمن اختار طريق الهدى : أعانه عليه ، ويسره له ، وأمدّه بالمعونة والثوفيق ، ومن اختار طريق الضلال والانحراف ، وأثر الهوى على الهدى : تركه الله ضالا متحيرا ، ويذلك تكون هناك عدالة الجزاء يوم القيامة ، قال تعالى: فَأَمَّا مِن طَفَىٰ » وَءَاثُو ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنِيَّا » فِيإِنَّ الْحَجِمَ هِي ٱلْمَأْوَىٰ» وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامُ رَبِّهِ وَنَهَى ٱلنَّفُسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ» فَإِنَّ الْحَنَّةُ هِيَ ٱلْمَأْرُعَا. (النازعات: ٣٧-٤١).

وقال عز شأنه : وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي ٱلأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ... (يونس: ٩٩).

وقال عز شأنه · وَقُوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلُ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِمَّةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتِلْفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِلْالِكَ خَلَقَهُمْ ... (هود: ١١٨٠).

وقال تعالى : إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن تُطْفَةِ أَمْشَاجِ يُبَتَلِهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِواً • إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا هَاكِرًا وَإِمَّا كُفُورًا . (الإنسان: ٣٠٧).

٠ ١- هُوَ ٱلَّذِي أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَاءً لَّكُم مِّنَّهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيه تُسيمُونَ .

تستمر هذه الآيات في بيان: نعم الله تعالى على عباده ، أي: إن الذي أنعم عليكم بالنعم السابقة ، وسخُّر لكم الأنعام والخيل وسائر البهائم لمنافعكم ، هو الذي أنزل المطر من السماء عذبا زلالاً تشريون منه، وتسقون أشجاركم وزروعكم ، التي تسيمون فيها أنعامكم ، وفيها ترعى حيواناتكم وماشيتكم .

قال الفخر الرازي :

والحاصل: أن ماء المطر قسمان:

أحدهما : هو الذي جعله الله شرابا لنا ولكل حيّ ، وهو العراد بقوله : لُكُم مَّنَهُ شُرَابً . وقد بين الله تعالى في آية أخرى: أن هذه النعمة جليلة فقال : وَجَعَلنًا مِنْ آلْمَاءٍ كُلُّ شُيءٌ حَيّ . (الأنبياء ٣٠) .

والقسم الناني: من المياه النازلة من السماء ما يجعله الله سببا لتكوين النبات ، وإليه الإشارة بقوله: وَمِنْهُ شَجَرٌ فِهِ لُسِيعُونُ ، والمولد من الشهر: الكلاّ والعشب.

قال الزجاج : كل ما ذبت على الأرض فهو شجر ، وقال ابن قتيبة في هذه الآبة ، العراد من الشهر: الكلاً، وقبل : إن الإبل تقدر على رعى ورق الأشجار الكبار . ا هـ .

ويمكن أن يطلق الشجر على الأشجار والنباتات ، وأنى سبحانه بلفظ في المفيدة للظرفيه ، في قوله تعالى: فِيهُ تُسِمُونُ ؛ للإشارة إلى أن الرعى في هذا الشجر ، قد يكون عن طريق أكل ما تحته من الأعشاب والمرعى . ١٩ - يُسْلِب لَكُم به آلزُّرْعَ وَآلزُيْتُونَ وَآلنْحِيلَ وَآلاَّعْسَلْبَ وَمِن كُلُّ ٱلْغُمَرَاتِ .

أى: ينبت لكم بماء المطر ٱلزُّرُعُ. كالقمح والشعير ، والذرة والفول والعدس ، وغير ذلك من الأغذية . * آلَّ "تُعنَّ . للذم، تستعمل نه اداما في أغذيتكم .

وَٱلنَّحِيلَ . الذي يضرج التمر بأنواعه ، وَٱلأُغْنَلبَ . التي تتلذذون بها ، وفي العنب غذاء وفاكهة وتنعم.

وُمِن كُلِّ ٱلْفُعَرَاتِ . التي تشتهونها وتنتفعون بها ، والتي تختلف في أنواعها ، وفي مذاقها ، وفي روائحها ، وفي ألوانها ، مع أن الماء الذي سقيت به واحد ، والأرض التي تنبت فيها متجاورة .

إِنَّ فِي ذَا لِكَ لَآيَةً لَّقُوْمٍ يَتَفَكُّرُونَ .

أي: إن فيما ذكر من إنزال الماء ، وإنبات أصناف الزروع والنخيل ، والأعناب والثمرات ، على اختلاف أنواعها وألهمرات ، على اختلاف أنواعها وألوانها وأهجامها ، لدلائل على قدرة إله قادر ، قد أكمل نظام هذا الكون ، وسخر الشمس والقمر واللهل والنهار ، والهواء والتراب والماء ؛ حتى يتكامل نظام الكون ، ويتيسُّر لهذا النبات النمو والنضيج، وإفادة الإنسان والحيوان .

فمن فكّر فى أن الحبّة والنواة تقع فى الأرض ، وتصل إليها نداوة تنفذ فيها ، فينشق أسقلها ، فيخرج منه عروق تنبسط فى أعماق الأرض ، ويخرج منها ساق يندو ، وتخرج فيه الأوراق والأزهار ، والعبوب والثمار المعتلفة الأشكال ، والألوان والغواص ؛ علم أن من هذه آثاره ؛ لا يمكن أن يشههه شيء فى صفات كماله ، فضلا عن أن يشاركه فى أخص صفاته ، وهى الألوهية واستحقاق العبادة (١٠٠١).

وقد امتنَّ الله سبحانه وتعالى بنعمة إنبات النبات ونموَّه ، وإحيائه الأرض بعد موتها ، وتفضله على الإنسان بإنزال الماء ، وإنبات الزروع والثمار ، متاعا للإنسان والحيوان ، في كثير من الآيات .

قال تعالى: فَلْيَنظُرِ ٱلإِنسَنُ إِلَىٰ طَعَامِهِ هَ أَنَّا صَبْبَنَا ٱلْمَاءَ صَبًّا هُ ثُمَّ شَقَقَنَا ٱلأَرْضَ شَقَّا هَ فَالْبُتِنَا فِيهَا حَبًّا هَ وَعِبًّا وَقَعْنَهُ هَ وَزِيْتُونًا وَوَحَمَاتِقَ خُلِياً هَ وَقَلْحَهَةً وَأَبًّا هَ مَنْحًا لَكُمْ وَلَأَنْعَلْمِكُمْ . (عبس: ٢٤-٢٣) .

وقال تعالى : أَمَنْ خَلَقَ السَّمَلُوَاتِ وَالْأَوْضَ وَأَنْزِلَ لَكُمْ مَنَ السَّمَاءِ مَاءَ فَانْسَتِنَا بِمِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهُجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ انْ تُشْيِوْ ا شَجْرَهَا أَوَلَنْهُ مُمَّ اللّهَ يَلْ هُمْ قُوفَ يَعْدَلُونَ . (الندل: ٢٠) . وقال سبحانه : وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطْعُ مُتَجَوِرُاتَ وَجَنْتُ مِنْ أَعَنْلُهِ ۚ وَزَرَعُ وَنَعِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بَمَاءَ وَاحِدُّ وَنَفُصُّلُ يَعْضَهَا عَلَىٰيَ يُعْصَ فِي ٱلاُكُل إِنَّهُ فِي قَالْكَ لاَيْتِ ٱلْقَوْمِ يَقْلُونَ . (الرعد ٤) .

١٢ - وَسَخْرَ لَكُمُ ٱلْيُلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنَّجُومُ مُسَخْرَاتُ أَبِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيلت لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ .

لقد سخر الله للإنسان هذا الكون كله ، ويسر له الانتفاع بكل ما فيه ، فالليل من أجل الذوم والراحة، والنهار من أجل السحى والعمل ، والشمس تمدّ الكون بالطاقة ، والقمر ينير الليل ويبدد ظلمته ، والنجوم مسخرات بأمر الله وإرادته ، فهى زينة للسماء ، وهداية للسائرين بالليل ، ورجوماً للشياطين ، فمن تفكر بعقله ؛ أدرك أن وراء هذا الكون البديم ، يدًا حائية تمسك ينظامه ، وتعفظ توازنه .

قال الشوكاني في فتح القدير:

تسخير الشمس والقمر ، تصييرهما نافعين لهم ، بحسب ما تقنضيه مصالعهم ، يتعاقبان دائما ، كالعبد الطائع لسيده لايخالف ما يأمره به ، ولا يهمل السعى في نفعه ، إنَّ فِي ذَالِكَ التَسخير لآيات لَقُوْمٍ يُعْقِلُونَ ، في : يعملون عقولهم في هذه الآثار الدالة على وجود الصانع وتذرّده ، وعدم وجود شريك له . أ هــ

وقد قرأ ابن عامر: والشمسُ والقمرُ والنجومُ ، كلها بالرفع على الابتداء والخبر هو قوله : مُسَخَّرَاتٌ ، وقرأ حقص عن عامم: وٱلنُّجُومُ بالرفع على الابتداء وقد قرأ جمهور القراء ، الليلُ والنهارُ والشمسَ والقمرَ ، بالنصب على المفعولية لفعل سخَرِلاً .

١٣- وَمَا ذَراً لَكُمْ فِي ٱلأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَاللهُ إِنَّ فِي ذَالِكَ لاَيَةُ لِقُومٍ يَدَّكُرُونَ .

وما خلق لكم فى الأرض ، من عجائب الأمور ، ومختلف الأشياء ، من معادن ونبات وحيوان ، على اختلاف أجناسها وأشكالها وألوانها ، وخراصها ومنافعها .

إِنَّ فِي ذَا لِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَدَّكُّرُونَ .

أى : يتذكرون آلاء الله وأنعمه المتعددة ، بألوانها المختلفة ، فيشكرونه ويخبتون إليه ، قال تعالى . وَمِنْ وَايَشه خَلُقُ ٱلسَّمَاوُت وَآلِأُرْض وَاتَحَلَّفُ أَلْسِيتَكُم وَ ٱلْوَالِكُمْ . (الروم: ٢٢) . ١٤ - وَهُو ٱللَّذِي سَخَرَ ٱللَّحَرُ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحَمًا طَوِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلَيَةٌ تَلَيْسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مُواخِرَ فِيهِ
 وَلَيْتَنُواْ مَنْ فَصْلُهُ وَلَمْلُكُمْ تَشْكُرُونَ .

تعدد هذه الآية أربعة أنواع من منافع البحر ، فقد ذلل الله البحر المالح الهائج المتلاطم الأمواج ، للإنسان ؛ حتى يستفيد منه بالفوائد الآتية :

١- صيد السمك بكل أنواعه : ليأكل الإنسان لحما طريا لذيذا ، وفي وصفه بالطراوة تنبيه إلى أنه ينبغي
 المسارعة إلى أكله : لأنه يسرع إليه الفساد ، فسبحان الذي جعل في الماء المر الذي لا يشرب ، لحما
 طريا لذيذا .

٧- ومن فوائد البحر: استخراج اللؤلؤ والمرجان ، تتخلى بها النساء للرجال .

٣- سير السفن تمخر عهاب الماء ، وتنقل الأشياء من بلد إلى بلد .

الانتقال في السفن بواسطة البحر من بك إلى بلد ؛ طلبا للرزق والتجارة والسياحة والحج والعمرة.

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ .

أى: ولتشكروا ريكم على ما أنعم به عليكم ؛ إذ جعل ركوب البحر ، مع كونه مظنة للهلاك سببا للانتفاع وحصول المعاش .

٥١ - وَأَلْقَى فِي ٱلأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَعِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَنْرًا وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ .

تستمر سورة النحل التي تسمّى: سورة النعم ، في عرض أنعم الله على عباده فتقول:

وَأَلْقَى فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ .

أى : حفظ الله توازن الأرض ، وثباتها وعدم اضطرابها ؛ بالجبال الراسيات الثوابت .

قال أبو السعود في تفسيره:

إن الأرض كانت كرة هفيفة قبل أن تخلق فيها الجبال ، وكان من حقها أن تتحرك كالأفلاك بأدنى سبب ، فلما خلاقت الجبال توجهت بثقلها نحو المركز ، فصارت كالأوتاد لها . 1 هـ .

وقد امتن الله على عباده بالببال في أكثر من آية ، فالجبال كالأوتاد في حفظ الأرض، وتحفظ الماء في رءوسها في فصل الشتاء : ليسيل على الوديان والوهاد في فصول: الصيف، ، والربيم ، والغريف. 424A

والجبال مكان أمين حصين ، وملجأ للهارب ، والمعتزل عن الدنيا ، والزاغب فى التأمل والحبادة ، ولأمر مًّا بدأ الرجى على رسول الله ﷺ فى غار حراء ، ويدأت الهجرة من غار ثور ، وكانت معركة أحد على جبل أحد ، وناجى الله موسى من فوق جبل الطور ، ومناسك الحج تتم بالسعى بين الصفا والمدرة وهعا جبلان ، ويقف الحجيج على جبل عرفات يوم التاسع من ذى الحجة ، فالجبال وسيلة للصفاء والنقاء ، والتفرغ الروحى ، وقد امتز الجبل وغاص فى الأرض دكًا ؛ عندما تجلى الله ك.

قال تحالى : وَلَمَا جَاءَ مُوسَى لِعِيقَاتِنَا وَكُلْمَهُ رَبُهُ قَالَ رَبُّ أُرِنِى أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِن آنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِن آسْتَقُر مَكَانَهُ فَسُوفَ تَرَانِي فَلَمَا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًا وَحَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَالَكَ بُنْتَ إِلَيْكَ إِنَّا أَلُّهُ مُعْسَنَى (الأعاف: ١٤٣).

وفي آخر سورة الحش نجد عددًا من أسماء الله تعالى ، وقيلها مباشرة نجد هذه الآية .

لُو أَنزَلْنَا هَنلَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لِمُرَاتِّنَهُ خَـٰشِهَا مُتَصَدَّعًا مِنْ خَشْبَةٍ ٱللَّهِ وَقِلْكَ ٱلْأَمْشَلُ نَصْوِبُهَا لِلنَّاسِ لِعَلَّهُمْ يَشَكِّمُونَ . (المشدن ٢١).

وقال تعالى : خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرُونُهَا وَأَلْقَىٰ فِي ٱلأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ... (لقمان: ١٠).

وقال عز وجل : أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلأَرْضَ مِهَاللَّا * وَٱلْجِالَ أَوْتَادًا . (النبأ ٦٠٧) .

وَأَنْهَـٰـرًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ .

من كمال إعمار الأرض ، أن يسر الله فيها الأنهار والطرق ، فنجد الأنهار تنبع من مكان ، وتسير في مكان ، وتمس في مكان آخر.

فنهر النيل ينبع من إفريقيا ويسير طويلا في بلاد السودان ، ويستفيد منه أهل مصر ، وكذلك الطرق التي يسلكها الناس للرعى والتجارة والسياحة ، وقد تحدُّث ثلمة في الجبل ؛ لتكون ممرًا طريقا قال تعالى : وَ جَعْلَا فِهَا فَجَاءً سُّهُ لَأَمْلُهُمْ هُهَاتُونً . (الأنبياد: ٣٠) .

لُّعَلُّكُمْ تَهْتَدُونَ .

أي: جعل في الأرض طرقا ومسالك : لعلكم تهتدون بتلك الطرق ، إلى المكان الذي تريدون الوصول إليه، فلا تضلون . قال تعالى وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ بِسَاطًا ﴿ لَتَسْلَكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا . (نوح ٢٠.١٩).

١٠- وَعَلَامَاتِ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْمُدُونَ .

أي. ألهم الإنسان اتضاذ المحالم والأمارات؛ لمحرفة الطرق واللبلاد التي يقصدون إليها ، ومن المعالم: الجبال الكبيرة ، والأكام المصفيرة ، والعيون والأفلاج ، ومطلع الشمس ومغربها نهارا ، وبالنجوم ومواقعها يهتدون ليلا : للسفر في البر والمحر ، وقرئ: وبالنُّجُم هم يهتدون ، يضم النون والجيم .

وقيل: المراد بالنجوم: الثريا، والفرقدان، وينات النعش الصغرى والكبرى، والجدى(١٠٠).

وفي الآية إيماء إلى أن مراعاة النجوم: أصل في معرفة الأوقات، والطرق والقبلة، ويحسن أن نتعلم من علم الفلك ما يفيد تلك المعرفة.

قال فتادة: إنما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء : لتكون زينة للسماء ، ومعالم للطرق ، ورجوماً للشياطين. فمن قال غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به .

* * *

﴿ أَفَمَن عَنْكُنَّ كُمَن لَا يَغْلُقُّ أَفَلا تَذَكَرُون ۞ وَإِن تَعُدُّواْ نِفَمَة اللَّهِ لِا تُحْصُوهاً اللهِ اللهِ عَصُوها اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الل

المفردات

أهـمن يـخـلـق، أى: هذه الخلائق العجيبة في هذا الكرن، والإنسان والحيوان والنبات وسائر النعم. كـمن الا يـخـلـق، مثل الأصناء.

لاتعصيوها، لاتضبطوا عددها.

ماتسرون، ما تخفون.

والذين يدعون من دون الله: أي : والآلهة التي يدعون من دون الله .

أيان يهمشون ، أي : متى يبعثون .

لاجــــرم، أي.حقا.

يسيرون، يخفون في أنفسهم.

تمهيد،

بين سبحانه وتعالى فهما سبق طائفة من النعم ، التي أنعم الله بها على عباده ومنها يأتي .

١- خلق الكون بكل ما فيه من سماء وأرض وغيرهما.

٢ - خلق الإنسان .

٣- خلق الأنعام بكل أنواعها وأصنافها .

٤- هداية الإنسان وإرسال الرسل وييان الطريق المستقيم.

٥- إنزال المطر، وإنبات منفوف الزروع والثمرات.

٣- تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم.

٧- تسخير البحار والجبال والأرض والطرق.

ثم النفت إلى الجاحدين : ليقارن بين خلق الله ، ونعمه المتعددة ، وبين آلهتهم المدعاة التي لا تسمع ولا تجيب ولا تخلق ولا تنفع ..

التفسيره

٧ ٧ - أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لا يَخْلُقُ أَفَلاَ تُذَكُّرُونَ .

أى: أفمن يخلق هذه المخلوقات العجبية التى تشاهدونها بأعينكم ، فى الكون والإنسان والحيوان والنبات والبحار والجبال ، كُمُن لاَّ يَحْفُلُقُ شيئا مثل الأصنام التى تدعون : أنها آلهة ، مع أنها لا تعلك لنفسها نفعا ولا غيرا .

والاستفهام هذا استفهام إنكارى ، أى : أتشركون هذا الصئم الحقير مع الخالق الجليل ؟ ، وهو تبكيت للكفرة ، وإبطال لعبادتهم الأصدام .

أَفَلاَ تَلَكُّرُونَ .

أي : أفلا تتذكرون ، فإن من عنده أدنى تأمل وتفهم رتعقل ، لا يسوى بين القادر والعاجز ، وهو تبكيت جديد ! ليطموإ أن العبارة لا تلبق إلا للمنعم ، بكل هذه النعم ، أما هذه الأصنام فلا ينبغى عبادتها . قال قتادة : الله هو الخالق الرازق ، لا هذه الأوثان التي تعيد من دون الله ، ولا تخلق شيئا ولا تملك لأهلها. ضراء لا نفعا ، ا هـ .

١٨ - وَإِن تَعُدُّواْ نَعْمَةَ ٱللَّه لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ .

إن أنعم الله وأفضاله لا حصر لها ، ولا عد ؛ لكثرتها وتنوعها وتتباعها ، وإذا كنتم لا تستطيعون حصرها، فمن ياب أولى لا تطوقون شكرها .

قال القاحر الرازى في تفسيره الكبير:

ومما يدل قطعا على أن عقول الخلق قاصرة عن معرفة أقسام نعم الله تعالى ، أن كل جزء من أجزاء البدن الإنسانى لو ظهر فيه أدنى خلل ؛ لتنغص العيش على الإنسان ، ولتمنى أن ينفق كل الدنيا حتى يزول عنه ذلك الكلما ، ثم إنه تعالى يدبر أحوال بدن الإنسان ، على الوجه الأكمل الأصلح ، مع أن الإنسان لا علم له بوجود ذلك الجزء ، ولا بكيفية مصالحه ، ولا بدفع مفاسده ، فليكن هذا المثال حاضرا في ذهنك ، ثم تأمل في جميع ما خلق الله في هذا العالم ، من المعادن والنبات والحيوان وجعلها مهيأة لانتفاعك ؛ لتعلم أن عقول الخلق قاصرة عن إحصاء نعمه وأفضائه وإحسانه (*).

إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ .

لمن تاب إليه ورجع إلى بابه معترفا بالعجز والتقصير، وهو سبحانه يغفر الكثير ويجازى على اليسير.

٩ ٩ - وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسرُّونَ وَمَا تُعْلَنُونَ .

هو سبحانه وتعالى مطلع على أعمالكم ، السرية منها والجهرية ، فراقبوه ولا تعصوه .

وقد كان الكفار مع عبادتهم غير الله ، يسرُّون ضروبا من الكفر ، في مكايد الرسول ﷺ ، فجعل هذا زجرا لهم عنها ، كما أن الإله يجب أن يكون عالما بالسر والعلانية ، وهذه الأصنام جمادات لا تحسُّ بشيء أصلا. فكيف تحسنُ عبادتها**).

٧ - وَٱلَّذِينَ يَدْهُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيًّا وَهُمْ يُخْلُقُونَ .

أى: هذه الأصنام التى يعدونها من دون الله ، لا تخلق شيئا مهما صخر ، وهى جمادات صنعها المشركون بأديهم ، وخلقوها ثم عبدوها ، لقد وصنف الله الأصنام بما يبعدها عن الألوهية ؛ فهى لا تخلق شيئاً، ثم إنها مخلوقة لغيرها .

٧٩. أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ .

هذه الأصنام جمادات لا تحسب بشيء ، فهي أموات لا حياة فيها ، ولا تعتريها الحياة بوجه ، فلا تسمع ولا تيصر ولا تعقل .

وفائدة قوله : خُبِرُّ أَصَّاءٍ ، بيان . أن بعض مالاحياة فيه ، قد تدركه الحياة بعد : كالنطفة التى ينشئها الله علقة ثم مضغة ثم عظاماً، ثم يكسر العظام لحما ، ثم ينشىء النطفة جلقا أكد , أى : إنسانا كامل الحواس فيه الروح والحياة ، أمًا هذه الأصنام من الحجارة ، فلا يعقب موتها حياة ، ذلك أتم فى نقصها .

وَمَا يَشْغُرُونَ آيَّانَ يُبْعَثُونَ .

إن هذه الأصنام لا تعلم متى يبعث عبادها ؛ حتى تساعدهم أن تنفعهم بعبادتهم ، ويحتمل أن يكون المعنى : وما تدرى هذه الأصنام شيئًا ، عن الوقت التى يبعثها فيه الله يوم القيامة ؛ لتكون وقودا للنار هى وعبًّادها ، للتدليل على مهانتها ونلها .

قال تعالى : إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونَ ٱللَّه حَصَبُ جَهَنَّمَ . . (الأنبياء: ٩٨).

قال الفخر الرازى:

فإن قيل: إن هذه الأصنام جمادات ، والجمادات لا ترصف بأنها أموات ، ولا توصف بأنهم لا يشعرون. والجمال :

إن القوم لما وصفوا ثلك الأصنام بالألوهية وعبدوها ؛ قيل لهم : ليس الأمر كذلك ، بل هي أموات ولا تعرف شيئا ، فنزلت هذه العبارات على وفق معتقدهم .

ثم إن من يعبد الأصنام هو في نهاية الجهالة والضلالة ، والكلام مع الجاهل الغرّ الغبيّ ، قد يحسن فيه أن يعبر عن المعنى الواحد بالعبارات الكثيرة ، وغرضه من ذلك الإعلام يكون ذلك المحاطب في غاية الغباوة، وإنما يعيد تلك الكلمات ؛ لكون ذلك السامع في نهاية الجهالة ، وأنه لا يفهم المعنى المقصود بالعبارة الواحدة"".

٧ ٧- إِلَنْهُكُمْ إِلَنَّهُ وَاحِدٌ فَٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِٱلآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ .

أي: أن الله سبحانه وتعالى ، الذي هو أهل للعبادة هو إله واحد ، لا شريك له ، ولا ندُّ له .

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ .

لكن المشركين عميت قلوبهم عن هذه الحقيقة فأنكروها ، وأنكروا البعث والجزاء في الآخرة ،

واستكوروا عن الإيمان بمحمد ﷺ : حقدا وحسدا، قال تعالى : فَإِنّهُمْ لا يُكَذَّبُونَكَ وَلَـكِنُ الطَّـلِمِينَ بِعَايَلتِ اللهِ يَوْحُمُونُ وَ (الأنماء: ٣٣).

للد حجبهم المحود والكنود والاستكبار عن الإيمان؛ فاستحقوا الجزاء العادل ، وعذاب جهنم يوم القيامة ، حال كونهم أذلاء صاغرين: جزاه استكبارهم عن اتباع الحق .

قال تعالى: إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكُبُرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَتْمَ ذَاحْرِينَ . (غاند ٢٠٠).

وفي الحديث الصحيح: «إن المتكبرين أمثال الذرّيوم القيامة ، تطؤهم الناس بأقدامهم: لتكبرهم «⁽¹⁾.

وأخرج مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يدخل الجنة من كان في قلد من المان »، فقال الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان »، فقال رجل: يا رسول الله ، الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ، ونطه حسنة ، فقال: « إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الدق وغمص الذاس ه (°°).

٣٧- لاَ جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِئُونَ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ

أى: حقا ، إن الله يعلم ما يسرون من الكفن والاستكبار عن الإيمان بك ، وَمَا يُعْلُونَ مَنْ أَقُوالُ وأَفعال وسيجازيهم على ذلك بما يستحقون .

إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ.

أى: عن الاستجابة للحق ، المغرورين بأموالهم وأولادهم ، الجاحدين لنعم الله وآلائه .

﴿ وَإِذَاقِيلَ أَمْمُ مَاذَا أَنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿ لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيكَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِيكَ يُعْسِلُونَهُم بِغَيْرِعِلَّمْ الْاسَآةَ مَايْزِونَ ۞ قَدْ مَكَرَ الَّذِيكَ مِن فَيْلِهِمْ فَأَفَى اللّهُ بُنْيَنَهُم مِنَ الْفَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَاتَنهُمُ الْعَذَابُ مِن حَيْثُ لايَشَمُّرُونَ ۞ تُمْيَومَ الْفِينَةِ يُعْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاةً مَا الْعَذَابُ مِن حَيْثُ لايَشَمُّرُونَ ۞ لَمُنتَعَمُ الْمَلْيَكِمَةُ الْمِلْمَ إِنَّ الْمِذِي الْيَوْمَ وَالسُّوَءَ عَلَى الْصَعْفِينَ ۞ اللَّذِينَ تَوَفَّنُهُمُ الْمَلْيَكِمَةُ ظالِيق الْفُيسِمِمُ فَالْقُواْ السَّلَمُ مَا صَلَّنَاتُهُمُ لَيْنِ مِنْ مَنْ مَا لَيْنَ تَنوفَنَهُمُ الْمَلْيَكِمَةُ فَاللِيقَ فَاذْغُلُواْ الْمَوْبَ جَهَمْ خَيٰلِيكِ فِيمًا فَلِيشَ مَوْى الْمُتَاتِيمُ اللْمَالِي فَالْمِنْ مُنْ الْمُنْكَفِيدِينَ اللّهُ عَلِيمُ الْمُنْتُونَةُ مِنْ اللّهُ الْمُؤْلِقِينَ اللّهُ وَالْمُؤْلِقِينَ اللّهُ عَلَيْكُولِهُ الْمَلْمُ الْمَالِيقِينَ اللّهُ وَلَيْ اللّهُ عَلَيْكُولِيكَ اللّهُ وَالْمُؤْلِقِيلُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقِينَ اللّهُ وَالْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمِينَ مِنْ مُنْ مِن شُومَ الْمُؤْلِقِيلَ الْمَاتِومُ وَالْمُؤْلُولُ الْمَالِي مَا مُشْلِيمُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلِكُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِكِ مَا مُعْمَلُونَ السَّعُونَ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِكُ مُلْكُولُ مَنْ مُؤْلِيقُولُ الْمُؤْلِكُ الْمَلْقِيلُ الْمُؤْلِقِيلَ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِكُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِكُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِيلُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِيلِيلُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِيلُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِيلِيلِيلُولِيلِيلُولُولُ الْمُؤْلِيلُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِيلُولُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلِلِلْمُ الْمُؤْلِقُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلِلُولُ الْمُؤْلُولُ الْم

المضردات،

أنسزل ريسكيم ، أي : على محمد .

أس اطهر ، واحدها : أسطورة ، كأرجوحة وأراجيح وهي الأكاذيب والترهات والأباطيل .

الأواســــين ؛ الغابرين القدماء ، قالوا ذلك ؛ إضلالا للناس، وقد نزلت الآية في النضر بن الحارث .

الأوزار : الأثام، واحدها: وزر.

سجاء محايسزرون، أي: بئس شيئا يحملونه.

قد مكر الذون من قبلهم، وهو نمروذ بن كنعان ، بنى صرحا طويلاً ببابل ، سمكه خمسة آلاف ذراع ٬ ليصعد منها إلى السماء ؛ لهقاتل أهلها .

وللكسمسسر ، صرف غيرك عما يريده بحيلة ، ويراد به هنا - مباشرة الأسباب وترتيب المقدمات ، والمقصود بالآية : المبالغة في وصف وعيد أولئك الكفار ، وأن هلاكهم محقق كما حدث لمن قبلهم .

فاتى الله بنياتهم في القلاعة وأفذاه ، فأرسل عليه الربح والزلزلة : فهدمته من الأساس ، كما يقال: أتى عليه الدهر. المسقد واعساد ، الدعاتم والعمد والأساس ، ولحدها : قاعدة .

السقف من فوقهم ؛ أي : وهم تحته .

وأتناهم العذاب من

حيث لا يشهرون: من جهة لا تفطر ببالهم ، أي: من جهة لا يحتسبونها ولا يتوقعونها ، وقبل: هذا تمثيل لاؤسان ما أبرموه من المكل بالرسل .

ي خسري هسم ، يذلهم ويهينهم ، أو يعذبهم بالنار .

الثيث أوتوا العلم؛ الأنبياء أو الملائكة أو العلماء.

السيسياسيم، الاستسلام والخضوع، والمعنى: انقادوا واستسلموا عند الموت.

إن البلية عبليم يما

كشتم تسلمون، فهو يجازيكم عليه.

تمهيد:

تأثى في منه الآيات ، شبهات من أنكروا النبوة مع الجواب عنها ، وتذكير الناس بما أمماب المكذبين والمنكبرين : حيث أخذهم الله أغذ عزيز مقتدر .

ثم عرض بعض مشاهد الآخرة ، حين ينال الظالمون جزاءهم في جهنم خالدين فيها أبدا . فَلُمِّسُ مُوّى الْمُتَكِّرِينَ .

التفسيره

\$ ٢- وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوۤا أَسَلطِيرُ ٱلأَوَّلِينَ .

أفادت كتب السيرة: أن قريشا وزعماء مكة ، أهمُّها أمر الدعوة الإسلامية ، حيث إن أتباع محمد يزيدون، ورأوا تأثير القرآن في نفوس الناس ، وصار الواردون إلى مكة في موسم الحج وغيره ، يسألون الناس عن هذا النبي الذي ظهر ، وعن القرآن الذي أنزل عليه ؛ فنبُر لهم الوليد بن المغيرة معاذير ، واختلاقا يختلقونه : ليقنعوا السائلين به .

فندب منهم ستة عشر رجلا ، يعثهم أيام موسم الحج يقعدون في طرق مكة ، ومسالك الدخول إليها ، يقولون لمن سألهم عن محمد: لا تغتروا بهذا الذي يدّعي: أنه نبي ؛ فإنه مجنون أو ساحر أو شاعر أو كاهن، وأن الكلام الذي يقوله أساطير من أساطير الأولين اكتتبها ، وقد تقدم ذلك في آخر سورة الحجر ، وكان النضر ابن الحارث يقول: أنا أقرأ عليكم ما هو أجمل من حديث محمد، أحاديث رُسْتم وإسْفَنْديار، قال تعالى في شأنه... وَمَن قَالَ سَأُنولُ مِثْلَ مَا أَنوَلَ ٱللهُ . (الأنعام: ٩٣) .

وفي صحيح البخاري ما يفيد: مساءلة العرب عن بعث النبي ﷺ ، ومن ذلك سؤال هرقل ملك الروم لأبي سفيان ، عن هذا النبي وعن نسبه وعن أتباعه ، وعن حروبه ، ولما خرج أبو سفيان من عند ملك الروم، قال لمن معه : لقد أمر أمر أبن أبي كبشة ، حتى أصبح ملك الروم يسأل عنه .

وروى البخاري في قصة إسلام أبي ذراله أنه سمم بالنبيُّ ﷺ وهو في قومه غفار، فأرسل أخاه ؛ ليستعلم عن هذا النبي ، ثم حضر بنفسه مستفهما عنه .

وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَلَوَ لَ رَبُّكُمْ.

أي : إذا سألت وفود العرب في موسم الحج وغيره ، أهل مكة عن محمد وعن القرآن الذي نزل عليه .

قَالُوا أُسَاطِيرُ ٱلأُولِينَ .

أي: إن هذا القرآن ليس وحيا من الله ، وإنما هو أكانيب وخرافات مأخوذة من كتب المتقدمين .

قال تعالى: وَقَالُهَا أَ أَسْلِعامُ ٱلأُولِينَ آكُتَتِهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْه بُكُرَةٌ وَأَصِيلاً . (الفرقان: ٥) .

والسائل إما واحد من المسلمين ، أو من كلام يعضهم ليعض ، أن النضر بن الحارث ، أو قول المقتسمين الذين اقتسموا مكة ، ينفرون عن رسول الله 義 ، إذا سألهم وفود الحجيج ، عما أنزل على محمد 獎 .

٥٧ - لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقَيَامَة وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُصَلُّونَهُم بغَيْر علْم أَلا سَاءَ مَا يَزرُونَ .

اللام في لِيَحْمِلُوا تسمى: لام العاقبة أو الصيرورة ، مثل : فَالْتَقَطُّهُ عَالُ فَرْعُونَ لَيَكُونَ لَهُم عُدُوا وَ حُزَ نًا. (القميص: ٨).

والمعنى: إنما قالوا ذلك ؛ ليتحملوا أوزارهم ، وآثامهم كاملة يوم القيامة ، وجانبا من أوزار الذين يتبعونهم ، جهلا بغير علم ، فلا يعلمون أنهم ضُلال ، ويقتدون بهم في الضلال . والآية كما نرى تشعر هؤلاء المفترين من أهل مكة ، بجزائهم العادل يوم القيامة ، فهم سيتحملون وزرهم كاملاً بدون نقص ، وسيتحملون جانبا من إضلال من اتبعهم ، واثقاً فيهم ، غير عاام بما هم عليه من ضلال ، وكأن الآية تضمهم أمام مسئولياتهم ، وترضع لهم عظهم الجرم الذي يرتكبونه ؛ ليكفروا في تبعاتهم ، ويعدلوا عن ضلالهم .

أَلاَ سَاءً مَا يَزِرُونَ . أي : بئس شيئا يحملونه من ذلك الذي يقعلون .

ونظير الآية قول تعالى: وَلَيَحْمِلُنُ أَلْقَالُهُمْ وَأَلْقَالاً مَّعَ أَلْقَالِهِمْ وَلَيْسَـُكُنَّ يَوْمَ ٱلْقَيْحَةِ عَمَّا كَانُواْ يُفْتَرُونَ . (المنكموت: ١٧).

وروى الإمام أحمد ومسلم وأصحاب السنن الأربعة : عن أبى هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « من دعا إلى هدى ، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك إلا من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آقام من تبعه ، لا ينقص ذلك من آقامهم شيئا »(") .

ثم أبان الله تعالى وجود السُّبه ، بين الكفار القدامي والجدد ، في الجرم والعقاب فقال :

٧٧- قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بَيْسَتُهُم مِّنَ ٱلقَوَاعِدِ فَعَرْ عَلَيْهِمُ ٱلسُقْفُ مِن فَوقِهِمْ وَٱلسَّهُمُ ٱلْعَدَابُ مِنْ حَتْ لاَ يَشْعُرُونَ .

أكثر المفسرين على : أن المراد بهذه الآية ، هو : نمرود بن كنعان ، بنى مسرحا عظيما ببابل طوله خمسة آلاف ذراع ، ويمكن أن تكون الآية عامة في كل ظالم مكابر ، مثل قوم هود وقوم صالح وقوم لوط وقوم فرعون .. قال تعالى : وَكَفَلِكَ جَعَلْنَا هِي كُلِّ قُوْيَةٍ أَكْثِرَ مُجْوِمِهَا لَيَمْكُرُواْ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِالْفُسِهِمْ وَمَا يَشْمُرُونَ . (الأنماء: ١٢٣).

وفى الآية تشبيه هيئة القوم الذين مكروا فى المنحة فأخذهم الله بسرعة ، وأزال تلك العزة : بهيئة قوم أقاموا بنيانا عظيما ذا دعائم ، وآووا إليه فاستأصله الله من قواعده ، فخر سقف البناء دفعة على أصحابه فهلكوا جديما ، فهذا من أبدع الاستعارات التمثيلية ؛ لأنها تنحلً إلى عدة استعارات .

جاء في التفسير المنير:

أى: قد كاد لدين الله ورسله من تقدّمهم من الأمم ، واحتالوا بمختلف الوسائل؛ لإطفاء نور الله ؛ فأهلكهم الله تعالى فى الدنيا ، بأن دمّر مبانيهم من قواعدها ، وسقط عليهم السقف من فوقهم ، وأبطل كيدهم ، وأحبط أعمالهم، وأطبق عليهم العذاب من كل جانب ، ومن حيث لا يحسُّون بمجيئه ولا يترقعون، فإن الأخذ فجأة أملد تكاية؛ لما يصحبه من الرعب الشديد ، فاعتبروا ينا أهل مكة وأمثالكم ، وهذا كله تمثيل لصورة العذاب ومضمونه: إهلاكهم من الله تعالى: (**)

وخلاصة ذلك : أن الله أحبط أعمالهم ، وجعلها وبالا عليهم ، ونعمة منهم .

٢٧ - ثُمُّ يَوْمَ ٱلْقِيسَامَةِ يُعْوِيهِمْ وَيَلُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُتُتُمْ تُشَـَّقُونَ فِيهِمْ ...

كانت الآية السابقة ، تتحدث عمًّا أصاب المكِّبين للرسل في الدنيا من العذاب والهلاك ، ثم جاءت هذه الآية ؛ لتبين ما ينتظرهم في الآمرة .

ومعنى الآية :

إن الله سيقضع هؤلاء المشركين على رءوس الملائق ، مع الإذلال والإهانة ، ثم يسألهم سؤال توييع وتقريع : أين هؤلاء الشركاء الذين كنتم في الدنيا تضاصمون وتعادون من أجلهم الأنبهاء ١٢ هل حضروا ليشقعوا لكم ، كما كنتم تزعمون ١٢ ، وشبيه بهذه الآية قوله تعالى : وَيُوْم يُنَاوِيهِم فَقُولُ أَيْنَ شُركًاءِى ٱللَّهِنَ كُتُم يُزَعَمُونَ وَلَكُنَى اللَّهِنَ لَلْهُنَ كُمُ مُنَاوِعِهُم فَقُولُ أَيِّنَ شُركًاءِى ٱللَّهِنَ كُتُم يُزَعَمُونَ اللّهِنَ اللّهِنَا اللّهِنَ اللّهِنَ اللّهِنَا اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِنَا اللّهِنَا اللّهِنَا اللّهِنَا اللّهِنَا اللّهُ اللّهِنَا اللّهُ اللّهِنَا اللّهُ اللّهُ اللّهِنَا اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّ

وكلمة تُشَكِّقُونَ لِهِمْ من المشاقة ، وهي عبارة عن كون كل واحد من الغصمين ، في شق غير شقً مساحبه ، وقد كان الكافرون يقولون للمؤمنين : إنه لا بعث ولا حساب ، وإن صح ما تقولون من العذاب في الأخرة : فإن الأصنام ستشفع لنا ، فناداهم الله على سبيل التبكيت والاحتقار لشأنهم ، أين هؤلاء الشركاء الذين زعمتم : أن لهم اليوم شفاعة ؟!

والخلاصة : إنه لا شركاء ولا أماكن لهم .

قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعَلْمَ إِنَّ ٱلْحَزَّى ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَلْفِرِينَ .

أى: قال الذين أوترا العلم بدلائل التوحيد ، وهم الأنبياء والمؤمنون ، وكل من اهتدى إلى الحق فى الدنيا ، وأخلص نف تعالى العبادة والطاعة ، أو قال الدعاة واللهداة والعلماء : إن الخزى الكامل ، والذلُّ والخوان على هؤلاء الكافرين ، أصحاب القلوب المنكرة للحق ، والنفوس الجاحدة لليوم الآخر ، وما قيه من حساب وجزاء .

٣٨- أَلَّذِينَ تَتَوَفَّلُهُمُ ٱلْمَلَدِّيكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَٱلْقُواْ السَّلَمَ مَا كُنَّا تَعْمَلُ مِن سُوَّءَ بُكِنَّ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .

أي: الكافرين الذين تقبض ملائكة الموت أرواحهم ، وهم ظالموا أنفسهم ومعرضوها للعذاب المخلّد بكفرهم ، وأيُ ظلم للنفس أشدُّ من الكفر؟!

فَٱلْقُواْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوِّي.

أى: استسلموا وانقادوا حين عاينوا العذاب ، قائلين : ما كنا نشرك بربنًا ، وهم قد كذبوا على ربهم ، واعتصموا بالباطل برجاء النجاة ، والمراد بالسلم هنا : الاستسلام والاستكانة ، على خلاف عادتهم في الدنيا من العناد والمكابرة ، وقد حكى الله عنهم في آيات أخرى ما يشبه هذا القول ، ومن ذلك قوله تعالى: أُمُ ثُمُّ تُكُنُ فَتَشُهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُواْ وَاللّٰهِ رَبّنًا مَا كُنَّا مُشْرَكِينَ . (الأنعام: ٢٢) .

لِلِّنِّ إِنَّ ٱللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .

أى: بل كنتم تعملون أعظم السوء وأقبح الآثام، والله عليم بذلك، فلا فائدة لكم من الإنكار، والله مجازيكم بأنمالكم.

٩ ٧- فَأَدْخُلُواْ أَبُوابَ جَهَدْمُ خَلِدِينَ فِيهَا فَلَبِنْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ .

أى: فادخلوا أيها الكافرون من أبواب جهنم ، وطبقاتها المتعددة ، وذوقوا ألوانا من العذاب ، بما دنستم به أنفسكم من الإشراك .

فَلَيْسُ مَثْرَى ٱلْمُعَكِيرِينَ .

أي : فلبئس مقام المتعاظمين عن الإيمان بالله ؛ جهنم .

وأبواب جهنم قد تكرها القرآن في آية آخرى فقال: لَهَا سَبِعَةُ أَبُوبِ لَكُلُّ بَابِ مَنْهُمْ جُزَّهُ مُقْسُومٌ. (العجر: ٤٤). وتطلق الأبواب على: المنازل والدركات، والمعروف: أن الجنة درجات آخرها الفردوس الأعلى ، قالت أم حارثة يا رسول الله، حارثة ابنى في الجنة أم في النار ؟!، فقال: « اتق الله يا أم حارثة ، إنها جنان وليست جنة ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى منهاء (**). والمعروف: أن النار دركات، وفي هذا المعنى قال تعالى : إِنَّ الْمُنْكِقِينَ فِي النَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجَدُّ لَهُمْ لَمِيرًا . (النساء 120).

ويمكن أن يراد بقوله تعالى :

فَأَدُخُلُواْ أَلُواَبُ جَهُتُمْ . أى : من أبوابها المتعددة ، أو فادخلوا في طبقات جهنم ، التي خصصت كل طبقة ، منها لفتة من الظالمين تناسب عملهم ، وهو يناسب قول الحق سبحانه : لَهَا سَبُعَةُ أَلُواكٍ لِكُلِّ بَاكٍ سُهُمْ جُزْءٌ . مُقْسُرةً . (لمجر: £٤) .

وقد مرَّ هذا المعنى عند تفسير هذه الآية من سورة المجر.

﴿ وَقِيلَ لِلِنَدِينَ اَتَقَوْاْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبَّكُمُّ قَالُواْ خَيْراً لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُا لَاَحْضِرَةٍ خَيْرٌ فَلِنَعْمَ دَارُ ٱلْمُتَقِينَ ۞ جَنَّتُ عَدْنِ يَدْخُلُونَهَا جَرِي مِن تَعْتِهَا ٱلْأَنْهَا رُّلُكُمْ فِيهَا مَايِمَآ أَوْنَ كَنَالِكَ يَقْرِي اللَّهَ ٱلْمُنَّقِينَ ۞ اللَّذِينَ لَنَوْفَهُمُ الْمَلَتِبِكَةُ طَيِّدِينِ يَقُولُونَ سَلَدُّعَلَيْكُمُ ادْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُ مِّعَمَلُونَ ۞ ﴾

المفردات،

ط المعامى والكفر. على على المعامى والكفر.

تمهيده

يقارن القرآن بين عمل الكافرين والظالمين ، وجزائهم في جهنم ، وبين عمل المتقين وجزائهم في الجنة، من باب المقابلة بين الأضداد ، ويضدَّما تتميز الأشياء ، وقد سبق الحديث عن الظالمين ، ودخولهم أبواب جهنم ، ومنا في هذه الأيات حديث عن المتقين وجزائهم في الجنة .

التفسيره

٣٠- رَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱلْقُواْ مَا َذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسُنُواْ فِي هَذَاهِ ٱلنَّذِيَا حَسَنَةَ وَلَدَارَ ٱلاَّحِرَةِ خَيْرً وَقَعْمَ دَارُ ٱلْمُقَدِينَ .

قال الفسرون:

هذا كان أيام الموسم ، يأتى الرجل مكة فيسأل المشركين عن محمد وأمره : فيقولون: إنه ساحر وكاهن وكذاب ، فيأتى المؤمنين ويسألهم عن محمد وما أنزل عليه ، فيقولون خيرا ، والمعنى: أنزل خيرا (° .

أى: إن الله تعالى أنزل على نبيه وحيا، يتضمن الغير والهدى والإيمان.

لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَلْذِهِ ٱلدُّنِّيَا حَسَنَةً . أي : للمتقين مكافأة في الدنيا بزيادة الرزق والتوفيق .

وَلَقَالُ ٱلْآخِرُوَ خَيْرٌ . أي : وما ينالونه في الآخرة من جزاء كريم ، وجنات النعيم ، خير وأحسن مقيلا . وَلَغُمْ هَارُ ٱلْمُقْعِدُ . أي : ولنعم دار المثقين دار الآخرة ، حيث ينالون فيها كل تكريم وكل نعيم .

قال تعالى : وَقَالُواْ ٱلْحَمَّدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَكَنَا ٱلأَرْضَ لَتَبُوّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ قَيْعُمَ أَجُرُ ٱلصَّلِيقِينَ . (الذهر: ٧٤).

روى مسلم وأحمد: عن أنس رضى الله عنه: أن رسول الله على الله عن وجل لا يظلم المؤمن حسنة ، يثاب عليها الرزق فى الدنيا ، ويجزى بها فى الأخرة ، وأما الكافر فيعطى بحسناته فى الدنيا ، فإذا لقى الله عز وجل وحل يوم القيامة لم تكن له حسنة يعطى بها خيراً ١٠٠٠.

وقريب من هذه الآية قوله تعالى : مَن عَمِلَ صَالِحًا مِن ذَكَرٍ أَوْ أَفَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنَحْبِينَهُ حَيَاةً طَيَّبَةً وَلَنَحْزِيَقُهُمْ أَجَرَهُم بِأَحْسَن مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ . (النصل: ٩٧) .

٣١ - جُنَّسْتُ عَدْنِ يَدْحِلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَلُر لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلكَ يَجْزي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّمِنِ.

سَّلْتُ ، مبتدأ وخيره يُنْخِلُونَهَا ، أي: نعم دار المتقين ، جنات إقامة دائمة يدخلونها بفضل الله تعالى، ويقتسعونها بحسب أعمالهم .

قال الفخر الرازى : جَنْمْتُ يدل على: القصور والبساتين ، عَدُن يدل على: الدوام ، تُجْرِى مِن تُحْهِهَا آلاَّنْهَارُ يدل على: أنه حصل هناك أبنية يرتفعون عليها وتكون الأنهار جَارية من تحتهم .

لُهُمْ فِهِهَا مَا يُشَاءُونَ ، تدل على حصول كل الخيرات والسعادات ، وهو دليل على أن الإنسان لا يجد كل ما يريده في الدنيا. كُذَالكَ يَجْزى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ. أي : هكذا يكون جزاء التقوى . ا ه..

وفي معنى هذه الآية يقول الله سيحانه:

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّذِي وُجِدُ الْمُتَقُرِنَ لِهِمَا أَنْهَارُ مِّنَ مَاءٍ هَبِرِ عَاسِنَ وَانْهَارُ مِّن لَبَن لَمْ يَعَفَّر طَعْمُهُ وَالْهَارُ مِّن عَمْرٍ لَذَّةٍ لَلشَّارِيسَ وَالْهَارُ مِنْ عَسَل مُصَّفَّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الشَّمَرَاتِ وَمُغْيِرةً مِّن رَبِّهِمْ كَمَن هُو خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءَ حَمِيمًا لَقَطَّمُ أَمَامَاهُمْ . (مصدد : 10).

وقوله تعالى : وَفِيهَا مَا تَشْتَهِهِ ٱلْأَنْفُسُ وَلَلَذُ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَلْدُونَ . (الزحرف: ٧١) .

٣٧ - ٱللينَ تَتَوَفَّلُهُمُ ٱلْمَلَآئِكَةُ طَيِّينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .

أي: هم الذين تقيض الملائكة أرواحهم حال كونهم أبرارا ، قد تطهروا من دنس الشرك والمعاصى طيبة نفوسهم بلقاء الله .

يُقُولُونَ سَلَمَ مُنْكِحُمُ. أي : تسلم عليهم الملائكة وتبشرهم بالجنة ، قال ابن عباس : الملائكة يأتونهم بالسلام من قبل الله ، ويخبرونهم أنهم من أصحاب الهمين"،

قال الفخر الرازى:

وقوله : طُبِينَ ، كلمة مختصرة ، جامعة للمعانى الكثيرة : وذلك لأنه بدخل فيه إتيانهم بكل ما أمروا به ، ولجتنابهم عن كل ما نُهوا عنه ، ويدخل فيه كونهم موصوفين بالأخلاق الفاضلة، مبرئين عن الأخلاق المذمومة ٣٠٠ .

وقال مجاهد: الطيب من تزكو أقواله وأفعاله . 1 هـ .

وقال الراغب: الطيب من الناس من تعرّى من نجاسة الجهل والفسق وقبائح الفصال ، وتعلّى بالعلم والإيمان ومحاسن الأعمال . ا هــ

وقال الشوكاني:

ٱلَّذِينَ تَتَوَقَّلُهُمُ ٱلْمَلَلَثَكُةُ طَيِّينَ .

طاهرين من الشرك ، أو صالحين ، أو زاكية أفعالهم وأقوالهم ، أو طيبين الأنفس ثقة بما يلقونه من ثواب الله . يُقُولُونَ سَلَكُمْ عَلَيْكُمُ . أي: تسلم عليهم الملائكة ؛ تبشيرا لهم بالجنة ؛ لأن السلام أمان .

ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . أي : بسبب عملكم . ا هـ .

وفي الحديث الصحيح:

« لن يدخل آحدكم الجنة عملُه » ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟؛ قال : « ولا أنا: إلا أن يتغمدني الله برحمته ، فسددوا ، وقاربوا ، ولا يتمنين أحدكم الموت ؛ إما محسنا فلعله أن يزداد خيرا، وإما مسيئا فلعله أن يترب» ((رواء البخاري) .

وفى معنى هذه الآيات يقول الله تبارك وتعالى : إِنَّ ٱللَّهِنَ قَالُواْ رَبُنَا ٱللَّهُ ثُمِّ ٱسْتَقَدْمُواْ تَسَوَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمُلَسِّئِكُةُ ٱلاَّمُخَالُواْ وَلاَ تَعْرَدُواْ وَأَبْشِرُواْ بِالصِّلَةِ ٱلَّي كُتُمُ تُوعَدُونَ • نَعْنُ أُولِيَّاؤُكُمْ فِي ٱلنَّمِيَّةِ ٱلدُّنِيَّ وَفِي ٱلآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَكِمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْمُونَ • دُرُوْاً مَنْ هَفُودٍ رَّحِيمٍ . (فصلت: ٣٠-٣٧) .

* * *

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنَ تَأْنِيهُمُ ٱلْمَلَيْمِكُ أَوْ يَأْنِي أَمْرُ رَبِكُ كَذَلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَاظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَكِن كَانُواْ أَنْسُهُمْ يَظْلِمُونَ ۖ اللَّهِ فَأَصَابَهُمْ سَيِّنَاتُ مَاعَمِلُواْ وَمَاقَ بِهِم مَاكَانُواْ بِدِ مِنْ تَبْرَوْهُونَ ﴾

المضر داتء

يست على وق ، ينتظرون ، فإن نظر ، ينظر ، نظرا ، يعنى : أيصر ، ويعنى أيضًا : انتظر .

إلا أن تأتيهم اللائكة : تقيض أرواحهم .

أويساتس أمروهك ، هو القيامة ، أو العذاب المستأصل لهم .

هٔ اسابهم سیئات ما عملواه أی : جزاء سیئات ما عملوا .

وحساق يسهسم: أي: أحاط يهم ، وخص استعمالاً بإحاطة الشر.

تمهيده

تفيد الآيات : أن الكفار لا يزدجرون عن أبناطيلهم ، إلا إذا جاءتهم الىلائكة قابضة أرواحهم ، أو يأتيهم عذاب الاستئمسال ، فلا يبقى منهم أحدا ، ثم أتبع ذلك ببيان : سنة الله في هلاك الكافرين ، فقد كذبت أمم سابقة برُسلها ، وجحدت رسالات السماء ، كقوم نوح والذين من بعدهم ، فأملكهم الله بسبب ظلمهم وجحودهم، وما ظلمهم الله ولكنهم هم الذين ظلموا أنقسهم .

التفسيره

٣٣- هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيهُمُ الْمَلْكِكَةُ أَوْ يَأْتِي أَمْرُ رَبَّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمُ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِ. كَانَوْا أَفْسَهُمْ يَظْلُمُونَ .

تأتى هذه الآيات على سبيل التهديد والوعيد لكفار مكة ؛ فهم في عثرُهم وكفرهم وجحودهم رسالات السماء : في حالة من ينتقر أحد أمرين :

١ - حضور الملائكة لتقيض أرواحهم على الكفر.

٧- مجيء عذاب السماء ؛ ليستأصلهم ؛ كما فعل بقوم نوح وهود وصالح وغيرهم .

و محلاصة هذا: حدِّهم على الإيمان بالله ورسوك ، والرجوع إلى الحق ، قبل أن يأتيهم الموت ، أو قبل أن يأتيهم هذاب الاستقصال .

كَلَالِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ .

أي: مثل هذا التكذيب يا محمد ، كذبت أمم سابقة برسلها ، وتمادى المكذبون في شركهم حتى ذاقوا بأسنا وحل بهم عذابنا وذكالنا .

وَمَا ظَلْمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَلْكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ .

أي: لم يظلمهم الله حين أنزل بهم العناب: لأنه أعنر إليهم ، وأقام حججه عليهم ، بإرسال رسله وإنزال كتبه ، ولكن ظلموا أنفسهم بتكنيب الرسل وإحجامهم عن اتباع الحق .

٣٤- فَأَصَابَهُمْ سَيَّنَاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ .

أى : ظهذا أصابتهم عقوبة الله على ما فعلوا ، وأحاط بهم عذابه الأليم : جزاء ما كاذوا يسخرون من الرسل ، وبما أخبرهم به من حساب وثراب وعقاب في الآخرة . ﴿ وَقَالَ الَّذِيكَ اَشْرَكُوا لَوْشَاءَ اللَّهُ مَاعَبَدْنَامِن دُونِ فِي مِن شَيْءٍ غَّنُ وُلَآءَ ابَا أَوْنَا وَلَاحَرَّمْنَامِن دُونِهِ مِن شَيّْ حَكَدْلِكَ فَعَلَ الَّذِيكِ مِن شَلِهِ هُمَّ فَهَلْ عَلَى الرُّسُ إِلَّا الْبَلَغُ الْمُسِينُ ﴿ وَهِ وَلَقَدْ بَمَشْنَافِ كُلِّ أَمْتَةِ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّلغُوتُ فَهَنَّهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنَ حَقَّتَ عَلَيهِ الضَّلَالَةُ فَسِبُوا فِ الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِيدِ فَي إِن تَعْرِضَ عَلَى هُدَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُ حَيِّنَ نَصِيرِت ۞ ﴾

المطردات،

السط ساخسوت ، أى: الشيطان وكل ما عبد من دون الله مشقق من الطغيان ، وهو تجاوز الحدّ ، والطاغوت يقع على الواحد والجمع ، مثال وقوعه على الواحد قوله تعالى : يُويدُونَ أَنْ يَعَمَّاكُمُواْ إِلَّي الطُّنُهُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَنْ يَكُثُووْ أَهِ ، (النساء ٢٠) ، ومثال وقوعه على الجمع قوله تعالى : وَالَّذِينَ كَثُوواً أَوْلِهَ إِلَّهُمُ الطُّنُّهُوتُ يَعْرِجُونُهُم مَنْ الْثَوْرِ إِلَى الظُّمُّتِ . (ويترة : ٢٥٧)

خته أي : ثبتت ووجبت ، يقال : حق الأمر ، يحق بفتح الحاء وكسرها ؛ أي : ثبت ووجب .

تقسده

تستمر الآيات في كشف ألاعيب المشركين ، ومن ذلك : طعنهم في إرسال الرسل ، وقولهم : نحن مجبروون على أعمالنا ، فلو شاه الله لم نعيد الأصنام ، ولم نحرّم ما حرّمنا من الأطعمة ، وهي تَعلّة كاذبة يتمال على المحلوبون والكافرون ؛ لإلقاء التبعة على القدر ، فقد حلق الله الإنسان مزودًا بأسباب الههالية والفواية ، فمن المقار الهدى وسار في طريق الطاعة ؛ أمده الله بالمعونة والفلاح ، ومن المقار التكليب والفواية : صرف الله عنه المهدى وسار في طريق الطاعة ؛ أمده الله بالمعونة والفلاح ، ومن المقار التكليب والفواية : صرف الله عنه المهدى ومنهم من القولية ، ومنهم من المقار والبعد عن عبادة الملاغوت والأصنام والباطل ، فمن الناس من المقدى بهداية السماء ، ومنهم من المقار المسلالة فاستحق العذاب ، هكذا كان شأن الأمم السابقة مع رسلهم ، فلا تحزن يا محمد ، فليس عليك إلا المسلالة فاستحق العذاب ، هكذا كان شأن الأمم السابقة مع رسلهم ، فلا تحزن يا محمد ، فليس عليك إلا المبلغ ، قال تحالى ، فكا تحزن يا محمد ، فليس عليك إلا

التفسير

٣٥- وَقَالُ ٱللَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَنَاءَ ٱللَّهُ مَا غَيْدُنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نُحْنَ وَلاَ ءَابَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَفَائِلْكَ فَعَلَ ٱللَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلِ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلاّ ٱللِّنَاءُ ٱلْمُدِينُ .

أي: قال أهل الكفر والإشراك ، وهم كفار قريش: لو شاء الله ما عبدنا الأصنام نحن ولا آباؤنا ، ولا حرمنا من أنواع الحيوانات كالبحائر والسوائب وغيرها ، قالوا هذا على سبيل الاستهزاء ، لا على سبيل الاعتقاد، وغرضهم أن إشراكهم وتحريمهم لبعض الذبائح والأطعمة واقع بمشيئة الله ، فهو راض به ، وهو حق وصواب ، وقد تكرر هذا المعنى في القرآن الكريم ، حيث تعلل المشركين بالمشيئة الإلهية في أكثر من موقم.

قال تعالى في الآية ١٤٨ من سورة الأنعام:

صَيفُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لُوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُنَا وَلاَ ءَابَنَاؤُ نَا وَلاَ حَرَّمَنَا مِن شَيْءٍ كَلَاَلِكَ كَذَّبِ الَّذِينَ مِن قَلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأَسَنَا قُلْ هَلْ عَنذَكُم مَّن عِلْم قَصْرُ جُوهُ لَنَا إِن تَقْبُونَ إِلاَّ الظَّنُّ وَإِنْ أَنْهُم إِلاَّ تَخْرُصُونَ .

جاء في ظلال القرآن ٤ 1/١٦:

وهذه مقولة جديدة من مقولات المسركين ، في علة إشراكهم بالله ، فقد أحالوا إشراكهم وتحريمهم
لنبعض الذبائح والأطعمة ، على إرادة الله ومشيئته ، فلو شاء الله – في زعمهم – ألا يفعلوا شيئا من هذا
لمنعهم من فعله ، وهذا وهم وخطأ في فهم معنى المشيئة الإلهية ، فالله سبحانه لا يريد لعباده الشرك ، ولا
يرضى لهم أن يحرموا ما أحلّه لهم من الطيبات ، وإرادته هذه ظاهرة منصوص عليها في شرائعه ، على
السنة الرسل الذين كلفوا بالتبليغ ، ولهذا قال تعالى بعده : وُلَقَدْ يَعْشَا فِي كُلُّ أُمَّةٍ رُسُولاً أَنْ إَعْبُواً اللَّهُ وَأَجْشِواً
السُنة الرسل الذين كلفوا بالتبليغ ، ولهذا قال تعالى بعده : وُلِقَدْ يَعْشَا فِي كُلُّ أُمَّةٍ رُسُولاً أَنْ إَعْبُواً اللَّهُ وَأَجْشِواً
الطَّمُدُوتَ . فهذا أمره وهذه إرادته لعباده ، وقد شاءت إرادة الخالق الحكيم أن يخلق البشر باستعداد للهدى
والضلال ، وأن يدم لهم مشيئة الاختبار . ا هـ .

وقريب من هذه الآية ، ما ورد في الآيات ٢٨-٣٠ من سورة الأعراف ، من قوله تعالى :

وَإِذَا فَعَلُوا اَلْحِشَّةَ قَالُواْ وَجَلَنَا عَلَيْهَا ءَابَاعَنَا وَاللَّهُ أَمْرَنَا بِقِيا قُلْ إِنَّ اللَّهُ لَا يَأْشُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَّهُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِالْقِسْطُو وَالْبِيمُواْ وَجُوهَكُمْ عِندُ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِمِينَ لَهُ اللَّيْنَ كُمَا بَمَأْكُمْ تَعْدُونَ * فَرِيقًا هَمَنَىٰ وَقَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الصَّلَالَةُ إِنَّهُمُ أَتَّخُلُواْ الشَّيَاطِينَ أَوْلِيّامَ مِنْ وُونَ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنْهُمْ شَعِّمُونَ . وهذه الشبهة تكررت على ألسنة الكافرين السابقين ؛ تبرئة لساحتهم ، وتنصلا من التبعة .

كَلَائِكَ فَعَلَ ٱللَّذِينَ مِن قَبْلَهِمْ .

أى: مثل هذا التكذيب والاستهزاء ، فعل من قبلهم من المجرمين ، واحتجرا مثل احتجاجهم الباطل ، وتناسوا كسبهم لكفرهم ومعاصيهم ، وأن كل ذلك كان بمحض اختيارهم ، بعد أن أنذرتهم رسلهم عذاب النار وغضب الجبار .

فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلاَّ ٱلْكَلْعُ ٱلْمُعِينُ .

أى: ليس على الرسل إلا تبليغ رسالات السماء بالحجة البينة ، والأدلة الواضحة ، وليس من شأنهم هداية الناس ، فهذه أمور تتعلق بمثينة الله تعالى .

قال تعالى: إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أُحْبَبْتَ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ. (القمس: ٥٦).

وقسارى ذلك: إن الثواب والعقاب لا بد فيهما من أمرين: تعلق مشيئة الله تعالى بوقوع أحدهما ، وتوجيه همة العبد إلى تحصيل أسبابه ، وصرف اختياره إلى الدأب على إيجاده ، وإلا كان كل من الثواب والعقاب اضطراريا لا اختياريا ، والرسل ليس من شأنهم إلا تبليغ الأوامر والنواهى ، أما العمل بها إلجاء وقسرا فليس من وظيفتهم ، لا في كثير ولا قليل . ٣٥٠.

٣٧- وَلَقَدْ يَحْنَا فِي كُلِّ أَمَّةٍ رَسُولاً أَنِ آعَيْدُواْ آللَّهُ وَآجَتَيُواْ آلطَّنْهُوتَ فَمِنْهُم مَنْ هَدَى آللَّهُ وَمِنْهُم مَن حَقَّتُ عَلَيْهِ آلطَّنْلَةُ ...

إن من سنته تعالى: إرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، وتأهيد رسله بالمعجزات ، وقد استمر إرسال الرسل لمرسل المرسل المرسل المرسل المرسل المرسل المرسل المرسل المرسل من مكايد الشهاطين ، لجميع الأمم السابقة : إرشادا للبشرية وتعليماً لها ، وتنهيها للعقول ، وتحديدًا للناس مَلَى اللهِ صُجَةً بَعَد ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللهُ عَرِيدًا حَكِيمًا . (النساء ١٩٤).

وقال عن شأنه : وَإِنْ مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَّ فِيهَا نَفْعِرٌ . (قامل: ٢٤) .

ومعنى الآية :

أرسلنا الرسل إلى جميع الفلق ، ويعثنا في كل أمة سبقت قبلكم ، رسلا كما بعثنا فيكم رسولا ، فقال الرسول لقومه : اعبدوا الله وحده لا شريك له ، واحذروا أن يفويكم الشيطان ويصدكم عن سبيل الله فتضلوا. فَمِنْهُم مِّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مِّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلصَّلَالَةُ .

أي: إن البشر كانوا بإزاء الرسل صنفان :

صنف : مداه الله إلى الإيمان ، فآمن بالرسل ويالله وباليوم الآخر : فقاز وأقلع ، واستحق النجاة والرضوان في الدنيا والآخرة .

وصنف: كذُّت بالرسل، واستكبر عن قبول الحق، واتَّبِم الضلال؛ فاستحق غضب الله وعقابه،

قال الفخر الرازي :

أي: التفتوا حولكم أيها المشركين ، أو سيروا في جنوب الجزيرة وشمائها ، وشرقها وغربها : لتشاهدوا ما أساب المكذبين ، من الدمار والهلاك ، كديار عاد وثمود ومن سار سيرتهم ممن حقت عليهم الضلالة ، ولنظروا إلى آثار سفطنا عليهم ؛ لملكم تمتبرون بما حلًّ بهم .

٣٧- إِن تَحْرِصُ عَلَىٰ هُدَاهُمْ قَإِنَّ آللَّهُ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَالَهُم مِّن تُنْصِرِينَ.

تأتى هذه الآية : تسلية للرسول ﷺ ، وتحديدا لرسالته بالتبليغ ، وفهها تهدقة لضاطره ، وتطهيئا لنفسالله ، وتطهيئا للنفسه ، وقد كان حريصا على هداية قومه ، راغبا في إيمانهم ، بيد أنهم أثروا الضلالة ، وكان الرسول ﷺ بمثابة من يشغل ضوءا لهداية قومه ، فيتتابع الفراش في إلقاء نفسه في هذه النار ؛ ليشتعل ويهلك ، كما ورد في الحديث الصحيح :

وإنما مثلى ومثل قومى كمثل رجل أشعل نارا فجعل الفراش يقهافت على الوقوع فيهما ، وإنى ممسك بحجز قريش أن تقع في النان» ^^.

ومعنى الآية :

إن تحرص – أيها الرسول الكريم – على هداية هؤلاه المصرين على كغرهم؛ لن ينفعك حرصك؛ لأن الله تعالى لا يخلق الهداية جبرًا وقسرًا ، فيمن استحق الضلالة ، بسوء اختياره ، وتوجيه عزائمه إلى عمل المحاصى ، والإشراك بريه .

وَمَالَهُم مِّن تُنْصِرِينَ . تذبيل مؤكَّد لما قبله .

أي : وليس لهؤلاء الضالين من ناصر يدفع عنهم عذاب الله تعالى ، إن نزل بهم .

ونحو الآية قوله تعالى: إِنَّكَ لا تَهْدى مَنْ أَحْبَتَ وَلَكُنَّ ٱللَّهَ يَهْدى مَن يَشَاءُ . (القصص ٥٦).

وقوله سبحانه : مَن يَضْلل ٱللَّهُ فَلاَ هَادي لَهُ وَيَلُرُهُمْ فِي طُغَيْلِنِهِمْ يَعْمَهُونَ . (الأعراف: ١٨٦).

ومجمل القول: إن من اختار الضلالة ، ووجه همته إلى تحصيل أسبابها ؛ فالله سبحانه وتعالى لا يخلق قبه الهداية قسرًا والجاء ؛ لأن مدار الإيمان والكفر الاختيار ، لا الإلجاء والاضطرار .

* * *

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهَدَ أَيْمَنِيهِ مِّ لَا يَبْعَثُ اللّهُ مَن يَمُوثُ بَنَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًا وَلَكِنَ أَكُثُرُ النّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ اللّذِي يَغْتِلْفُونَ فِيهِ وَلِيعْلَمُ الّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَنْدِبِينَ ۞ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىءٍ إِذَا أَدْذِنْهُ أَنْ نَقُولَ الدُّدُّنَ فَيَكُونُ۞

اللقردات :

جمهد أيمالهم، الجود ، بفتح الجيم : المشقة ، ويضمها : الطاقة ، وجهد أيمانهم ، أي : غاية اجتهادهم فهها ، وجهد مفعول مطلق لفعل مقدر تقديره: أقسموا بالله يجهدون جهدًا .

لا يبعث الله من يموت؛ أي: لا يحييه بعد الموت.

وصفا عليه حقاء أي: وعد ذلك وعدًا عليه حقًّا ، أي: ثابتًا لا مثك فيه.

تههيد :

تأتى هذه الآيات لتقديم شبهة جديدة للمشركين ، وللرد عليهم ، فهم ينكرون البعث بعد الموت ، ويقسمون على ذلك ، والله تعالى يوضع لهم: أن البعث حق لازم: ليثاب الطائع ويعاقب العاصى ، وكانت هجة المشركين أن الموت يُفتّت الأجسام ويبعثرها ، فكيف تجمع كما كانت ؟

فبينت الآية الأخيرة : أن هذا أمر هين في يد القدرة الإلهية ، التى تقول للشيء : كن : فيكون ، وفي الآيات ٧٨-٨٣ من سورة يس ، وهي الآيات الأخيرة في السورة ، تأكيد هذا المعني .

٣٨ - وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ .

سبب التزول،

أخرج ابن جرير، وابن المنفر، وابن أبى حاتم: عن أبى العالية قال: كان لرجل من المسلمين، على رجل من المسلمين، على رجل من المشركين دين، فأتاه يتقاضاه، فكان فيما تكلم به: والذي أرجوه بعد الموت، إنه لكنا وكذا: فقال له المشرك: إنك لتزعم أنك تبعث بعد الموت، وأقسم جهد يمينه لا يبعث الله من يموت، فأنزل الله: وأأضّمُوا باللّه عَلَيْهِ أَيْمَدُهِمْ اللّهَ عَلَيْهِمْ اللّهِ ... الأَيْهَ.

وروى البخارى: عن أبى هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « قال الله تعالى : كُذِبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمنى ولم يكن له ذلك ، فأمًا تكنيبه إيائ ، فقوله : لن يعيدنى كما بدأنى ، وأمًا شتمه إياى فقوله: اتخذ الله ولدا ، وأنا الأحد الصدد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كغوا أحد "٣٠.

ومعنى الآية : وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَا بِهِمْ لاَ يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ...

أنهم أقسموا بالله ، واجتهدوا في الطلف وأغلظوا في الأيمان : أنه لا يقع بعث بعد الموت ، وهذا استبعاد منهم لمصوله ، من جرًاء أن الميت يغني ويُعدم ، والبعث إعادة له بعد ما رمٌ ويلى وهمار ترابا .

قال القرطى : وهذا تعجيب من صنعهم ، إذ أقسموا بالله ، ويالغوا في تخليظ اليمين : بأن الله لا يبعث من يموت .

بَلَيْ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ .

أى: بلى سيبعث الله الأموات بعد مماتهم ، وقد وعد ذلك وعدًا حقا ، لابد منه ، ولا خلف فيه .

وَلَسْكِنَّ أَكْثَرَ آثَاسِ لاَ يَعْلَمُونَ هذه الحقيقة ؛ لجهلهم يكمال قدرة الله تعالى ، وعموم علمه ، ونفاذ إرادته وسموً حكمته ، والمراد بأكثر الناس : المشركون ، ومن كان على شاكلتهم ، في إنكار البعث والحساب، والثواب والعقاب يوم القهامة.

وفي التنصيص على أكثر الناس؛ مدح للأقلية منهم ، الذين آمنوا بالبعث وبالأخرة ، وما فيها من حساب وجزاء ، وهم المؤمنون المسادقون . ٣٩- لَيْسِن لَهُمُ ٱللَّذِي يَخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِتَعْلَمَ ٱللَّذِينَ كَفَرُواۤ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَلْدِينَ.

أي : بل يبعث الله تعالى يوم القيامة .

لِّسِّنَّ لَهُمُّ اللَّذِي يُعْتَلِفُونَ فِيهِ من أمور البعث ، وليظهر لهم وجه الحق فيما جاء به الرسل ، وخالفتهم فيه أممهم ، فيمتاز الخبيث من الطيب ، والمطيع من العاصى ، والظالم من المظلوم ، وليجزى الذين أساموا بما عملوا ، ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى .

وَلِيَّمْلَمُ الَّذِينَ كَفُرُواْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَالْمِينَ . أى : وليعلم الذين جحدوا وقوع البعث والجزاء ، أنهم كانوا كاذبين ضي قولهم : لاَ يَتَحَنُّ ٱللَّهُ مَن يُمُوتُ . (النحل: ٣٨) .

وكانوا كانبين في سخريتهم من المؤمنين ، وفي هذا اليوم يلقى الكفّار جزاءهم في جهنم ، وينظر اليهم المؤمنون ، وهم معذبون جزاء جحودهم للبعث ، وتكذيب الرسل ، والسخرية بالمؤمنين ، قال تمالى: يُوّ هُدُمُونً إِلَيْ لَارِ جَهُنَمٌ ذَمًّا ه مُلْلِهِ آلْارُ آلِي كُتُم بِهَا تَكُذُّبُونَ . (الطور: ١٤، ١٤).

فالآية الكريمة قد بينت حكمتين لبعث الناس للحساب يوم القيامة :

١- إظهار ما اختلفوا فيه في شأن البعث وغيره.

٢- إظهار كذب الكافرين ، الذين أنكروا البعث ، واستهزءوا بمن دعاهم إلى الإيمان به .

• ٤ - إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَلهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ.

أى: إذا أردنا أن نبعث من يموت ، فلا تعب علينا ولا نصب في إحياته ؛ لأنا إذا أردنا أمرًا وقع وحدث: فقدرتنا لا يتماصى عليها شيء ، ولا يحول دون نقائها حائل .

قال ابن كثير:

أخير سبحانه عن قدرته على ما يشاء ، وإنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، وإنما أمره إذا أواد شيئا أن يقول له: كُن فَيَكُونُ . والمراد من ذلك : إذا أواد كونه ؛ فإنما يأمر به مرة واحدة فيكون كما يشاء (۱۰)

قال تعالى : وَمَآ أَمْرُنآ إِلاَّ وَاحِلَةٌ كَلَمْحِ بِٱلْيَصُو ... (القدر: ٥٠) .

وقال سبحانه: مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْتُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسِ وَاحِلَةٍ ... (لقمان: ٢٨).

و ذلاحظ أن هذه الآيات قد حكت إنكار الكفار للبعث ، ثم ردت عليهم بالحجة والبرهان ، وفي هذا المحتف المرادة والبرهان ، وفي هذا المحتادة وتعالى في أكبر سورة يس :

وَ صَرَبَ لَنَا مَقَلاً وَلَمِي خَلَقَهُ قَالَ مَن يُعْمِ الْمِيطَاءِ وَهِي رَحِمَ * قُلُ يُعْمِيهَا الَّذِي َ أَنشَاهَا أَوَلَ مَوْ وَهُوَ بِكُلُّ خَلَقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّحِرِ الْأَحْصَرِ لَارًا فَإِذَا أَنْمُ مِنْهُ مُولُولُونَ * أَوَلِسَ الَّذِي جَلَقِ الشَّمَاوَاتِ الْأَرْضِ بِقَسْدِ عَلَى أَن يَعْفَقُ مِلْقُهُم بَلَى وَهُوْ الْخَلَقُ الْعَلِيمُ * إِنْمَا أَمْرُهُ إِنَّا أَرَادَ هَبَّنَا أَن يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * فَسَبْحَنْنَ اللَّذِي بِينِهِ مَلْكُونُ كُن كُن فَيْحُولَ أَن وَلِينَ ١٨٩-٨٢).

* * *

﴿ وَالَّذِينَ هَاحَكُرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِمَا ظُلُمُواْ لَنَبُوِّ فَنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ ٱكَبَّرُلُو كَانُواْ يَعْلَمُونَ ۞ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞﴾

المفردات،

للبوئلهم هي المثياحسلة ، أي : لتنزلنهم في الدنيا بلدة حسنة ، مي : المدينة ، يقال : بوأه الدار، يبوئه فيها أنزله بها .

تمهيد،

تعرّض المسلمون في مكة لألوان متعددة من العذاب والوعيد ، فهاجروا إلى الحبشة مرتين ، وهاجروا إلى المدينة ، في تضحية بالوطن والأهل والمال ؛ فنزلت هذه الآية ترضح منزلتهم وجزاءهم.

التفسيره

٤١ - وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلِمُواْ لَنَوْلَتُهُمْ فِي ٱلدُّنيَّا حَسَنَةً وَلاَجُرُ ٱلآخِرَةِ أَكْبَرُ لُو كَالُواْ يَعْلَمُونَ.

أى: والذين فارقوا قومهم وأوطانهم ودورهم، وذهبوا إلى بلاد أخرى: احتسابا لأجر الله وطلبا لمرضاته، من بعد ما نالهم الأذى والظلم من الكفار! هؤلاء سنكافئهم فى الدنيا بالمنزلة العسنة، حيث أسكنهم الله المدينة، ونصرهم على العباد، وفتح لهم البلاد، وصاروا أمراء حكاما، وكان كل منهم للمتقين إماما.

وَلاَّجْرُ ٱلآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ.

أى: إن ثواب الدار الأخرة في الجنة ، أكبر من نعيم الدنيا ، لو كان المهاجرون يعلمون ذلك : لازداد يقينهم ، وقرى عزمهم ، وفي هذا تحريض لمن بقي بمكة من المهاجرين : حتى يهاجروا . وقيل : الضمير يعود على مشركي مكة ، أي : لو كانوا يطمون ثواب الله للمهاجرين : لكفوا عن إيذائهم وظلمهم ، ولأمنوا بالله ررسوله .

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب النبي ﷺ، وهم: صهيب، ويلال ، وعمار، وحباب، وعابس، وجبير، موالي لقريش، فجعلوا يعتبونهم: ليردّوهم عن الإسلام، أمّا صهيب فقال لهم: أنا رجل كبير، إن كنت لكم لم أنفعكم، وإن كنت عليكم لم أضركم، فافقدى منهم نفسه بماله، وتركوه يهاجر، فلما رآه أبو بكر قال: ربح البيع يا صمهيب ""، وأما سائرهم فقد قالوا بعض ما أراد أهل مكة من كلمة الكفر، والرجوع عن الإسلام، فتركوا عذابهم، ثم هاجروا فنزلت هذه الآية"".

وعن عمر : أنه كان إذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال : خذ بارك الله لك فيه ، هذا ما وعدك الله في الدنيا ، وما ذخر لك في الآخرة أكبر⁰⁰⁰ .

٢ ٤- ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبُّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ .

أى: هؤلاء هم الذين صبروا على أذى المشركين ، وهاجروا ؛ فرارا بدينهم ، صابرين على مفارقة الأهل والأوطان ، وهم يتركلون على الله ، ويعتمدون عليه ، بعد الأخذ فى الأسباب ، وهذه الآية بمثابة الوضام على جبين هؤلاء المهاجرين .

قال الفخر الرازى :

والهنى: أنهم صبروا على المذاب ، وعلى مفارقة الوطن ، الذى هو حرم الله ، وعلى المجاهدة وبذل الأموال والأنفس في سبيل الله ، ويالجملة فقد ذكر فيه الممبر والتوكل ، أما الصبر فللسعى في قهر النفس، وأما التوكل فللانقطاع بالكلية عن الخاق ، والتوجه بالكلية إلى الحق ، فالأول : هو مبدأ السلوك إلى الله تمالى ، والثاني: آخر هذا الطريق ونهايته والله أعلم (⁽⁽⁾⁾). ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبِكَ إِلَا رِجَا لَا تُوجِى إِلَيْمِ مُّنْسَمُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُشَمُّ لاَ تَعَامُونَ

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَلْمُ مُ اللّهِ عَلَى اللّهِ اللّهِ مَنْسَمُوا أَهْلَ الذِّكْرِ النَّهُمُ وَلَعَلَهُمْ الْعَمْمُ وَلَعَلَهُمْ الْعَبْمُ اللّهُ مِنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَنْ اللّهُ مِنْ مَنْسَفُونَ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَا مِنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ اللّهُ مُنْ الللّهُ مُنْ الللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّ

المقردات؛

هاسالواهل الذكر، من أصلم من أهل التوراة والإنجيل ، وفي المصحف المفسُّر: فاسألوا العلماء والعارفين بالتواريخ .

بالبيشات والزير ، البيئة: هى المعجزة الدالة على صدق الرسول ، والزُّار: ولحدما: زيور ، وهى كتب الشرائع والتكاليف ، التي يبلغها الرسل إلى العباد .

السدكسر: القرآن.

مكروا السيشات؛ ظلموا المؤمنين ، وراموا أن يفتترهم عن دينهم .

يسخسف، يجعل عاليها سافلها.

هـــي تـــقـــنيــهـــم، أى : منظبين في أسفارهم ، وتصرفهم في البلاد ليلاً أو نهازًا ، كما قال تعالى: لاَ يُعُرِّنُكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبُلَادِ ، (ل عمران: ١٩٦) .

بمعسجسزيسن، أي: بفائتين الله تعالى بالهرب والفرار.

عسلسي تسخيرف، أي: على خوف ووجل من العذاب.

عدن السيحين، أول النهار.

والشمسائيل؛ آخر النهار.

السيبجيسود؛ الانقياد والخضوع.

والمسيد وق عنقادون صاغرون ، واحدهم: داخر ، وهو الذي يفعل ما تأمره به شاء أو أبى .

يخافون ريهم، أي: يخافون عقايه .

مسن فسوقسهم، أي: بالقهر والغلبة ، كما قال : وَإِنَّا قُوْقَهُمْ قَلْهِرُونَ . (الأعراف: ١٢٧).

تهيد:

تناقش الآيات شبهة أخرى من شبه المشركين ، حيث قالوا : لن أن الله أرسل رسولا : لبعثه ملكا ، لا رجلا من سائر الناس ؛
رجلا من سائر الناس ، فبين القرآن : أن سنة الله في إرسال الرسل ، أن يكونوا رجالا من سائر الناس ؛
لتتحقق القدوة والأسوة ، وأهل التوراة والإنجيل يعرفون ذلك ، ثم هددهم القرآن بالوان العذاب ، ومنها :
خسف الأرض كما فعل بقارون ، أو يأتيهم بغتة فجأة ، أو يأخذهم وهم يتقلبون في أسفارهم ومعايشهم،
أو يأخذهم طائفة بعد أهرى ، ثم عقب ذلك بلفت أنظارهم ، إلى كمال قدرته ، ويديع خلقه ، وأن هذا الكون
بجميع ما فيه ، خاضع لقدرة الله ، يسبع بحمد الله ، ويسير وفق مشيئته وأمره سبسانه وتعالى .

التفسيره

٣ £ – وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَلْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِيّ إِلَيْهِمْ فَلسَّلُواْ أَهْلَ ٱلذَّكْرِ إِن تُنعُمْ لاَ تَعْلَمُونَ .

كان أهل مكة ينكرون رسالة محمد ﷺ، ويقولون : الله أعظم من أن يكون يشرًا ، فهلاً بعث الله إلينا ملكًا ، فأجابهم الحق سيحانه بهذه الآية .

والمعنى: لقد أرسلنا الرسل من البشر ، مثل: إبرهيم ، ونوح ، وموسى ، وعيسى: لأن الحكمة تقتضى أن يكون الرسول من جنس المرسل إليهم ، ولو فرضنا أن الله اختار ملكا للرسالة ، لجعله في صورة بشر: حتى يطيق الناس التفاهم والتخاطب معه ، ثم ترجه الخطاب إلى أهل مكة قتال الله لهم:

فَسْشَلُواْ أَهْلَ ٱلذُّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ .

أى : اسألوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى : فهم أهل التوراة والإنجيل ، وقيل : أهل الذكر ، هم: أمل العلم بأخبار الأمم السابقة . إِنَّ كُتُمُّمُ لاَ تَطَلَّمُونَ أَن الرسل بشر ، يخبرونكم بأن أنبياءهم بشر ، كموسى ، وعيسى ، وأن الرسل بشر كلهم .

وقد تكرر هذا المعنى في القرآن الكريم.

قال تعالى : وَقَالُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ . (الأنعام : ٨) .

وقدالوا : أَتْقُومِنُ لِيَشَرَيْنِ مِقْلِفًا . (المؤمنون : ٤٧) .

وقالوا: مَا هَلْمَا إِلاَّ بَشَرٌ مَثْلَكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرُبُونَ و وَلِينَ أَطَعْتُم بَشَرًا مَثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَّا لَحَسْسُوونَ . (الدلمنون: ۳۲، ۳۲) .

أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَّا أَنْ أَوْحَيَّنَا إِلَىٰ رَجِل مِّنَّهُمْ . (يونس:٢) .

لُوْلاَ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ لَهَكُونَ مَعَهُ تَلِيرًا . (الفرقان:٧) .

٤ ٤ - بِٱلْبَيْتَلَثِ وَٱلزُّبُرِ وَأَلزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذَّكْرَ لِبُيِّينَ لِلنَّاسِ مَا نُزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكُّرُونَ .

أي: أرسلنا الرسل رجالا من البشر ، وقد أرسلناهم بالبيئات والزير ، أي : بالمعجزات والكتب التي تممل الشرائع والعبادات والمعاملات .

وَٱلْأَوُّرُ: جمع زبور بمعنى : مزبور أي : مكتوب ، يقال: زبرت الكتاب : من باب نصر وضرب ، أي : كتبته كتابة عليمة .

قال الفخر الرازى:

بِّ الْبَيِّتُ ثِوَ الْزُبِّرِ. لفظة جامعة لكل ما تتكامل به الرسالة : لأن مدار أمرها على المعجزات ، الدالة على صدق من يدُعى الرسالة وهي البينات ، وعلى التكاليف التي يبلغها الرسول من الله تعالى إلى العباد وهي الزبر . ا هـ .

وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ آلذُّكُو لِغُبِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَغَكَّرُونَ .

أي: أنزلنا القرآن الكريم عليك يا محمد ، وهو ذكر وشرف وبيان لك ولقومك ، وقد اشتمل القرآن الكريم على الأمور الكلية ، فهر أصل الشريعة وكلى أمورها ، وفيه إجمال لأمّهات الفضائل ، وأصول التشريع، والنبى ﷺ: شارح للقرآن ومبين له ، ومغصل لمجمله ، وموضع لمبهمه ، قال ﷺ: « ألا وإنى أوثيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ...ه (^^).

جاء في تفسير ابن عطية ما يأتي:

وقوله: لِنُّبِيَّنَ يحتمل أن يريد: لتبين بسردك نص القرآن ما نزل ، ويحتمل أن يريد: لتبين بتفسيرك المجمل ، ويشرحك ما أشكل مما نزل ، فيدخل في هذا ما تبينه السنّة من أمر الشريعة ، وهذا قول مجاهد ٢٠٠١

وَلَعَلَهُمْ يَشَكُّرُونَ . أَى: ثَنِلَ الله القرآن الكريم ، والذكر الحكيم ، على النبى الأمين : ليشرح للعباد أمور

دينهم ، ويبين لهم ما في كتاب الله تعالى ، ريوضح لهم أهدافه ومراميه : حتى يثير في الناس أسباب

التأمل ، والتفكر في آبات القرآن الكريم والاتعاظ بها والعمل بمقتضاها ، قال تعالى : كِنْبُ أَنْ لُنُكُمْ إِلَيْكُ

مُبْرُفُ لِنَدَّيُوا ءَائِنه وَلِيَعْدُ وَأَوْا الْأَلْبُ . (من ٢٠) .

وفى كتب علوم الحديث ، نجد بيانا مستفيضا لمنزلة الحديث الشريف ؛ فهر الأصل الثانى من أمسول التشريع ، والرسول ﷺ التشريع ، والرسول ﷺ والرسول ﷺ وشرحه ، فقد كان عليه الصلاة والسلام قرآنا متحركا ، يجسد الوحى ، ويشرحه بالقول والعمل والإقرار.

سئلت السيدة عائشة عن خلق الرسول ﷺ ، فقالت : « كان خلقه القرآن » 🎮 .

وهذه الآية توضح منزلة السنة ، فهي ضرورية لشرح القرآن ،وتفصيل أحكامه ، قال تعالى : وَأَنزَلُنَا إِنَّكَ ٱللَّكُرُ لِنُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزُلُ إِلْهُهِ وَلَعَلَّهُمْ يَفَكُرُونَ .

ه ٤ - أَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ مَكُرُواْ ٱلسَّيَّعَاتِ أَنْ يَحْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ .

هذه الآية تهديد لأهل مكة ، بأن تصبيهم ألوان العذاب ، التى أصابت السابقين ومنها: الخسف ، ونقص الأموال والأولاد ،والأخذ فجأة ، والقاء الرعب والشوف ، ثم الهلاك والدمار ، والاستفهام في الآية الكريمة للتعجب والتوبيخ ، والفاء للعطف على مقدر دل عليه المقام ، والتقدير : أجهل الذين مكروا السيئات، وعيد الله لهم بالعقاب ، فأمنوا مكره ..؟!

والمراد يمكر السيئات: سعيهم بالإفساد بين المؤمنين ، على سبيل الإخفاء والخداع ، ورغبتهم فى صدّ المؤمنين عن الإيمان يالله ورسوله .

أَنْ يَنْعُسفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلأَرْضَ .

يمعنى: أن تنشق الأرض فتبتلع المفسوف به ؛ كما حدث لقارون ، قال تعالى : فَعَسَفُنَا بِهِ وَبِعَارِهِ الأَرْضُ . (القمس: ٨١) .

أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَلَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ .

أي: ينزل بهم العذاب فجأة من حيث لا يتوقعون ، كما صنع بقوم لوط.

وقريب من ذلك قوله تعالى : فَأَتَنهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ... (المشر. ٢) .

٣٤ - أَوْ يَأْخُلُهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ .

أي: يأخذهم بالعذاب حال كرنهم في عز ونعيم ، يتحركون بالسفر والتجارة ، ومحاولتهم المعايش بالحركة والرعاية ، والممل والأمل في السفر والحضر.

فَهَا هُم بِمُعْجِزِينَ . لا يعجزون الله فيما أراده يهم من العناب ، والمعجز: المقلت هريًا كأنَّه عجز طالبه. وفي معنى الآية قوله تعالى:

لاَ يَفُونَنْكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْمِلْنِدِ * مَعَنْعُ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِنْسَ ٱلْمِهَاهُ . (ال عدران: ١٩٧٠١٩٦).

فغى قدرة الله أن ينتقم من الظالم ، على أي حال ! سواء أكان نائما هادنًا ، أو متحركا مسافرًا متقلها، وسواء أكان خاتفا من العذاب مترقبا له ، أو آمنا وادعًا لا يتوقع العذاب ولا ينتظره .

شال تعالى: أَفَامِنَ أَهُلُ ٱلْقُرَى أَنْ يَأْتِهُم بَأَسُنَا بَيْتُكَ وَهُمْ فَاتِمُونَ ۚ أَوْ أَمِنَ أَهُلُ ٱلْقُرَى أَنْ يَأْتِهُم بَأَسُنَا ضُعى وَهُمْ يَلْتُهُونَ ﴾ أَفَامِنُوا مَكُوْ ٱللَّهِ فَلاَ يَأْتُنُ مَكُوْ اللَّهِ إِلاَّ ٱلْقَوْمُ ٱلْخَاسِونَ . (الأعراف: ٧٧–٩٠) .

٧٤ - أَوْ يَأْخُلُهُمْ عَلَىٰ تَنْقُولُ إِفَانٌ رَابُّكُمْ لَرَءُوكَ رَّحِيمٌ .

التخوّف فى اللغة: يأتى مصدر تخوّف القاصر ، بمعنى: خاف ، ويأتى مصدر تخوف المتعدى بمعنى: تنقص ، وهذا الثانى لفة هذيل .

والمعنى على الأول :

أو يأخذهم وهم في حالة خوف ، وتوقع نزول العذاب بهم ، كما نزل بالذين من قبلهم.

2772

قال ابن كثير: فإنه يكون أبلغ وأشد؛ فإن حصول ما يتوقع مع الخوف شديد.

والمعنى على الثاني:

أو يأخذهم وهم في حالة تنقص في أنفسهم ، وأموالهم ، وأولادهم حتى يهلكوا ؛ فيكون هلاكهم قد سبقة للفقر والقحط والمرض .

جاء في تيسير التفسير:

أو التخوف: التنقص ، بمعنى : إهالاكهم كلهم ، لكن قوما بعد قوم ، ومالاً بعد مال ، حتى يأتى على الكلِّ.

قال عمر رضي الله عنه على المنبر : ما المراد بالتخوف ؟ ، فقال شيخ من هذيل : التخوف: التنقص في لفتنا ، فقال : هل تعرفه الشعراء ؟ قال نحم : قال شاعرنا أبو كبير الهذار, يصف ناقته :

تَحْوف الرجل منها تامكا قردًا كما تَحْوف عود النبعة السُّفَن

فقال عمر : عليكم بديوانكم ، لا تضلُّوا ، أي : في تفسير القرآن : قالوا وما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهلية : فإن فيه تفسير كتابكم ، ومعاني كلامكم^(١٨) .

فَإِنَّ رَآكُمْ لَوَءُوفَ رَّحِيمٌ .

إذ أمهلهم فيزداد عذرهم قطعا ، وقد يؤمن بعضهم ، والآيات في جملتها تهديد للكافرين ، من التمادى في كفرهم ؛ حتى الشعف ، وعذاب الله تعالى ، وذكرت ألوانا من العذاب ، منها : الغسف ، وعذاب الله بعادات : كالزلازل والمعواعق ، أو القحط والأمراض ، فتنقص ثرواتهم وأمرالهم وأولادهم ، ثم يصبيهم الهلاك وهم في نقص وضعف ، وتخوف من الهلاك .

٤٨ - أَوْلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَغَبُّواْ طِلْنَلْهُ عَنِ ٱلْيَعِينِ وَٱلشَّمَا وَلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاجِرُونَ .

والمحنى: أعمى هؤلاء المشركون ، الذين مكروا السيئات ، ولم ينظروا إلى ما خلق الله تعالى من الأجسام القائمة كالأشجار والجبال ، التي تتفيق ظلالها ، وترجع من موضع إلى موضع ، عن اليمين والشمائل ، فهي في أول النهار على حال ، ثم تتقلص ، ثم تعود إلى حال أخرى في آخر النهار ، مائلة من جانب إلى جانب ، ومن ناحية إلى أخرى ، صاغرة منقادة لربها ، خاضعة كل الخضوم لما سُخّرت له .

والاستفهام في قوله تعالى: أُولَمْ يَرُوا . للإنكار والتوييخ ، والرؤية بصرية

أى: قد رأوا كل ذلك ، ولكنهم لم ينتفعوا بما رأوا ، ولم يتعظوا بما شاهدوا ، ثم أتبع سبحانه وتعالى هذه الآية بآية أغرى مؤكدة لها ، فهى كالدليل لما سلف فقال : ٩ ٤ - وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ مِن دَآيةٍ وَٱلْمَلَكِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبُرُونَ .

أي: يخضع ويخشع ، ويستسلم لعظمة الله وقدرته ، ما في السماوات ، وما في الأرض مما يدب عليها وكذلك ملائكته الذين في السماوات وهم لا يستكبرون عن التذلل والفضوع له .

٥ = يَخَافُونَ رَبُّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ .

أى: إن من صفات الملائكة أنهم يخافون ربهم ، الذى هو من فوقهم بجلاله وقهره ، وعلوّه – بلا تشبهه ولا تعثيل – ، ويقعلون ما يؤمرون به من الطاعات ، ومن كل ما يكلفهم به سبحانه ، دون أن تصدر منهم مخالفة ، وقريب من هذا المعنى قوله تعالى :

وَللَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَلُوات وَٱلأَرْض طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلْلُهُم بِٱلْفُدُوِّ وَٱلآصَالِ. (الرعد: ١٥).

و مجمل القول:

إن المخلوقات تدين لعظمة الله تعالى ، وتخضع لقدرته بأسرها ، جمادها ونباتها وحيوائها ، ومكلّفوها من الإنس والجن والملائكة .

* * *

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَانَنَ خِذُوٓ الْمَهُ إِنَ اَنْسَيْ إِنَّمَاهُوَ اِللَّهُ وَمِعَةٌ فَإِنِّى فَارْهَبُونِ ﴿ وَلَهُمَا فِي الْسَمَوَةِ وَالْمَسْكُمُ وَالْمَدُّونِ وَلَهُ اللَّهِ ثُمَّ إِنَّا مَسَكُمُ وَمَا يِكُمُ مِّن فَعْمَةِ فَعِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِنَا مَسَكُمُ الضَّرُ عَلَيْهِ فَالْمَدِينَ فَي مَعْمَةُ وَفَعِنَ اللَّهُ مُعْمَدُ فَالْمُرَّ عَنكُمُ إِذَا فَرِقٌ مِسْكُمُ الضَّرُ عَنكُمُ إِذَا فَرِقٌ مِسْتُكُمُ الضَّرُ عَنكُمُ إِذَا فَرِقٌ مِسْكُمُ الضَّرَ عَنكُم إِذَا فَرِقٌ مِسْكُمُ المَّرَانِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلِي اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ اللَّهُ الْمُعْلَقُولَ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْ الْعُلِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْفَالِمُ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْفَالِمُ الْمُنْ اللَّلْمُ اللَّهُ اللْمُنْ الْمُنْ اللَّالِمُ اللَّهُ الْمُل

المقرداتء

البرهبية: الخوف.

السندسن الطاعة .

واصبيا، دائمًا ، كما قال : لَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ . (المنافات: ٩) .

تهشيرون، تتضرعون لكشفه ، وأصل الجؤان صياح الوحش ، ثم استعمل في رفع الصوت بالدهاء والاستفائة .

تفهيد

لما بين سبحانه وتعالى فى الآيات السابقة: أن كل ما فى الكون من إنس وجن ، وحيوان وجماد ، ونبات وملك ، منقاد لله وخاضع لسلطانه ، أتبع ذلك بالنهى عن الشرك به ، ويين : أن كل ما سواه فهو فى ملكه ، وأنه مصدر النعم كلها ، وأن الإنسان لا يتضرع إليه إلا إذا مسه الضر ، فإذا كشفه عنه رجع إلى كفره ، وأن الحياة الدنيا قصيرة الأمد .

التفسيره

١ ٥ - وَقَالَ ٱللَّهُ لاَ تَتَّجِلُواْ إِلَلْهَيْنِ ٱلْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَنَّهُ وَاحِدٌ فَإِينَّى فَأَرْهَبُونِ .

تحدث القرآن الكريم عن الوحدانية في الذات والصفات والأفعال ، وردٌّ على المشركين وفئد حججهم، مثل قوله تعالى : قُلُّ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ، وقوله سبحانه : فَو كَانَ فِيهِمَا عَالِهُةٌ إِلاَّ ٱللَّهُ لَفَسَدُنَا . (الأنبياء: ٢٧) .

وفى هذه الآية الكريمة يقول الله تعالى : لا تتخذوا ألهة سواى ، ولا تعبدوا إلها آخر ، إنما الله إله واحد لا شريك له ، وأنا الشائق الرازق المحيى المميت ، الباعث ، المحاسب المجازى على القليل والكثير .

فَإِيْلُي فَآرْهَبُونِ .

والمعنى: إن رهبتم شيئا فإياى فارهبوا ، دون غيرى ؛ لأبي أنا الذى لا يمجزني شىء . وقوله : أَشَّتِر صنة للفظ الهين ، أو مؤكد له ، وخصَّ هذا العدد بالذكر ؛ لأنه الأقل ، فيعلم انتفاء اتخاذ ما فوقه بطريق الأولى .

وقوله سبحانه : إنَّمَا هُوَ إِلَا أُواحِدٌ . بيان وتوكيد لما قبله وهو مقول لقوله سبحانه : وَقَالَ ٱللَّهُ ...

أي: وقال الله لا تتخذوا معى في العيادة إلها أخر ، وقال أيضا : إنما المستحق للعيادة إله واحد ، والقصر في الجملة الكريمة من قصر الموصوف على الصفة ، أي : الله وحده هو المختص بصفة الرحدانية.

والمتأمل في هذه الآية الكريمة يراها قد اشتملت على ألوان من المؤكدات ، للنهي عن الشرك ، والأمر بإخلاص العبادة شه تعالى وحده ، تارة عن طريق التقرير ، وَقَالَ ٱللّهُ ... وتارة عن طريق النهي المسريح ، وتارة عن طريق التخصيص .. وذلك لكى يقلعوا عن رذيلة الشرك ، ويؤمنوا بالله الواحد القهار (٣٠٠).

٢ ٥- وَلَهُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا أَفَعْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ .

أى: نله ملك السماوات والأرض رما فيهما ، خلقا ورعاية ورزقا ، لا شريك له فى ذلك ، ولا منازع له فى أمره أونهيه ، وله أيضنا الطاعة والإخلاص ، على طريق الدوام والثبات ، فكل شيء فى الكون خاضع لأمره سبحانه بيده الفلق والأمر .

أَفَغْيرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ .

والاستفهام هنا للإنكار والتعجب ، والفاء للتعقيب ، أى : أفبعد أن علمتم هذا ترهبون غير الله ، وتحذرون أن يسلبكم نعمة ، أو يجلب لكم أنّى ، أو ينزل بكم نقمة ، إذا أنتم أعلمستم العبادة لربكم ، وأفردتم الطاعة له ، ومالكم نافع سواه .

وإجمال ذلك : أن الله له ملك هذا الكون ، وهو بأكمله خاضع لمشيئته ، وهو المتصرف فيه بقدرته. فكيف تخافون غيره ، أن ترهبون سواه .

٥٣ - وَمَا بِكُم اللَّهِ مُن تَعْمَةٍ فَمِن ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَالِلْهِ تَجْتَرُونَ .

نعم الله تعالى فى هذا الكون لا تحصى ، وأفضاله لا تستقصى ، فنعمة الخلق ونعمة الرزق ، ونعمة المدون ، وبعمة المدونة ، والمسمح الهداية ، وبنعم النسل والذرية ، ونعمة راحة البال ، وغير ذلك من وجود الطعام والماء والصحة ، والسمع والبحس ، والفاق والإماتة ، والبعث والجزاء ، كلها أنعم متعددة ، كما قال سبحانه وتعالى : وُإِن تُعَمُّ لِيَعْمَتُ اللهِ لا تُعْمَوهُمّا . (ابراميم: ٢٤٤) .

وكلمة : ثَهْمَةٍ مفردة يراد بها: الجمع ، وعلماء البيان يعدون استعمال المفرد في معنى الجمع – اعتمادًا على القرينة – من تُبلغ الأساليب الكلامية ، تقول : ألقى فلان كلمة بليغة ، والمراد: أنَّه ألقى خطبة أن حديثا ، قال ابن مالك : ... وكلمة بها كلام قد يؤمَّ .

وإذا كانت النعم كلها من الله تعالى : فقد وجب على العبد أن يشكره ويطيعه ، ولا يقترف ما نهى عنه ، وفى الحديث الشريف : « أحبُّوا الله لما يغذوكم به من النُّم ، وأحبوبي بحب الله » .

ئُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلصُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ .

تصور هذه الآية طبيعة البشر، فهم يرون آثار نعم الله عليهم ، في الشدة والرحاء ، لكنهم لا يلجئون إلى الله تمالى ، إلا إذا أصابهم المكروه ، أو نزلت بهم نازلة يعجزون عن حلّها أو احتمالها ، فتراهم في الشدائد يجارون بالدعاء ، ويرفعون أكف الضراعة والنداء ، راجين أن يرفع الله عنهم ما نزل بهم ، فإذا كشف الله عنهم الكرب ، وأزال الضرّ ، استرحى دعاؤهم ، وعادوا إلى دنياهم ، وقليل منهم من يذكر الله في قال تعالى : هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرُّ وَالنَّمْوِ حَتَّى إِذَا كُسُنُمْ فِي الْفَلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحِ طُلَيَّةٍ وَقَوِحُواْ بِهَا جَاءَتُهَا رِيحَ عَامِهَ ۚ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ بِن كُلْ مَكَانِ وَطُلُّواْ أَلْهُمْ أَصِطْ بِهِمْ وَعَوْاْ اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ اللّهَ عَلَيْهِ وَلَوْسَ هَالِهِ لِنَكُونَ مِنَ الشَّلْكِرِينَ * قَلْمَا أَلْجَالِهُمْ إِذَا هُمْ يَنْفُونَ فِي الأَرْضِ بِقُيْرِ الْحَقْ ... (يونس ٢٣٠٢) .

وقال تعالى: وَإِذَا أَلْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَلْنِ أَعْرَضَ وَنَشَا بِجَالِيهِ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ قَلُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ. (فصلت: ٥١).

وقال سبحانه وتعالى: وَإِذَا مَسُ ٱلإِنسَانُ ٱلعَشُّرُ دَعَانَا لِجَشْبِهِ أَوْ فَاعِدًا أَوْ فَاتِهَا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ شُرُهُ مَرُّ كَأَنَّ لَمْ يَمْضَنَا إِنِي ضُرَّهُ مُسَّهُ كَذَلِكَ زُيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يُعْمَلُونَ . (وينس ١٢) .

٥٥- ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلطُّرَّ عَنكُمْ إِذَا قَرِيقٌ مَّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ .

هذه طبيعة فريق من الناس ، يلجئون إلى الله تعالى فى الشدائد ضارعين متلهفين ، فإذا استجاب الله لدعائهم ، وتحرُلت الشدة إلى رخاء ، إذا بفريق منهم ينسى ما كان فيه من شدة ويلاء ، وينسى فضل الله عليه فى استجابة الدعاء ، ويجعل لله شركاء فى العبادة ، فيعبدون الأوثان ويذبحون لها الذبائح ، شكرًا لغير من أنعم بالفرج وأزال من الشر .

ونحو الآية قوله تعالى : وَإِفَا مُسْكُمُ الْمَثْرُ فِي الْبَحْرِ صَلَّ مَن تَدَعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّ مُجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضُتُمْ وَكَانَ الإنسَانُ كَفُورًا . (الإسراء : ٧٧) .

جاء في تفسير الآلوسي:

وفي الآية ما يدلُ على: أن صنيع العوام اليوم ، من الجزار إلى غير الله تعالى ، ممن لا يملك لهم بل ولا لنفسه نفعا ولا ضرا – عند إصابة الضرّ بهم ، وإعراضهم عن دعائه تعالى بالكلية – سفه عظيم ، وضلال جديد: لكنه أشد من الضلال القديم ، ومما تقشعر منه الجلود ؛ لحصوله ممن يزمن باليوم الموعود.

إن بعض المتشيفين قال لى وأنا صفير: إياك أن تستغيث بالله إذا خطب دهاك ، فإن الله تعالى لا يعجل إغاثتك ، ولا يهمُّه سوء حالتك ، وعليك بالاستغاثة بالأولياء السالفين ، فإنهم يُعجَّلون في تغريج كريك ، ويهمهم سوء ما حلَّ بك ؛ فمجُّ ذلك سمعى وهَمَى دمعى ، وسألت الله تعالى: أن يعصمني والمسلمين، من أمثال هذا الضلال المبين ، ولكثير من المتشيئين اليوم كلمات مثل ذلك . ! هـ .

٥٥- لِيَكْفُرُواْ بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ .

أى: نقد قيضنا لهم النعم ، وأجينا دعاءهم وكشفنا عنهم الضر ، وكان الواجب منهم الشكر ، لكن عاقبة أمرهم ، أنهم كفروا وجحدوا نممة الله عليهم ، فاللام هنا لام العاقبة أو الصيورورة .

قال الشوكاني :

واللام في لِكَفُّرُواْ بِمَا ءَالنَّهُمُ ... لام كى ، أى : لكى يكفروا بدأ آتيناهم من نعمة كشف الفسّر ، حتى لكأن هذا الكفر منهم ، الواقع في موقع الشكر الواجب عليهم ، غرض لهم ومقصد من مقاصدهم ، وهذا غاية في العُقَّر والعناد ، ليس ورامها غاية ، وقيل : اللام للعاقبة ، يعنى: ما كانت عاقبة تلك التضرعات إلا الكفر ... ا هـ .

لْقَمَتُكُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ .

أي: تمتعوا في هذه الحياة الدنيا ، إلى أن توافيكم آجالكم ، وتبلغوا الديقات الذي وقت لحياتكم ، وتمتعكم فيها ، ويعدند ستصيرون إلى ربكم ، فتطمون عند لقائه وبال ما عملتم ، وسوء ما كسبت أيديكم، وتندمون ولات ساعة مندم .

* * *

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا الاَيْعَلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَفْنَهُمُّ تَاللَهِ الشَّنْانُ عَمَّا كَمُتُمْ تَفَتَرُونَ ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَهِ الْبَنْنَتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُم مَايَشْتَهُونَ ﴿ وَإِذَا لِشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأَنْيَظُلُ وَجُهُهُ مُسْوَدًا وَهُوكَ فِي اللَّهُ مَسْوَدًا وَهُوكَ فَي اللَّهُ مَسْوَدًا وَهُوكَ فَي اللَّهُ مَسْوَدًا وَهُوكَ اللَّهُ وَالْمَسَلَّةُ مَا اللَّهُ وَهُوكَ اللَّهُ وَالْمَالُولُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمَالَةُ وَلَمْ اللَّهُ وَالْمَالُولُ وَهُوكَ اللَّهُ وَالْمَالُولُ وَهُوكَ اللَّهُ وَالْمَالُولُ وَهُوكَ الْمَالُولُ وَهُوكًا المَالَةُ وَاللَّهُ وَالْمَالُولُ وَهُوكًا المَالَةُ مَا الْمَكُونَ ﴾ المَنْفَالُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمَالُولُ وَهُوكًا المَالَةُ وَالْمُولُ وَاللَّهُ وَالْمُولِ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُولُولُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُولُولُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُولُولُ الْمُعَلِّمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُولُولُ الْمُؤْمِلُولُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُولُولُ الْمُؤْمِلُولُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْلُولُ و الْمُؤْمِلُولُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْلُ الْمُؤْمِلُولُ اللَّهُ وَالْمُؤْلُولُ الْمُؤْمِلُولُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْلُولُ اللَّهُ وَالْمُؤْلُولُ الْمُؤْمِلُولُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْلُولُ الْمُؤْمِلُولُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْلُولُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْلُولُ اللَّهُ وَالْمُؤْلُولُ اللْمُؤْمُولُولُ اللْمُؤْلُولُولُ اللْمُؤْلُولُ اللْمُؤْلُولُولُولُ اللْمُؤْلُولُ اللَّهُ وَالْمُؤْلُولُ اللَّهُ وَالْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ اللَّهُ وَالْمُؤْلُولُولُولُولُ اللْمُؤْلُولُ اللَّهُ وَالْمُؤْلُولُولُ اللَّهُ وَالْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ اللَّذُالِ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ الْمُؤْلُولُ

المفردات :

السبشسادة، في أصل اللغة إلقاء الخبر الذي يؤثر في تغير بشرة الوجه، ويكون في السرور والحزن، فهو حقيقة في كل منهما، وعلى هذا جاءت الآية، ثم خصن في عرف اللغة بالخبر السار، يقال لمن لقى مكروها: قد اسود وجهه غما وحزنا، ولمن ناله الفرح والسرور: استنار وجهه وأشرق. الكسطيس، المعتلئ عَمًّا وحزنا ، والكظم مخرج النفس ، يقال: أخذ بكنامه ؛ إذا أخذ بمخرج نفسه ، ومنه كظم غيظه أي : حبسه عن الوصول إلى مخرج النفس .

يمسمسكسمه ، يحبسه ، كقوله تعالى : أَمْسِكُ عَلَيْكَ زُوْجَكَ . (الأحزاب ٣٧) .

المسهمون، الهوان والذلِّ.

وسيوشينه والخفية ا

مستسل السبوء: الصفة السوء، وهي احتياجهم إلى الولد، وكراهتهم للبنات؛ خوف الفقر والعار.

ولله المثل الأعلى؛ الصفة العليا ، وهي أنه لا إله إلا هو ، وأن له جميع صفات الجلال والكمال .

تمهيده

بعد أن بين سبحانه ، سخف أقوال أمل الشرك ، أردف ذلك بذكر قبائح أفعالهم ، التي تمجُّها الأنواق السليمة .

التفسير

٥ ٣ - وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مَّمَّا رَزَّقْتُهُمْ ...

أى: ويجعل هؤلاء المشركون ، للأصنام التى لا يعلمون منها ضرًّا ولا نفعًا ، نصبيبًا مما رزقناهم من المرث والأنعام وغيرها .

ويجوز أن يكرن المعنى: ويجعلون للأصنام التي لا تعلم شيئًا: لأنها جماد لا يعقل ولا يبصر – يجعلون لها نصيبا مما رزقناهم: فتركوا التقرب إلى الخالق الرازق المستحق للحمد والشكر، وتقربوا إلى الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر، وقد فصلت سورة الأنعام ذلك في قوله تعالى:

وُجَعَلُواْ لَلِهُ مِمَّا ذَرَا مِنَ الْمَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيّا فَقَالُوا هَلَمَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَلَمَا لِشُرَكَاتِهَا فَمَا كَانَ لَشُرَكَاتِهِمْ فَلاَ يَعِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَاتِهِمْ سَاءً مَا يَحْكُمُونَ . (الإنعام: ١٣٦).

تَّاللَّهِ تَسْسُّلُو عَمَّا كُسُّمُ تَشُرُونَ . أي : أقسم لأسالنكم عما اقترفتموه واختلقتموه من الباطل ، ولأعاقبنكم على ذلك عقوية ، تكون كفاء كفرانكم نعمى ، وافترائكم على ، وقريب من ذلك قوله تعالى : فَوَرَبُّكَ لَنَسْأَلَهُمْ أَجْمَهِنَ هُ عَبَّا كُانُوا يَهْمُلُونَ . (الحين ١٣٠٩). ٧٥- وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَسَلتِ سُبْحَكَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ .

تشير هذه الآية إلى ما كان شائعا في بعض القبائل العربية في الجاهلية ، من أنهم كانوا يزعمون: أن الملائكة بنات الله ، إذ قالت قبيلة خزاعة وقبيلة كنانة: إن الملائكة بنات الله ، ثم عبدوا الملائكة مع الله تعالى ، فأخطئوا بذلك خطأ كبيرا ، وضلًوا ضلالا بعيدا ؛ إذ نسبوا إليه الأولاد ، وهو منزَّه عن المماحية والولد ، وأعطوه أخسًّ الأولاد في زعمهم ، واختصوا أنفسهم بالذكور، قال تعالى : وَجَعَلُواْ ٱلْمُلْتَكِكَةُ ٱللّهِينَ هُمْ عَبِلةُ الرَّحْمَةِنِ إِلْنَقًا ، (الزهرية ١٤٠) .

وقال سبحانه : أَلَكُمُ ٱلذُّكُرُ وَلَهُ ٱلأَنفَىٰ * لِلْكَ إِذًا قِسْمُةٌ ضِيزَىٰ . (النجم: ٢٢،٢١) .

وقال عن شأنه؛ أقا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِم لِيُقُولُونَ ه وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكُنْلِيُونَ ه أَصْطَفَى ٱلْبَيَاتِ عَلَى ٱلْبَينَ ه مَالكُمْ كُيْفَ تَحَكُّمُونَ . (الصافات: ١٠٥-١٥٤).

وكانوا يدَّعون: أن الله تعالى تزوج من الجن فولدت له الملائكة ، قال سبحانه : وَجَعَلُوا بَينُهُ وَبَينَ ٱلْجِنّة نَسَّا وَلَقَدْ عَلِمَت الْجِنَّةُ إِلَّهُمْ لَمُعشُرُونَ . (المسافات: ١٥٨).

والمراد من قوله سبحانه : وَلَهُم مَّا يَشْتُهُونَ . أنهم يختارون لأنفسهم الذكور ، ويأنفون من البنات، التي نسبوها إلى الله ، تمالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

قال ابن عباس: المعنى: تجملون لى البنات ، وترتضوهنُّ لى ، ولا ترتضوهن لأنفسكم ، ثم أكد ما سلف بقوله سيحانه :

٥٩. ٥٩ - وَإِذَا بُشَرَ أَحَدُهُم بِالْأَنْعَىٰ ظَل وَجَهُهُ مُسَودًا وَهُوَ كَلِعِيمٌ ه يَتَوَارَى مِنَ أَلْقُوم مِن سُوْءِ مَا بُشُوَ بِهِ أَيْسَكُهُ عَلَىٰ هُونَ أَمْ يَاشُو أَمْ يَاشُونَ مِن أَلْفُوم مِن سُوْءِ مَا بُشُو بِهِ

تحكى هذه الآيات جانبا من رذائل بعض القبائل العربية ، التى كثر بينها الحرب والغارة والقتال، والعدوان ويدم العدوان والثار ، فأكلت الحرب رجالهم وأموالهم ، وكانوا لا يهنئون إلا بثلاثة أشياء ، شاعر ينبغ ، أو ذكر يولد ، أو فرس تنتج ، وكلها عدة الحرب .

فالشاعر يمدح قبيلته ويتغنى بأمجادها ، ويهجو أعداءها ، والولد الذكر عدة الحرب والغارة ، فى بلد لا سلطان فيه ولا قانون . وإنما السيف هو السلطان والقانون ، والفرس : هو الخيل التي أقسم الله بها فى كتابه ، وكانت عدة الحرب فى الجاهلية والإسلام . كانت بعض القبائل العربية تكره ولادة الأنثى ، وقد وصف القرآن ذلك أبلغ وصف ، وعبر عنه أقوى تعبير :

وَإِذَا بُشِّرَ أَحَنُهُم بِٱلْأَنفَىٰ ظَلَّ وَجَهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ ...

فإذا علم أحد هزلاء المشركين أنه ولد له أنثى : ظل وجهه كثيبا حزينا ، مسوبًا من الهم ، ممتلئا غيظا وجنقا ، من شدة ما هو فيه من الحزن.

يَقُوارَى مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا يُشِّرَ بِهِ أَيْمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي ٱلتَّرَابِ ...

فهو يختفى عن القوم حياء وخجلا ، وحزنا وكمدا : من أجل أن زوجته ولدت له أنثى ، ولم تلد له ذكرة، ويدور بخاده أحد أمرين :

١ ـ إما أن يمسكها ويبقيها على قيد الحياة ، لكن بقاء ذلة وهوان ، فلا يورثها ولا يعنى بها ، بل يفضل الذكرر عليها .

وإما أن يدفنها في التراب ، وهي على قيد الحياة ، فيقتلها دون أن ترتكب ذنبا أو إثما ، قال تعالى:
 وَإِذَا ٱلْمُوْوُرُوكُهُ سُطِلًا * وَإِنَّى أَشْبُ قُطِلًا * (التكوين ١٩٠٨) .

أَلاَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ .

أي : بئس المكم حكمهم ، ويئس الفعل فعلهم ؛ حيث نسبوا البنات إلى الله ، وظلموهن ظلما شنهما ، هيث كرهوا وجودهن ، وأقدموا على قتلهن ، بدون ذنب أن ما يشبه الذنب .

وَصِدُّر سِيمانَه هذا الحكم العادل عليهم ، بحرف ألا الاستفتاحية ؛ لتأكيد هذا الحكم ، ولتحقيق أن ما أقدموا عليه ، إنما هو جور عظهم ، قد تمالئوا عليه بسبب جهلهم الغاضع ، وتفكيرهم السييء.

وأسند سبحانه الحكم إلى جميعهم ، مع أن من فعل هذا كان بعضا منهم ؛ لأن ترك هذا البعض يفعل ذلك الفعل القبيح ، هذا الترك هو في ذاته جريمة يستحق عليها الجميع العقوية ؛ لأن سكرتهم على هذا الفعل مع قدرتهم على مذعه يعتبر رضا به . (٩٠٠) .

. ٣- لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بَالآخِرَةِ مَفَلُ آلسُّوءِ وَلِلَّهِ ٱلْمَفَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ .

أى: للذين لا يرمنون بالآخرة ، وما فيها من حساب وثواب وعقاب ؛ مَثَلُ ٱلسُّرَة , أَى : صفة السُّرة، التى هى كالمثل فى القبح ، وهى وأدهم البنات ، وقولهم: الملائكة بنات الله ، وفرحهم بولادة الذكور ، وكرههم لولادة الأنثى ، فهذه الصفات تدل على صلفهم وغبائهم وسوء تفكيرهم. وَلِلْهِ الْمُثَلُ الْأَعْلَىٰ أَى: الصفة الطياء وهى أنَّه الولحد الأحد المنزء عن الوالد والولد ، والمتصف بكل كمال ، والمنزه عن كل نقص ، فهر العلى العظيم القادر الوهاب ، العليم الحكيم العزيز الملك القدوس السلام، المؤمن ، المهيمن الجبار القهار ، الخالق البارئ المصور ، بيده الخلق والأمر ، وهو على كل شيء قدير .

وَهُوَ ٱلْمَزِيزُ في ملكه بحيث لا يغلبه غالب.

ٱلْحَكِيمُ في أفعاله وأقواله .

قال الشوكاني :

لِلَّذِينَ لاَ يُوْمِنُونَ بِٱلآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ.

هذا وجه آهر في الردُّ على من قال عن الملائكة: إنها بنات الله ، فإن الولد مثل أبيه ، أي : اختاروا أضعف الجنسين : ليكون عندهم مثلا للله ، بل لهؤلاء الذين وصفوا الله سيحانه بهذه القبائح الفظيعة ، مَثَلُّ آلسُّوْءِ ، أي : صفة السوء من الجهل والكفر بالله .

وَلِلَّهِ ٱلْمَعَلُ ٱلأَعْلَىٰ .

من الفني الكامل والجود الشامل والعلم الواسع^(١٨٧).

* * *

﴿ وَلَوْ يُوَاخِذُ اللّهَ النّاسَ بِطْلْدِهِم مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَةِ وَلَكِن بُوَخِرُهُمْ إِنَ آجَلِ مُسكَّى فَإِذَا جَامَا مُسكَّى فَإِذَا مَسكَّى فَإِذَا جَامَا مُمُ النّهَ مَا يَكُرَهُون جَامَا مُمُ اللّهِ مَا يَكُرَهُون وَقَعِفُ الْسِنَهُ مُوالكَيْد بَاكَ مُهُمُ الشّيْطِن اللّهُ مُمَّاللَ وَالنّهُم مُفْرِطُون اللّهُ تَاللّهَ لِقَدْ أَرْسَلَنَ آ إِلَى أُمْمِومِن مَيْكِ فَرَيْنَ هُمُ الشّيطان أَحْمَلَهُ مَعْمُ وَلَيْهُمُ الْيُوم وَلَيْهُمُ النّي لَكُمُ الشّيطان أَحْمَلَهُ مَعْمُ اللّهَ مَعْلَ اللّهُ اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللللّهُ اللّهُ الللللللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ

المفردات،

دايسينينية الدابة: كل ما يدب على الأرض ، ويدخل فيه الإنسان . الن أجل مسمسي: أي: إلى موعد مقدّر. ويجعلون لله ما يكرهون؛ من البنات بزعمهم: أن الملائكة بنات الله .

أن لهم المستمى الذكور أو الجنة.

لاحــــع دأا.

مصطرط وق : منسيون مضيعون امتروكون في النار.

هـ هـ و والسيسم: نامنرهم في الدنيا ، ويتس النامس.

وليهم هنذاب أليم ؛ مرجع في الأخرة .

الذي احتلفوا فيه ، في دين الله ، فتُعرَّفهم بالصواب .

التفسيرا

٩١ - وَلُو يُؤَاخِذُ ٱللّٰهُ ٱلنَّاسَ بِطُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَاتَةٍ وَلَلكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَيْ أَجَلِ مُسمَّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يُسْتَنْحُرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدُمُونَ .

تفيد هذه الآية : حكمة الله ورحمته بعباده : فقد خلق الله الخلق ومنحهم العقل والإرادة والاعتيار، وأعطاهم فرصة سائحة في هذه الدنيا طوال حياتهم فيها ، ولو عاجل الله الناس بالعقوبة : لأهلك الظالمين والكافرين جميعا ، وصارت الأرض يبابا : لكثرة من هلك من الظالمين والكافرين ، لكن الله جلت حكمته يرّجُل هلاك الإنسان ، ويمنحه فرصة كاملة : لعلّه أن يترب أو يسترجع ، فإذا جاء أجل الإنسان ومان موته ، فإن روحه تخرج في لحظة محددة ، لا تتقدم عنها أيّ وقت مهما كان صغيرا ، ولا تتأخر عن أطبا لحظة أد برعة .

أخرج ابن أبى حاتم عن أبى الدرداء مرفوعا: « إن الله لا يرُخر شيئا إذا جاء أجله ، وإنما زيادة العمر بالذرية المسالحة يرزقها الله العبد: فيدعون له من بعده : فيلحقه دعاؤهم في قبره : فذلك زيادة العمر ٣٠٠٠.

٣٧ - وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكُرُهُونَ وَتَصِفُ ٱلْسِتَهُمُ ٱلْكَادِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَٱلَّهُم مُفْرَطُونَ .

أى: إن المشركين بجعلون لله البنات والشركاء وهم يكرهون البنات ، ويكرهون أن يشاركهم أحد فيما يملكون ، ثم يتحدثون كذبا وزورًا: أن لهم العاقبة الحسنة ، والجزاء الأفضل فى الجنة ، فهم يعملون عملاً سيئًا ، ويزعمون كذبا: أن لهم الحسنى فى الآخرة ، مع أنك لا تجنى من الشوك العنب ، وعقيدة الكفر وسلوك الكافرين ، لا يؤدى إلاً إلى النار فى الآخرة . لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ الثَّارَ وَآلَهُم مُفْرَطُونَ . أي : حقًا إن لهم في الآخرة النار وعذابها ، وأنهم مفرطون ، أي: معجلون إلى النار من الفرط ، وهو السابق إلى الورد ، ومن معانى : مُفْرَطُونَ . متركون منسيُّون مطيّعون ، ولا منافاة بينهما ؛ لأن الكفار يُعجَّل بهم إلى النار ، وينسون فيها ويخلُّدون فيها أبد الآبدين ، ودهر الداهرين .

٣٣ - تَاللَّهُ لَقَدْ أَرْسَلُنَا إِلَى أُمْمِ مِّن قَبِلِكَ فَرَبُّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ فَهُو وَلَيْهُمُ ٱلْيُومُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

أقسم الحق سبحانه وتعالى بنفسه مؤكدًا: أنه أرسل رسلاً ، وأنزل عليهم كتبا ، ويعتهم إلى أمم متعددة، كأمة إبراهيم وأمة موسى ، وأمة عيسى ، وأمة نوح ، وأمة عاد ، وأمة صالح ، وغيرهم من الأمم، لكن هذه الأمم لم تستجب لدعوة الأنبياء ، ولم تبادر إلى تصديق الرسل ، بل صدُّوا عن سبيل الله ، وكفروا برسل الله ، وزين لهم الشيطان هذا الكفر ، وأغراهم به فأثروا اللباطل ، ورفضوا الإيمان ، وفي يوم القيامة ليس لهم ولى إلا الشيطان ، وعندئذ يرضخون تحت العذاب ، ويصلون جهنم ولا تنفعهم ولاية الشيطان .

وقريب من هذا المعنى قال الله تعالى : وَقَالَ ٱلنَّيْطَلَىٰ لَمَّا قَضِيَ آفَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَنَكُمْ وَعَدُ ٱلْحَقِّ وَوَعَنَكُمْ فَأَخَلُفُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِّن سُلَطَنْنِ إِلاَّ أَن دَعَوْلَكُمْ أَسْتَجَيْتُمْ لِي فَلاَ تَلُوفُونِي وَلُومُواْ أَفْسَكُمْ ... (يرملمبة: ۲۷).

ويحتمل أن يكون معنى لَهُمْ وَلُهُمُّ الْوَرُمُ : الإشارة إلى كفار مكة ، فيكون المعنى : تافة لقد بعثنا قبلك يا محمد رسلاً إلى أقوامهم ، فحسَّن الشيطان لهم أعمالهم القبيحة حتى كذبوا الرسل ، ومثل هذا التزيين والتكذيب ، ما يقوم به كفار مكة ، فالشيطان وليهم اليوم ، وناصرهم ، ويئس الناصر ، ولهم عناب أليم في الأعرة : جزاء تكذيبهم الرسل وكفرهم بالله .

وقديب من هذا المعنى الثانى قوله تعالى : آللُهُ وَلِيَّ ٱلَّذِينَ ءَامَتُواْ يُخْوِجُهُم مَّنَ ٱلطُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلْتُورِ وَٱلَّذِينَ كَفُرُواْ أَوْلِيَالُوهُمُ ٱلطُّنُفُوتُ يُعْرِجُواْ يُهُم مِّن اللَّهِ وَإِلَى ٱلطُّلُمَاتِ أَوْلَـَئِكَ أَمْنَ

ع ٦- وَمَا أَلزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكَتِلْبَ إِلاَّ لِتُنِيَّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدّى وَرَحْمَةُ لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ .

أى: أنزلنا عليك القرآن – يا محمد – لتبين لهم وجه الصواب فيما لختلفوا فيه ، من العقائد والعبادات والمعاملات والحلال والحرام ، وليكون القرآن هداية وإرشادًا ويينانا ، ورحمة لمن أراد الإيمان والاهتداء بهدى السماء ، فالقرآن يشتمل على تعاليم السماء ، وهذا القرآن مصدِّقا للكتب السابقة في جملتها ، ومهيمنا عليها ؛ لبيان وجه الحق فيم اختلف فيه أهلها ، وفي نفس الوقت هو رحمة وهداية لمن . اهنتي وآمن، أما من كفر وكذُب وصدُّ عن الحق ، فهر خارج عن الاستفادة بهدى القرآن ، بل أمسح القرآن هجة عليه، وزاده نزول القرآن إعراضًا وكبرًا وعتوًّا .

قال تحالى : قُلُ هُوَ لِلْلِينَ وَامْنُواْ هُدُى وَشِفَاءً وَٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي وَاذَابِهِمْ وَقُرُ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمَّى أُولَلَّبِكَ يُنادُونَ مِن مُكَان بُهِهِ . (هملت: ٤٤) .

﴿ وَاللّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَا هُ فَأَخْيا هِ الأَرْضَ بَهْدَمُوتِهَ أَإِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَورِ يَسَمَعُونَ ۞ وَإِنَّ لَكُوفِهُ الْأَنْسَدِ لِمِنَ مَنْ مَا اللّهَ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ ا

المقردات،

فأحيا به الأرض: المراد بحياة الأرض: إنباتها الزرع والشجر وإخراجها الثمر.

يسممهون، سماع تدبر وفهم، بقلوبهم لا بآذانهم.

السسمهبرة: الاعتبار والعظة.

السسفسسوت؛ كثيف ما يبقى من المأكول في الكرش والمعي.

ودم ثبتًا خالصا ؛ أي : مصطفى من الدم والفرث ليس عليه لون دم ، ولا رائحة فرث .

سائشا للشاربين : سهل المرور في الحلق ، يقال : ساخ الشراب في الحلق ، أو ساغه صاحبه ، قال تعالى: وُلاَّ يَكَادُ يُسِيعُهُ

الشـــكـــر، الخمر.

السرزق الحسين، الحلّ والتمر والزبيب ونحو ذلك.

وأوحسسن، ألهم رعلُم رقذف في أنفسها نفهمته.

استحصله زنابير العسل واحدتها: نجلة .

ي مرشون، يرفعون من الكروم والسقوف.

السُّنِيَانِ، ولحدها: سيل.

شــــراپ، عسلا.

مغتلف الواشه ، من أبيض إلى أصفر إلى أسود بحسب اختلاف المرعى .

تنهيد

تشتمل الآيات على دلائل القدرة الإلهية ، فالله أنزل من السماء المطر وبه تخضر الأرض وتنبت، ومن نعم الله : إحراج اللبن من الأنعام خالصا سائفاً للشاريين ، ويسر لنا اتخاذ الخمر والفلّ والدبس من الأعناب والنخيل ، ويسر لنا استخراج عسل النحل : وألهم النحل بناء البيوت ، والبحث عن أرزاقها في كل فيج .

التفسيره

٥٠ - وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا بِهِ ٱلأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهِمَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيةً لَقُوْمٍ يَسْمَمُونَ .

نلحظ يد القدرة الإلهية في إعمار هذا الكون وحفظ توازنه ، فالشمس ترسل أشعتها على البحار والمحيطات ، فيتصناعد البخر إلى السماء ، فيرسل الله الرياح فتثير السحاب ، ثم يتساقط مطرًا بمشيئة الله تعالى ، وهذا المطر يحيى الأرض ويتسبب في إنبات النبات والثمر ، وحياة الإنسان والحيوان ، وإعمار الكون، قال تعالى : وَمِنْ عَلَيْحِهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ الْمُنَامُ الْمُثَامُ الْمُثَامُ الْمُثَامُ الْمُثَامُ الْمُثَامُ الْمُثَامُ الْمُثَامِ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهِ اللهِ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ

والهجمى: وإن من دلائل قدرة الله تعالى ، إنزاله المحلر ، حيث تنبت الأرخص الثمار والأعناب وسائر النباتات ، وفى هذا آية ودليل على ألوهية الخالق ، لَّقَوْم يَسْمَعُونَ بقلويهم ، وأقلدتهم ، دعوة الحق: فيستجيبون لها .

٣٦ - وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْصُلِمِ لَهِيْرَةً تُسْقِيكُم مَّمًّا فِي يُطُونِهِ مِنْ يَيْنِ فَرْثٍ وَهَم لَّبُنَا خَالِصًا سَآيُهَا لَلشَّلْوِيينَ .

من دلائل القدرة الإلهية: أن الحيوان يتغذى ببعض نبات الأرض ، فيتحول الطعام إلى قسمين : فضلات من الغرث تكون فى كرش الحيوان ، وعصارة من الدم تغذى الجسم ، وتعدُّه بالطاقة التى يحتاج إليها ، وهذا الدم أيضا يذهب جزء منه إلى الغدد التى فى الضرح فتحوّلها إلى لبن فكأن الصائع الحكيم جعل هذه الغدد معملاً ومصنعًا ، لتحويل الدم إلى لبن ، هذا اللبن النقى السائع المستساع للشرب ، النافع للصنغير والطفل والكبير ، هذا اللبن من أنضل الأطعمة ، التي يستغيد بها الجسم ، وهو دليل الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وهى الإسلام ، وفي الحديث الصحيح : أنه في ليلة الإسراء والمحراج ، قدَّم جبريل للنهي ﷺ إناءين أحدهما من خمر ، والآخر من لبن ، فاختار الرسول ﷺ اللبن ؛ فقال له جبريل : اخترت الفطرة .

وروى أبر داود وغيره : عن ابن عباس قال : أتى رسول الله ﷺ بلبن ، فشرب ، ثم قال : « إذا أكل أمكل معاما فليقل : اللهم بارك لنا فيه ، أحدكم طعاما فليقل : اللهم بارك لنا فيه ، وإذا سقى لبنا فليقل : اللهم ، بارك لنا فيه ، وزدنا منه ، فإنه ليس شيء يجزئ عن الطعام والشراب إلا لللبن » .

٧٧- وَمِن لَمَرَاتِ ٱلنَّحِيلِ وَٱلأَعْمَلُ عِ تَتَحِلُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْلًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذلك لآيَةٌ لَّقَوْم يَشْقِلُونَ .

وَمِن لَعَرَاتُ ٱلنَّجِل. وهو: القدر والدبس والرطب والعجوة ، ومن شمرات ٱلأَعَنْسِ، وهو العنب والذبيب: تتخذون من هذه الثمرات سَكَرًا يسكر، وكان ذلك قبل تمريم الخمر، وُرِزُقًا حَسَّنًا. كالعَلُ والمريَّة والذبيب، ونحو ذلك .

قال ابن عباس :

السُّكر : ما حُرُّم من ثمرتيهما ، والرزق الحسن: ما حلَّ من ثمرتيهما .

فالآية تصف الواقع ، ولم تقل : سكرا حسنا ، بل قالت : سُكّرًا وُرِزُّا حَسَنًا . وقد كانت هذه حلقة ، فى سلسلة تحريم الخمر بالتدريج ، فقد كانت الضر متمكنة من العرب ، فكان من الحكمة أن يندرج القرآن فى تحريمها ، فذكر : أنَّه يتخذون سكرا من ثمار النخيل والأعناب ، والسُّكر هو ما يسكرهم ؛ لذلك لم يتحدث عنه القرآن بالتحسين ، بل قال : سُكِّرًا وَرِزْقًا حَسَيًا

ثم ذكن أنَّ في الخمر والميسر منافع ومضار؛ لكنَّ المضار أكثر من المنافع ، قال تعالى: يَسْأَلُونُكُ عَنِ ٱلْمُحَرِّ وَٱلْمَسْرِ قُلْ فِيهِمَا إِنْمُ كَبِيرً وَمَنْفَعُ لِلنَّاسِ وَإِنْهُهُمَا أَكْبُرُ مِن نُفِيهِمَا . (البقر: ٢١٩) .

ثم نهى عن الاقتراب من الصلاة في حالة السكر فقال سبحانه : يَنَالَّهُا ٱللِّينَ وَامْتُواْ لاَ تَقْرُبُواْ ٱلْسُلُوْةُ وَأَنْشُمْ سُكُنْرُىٰ . (النساء: ٤٣).

ثم حدم الله تعالى الخمد والديس تحديما قاطعا فقال سيحانه : يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ مَعْنُوا إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنْصَابُ وَٱلْأَزْلَاهُم جُسْ مَنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَانِ فَاجَسِّرُهُ لَعَلَّكُمْ تُقْلِحُونَ » إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ يَنتَكُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْمُفْصَاءُ فِي ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَن ذِكُر ٱللَّهُ وَعَن ٱلصَّلَوْةَ فَعَلَى أَشْمَ مُسْتَعُونَ السَائِدةِ . ١٩٩٠٩

إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآيَةً لَّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ .

أى: إن في ذلك لآية باهرة ، وبليلا قاطعا على نعم المنعم سبحانه ، لقوم يستخدمون عقولهم بالنظر والتأمل ، فيصلون إلى توحيد الله وعبادته سبحانه وتعالى .

٨٨ - وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَن ٱتَّحِلِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرشُونَ ...

تتحدث الآية عن قدرة الحق سيحانه في تنظيم هذا الكون وإبداعه ، وإتمام الخلق وإكماله ، فقد
تحدث فيما سبق : عن إنزال الماء وفائدته ، وعن تيسير اللبن ومزاياه ، وعن فوائد ثمرات النخيل والأعناب
ثم تحدثت الآية عن نعمة الله على النمل ، حيث أنهم النمل ، وأودع فيها طريقة العمل الجماعي ، وتنظيم
العمل فيما بينها ، بطريقة تعجز عن تطبيقها أعظم العقول ، فالنحل يتخذ بيوته في ثلاثة أماكن ، بين
الجبال أي : في الفرجات التي تكون في الجبل ، وفي الفجوات التي تكون في الشجر ، وفوق العريش الذي
يصنعه الإنسان ؛ لتربية النحل والاستفادة بالعسل .

٣٩ – مُمَّ كُبِي مِن كُلُّ ٱلْفَمَرَاتِ فَاسْلَكِي سُهُلَ رَبُكِ ذُلَلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُولِهِا خَرَابٌ مُخْتَلِفٌ ٱلْوَانَهُ فِيهِ هِفَاءً لَلنَّس بِنْ فِي ذلك لاَيَةً لَقَوْم يَفَكُرُونَ .

جاء الحديث فى الآية السابقة ، عن إلهام النحل: أن تتخذ بيوتها من بعض الجبال ، ومن بعض الأشجار ، وفوق العروش التى يصنعها الإنسان ، فليس كل جبل صالحا لحياة النحل ، ولهذا جاءت من التبعيضية ، أى : اتخذى من بعض الجبال .

وهنا أباح الأكل من جميع ما تشتهيه ، وما تحب أكله من الثمرات ، ثُمَّ كُلِي مِن كُلُّ ٱلْفُمَرَاتِ . أَى : الطان والمزّ والحامض والحريف ، ويتحول بقدرة القادر إلى شهد .

فُأَسَّلُكِي سُبِلَ رَبُّكِ فُلُلاً . أي : سيرى في الطرق التي أنهمك الله أن تسلكيها ، وتدخلي فيها لطلب الثمار، ولا تدس عليك وإن توجّرت ، ولا تضلي عن العودة منها وإن بعدت .

واخلاصة : سيرى فى الطرق والمسارات التى نظلها الله له ، ويسر لك السير فيها ، والعودة منها إلى منزلك ، أن سيرى حال كرنك منظلة لله مسخرة منقادة لخرمة الإنسان .

يَخْرُجُ مِنْ بُعُلُونِهِا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَالُهُ .

كان الحديث عن النحلة فيما سبق ، وهذا اتجه الحديث إلى الناس ؛ لإعلامهم بفضل الله عليهم .

والمعنى: يخرج من بطون النحل شراب هو العسل، متعدد الألوان، فتارة يكون أبيض، وأخرى أمسور. وحينا أحمر، بحسب اختلاف المرعي.

فِيهِ شِفَآءٌ لَّلنَّاس.

أى: إن العسل نافع لكثير من الأمراض ، وكثيرًا ما يدخل في تركيب العقاقير والأدوية .

وقد اختلف العلماء في هذا الشفاء ، هل هو عام لكل داء ، أو خاص ببعض الأمراض .

فقالت طائفة: هو على العموم في كل حال ولكل أحد .

وقالت طائفة أخرى: إن ذلك خاص ببعض الأمراض ، ولا يقتضى العموم فى كل علة وفى كل إنسان ، وليس هذا بأول لفظ خصص فى القرآن ، فالقرآن مملوه منه ، ولغة العرب يأتى فيها العام كليرا بمعنى الخاص ، والخاص بمعنى العام ، ومما يدل على هذا ، أن العسل نكرة فى سياق الإلبات ، فلا يكون عاما باتفاق أهل لللسان ، ومحققى أهل الأصول . وتنكيره وإن أريد به التعظيم ، لايدل إلا على أن فيه شفاء عظيما لمرض أو أمراض ، لا لكل مريض، فإن تنكير التعظيم لا يفيد العموم .

وحديث البخارى: «إن أخى استطلق بحلنه الله ، يغيد: معرفة الرسول ﷺ ، بأن هذا العرض يناسبه العسل ، ولا نستطيع أن نقول: إن جميع الأمراض يناسبها العسل ، بل نقول: العسل مناسب وشفاء لبعض الأمراض ، وينبغى أن نرجع إلى معرفة الأطباء المختصين ، ونتبع مشورتهم ، وأن نمتنع عن أكل العسل إذا أفاد الطبيب: أنه غير مناسب لمرض من الأمراض (٤٠٠).

إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآيَةً لَّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ .

أى: فيما ذكره الله تعالى من تعداد هذه النعم، وتسخير النحل والهامها: أن تأكل من كل الثمرات، وأن تتخذ البيوت من الجبال والشجر والعروش، وتيسير نظامها وعملها وخروج العسل منها: ليكون شفاء للناس؛ في كل ما ذكر آيات ودلائل واضحات، لقوم يتفكرون ويتأملون، ويشهدون بأن كل ذلك من صنع الإله الواحد الأحد، الذي ليس كمثله شيء، وأنه لا ينبغي أن يكون له شريك، ولا تصح الألوهية إلا له.

ملحق بتفسير الأية

تتبع علماء المواليد أحوال النحل ، وكتبوا فيها المؤلفات ، يكل اللفات ، وخصصوا لها مجلات تنشر أطوارها وأحوالها ، وقد وصلوا من ذلك إلى أمور :

 أنها تعيش جماعات كبيرة ، قد يصل عدد بعضها نحو خمسين ألف نحلة ، وتسكن كل جماعة منها في بيت خاص يسمى : خلية .

- (ب) أن كل خلية يكون فيها نحلة واحدة كبيرة تسمّى: الملكة أن اليعسوب، وهى أكبرهم جنة وأمرها نافذ فيهم ، وعدد يتراوح بين أربعمائة وخمسمائة يسمى الذكور، وعدد آخر من خمسة عشر ألفا إلى خمسين ألف نحلة ، ويسمّى: الشفالات أو العاملات.
- (ج) تعيش هذه الفصائل الثلاث في كل خلية عيشة تعاونية على أدق ما يكون نظاما ، فعلى الملكة وحدها وضع البيض ، الذي يخرج منه نحل الغلية كلها فهى أم النحل ، وعلى الذكور تلقيح الملكات وليس لها عمل آخر ، وعلى الشغالة خدمة الغلية ، وخدمة الملكات ، وخدمة الذكور ، فتنطلق في المزارع طول النهار لجمع رحيق الأزهار ، ثم تعود إلى الغلية فتقرز عسلا ، يتغذى به سكان الغلية معازًا وكبازًا ... كما عليها أن تنظف الغلية ، وتخفق بأجنحتها لتساعد على تهويتها ، وعليها أيضا الدفاع عن العملكة ، وحراستها من الأعداء ، كالنعل والزنابير ويعض الطيور .

من هدى الستة

وعلل هذا بعض الأطباء الماضين، قال :

كان لدى هذا الرجل فضلات فى المعدة ، فلما سقاه عسلاً : تطلت فأسرعت إلى الخروج فزاد إسهاله ، فاعتقد الأعرابي أن هذا يضرّه وهو فائدة لأخيه ، ثم سقاه فازداد التحال والدفع ، وكلما سقاه حدث مثل هذا، حتى اندفعت الفضلات الفاسدة المضرة بالبدن ، فاستمسك بطنه ، وصلح مزاجه ، وزالت الآلام والأسقام ، بإرشاده عليه السلام .

وروى البخارى عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « الشفاء فى ثلاثة: شرطة محجم ، أو شرية عسل ، أو كيئةً بنار ، وأنهى أمتى عن الكى ، الأمُّ

وروی البخاری أیضا عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ یقول : « إن کان فی شیء من أدرینکم ، أو یکون فی شیء من أدویتکم خیر ، ففی شرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو لذعة بنار توافق الداء ، وما أحبّ أن أكوى »⁽⁴⁰⁾ . وقد تحدث الأطباء في القديم والحديث عن فضل العسل وأهميته في علاج بعض الأمراض ، وذكرواً أن التركيب الكيماري للعسل كما يلي :

من ۲۵: ۶۰٪ جلوکوز .

من ۳۰: ۵۵٪ ليفيلون.

من ١٥ : ٢٥٪ ماء .

والجلوكوز الموجود في العسل بنسبة أكثر من أي غذاء آهر ، وهو سلاح الطبيب في أغلب الأمراض، واستعماله في ازدياد مستمر بتقدم الطب ، فيعطى بالقم ، وبالحقن الشرجية ، وتحت الجلد ، وفي الوريد ويعطى بصفته مقويا ومغذيا ، وضد التسمم الناشئ من أمراض أغضاء الجسم ، مثل: التسمم البولى الناشئ من أمراض الكيد ، والاضطرابات المعدية والمعوية ، وضد التسمم في الحميات ، مثل: التيقويد والالتهاب الرئوى ، والسحائى ، والمخى ، والحصية ، وفي حالات ضعف القلب ، وحالات الذبحة الصدية، وبصفة خاصة في الارتشاحات العمومية الناشئة من التهابات الكلى الحادة وفي احتقان المغية ، إلم 1000

* * 1

﴿ وَاللّهُ خَلَقَكُمْ ثُمْرَ مَنَوَفَىكُمْ وَمِنكُمْ مَن يُرَدُّ إِلَىٰ اَنْفُلُو الْمُمُولِكَىٰ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمِ شَيْعًا إِنَّاللَهُ عَلِيدٌ قَلَيْهُ فَلَا يَدِيثُ فَلَا اللّهِ عَلَىٰ مَعْضَكُو عَلَىٰ بَعْضِ فِي الرِّرْفِ فَمَا اللّهِ عَلَىٰ فَعَيْلُوا بِرَاقِي عَلِيدٌ قَلِيدٌ فَعَيْلُوا بِرَاقِيهِ مِنْ اللّهِ عَلَىٰ مَا مَلَكَ مَنْ الْعَلِيدُ مِنْ اللّهُ عَلَىٰ اللّهِ عَلَىٰ اللّهُ اللّهُ عَلَىٰ الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَ

المطردات،

أردال السعسمسر ؛ أضعفه وأوهاه ، وهو وقت الهرم والشيخوخة ، يقال: ردُّل الشيء، يردَّل، ردَّالة ؛ إذا ذهب جيده ويقي رديلة .

وحسط سدة ، الحقدة: أولاد الأولاد ، من العقد وهو الفقة في العمل والخدمة ، كما جاء في القنوت :
وإليك نسعى ونحفد . روي عن ابن عباس أنه قال : الحقيد: ولد الابن والبنت ، ذكرا كان
أو أنشى ، وقيل : العراد بهم : الأختان والأصهار ، أي: أزواج البنات وأقارب الزوجة ،
وكلها أقوال متقاربة .

تمهيده

بعد أن ذكر سبحانه عجائب أحوال الحيوان ، وما فيها من نعمة للإنسان ، أردف ذلك بهيان أحوال الناس ، فذكرت مراتب أعمارهم ، فمنهم من يموت صغيرا ، ومنهم من يعمّر حتى يحمل إلى أرذل العمر ، ومنهم من يعمّر حتى يحمل إلى أرذل العمر ، ومنهم من يموت في مرحلة الشباب أو الكهولة ، ثم ثنّى بذكر أعمال أخرى لهم ، وهى تفضيل بعضهم على بعض في الرزق ، ثم ثلث بذكر نعمة ثالثة ، وهى أن جعل لهم من أنفسهم أزواجها ، وجعل لهم من أنفسهم أزواجها ، وجعل لهم من أنفسهم أزواجها ، والأشرية ، لهم من أنواجهم بنين وحفدة ، ورزقهم المطعومات الطببة من النبات ، كالثمار والحبوب والأشرية ،

التفسيره

· ٧ - وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ فُمْ يَتَوَقَّلْكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى ٓ أَرْدَل ٱلْعُمُو لِكَنْ لاَ يَعْلَمَ يَعْدَ عِلْم شَيَّا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَديرٌ.

خلق الله الخلائق من عهد آدم إلى قيام الساعة ، ويهده الخلق والأمر وهو على كل شيء قدير ، فالطفل يولد صغيرا ، وتوجد معه الحواس المختلفة ، والسمع والبصر واليد والرجل ، ثم يصير فتَى ، ثم شابا ، ثم كهلاً ، ثم شيخًا ، وفي نهاية العمر تضعف قواه وذاكرته ويعتريه النسيان ، فإذا كسب علما في شيء لم يلبث أن ينساه ، ويزول من ساعته ، فيقول لك : من هذا ؟ ، فتقول له ، هذا فلان ، فلا يمكت إلا هنيهة، ثم يسألك عنه مرة أخرى .

وقد ذكر العلماء للإنسان أربع مراتب :

أَرْلُها : سن النشوء والارتقاء ، وثاليها : سن الوقوف وهو سن الشباب من ٣٣ إلى ٤٠ سنة ، وثالثها : سن بداية الضعف وهو سنّ الكهولة وهو من الأريمين إلى الستين، ورابعها: سن الضعف الشديد ، وهو سن الشيخوخة ، وهو من الستين إلى نهاية العمر .

لِكُيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْم شَيًّا.

أى: فعلنا ما فعلنا من إيقاء بعض الناس إلى سن الشيخوخة : لكى يصدر إلى حالة شبيهة بحالة طفولته ، فى عدم إدراك الأمور إدراكا تاما سليما ، أو لتكون عاقبته بعد العلم بالأشياء ، إلى أن لا يعلم شيئا منها علما كاملا ، وقد استعاد النبي ﷺ من أن يرد إلى أرذل العمر ؛ لأنها سن تتكاثر فيها المتاعب والآلام ، وقد يصير الإنسان فيها عالة على غيره .

روى البخارى عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ كان يدعو فيقول : « اللهم ، إنى أعوة بك من البخل والكسل ، والهرم ، وأرذل الممر ، وعذاب القبر ، وفتنة الدجال ، وفتنة المحيا والممات ، " " .

إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَادِيرٌ.

إن الله تمالى عليم بأحوال مخلوقاته ، لا يخفى عليه شىء من تصرفاتهم ، أنبرٌ. على تبديل الأمور كما تقتضى حكمته وإرادته .

وقريب من هذه الآية قوله تعالى : ٱللّٰهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن صَعْفُولُمْ جَعَلَ مِنْ يَعْدِ صَعْفُوفُوَّ تُمْ جَعَلَ مِنْ يَعْدِ لِآوَ صَعْفًا وَضَيْئَةً يَحْلُقُ مَا يَشَـاءً وُهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَلِيمُ . (الربيء: 40) .

وقال زهير بن أبي سلمي في معلقته المشهورة :

سخمت تكاليف الحياة ومن يعش شمسانين هولا لا أبسا لك يسأم رأيت المسايما خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطئ يعمّر فيهرم

لقد بين القرآن: أن المنايا ليست خيط عشواء ، إلاَّ من ناحية الظاهر ، أما الحقيقة فهى تسير وفق خطِّ القدر ، الذي كتبه الله في الأزل ، وهو العليم بحال عباده ، القدير على تنفيذ المشيئة ، فمن الناس من يتوفى صفيرا أو شابا أو كهلاً ، ومنهم من يعمَّر.

قال تحالى: ... ثُمُّ تُنفوِجُكُمْ فِلْفَادُ ثُمَّ لِشَلْفُوا أَشَائَكُمْ وَمِنكُم مِّن يُتَوَلَّىٰ وَمِنكُم مَن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْفَلَى ٱلْفُمُو لِكَيْلاً يُفَلَمُ مِن يُعْدِعِلْمِ هُسُهًا .. (الديه: 6) .

٧١ – وَٱللّٰهُ فَعَشَلَ مُعَمَّكُمْ عَلَىٰ بَعْضِ فِي ٱلزَّرْقِ فَمَا ٱلَّذِينَ فَصَّلُوا بِرَّادًى رِزْفِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتَ أَيْمَتُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَرَاءُ ٱلْمَعْمَة ٱللّٰهُ يَمْحَدُونَ .

شامت حكمة الله تعالى ، أن يجعل بعض الناس واسع الأرزاق ، ويعضمهم قليل الرزق ، ويعضهم بين بين ؛ لحكمة يعلمها : حتى يستقيد الفنى من عمل الفقير ، ويستقيد الفقير من مكافأة الفنى .

قال تعالى : وَقُوْ بَسَطَ ٱللَّهُ الرَّوْقَ لِعِبَادِهِ لَبَعَوْا فِي ٱلأَرْضِ وَلَـُكِن يُنَوِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرُ يَعِيرُ . (الشورى: ٢٧) .

ومن الأمثال المشهورة : إذا كنت أمير، وأنا أمير، من يسوق الحمير.

إن هذا التفاوت بين الناس في المواهب والأرزاق ، سنة إلهية ، حيث قال تعالى : ٱللَّهُ يُصْطَفِي مِنَ ٱلْمُنْتِكَةُ رُسُلاً رُمِنَ ٱلنَّاس ... (المدير: ٧) . وقال سبحانه : إِنَّ ٱللَّهُ ٱصَّطَفَتُ عَلَيْكُمْ رَزَادَهُ بَسَطَةٌ فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْعِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلَكُهُ مَن يَشَسَاءُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . (البدر: ۷۶۷) .

ويذكر بعض المفسرين: أن نعم الله متعددة ، فالعلم ملك ، والخلق ملك ، والحكمة ملك ، والمال ملك، وسائر العطايا والمواهب ، يعطى منها الوهاب يغير حساب .

قال تعالى ؛ قُلِ ٱللُّهُمُّ مَلَلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن لَشَاءُ وَلَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمْن تَشَاءُ . (ال عموان: ٢١) .

وٱللَّهُ فَطَّلَ يَعْضَكُمْ عَلَىٰ يَعْضَ فِي ٱلرَّزْقِ ...

أى: من الناس الأغنياء ومنهم الفقراء ، ومنهم العلماء ومنهم الجهلاء ، ومنهم المعلوك ومنهم المالك ، ولم يجعل ذلك بحسن الحيلة وفضل العقل فحسب ، فكثيرا ما ترى العبقرى النابه ، لا يحصل إلا على الكفاف من الرزق بعد الجهد الجهيد ، بينما ترى الأحمق يتقلب في النعيم ، كأنما يفترف الرزق من خليج المحر .

قال سفيان بن عيينة :

مسهنوب السرأى عنشه السرزق مستحسرف كسأنسه مسن خطيع السيدس يسخترف

كــم مــن قــوى قـــوى مـن تـقــلَـيـه ومـن ضــعـيـف ضـعـيف الـعـقل مختلِـط ويقرل آخـر:

وجساها جساها تبليقاه مسرزوقا وصييس البعالم الضمريس زنديقا

كسم عساقسل عساقسل أعسيت مسذاهب

لكن لله حكمة خفية في كل أعماله ، فقد يكون كثرة الرزق ابتلاءً واهتبارًا ، وقد يكون الفقر اهتبارًا ، والمتبارًا ، وقد يكون الفقر اهتبارًا ، والمتبارًا ، والمتبارًا ، والمينان مواهب قوية ، لكن موهبته في تثمير المال محدودة ، وقد يكون الإنسان ضميف الميئة في أمور كثيرة ، لكن موهبته في استثمار المال عالية .

وفي الحديث القدسي: « إن من عبادي من لا يصلح له إلا الغني ولو أفقرته ؛ لساء حاله ، وإن من عبادي من لا يصلح له إلا الفقر ولو أغنيته : اساء حاله » .

فَمَا ٱلَّذِينَ فَصَّلُواْ بِرَآدَى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانَهُمْ فَهُمْ فِهِ سَوَآةً ...

أي: إن الأغنياء والأثرياء ، والمالكين للخدم والعبيد ، لا يوزعون ثروتهم على العبيد والخدم ، حتى يتساووا جميعا فيما يملكون ، بل يحافظون على أموالهم وأملاكهم ، ولا يعطون أتباعهم وخدمهم منها ، وإن أعطوهم أعطوهم النذر اليسير من المال ، وأمسكوا المال في أيديهم ، إذا كان هذا شأن العباد مع بعضهم ، فكيف يشركون سم الله معبودات أخرى من مخلوقاته ، ويجعلونهم شركاء لله في الألوهية .

قال العوفي: عن ابن عباس في هذه الآية يقول:

لم يكونوا ليشركوا عبيدهم في أموالهم ونسائهم ، فكيف يشركون معي عبيدي في سلطاني ..

جاء في تفسير ابن كثير:

يقول تعالى منكرا عليهم: أنتم لا ترضون أن تساووا عبيدكم فيما رزقناكم، فكيف يرضى هو تعالى، بمساواة عبيد له في الألومية والتعظيم ؟!

كما قال تعالى في آية أخرى:

ضَوَّبَ لَكُمْ مُثَلًا مِنَ أَنفُسِكُمْ هَلِ لَكُم مَّمًا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقَتُكُمْ فَأَنْهُمْ فِيهِ سَوَاءً تَخَافُونَهُمْ كَخِيفِيكُمْ الفُسَكُمْ .. (الدوم: ٢٨).

ثم ختم سبحانه الآية الكريمة بقوله:

أَفْبِيْغُمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ .

أى: أينعم الله عليهم بالمال والجاه والخلق والرزق ، ثم ينسبون هذه العطايا إلى غيره ، فيجددون نعمة الضائق الرازق الذي بيده الخلق والأمر ، والهمزة هنا للاستفهام الإنكاري ، والفام معطوفة على مقدّر، أي: أيشركون به سبحاته فيجددون نعمه وينكرونها ويغمطونها حقها ، مع أنه تمالى هو الذي منحهم هذه النعم ، وتفضل عليهم بالأرزاق .

٧٧ - وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَينَ وَحَقَدَةً وَزَوَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيْسَتِ ...

خلق الله آلم بيده ، ونفع فيه من روحه ، وزُوجه حواء ، وجعل من نسل آلم وحواء ذرية كثيرة ، وشاء الله أن تكون الزرجة من جنس الرجل ؛ ليحدث الأنس والمودة والرحمة ، وقد جعل الله هذا الأنس والمودة والرحمة ، آية من آيات الله ، ويذلك يتنمم الزوجان ويذوقان عُسيلة بعضهما ، قال تمالى:

وَمِنْ مَايَنجِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا تُصْمَكُواْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ يَنتكُم مُّوَدَّةُ وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِك لاَيَاتٍ لَقَوْمٍ يَتَغَكَّرُونَ . (الدوم: ٢١).

وقال ﷺ: « حبب إلى من دنياكم ثلاث: النساء، والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة »(١٠).

وَ ٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا.

نلمح هذا المساواة بين الرجال والنساء ، وقد كان بعض أهل الجاهلية يكره ولادة البنات ، ويتوارى خجلا إذا رزق بالبنات ، ويعتبر البنت مواودًا غير مرغوب فيه ؛ فيمسكه على هون أو يدسه في التراب ، فلما جاء الإسلام ؛ كرَّم إنسانية الإنسان .

وَلَقَلاَ كُرِّتُنَا نَبَى ءَادُمَ . (الإسراء: ٧٠) ، وكرُّم المرأة وليدة ، وناشئة ، وزوجة ، وأمًّا ، فالمرأة من نفس الرجل، وهي شقيقة الرجل ، وليست المرأة مخلوقا من الدرجة الثانية ، قال تعالى :

يَا لَيُهَا اَلْنَاسُ الْقُواْ رَبِّكُمُ اللَّذِي خَلَقَكُم مِّن أَشْسِ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا وَوْجَهَا وَيَثْ بِنَهُمَا وِجَالاً كَثِيراً وَلِسَاءً. (النساء: ١). وقال ﷺ : « النساء شقائق الرجال "٣٠ .

وقد جعل الله القوامة للرجل على زوجته ، مقابل النفقة والولاية والمسئولية عن الأسرة ، وهي ولاية مودة ورحمة وتعاطف ، لا ولاية غلظة وتجبر .

قال تمالى: ٱلرِّجَالُ قُوْامُونَ عَلَى ٱلنَّمَاءِ بِمَا فَعَلَىٰ ٱللَّهُ يَعْضَهُمْ عَلَىٰ يَعْضِ وَبِمَا أَفْقُواْ مِنْ أَمُوَالِهِمْ ... (النساء: ٢٤). قال الشيخ أحمد المراخى في تفسير المراخى:

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَعِينَ وَحَفَدَةً .

أى : والله سبحانه جعل لكم أزواجا من جنسكم ، تأنسون بهن ، وتقوم بهنّ جميع مصالحكم ، وعليهن تدبير معايشكم ، وجعل لكم منهن بنين وحفدة – أي: أولاد ، وأولاد أولاد – يكونون زهرة الحياة الدنيا وزينتها ، ويهم التقاهر والتناصر والمساعدة لدى البأساء والضرّاء . ا هـ .

وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّئِتِ.

يمثن الله علينا بالأرزاق المتحددة فى المأكل والمشرب والمنكح ، والهداية والملابس والمساكن ، وسائر الطيبات التى ينتقع بها الإنسان إلى أقصى الحدود وأبعد الغايات .

أَفَهَا لَهُ عَلَمُ لِللَّهِ مِنُونَ وَبِيغَمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكُفُّرُونَ .

أى: إن الله قد أنعم أهل مكة بالعديد من النعم ، التي أنعم بها على سائر البشر ، مثل: الأزراج. والأبناء ، والأحفاد ، والطيبات من الرزق ، لكنهم يؤمنون بالأوثان والأنصاب ، والشركاء والأنداد ، التي لم تقدم لهم أيّ رزق ، ويكفرون ويجحدون نحم الله المتعددة عليهم ، فلا يقدمون له الشكر ، ولا يعترفون له بالألومية والوحدانية ، ويأنّه وحدم الشالق الرازق ، الذي لا شريك له ، وقد استهلّ القرآن هذه الفقرة بالاستفهام الإنكارى: ﴿ اَلْهِالْمُنْظِلِ بُرُّوْمُونَ وَبِعُمْتِ اللَّهِ هُمْ يُكَثِّرُونَ ، فيشركون به ويضالفون عن أمره ، وهذه النعم كلها من عطائه ، وهي آيات على الوهيته ، وهي واقعة في حياتهم ، تلابسهم في كل آن .

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّن السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ شَيْتًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿ وَالْأَرْضِ شَيْتًا اللّهُ مَثَلًا مَنْ السَّمَوَنَ ﴿ وَالْأَرْضِ اللّهُ مَثَلًا مَنْ اللّهُ مَثَا لَا يَقْدِدُ عَلَى اللّهُ مَثَلًا مَنْ اللّهُ مَثَا لِزَقًا حَسَنًا فَهُو يُنفِقُ اللّهُ مَثَا لَا يَقْدِدُ عَلَى اللّهُ مَثَلًا مَنْ اللّهُ مَثَا لِزَقًا حَسَنًا فَهُو يُنفِقُ مِنْ وَمَن زَرَقْنَنَهُ مِنَا لِزَقًا حَسَنًا فَهُو يُنفِقُ مِنْ اللّهُ مَثَلًا وَحَدُلُ اللّهُ مَثَلًا وَحَدُلُ اللّهُ مَنْ اللّهُ اللّهُ مَثَلًا وَحَدُلُ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ اللّهُ مَنْ اللّهُ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ اللّهُ مُنْ الللّهُ مُنْ اللّهُ اللّهُ مُنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

المقردات ،

رزقا من السماوات ، رزق السماء: المطر ، ورزق الأرض: النبات والثمار التي تخرج منها .

هلا تضربوا لله الأمثال، لا تجملوا له الأنداد والنظراء : فهو كقوله : فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَلْدَادًا . (البقرة: ٢٧) ، وضرب المثل للشيء ، ذكر الشبيه له والمثيل ، مع أنه سبحانه منزه عن ذلك ، قال تعالى : لَيْسَ كَمِلْكِ شَيْهِ شَيِّةً وَهُوَ آلسَّمِيةً آلْمِيسِرُ . (الشورين ١١) .

أحسفه ما أبكم : الخُرس؛ وهو إمَّا ناشئ من صمم خلقى ، وإما لسبب عارض ، ولا علة في أُذيه، فهو يسمع ، لكن لسانه معتقل لا يطيق الكلام ، فكل من ولد غير سميع فهر أبكم : لأن الكلام بعد السماح ، ولا سماح له .

الــــــــكُ ، الغليظ الثقيل من قولهم: كلُّت السكين ، إذا غطتت شفرتها فلم تقطع ، وكلُّ عن الأمن ثقل عليه فلم يستطع عمله ، وقد يسمّى اليتيم: كلاً ؛ لثقله على من يكفله ، ومنه قول الشاعر : أكول لعال الكُلُّ قبل شبابه . إذا كان عظم الكلّ غير شديد فالكل هو الإنسان الضعيف العاجز ، الذي يكون محتاجا إلى من يرعى شئونه .

على صراط مستقيم؛ أي : طريق عادل غير جائر.

تمهيده

تشدّع الآيات على الكافرين ، في عبادتهم الأممنام والأرثان ، مع عجزها وعدم قدرتها على رزق الأخرين ، وتنهى أن يجعل الله ندا أو مثيلا ، فهو سبحانه لا ندّ له ولا نظير ، ثم ضرب سبحانه مثلا ، قارن فيه بن عبد معلوك قاصر قليل الحيلة ، وحرّ متحرك ينفق سرا وجهرًا هل يستويان ؟ ، وإذا امتنع ذلك فكيف يُسرِّي المشركين القادر الزازق ، والأصنام التي لا تملك ولا تقدر على النفم والضرّ .

والمثل الثانى: مثل رجلين:

أحمدهما : أبكم عاجز لا يقدر على تحصيل خير، وهو عبء ثقيل على سيده .

واانهما: رجل يأمر غيره بالعدل ، وهن متحدث ناطق ناصح لغيره ، جامع لقصال الغير في نفسه ، متعدد للمواهب والمزايا ، نافع لنفسه وللآخرين ، وفيه أيضا مقارنة بين صمّ لا يسمع ولا ينفع، وبين رب قادر خالق رازق سميع مجيب .

التفسيره

٧٧ - وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَنُوَاتِ وَٱلأَرْضِ شَيَّا وَلا يَسْتَطِيمُونَ .

أى: إن هؤلاء الكفار يعددون من دون الله أمناما ، لا تطك إنزال المطر ، ولا تملك إنبات النباب ، ولا تملك أى شىء من دلائل القدرة الإلهية ، التى تحدث القرآن عنها فيما سبق ، فهو سبحانه : هالق الإنسان ، وخالق الذكر والأنثى ، وخالق البنين والحفرة ، ورازق الإنسان من السماء بالمطر ، ومن الأرض بالنبات ، بينما نجد الكافرين يعبدون أصناما لا تنفع ، ولا تضر ولا تسمع ولا تجيب ، ولا تستطيح ذلك لو أرادته ، فهى أصنام في غاية الضعف وقلة الحيلة ، وأنبع ذلك بضرب مثلين يقارب فيهما بين الصنم الماجز والإله القادر سيحانه وتعالى .

٤ ٧- فَلاَ تَصْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ .

أى: ليس فله مثال حتى تضريوا له الأمثال ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسُّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ . (الشررى: ١١).

قال الزجاج:

ورد: أن المشركين كانوا يقولون: إن إله العالم أجلً من أن يعبده الواحد منًا ، فكانوا يقوسلون إليه بالأصنام والكواكب ، كما أن أصاغر الناس يخدمون أكابر حضرة الملك ، وأولئك الأكابر يخدمون الملك فنهرا عن ذلك . ا هـ . أخرج ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، عن ابن عباس أنه قال : فَلاَ تَصْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ .

أي : لا تجعلوا معي إلها غيري ، فإنه لا إله غيري . ا هـ .

إِنَّ اللَّهُ يَعْلَمُ وَٱلْهُمْ لاَ تَعْلَمُونَ . إن الله يعلم كنه ما تفعلون من الإجرام ، وعظيم الآثام ، وأنتم لا تعلمون حقيقته ، ولا مقدار عقابه ، أن إن الله هو الذي يعلم كيف تُضرب الأمثال ، وأنتم لا تعلمون ذلك .

٧٥- ضَرَبَ ٱللَّهُ مَنَادُ عَبْدًا مُمْلُوكًا لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رُزَقَتُهُ مِثًا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُفِقُ مِبْدُ سِرًا وَجَهُوَا هَلْ يَشْتُوونَ .

ضرب الله هذا مثلا لرجلين:

أحمدهما : عبد مملوك عاجز عن التملك والإنفاق ، وعاجز عن كل شيء .

والثاني : مالك كثير الرزق ينفق سرا وجهرًا .

والمثل الثانى: للسيد المالك الرازق ، والأول: للمطوك العاجز الذي لا يملك ولا يكسب ؛ وذلك لتقريب المقيقة الكبرى التي غفلوا عنها -- حقيقة أن ليس لله مثال، وما يجوز أن يسووا في العبادة بين الله وواحد من خلقه ، وكلهم له عبيد .

هَلْ يُسْتُوونَ . أي : هل يستوى الإله القادر ، والأمنام التي لا تملك ولا تقدر على شيء البتة .

ٱلْحَمَّدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ .

أي : الحمد الكامل لله خالصا ، دون ما تدّعون من دونه من الأوثان ، فاتجهوا بالحمد لله الشالق الرازق ، ولكن أكثر مؤلاء الكفار يجهلون هذه الحقيقة ، ويجعلون لله شركاء في العباء ؟ والحمد .

٧٧ - وَ مَثَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاَ رَجُلَيْن أَحَدُهُمَا آَلِكُمْ لاَ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كُلُّ عَلَىٰ مَوْلَــَهُ آَيْتَمَا يُوجِّدُ لاَ يَاتِ بِخِيرٍ هَلْ يَسْتَوَى هُوَ وَمَن يَأْمُورُ الْقَعْلُ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ شَنْتَهِمِ .

يصوّر هذا المثل رجلين :

أحدهما: أبكم بليد ضعيف لا يُسمع ، ولا يُسمع ، وهو عاجز عن خدمة نفسه ، فضلا عن خدمة غيره، وهو مثال للصنم المصنوع من خشب أن تحاس ، وهو في حاجة إلى من يحمله وينظفه ويعني به ، وترى أن النموذج لرجل فاقد الحيلة ، محتاج إلى مولّى يرعاه وينفق عليه ، وعاجز عن إنجاز أى مهمة .

هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْقَدَلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

أي: هل يسترى الأبكم الأصمّ العاجز الضعيف ، يرجل سليم الحواس عاقل ، ينفع نفسه وينفع غيره، يأمر الناس بالعدل وهو على سيرة صالحة ودين قريم ، هل يستويان ؟!

ولا يسوَّى عاقل بين هذا وذاك ، فكيف تمكن التسرية بين صنم أو حجر ، وبين الله سبحانه وتعالى، وهو القادر العليم ، الآمر بالمعروف ، الهادى إلى الصراط المستقيم^{،١٠}٠.

ويمكن أن تكون هذه النماذج : لبيان الغرق الشاسع ، بين المؤمن الذي هو على بصيرة من أمره، وبين الكافر الذي استجلب العمى على الهدى ، أو بين الحق فى وضوحه وجماله وجلاله ، وبين الباطل فى ظلامه وقبحه .

ويهذه الأمثلة : تكون السورة قد ساقت أعظم الأبلة ، وأوضحها على صحة قوله تعالى قبل ذلك: رُوَّالَ اللَّهُ لاَ تُعَبِّدُواْ إِلَيْهِمْ التَّهِنِّ النِّمَا هُوَ إِلَيْهُ وَاجِلَّا .. (النحل: ١٥).

* * *

﴿ وَلِلَّهِ عَيْبُ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَمَا آمَّرُ السّاعَة إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ اَوْهُواْ قَدَبُ ال إِن اللّهَ عَلَى كُلِ شَيْءٍ فَدِيْرٌ ﴿ قَ وَلَلّهُ الْخَرِعَكُمْ مِنْ بُقُونِ أَمَّهَا نِكُمْ لا تقلَمُون شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَدَرَ وَالْأَفْدِدَةُ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون الْاَيْدَيْرُوا إِلَى الطّيرِ مُسَخَّرَتِ فِ جَوِّ السَّمَاءَ عَايْشِيكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّا فَاللّهُ لاَيْدَ يَلِكَ لَا اللّهُ إِنَّا اللّهُ إِنَّا اللّهُ إِنَّا اللّهُ إِنَّا اللّهُ إِنَّا اللّهُ اللّهُ إِنَّا اللّهُ إِنَّا اللّهُ إِنَّا اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ

المفردات،

غيب السعاوات والأرض، جميع الأمور الفائية عن علوم المخلوقين ، التى لا سبيل إلى إدراكها حسًّا ، ولا إلى فهمها عقلا . الســــــاهـــــة ، الوقت الذي تقوم فيه القيامة ، سميت بذلك : لأنها تفجأ الإنسان في ساعة ما ، فيموت الخلق بصبحة واحدة .

المج المسبوسور: التحرك السريع لطرف العين من جهة إلى جهة ، أو من أعلى إلى أسفل.

الأهب تسبيقه وإحدها: فؤاد ، وهي القلوب التي هيأما الله للفهم ، وإصلاح البدن .

جــو الســمــاء: الهواء المتباعد بين الأرض والسماء.

تقهيده

تتناول الآيات جوانب قدرة الله تعالى ، فهو سيحانه العليم بالغيب ، الذي تعجز عنه الحواس والعقول البشرية وهو القادر على المجيء بالقهامة في لمح البصر ؛ لأنه على كل شيء قدير ، وهو الذي يخلق الإنسان في بطن أمه ، ويمنحه السمع والأيصار والعقل والتفكير ، وهو سبحانه يمسك الطير في جرّ السماء ، وهذا مرتبط بالهواء والفضاء ونظام الكون ، الذي أبدعه العليم القدير .

التفسيره

٧٧ - وَلِلَّهِ عَيْبُ ٱلسَّمَلُوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْهُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلَّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

الله سبحانه وتمالى استأثر بالغيب ، ومعرفة موعد قيام الساعة ، ومتى ينزل الغيث ، وهو العليم بالجنين : عمره ورزقه وسلوكه ، والإنسان لا يعلم ماذا يكسب غدا ، ولا يعلم بأى أرض يموت ، إنها أمرر الغيب التى استأثر الله بعلمها ، ويتقدم العلم ، ولكن أعلم العلماء لا يدرى متى يفارق هذه الحياة ، قال تعالى : إِنَّ آللَهُ عِيدَةُ مِلْهُ آلسَّاعَةُ وَيُتَرِّلُ ٱلْفَيْتُ وَيَعْلَمُ مَا فِي آلاًرَّ عَلَمْ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَاذَا كَكُسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَاذَا كَكُسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ لَا وَرَالِهُ عَلِيمٌ خَيِرٌ أَلْ (قمان: ٣٤) .

فهو سبحانه تنكشف أمامه جميع الموجودات ، انكشافا تاما دون سبق خفاء ، وهو سبحانه واسع العلم يسمع كل شيء ويرى كل شيء ، إِنَّ اللَّهُ سَمِيعٌ بُعِيرُ .

وَمَا أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ .

قدُر الله تعالى أن تنقهى الحياة الدنيا في وقت مًا ، فيموت الناس جميعا ، إلاَّ من شاء الله ، ثم يبعث الله الناس للحساب والجزاء ، حتى يونِّى كل إنسان جزاء ما عمل ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر .

قال تعالى : وَنُفِحَ فِي ٱلصُّورِ لَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَّوَاتِ وَمَن فِي ٱلأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ ٱللَّهُ ثُمُ نُفحَ فِيهِ أَخْرَى فَإِذَا هُمْ قِبَامُ يَنظُورُونَ ، (الزمر: ١٨٨) . وهذا البعث والحشر والحساب والجزاء ، هين على الله تعالى ، فهو الذي بدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه. وَمَنَا أَمُرُ ٱلسَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْعِ ٱلْمُصَرِّ أَوْ هُرُ أَقُرْبُ .

أى ليس مجىء القيامة وشأنها في سرعة المجيء ، إلا كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها ، أو هو أقرب من ذلك وأسرع ؛ لأن الأمر بيد الإله القادر، إِنْمَا أَمْرُهُ إِنَّا أَرَادُ شِيًّا أَن يُقُولُ لُهُ كُن فَيْكُونُ . (يس : ٨٢).

قال تعالى : وَمَا أَمُولَا إِلاَّ وَاحِدَةً كَلَمْحِ إِلَّهُمَسِ . (القمر: ٥٠) .

أى : فيكون ما يريده الله كطرف العين .

وكان أمل مكة ينكرون البعث ، ويستبعدون ذلك : لأن الإنسان يصير ترابا رميما ، أبعد ما يكون عن الحياة ، فبين الله : أن أمر الساعة يسير هين كلمج البصر .

وهي هذا المعنى يقول الله تعالى: وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَلَسِيّ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظْمُ وَهِيَ رَمِيمٌ **، قُلْ يُ**حْمِيهَا ٱلْذِيّ اَنشَلْمَا أَوْلَ مَرَّةٍ وَهُوَ يَكُلُّ عَلَى عَلِيمٌ . (يس: ٧٩.٧٨) .

وفي ختام الآية يقول الله تعالى:

إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ.

أى: إن الله لا يعجز قدرته شىء ، سواء أكان هذا اللشىء يتعلق بأمر قيام الساعة، فى أسرع من ، لمح البصر، أو بغير ذلك من أشياء ، فهو سبحانه فعال لما يريد ، إِنْمَا أَسُرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْنًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن لَيْكُونُ . (س: ٨٤).

٧٨– وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنَ' يُطُونِ أَنْهَلِيكُمْ لاَ تَطْلَمُونَ شَيَّنا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّفعَ وَالأَيْصَــٰزَ وَالْأَفِيدَةَ لَقَلَكُمْ تَشَكُونَ .

يذكر المق سبحانه: نعمة جديدة ، هي نعمة الخلق ، وتكوين الجنين في بطن أمه ، ثم خروجه إلى الحياة لا يعلم شيئا ، فشق الله له للسمع أذنين ، والنظر عينين ، والبطش يدين ، وللمشي رجلين ، ووهبه العقل والفؤاد ، وأمدَّه بأجهزة متعددة ، كالجهاز العصبي والجهاز اللمقاوي والجهاز الهضمي ، ويسر له سبل الحياة : ليختار الهدي أو الضلال .

قال تعالى : إِنَّا خَلَقَنَا الْإِنسَانَ مِن تُطْفَهُ أَنشَاحِ يُتَتِلِهِ فَجَعَلْنَاهُ سَوِيتًا بَعِيرًا و إِنَّا هَنَيْنَاهُ ٱلسَّبِلَ إِنَّا شَاكِرًا وَإِنَّا كُفُورًا . (الإنسان: ٢.٣). وقد خلق الله الجوارح للإنسان ؛ حتى ييسر عليه شئون الحياة ، فالسمع : ييسر له سماع الوحى والمواعظ ، والأخبار والعلوم والآداب ، والنظر يتأمل به في ملكوت السماوات والأرض ، ويشاهد المشتريات فيأخذ الحسن ويترك الردىء ، والرُجَل : يمشى بها إلى الخير والرياضة ، والدراسة والصلاة ، واليد : يأخذ بها الكتب ويمسك بالقلم ويتعلم ويُعلم ، وبهذه الجوارح يعبد الله وينفع وينتفع ، وإذا أطاع العبد ربه ؛ بارك له في صحته وعافيته ، ويسر له استخدامها فيما يفيد البلاد والعباد ، وهذا هو شكر النمعة، أي: استخدام الجوارح فيما خلقت له .

روى البخارى فى صحيحه: أن رسول الله ﷺ قال : « يقول الله تعالى : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى بالحرب ، وما تقرب عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبّه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، ويحمره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى عليها ، ولذن سألنى لأعطينه ، ولتن دعانى لأجيبنه ، ولتن استعاذ بى لأعيذنه ، وما ترددت فى بشىء أنا فاعله ترددى فى قبض عبدى العربين ؛ يكره العوت ، وأكره مساءته ، ولا بدّ له منه ، ، ، ، ، ،

وفى هذا الحديث دليل على معونة الله للصالحين، ويركاته للمتقين، حتى إنه يجعل سلوكهم موفقا، وأعمالهم هادفة، وتفكيرهم سليما، وقريب من هذه الآية قوله تعالى: قُلُ هُوَ ٱلَّذِي ٓ أَنشَأَكُمُ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعُ والْأَيْصَرُ وَٱلْأَلِيدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ. (الملك: ٣٧).

ثَمَلُكُمُّ تَشَكُرُونَ. أَى: رجاء أن تشكروه باستعماله نعمه ، فيما خلقت لأجله ، وتتمكنوا بها من عبادته ، وتستعملوا كل جارحة فى الخير والعمل النافع ومساعدة عباد الله ، لكن بعض الناس هو الذى يقلح فى أداء هذه الرسالة ، وتليل منهم هو الذى يشكر الله على نعمة هذه الجوارح ، ويرى آخرون أن الناس جميعا يشاركونهم فى هذه النعمة ، ويريدون ألا يشكروا إلاً على نعمة خاصة به ، مع أن كل إنسان يرى نفسه أعقل الناس ، ويرى أن رأيه أفضل الآراء ، فلماذا لا يشكر الله على هذه النعمة ، التى يرى نفسه مختصا بها .

٧٩- أَلُمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوَّ ٱلسَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ ٱللَّهُ إِنَّ فِي ذَالِكَ لاَيُسْتٍ لَقَوْمٍ يُتُونِنُونَ .

ألم يشاهدوا الطير مرتفعات في جوّ السماء ، وفي طبقات الجو العالية ، قد يسُّر الله لها هذا الطيران، فلا شيء يجذبها إلى أعلا، ولا طريق تحتها يحفظها ، وإنما علمتها القدرة الإلهية أن تحرّك أجنحتها ، حتى تتماسك في السماء بيد القدرة الإلهية ، التي أودعت في كل شيء ما تقوم به حياته ، وهذا المنظر لأسراب الطير منظمة ، في سرب بديع عجيب ، منظر يثير الدهشة والتأمل ، في قدرة القدير ، وجمال هذا الكون وتناسقه ، لكن الألف والعادة جعلت الناس ينظرون ، ولا تتحرك عندهم مشاعر الإيمان ، والإحساس بالنظام والتناسق والإبداع ، وَكَأْلِن مَنْ ءَلَيْهِ فِي ٱلسَّمَاوُاتِ وَٱلْأَرْضِ يُمَرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَلَهَا مُعْرِطُونَ . (يوسفد ١٠٥) .

إن في هذا الأمر آيات ودلائل لقوم يزمنون ؛ بأن يد القدرة الإلهية هي التي سخّرت هذا الكون ، وأبدعت نظامه ، غالهواء والفضاء ، وحركة الطير وقولنين الجاذبية ، كلها مسخرة ببد القدير ، الذي أبدع كلّ شيّءٍ خلقه ، إن في هذا التسخير والإبداع آيات وعلامات ، لمن تحرك في قلبه الإيمان بالله ، واليقين بقدرته وعظمته :

وفي كل شيء له آية الواهب

﴿ وَاللّهُ مَعَلَلُكُمْ مِن الْبُوتِكُمْ سَكَنَا وَجَعَلَلُكُمْ مِن جُلُودِ ٱلْأَتَعْدِ بُوتَا تَسْتَخِفُونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصَوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهِمَا أَنْتَا وَمَتَعَالِلُ عِينِ ۞ وَاللّهُ جَعَلَلُكُمْ مِمّا خَلَقَ طَلْلُلا وَجَعَلُ لَكُمْ مِن الْعِبَالِ أَكْنَانَهُ وَمَعَلَ لَكُمْ مِن الْعِبَالِ أَكْنَانَكُ وَمَعَلَ لَكُمْ مِن الْعِبَالِ أَكْنَانَكُ وَمَعَلَ لَكُمْ مِن الْعِيلِ اللّهَ عَلَيْكُ الْمِلْكُ فَي مَنْهُمُ الْمُوبِ فَي فَوْمَتَهُمُ عَلَيْكُ الْمِلْكُ الْمُلِيثُ ۞ يَعْمَلُهُ مَن يَعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ لَعَلَيْمُ مُنْسِلِمُوبَ ۞ فَإِن تَوْلُواْ فَإِنّمَا عَلَيْكُ الْبُلَاعُ ٱللّهُ مِنْ اللّهِ ثُمَّ الْمُعْرِقُ فَي عَلَيْمَ اللّهُ اللّهِ اللّهُ مُنْ اللّهِ مُعْمَلًا عَلَيْكُ الْمِلْكُ الْمُلِكُ الْمُلْكُونُ وَكَ

المقر دات :

سيك أماه مسكنًا تستقرون فيه وتأمنون وتهدمون.

فلعند الماء أو رحيلكم لطلب الماء أو المرتم.

الأنسمام؛ جمع نعم وتشمل الإبل والبقر والغنم.

الأصواف اللمان ، والأويار: للإبل ، والأشعار: للمعز.

إلى حـــــين: أي: إلى انقضاء آجالكم.

المطالل ، ما يستظل به من الغمام والشجر والجيال وغيرها.

أكسسانسا: الأكنان: جمع كِنَّ، وهو: الغار ونحوه في الجبل.

السبرابسيان - واحدها: سريالً ، وهو : القميص من القطن والكتان والمسوف وغيرها ، وسرابيل الحرب : هي الجواشن والدروع .

السيباس: الشدة ويراديه هذا الحرب.

تۇغىد ،

يتغضل الله على عباده بذكر طائفة من النعم ، منها السكن الذي يهدأ فيه الإنسان ، ويأمن على نفسه وسرِّه وعرضه ، وهناك بيوت هفيفة الحمل يتخذها العربى من جلود الأنمام ، ويعمل خيمة يستظل بها في سفره وإقامته ، وقد جعل الله للإنسان الجبال يأوى إليها في ظلام الليل ، ويسكن في أكنانها وخصونها ومعاقلها ، ويسَّر للإنسان الثباب التي تقيه الحر والبرد ، والدروع وعدة الحرب من الحديد ؛

التطسيره

٨ – وَآلَلُهُ جَعَلُ لَكُمُ مِّنْ بُمُوتِكُمْ سَكَنَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّن جُلُودِ الْأَنْهَذِم بُيُونَ تَسْتَخِفُونَهَا يَوْمَ طَعْنِكُمْ وَيَوْمَ
 إلاَنكِكُمْ وَمِنْ أَسْدَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا آلَنَكُ وَمَنْدُعَا إلَىٰ حِين .

يمتن الله على عباده بالبيوت التى يسكنونها فيهدمون ويستريحون ويستقرون ، فهى سكن تسكن فيه النفس وتهدأ على عباده بالبيوت التى يسكنونها فيهدمون ويستريحون ويستقرون ، فهر والجسدى ، فلا نتطلع إلى أسرار الآخرين ، ولا نتجسس عليهم ولا نفاجتهم في ظلام الليل أو قبيل الفجر ، وأن نحفظ للجار سرّه وعرضه فلا نتجسس عليه ، ولا نتطلع إلى عوراته ، ولا نزديه في نفسه أو أسرته حتى يحقق البيت السكن والأمن ، ومن نعم الله: أن جعل لنا بيوتا يسيرة ، هى الخيام التى نصنع منها قبابا وفساطيط ، نستظل بها عند السفر والترحال ، وعند الإقامة ، وتتخذ هذه الخيام من الصوف والوير والشعر .

وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَلَكًا وَمَعْلَعًا إِلَىٰ حِينٍ.

جعل الله لنا من أصواف الضأن وأويار الإيل وأشهار الدعز ، أثاثا لبيوتنا تكتسى به حينا ، ونستعمله في الفطاء والفراش حينا آخر، ونتخذه للتجارة والتمتع به .

إِلَىٰ حِينِ . أي : إلى نهاية آجالنا .

٨١- وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مَّمَّا خَلَقَ ظِلَالاً ...

يحتاج الإنسان إلى الطّل خصوصا في البلاد الحارة ، وخصوصا الفقراء الذين لا مأوى لهم ، فيستفيدون بطّل الأشجار والجبال والجدران ؛ لتقيهم من الحر الشديد .

وَ جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْتُكُنَّا.

أي: وجعل لكم من الجبال مواضع تستكتُّون فيها ، وتهدمون للعبادة والتأمل والبعد عن صخب الحياة : في المفارات والكهوف ونحوها .

وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرِّ .

من نعم الله : أنه يسر لنا الثياب التي نتجمل بها ، ونتقى بها الحر والبرد ، وقد استغنى بذكر أحد المتقابلين عن الآخر ، ولأن بلاد العرب يغلب عليها الحرّ فاكتفى به ، وقيل : لأن ما يقى من الحرّ يقى من الدد.

وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ.

وتوجد مالابس أخرى من الدروع وحلل الحرب وما يشبهها ، تتقون بها الطعنات والضريات التي تسدد إليكم في حالة الحرب ، وفيه دليل على اتخاذ عدة الحرب ، والتعرين على استخدامها في الجهاد ؛ ليستمان بها على قتال الأعداء ، وقد لبسها النبي ﷺ.

كَذَا لِكَ يُتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْلِمُونَ .

أى: إن الله يتم عليكم النعم فى المسكن والملبس ، والأثاث وعدة الحرب ، وأنعم الدين والدنيا ، لعلكم تسلمون لله وجوهكم وتلويكم : بالدخول فى الإسلام فتسعدوا بنعيم الدنيا والأخرة : فإن العاقل إذا أسدى إليه المعروف : شكر من أنعم به عليه : كما قال المتنبى :

وقيدتُ نفسى في دارك محبِّهُ ومن وجد الإحسان قيدا فقيدا

٨ ٧ - فَإِن تَوَثُّواْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰعُ ٱلْمُسِنُّ .

أي: إن أعرضوا عن الإيمان ، بعد تقديم كل هذه الأدلة اليهم : فلست مكلفا بخاق الإيمان في قلويهم، إنما أنت رسول ، مهمتك البلاغ المبين الواضح ، والبيان الساطع ، والتذكير بأنعم الله على الإنسان ، ثم لتركهم وشأنهم فما أنت إلا نذير .

قال تعالى : فَلَاكُّرْ إِلَّمَا آَنتَ مُذَكِّرٌ » لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ، (الغاشية: ٢٢،٢١).

٨٣- يَعْرُفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَنْفِرُونَ .

أى: إن هؤلاء المشركين ، يعرفون نعم الله المتعددة ، التي ذكرت في هذه السورة ، فالأدلة متوافرة

وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَلْفِرُونَ .

أى: وأكثر هؤلاء المشركين يجحدون نعم الله لا عن جهل بها ، بل عن علم ومعرفة ، ويجحدون نبوة الرسول صلى الله عنه مندقة وأمانته .

قال تعالى : وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَهْتَنَهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوا ... (النمل: ١٤).

وقال عز شأنه : فَإِنَّهُمْ لا يُكَلِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّلْلِمِينَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ يَجْحَلُونَ . (الأنعام ٣٠٠).

* * *

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمْتُو شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُوْدَنُ لِلَّذِينَ كَفُرُوا وَلاَهُمْ يُسْتَعْنُونَ هُوَإِذَا رَءَا اللَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلا يُحَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَاهُمْ يُظَرُونَ ﴿ وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكُوا شُرَكُوا شُرَكُوا الْعَدَالِةِ مِثْرَكَ اللَّهِ يَوْمَ إِذَا اللَّهِ يَوْمَ إِلَّا مَنْعُوا مِن دُونِكُ فَا لَقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَ لِيْمِنَ وَالْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمِ إِلَّا السَّائِمُ وَضَلَ عَنْهُم مَا كَانُوا يَفْمَونَ ﴿ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ مَعْنُ فِي كُلُ أَمْتَهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُعْلَى اللْمُنْلِلْمُ اللْمُنْ اللْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُنْ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ الللْمُلْمُ اللْمُنْ الللللِلْمُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

المفردات

الأم الجيل من الناس ، أو الجيل من الناس ،

شميه من الكافرين بالكفر والتكنيب.

ثم لا يؤذن للثين كفروا: لا يسمح لهم بالاعتذار عن كفرهم وباطلهم.

ولاهم يستحتبون، أى: لا يقبل منهم الاعتذار عما فطوا ، ولا محاولة إرضاء ربهم فى الآخرة ، يقال عتب عليه يعبّب إنا وجد عليه ، فإذا فاوضه فيما عتب عليه فيه : قيل: عاتبه ، فإذا رجم إلى مسرتك : فقد أعتب ، والاسم: العتبى ، وهو رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضى العاتب ، قال النابغة:

قَانَ كَنْتَ مَظْلُوما فَعِيدًا ظَلَمتُه وإن كَنْتَ ذَا عَتَبِي فَعَثْلِكَ يُعَتِّي وفي الحديث الشريف: « لك العتبي حتى ترضى »(**).

ي ت ظ رون، بمهلون ويؤخرون.

الشير وكالماناء الأصنام والأوثان ، والشياطين والملائكة ، والشمس والقمر ، وغيرها .

الشمالم والانقياد.

شــــان، ضاع ويطل

تقهيده

تذكر الآيات: موقف الظالمين يوم القيامة ، ويبدأ المشهد بموقف الشهداء من الأنبياء ، يدلون بما وقع لهم في الدنيا ، ثم لا يؤذن للظالمين بالكلام ، ولا بطلب العتبى والرضا لله ، وإذا رأى الكافرون معبوداتهم من الأصنام والأوثان والملائكة والآدميين ، قالوا : رينا مؤلاء شركاؤنا ! لقد اعترفوا لله بالربوبية ، وحاولوا التنصل من تبعة الشرك ، وإذا بمن زعموهم شركاء يكتّبونهم ، ويلقون السّلم لله تعالى، ويطل عندئذ كل كذب وافتراء ، ثم يذكر السياق : هول المشهد ، وظهور الأنبياء شهداء على أممهم ، ويظهر النبي عليه الصلاة والسلام شهيدا على جميع من أرسل إليهم ، وقد أنزله الله عليه الكتاب ؛ ليبين للناس أمور دينهم ودنياهم ، وليكون هداية ورحمة ويشري للمؤمنين .

التفسيره

٨٤ - وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ .

يستعرض الجهار موقف القيامة ، حيث يُبعث الأنبياء شهداء على قومهم ، فيشهدون للمؤمنين بالإيمان ، وللكافرين بالكفر والعصيان ، وفي نلك الموقف لا يسمح للكفار بإيداء أعذارهم ، ولا يسمح لهم بطلب العتبى من ربهم ، والاعتذار له حتى يرضى ، فالدنيا عمل ولا حساب ، والآخرة حساب ولا عمل ، وهناك مواقف متعددة فى الآخرة ، منها موقف السؤال ، وفيه نجد القرآن يقول : رُوَّفُوهُمْ إِلَّهُمْ مُسْتُولُونَ . (السانات ٢٤) ، ومنها موقف لا يقبل فيه اعتذار ولا كلام ، فهو أشبه بقضية يبدأ فيها للتحقيق، ويسمح فيها للجانى بالدفاع عن نفسه ، وإظهار أسباب جريمته ، حتى إذا استكمل الدفاع ، حجزت القضية للنطق بالحكم ، فلا يقبل عندنذ كلام .

والخلاصة : إن هناك مواقف متعددة لمشاهد القيامة .

٥٨- وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلْعَذَابَ فَلا يُحَفَّفُ عَنَّهُمْ وَلا هُمْ يُنظُرُونَ .

إذا عاين الظالمون عذاب جهنم؛ فزعوا واشتد خوفهم؛ لكن ذلك لن يغير شيئا من المصير المؤام الذى ينتظرهم، فلا يخفف عنهم العذاب أيّ تخفيف، ولا يمهلون ويتركون بعض الوقت بدون العذاب؛ فالعذاب واقع لا محالة، عاجل وليس بآجل، ونحو الآية قوله تعالى: وَزَعَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَقَلُواۤ ٱلْهُم مُوّافِّرُوا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا. (الكهف: ٥٦).

وقول: إِذَا رَأَتُهُم مُن مُكَانَ, بَعِيدُ سَمِعُوا لَهَا تَقَيْظًا وَزَلِمِرًا ॰ وَإِذَا ٱلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيَقًا مُقَرِئِينَ دَعُواْ لَهَنالِكَ تُمِورًا ॰ لا تَدَعُواْ الْقَوْمَ لُمُورًا وَاحِدًا وَآدَعُواْ لُمُورًا كَثِيرًا . (الفرقان: ١٤-١٤).

وقريب منه قوله تعالى : وَنَادَوْاْ يُسْمَلِكُ لِيُقْضِ عَلَيْنَا رَبُكَ قَالَ إِنَّكُم مُلكِتُونَ * لَقَدْ حِنْسُكُم بِالْحَقَّ وَلَلكِنَّ الْمُعَلِّ وَلَلكِنَّ اللهِ وَلَدَينَ أَكْثَرَكُمُ لِلْمَقِّ كُلُوهُونَ . (الزهرف: ۷۷، ۷۷) .

٨٧- وَإِذَا رَءَا اللَّهِينَ أَشْرَكُواْ شَرَكَنَاءَهُمْ قَالُواْ رَبُّنَا هَنَاؤُلَاءٍ شَرَكَالُونَا اللَّهِينَ كُنَا نَدْعُواْ مِن دُوطِكَ فَالْقُوّاْ إِلَيْهِمُ الْقُوْلُ إِنَّكُمْ لَكَشْلِهُونَ .

تعرض الآية مشهدًا من مشاهد القيامة ، حين يرى المشركون الأصنام والأوثان والآلهة المدعاة ، التي عبدوها من دون الله ، فإذا عاينوها ؛ تمتُوا أن تصل هذه الآلهة المدعاة ، جانبا من العذاب ، أو يخفف عنهم العذاب الإلقاء المسئولية على هذه الآلهة ، ويالحظ اعتراف المشركين لله بالربوبية ، واعترافهم بالذخط اعتراف المشركين لله بالربوبية ، واعترافهم بالذخس ، وعلمهم بأن العذاب مستمر ، إلا أن الغريق يتعلق بأى شيء يصادف ، فهم يأملون منقذًا من العذاب ، لكن الأصنام ترد عليهم وتلزمهم المسئولية ، وتقول لمن عبدها : إنكُم تُكذابُونُ ، في محاولة إلقاء التبعة علينا ، فما أمرناكم بعبادتنا ، ولا طلبنا منكم ذلك ، وقريب من هذا تبرؤ المسبح يوم القيامة معن جعله إلها .

قال تعالى: وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِسَىٰ إِبْنَ مَرْيَمَ أَلْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ الْعَجَلُونِي وَأَمَّى إِلْنَهُمْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبَحَالَكَ مَا يَكُونُهُ فِي أَنْ أَقُولُ مَاكِسَ فِي بِحَقَ إِن تُحت قُلْتُهُ قَلَةَ عَلِمْتُهُ مَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِى وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِى وَلاَ أَعْلَمُ أَمْ فِي فَلْسَى وَلاَ أَعْلَمُ أَنْ عَلَامُ اللَّهُ وِبِ وَ أَعْلَمُ وَاللَّهُ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ تَهِمِدًا مَّا دُمْتُ فِيهِم فَلَمَّا تُولُقِتِي كُنتَ النَّوبِ وَمَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمْرَتِي هِ أَنِ اعْتُدُوا اللَّهُ زَيْق وَرَبْكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِم أَنتُ الرِّقْهِمَ عَلَيْهِم وَأَنتَ عَلَى كُلِّ ضُوعٍ ضَهِيدٌ (الساعة ٤١٧،١٩١٦).

وقـال تـعالى: وَاتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ عَالِهَةً لِكُولُواْ لَهُمْ عِزًّا هَ كَلاَّ سَيَكُفُرُونَ بِعِادَتِهِمْ وَيَكُولُونَ عَلَيْهِمْ ضِمًّا . (مديد، ٨١ ٤٨).

وقال عز شأنه: وَمَنْ أَضَلُ مِمْنَ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لاَ يَسْتَجِبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيسْمَةِ وَهُمْ عَن دُعَنَامِهِمْ غَلِهُلُونَ ، وَإِذَا حُبِرَ ٱلنَّاسُ كَالُواْ لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَالُواْ مِجَادَتِهِمْ كَنْفُرِينَ . (الأحقاف: ٥. ٦) .

٨٧- وَأَلْقُواْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَعِدٍ ٱلسَّلَمَ ...

أى: استسلم العابد والمعبود لأمر الله تعالى ، ويحتمل عودة الضمير على المشركين وحدهم ، بعد أن يئسوا من تخفيف العذاب عنهم ، فاستسلموا لأمر الله وقضائه سبحانه .

وَصَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْعَرُونَ .

أى: غاب عنهم كل ولى وناصر ، فلم تنفعهم عبادتهم ولا أصنامهم ، التى عبدرها راغبين فى شفاعتها ، وقد عبدوها افتراء على الله وكذبا حين قالوا : هُنَّةٍ لاَعْ هُفَعَنَّوْنَا عِندَ ٱللهِ . (يونس: ١٨) .

ُ والآية في جملتها تحمل الفائب فتجعله حاضرا ، وترسم مشهد المشركين وقد حسروا المعركة ، واستسلموا لأمر الله بعد فوات الأوان ، ونحو الآية قوله تعالى : وَلَوْ تَرَكَّأَ إِذْ ٱلْمُعْرِمُونَ لَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبُهِمْ رَبَّنَا أَيْمَرُكُا وَسَهِمًا فَآرُجِتُنَا لَهُمْلُ صَـْلِهَا إِنّا مُوفِّونَ . (السجد: ١٦) .

وقوله تعالى: وَعَنَت آآوُجُوهُ للْحَيُّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا . (طه: ١١١) .

ومعنى : وَعَنَت آلُو جُوهُ . خضعت واستسلمت .

٨٨ - ٱللَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَلَابًا فَوْقَ ٱلْعَلَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ .

كان أهل مكة يمنعون الناس من الدخول في الإسلام ، واتفقوا على تقسيم مكة منازل وأجزاء ؛

يختص كل فريق منهم بطريق من طرقها ، فإذا شاهدوا وفود الحجاج والمعتمرين ، شنُّعوا على رسول الله محمد ﷺ ، وعلى الدّين الجديد الذي يدعو إليه ، وادَّعوا: أنه ساحر أو كاهن أو مجنون .. وفي يوم القيامة يضاعف لهم العذاب : لكفرهم أولاً ، ولصدهم الناس عن الإسلام ثانياً ، ثم إن هذا عدوان على دين الله ، وافتراء عليه ، وإفساد للعقائد .

ٱللَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَلَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَالُواْ يُفْسِدُونَ .

أى: الكافرون من أهل مكة ، والمحرِّضون على الكفر ، لهم عذاب جزاء كفرهم ، وعذاب آخر لمدهم الناس عن الإيمان ، وهذا جزاء إفسادهم فى الأرض ، وقلب الحقائق ، وتقبيح الإيمان وتزيين الكفر ، وفى هذا المعنى يقول الله تمانى : رُهُمُ إِنْهُوْرُتُ عُثُهُ وَيُشُوّرُتُ عُنْهُ . (الأنمام: ٣٦) .

أى: ينهون الناس عن اتباع الرسول ﷺ ، ويبتعدون عن دينه وهديه ، وقد أورد ابن جرير الطبري فى تفسيره: آثارًا عن الصحابة وغيرهم ، فى ألوان العذاب الذي يزاد لهم ، وقد روى الحاكم والبيهقى وغيرهما عن ابن مسعود: أن النبي ﷺ قال : « إن أهل النار إذا جزعوا من حرّها ، استغاثوا بضحضاح فى النار، فإذا أثوه تلقاهم عقارب كأنها البغال الدُّهم ، وأفاع كِأنَّهُنَّ البَّغَاتيّ (ضخام الإبل) تضريهم فذلك الزيادة، ٩٠٠٠.

وفي الأية بليل على تفاوت الكفار في العذاب ، كما يتفاوت المؤمنون في منازلهم في الجنة ، ودرجاتهم فيها .

٨٩ - وَمَوْمَ لِبَعْثُ هِى كُلُّ أَنَّهٍ شِهِيدًا عَلَيْهِم مَنْ أَنفُسِهِمْ وَجَعْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَـَـَوْلَاءِ وَنَوْلُنَا عَلَيْكَ ٱلْكِيَسُــــُبُ بِيَسْنَا لَكُلُّ هَمْءٍ وَهُدَّى وَرَحْمَةً وَنَشْرَى الْمُسْلِمِينَ .

تستعرض الآيات موقف المشركين يوم القيامة ، وزيادة العذاب ومضاعفته لهم ، ويستكمل المشهد بمجىء النبيين والشهداء ، أى : المسالحين من أتباع الأنبياء ؛ ليشهدوا للمؤمنين بالإيمان والاستجابة للدعوة له وليشهدوا على الكافرين بالكفر والتكذيب ، ثم يأتى الرسول ﷺ شهيداً على أمته ، وعلى أهل مكة، وغيرهم ممن بلغتهم الدعوة ، ومنزلة الرسول ﷺ يوم القيامة محروفة ، فقد آتاه الله الشفاعة والمقام المحمود الذي يحمده عليه جميع الخلائق ، ويرى بعض المفسرين: أن شهادة الرسول محمد ﷺ تكون للأنبياء والأمم كلها ، لكن السياق يرجع أن شهادة الرسول ﷺ لمن أرسل إليهم سابقا أو لاحقا ، وقريب من ذلك ما روى عن عبد الله بن مسعود : أن رسول الله ﷺ قال له : « اقرأ على القرآن » ، قلت: يا رسول الله، أقرئة عليك وعليك أنزل ؟! قال : « نعم ، إنى أحب أن أسمعه من غيرى » ، فقرأت صدرا من سورة النساء فلما وصلت إلى قوله تعالى : فكرَّفَ إذا جُنّا مِن كُلّ أَمّم بشهيد وَجِنّا بكَ عَلَىٰ عَلَوْ وَهُ مُهِيدًا . (النساء ١٤). قال الرسول ﷺ: « حسبك » ، قال ابن مسعود : فالتفتت فإذا عيناه ﷺ تذرفان (١٠٠٠).

وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِنَابَ بِينَانًا لَّكُلِّ شَيْء وَهُدًى وَرَحْمَةً وَيُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ.

أى: نزلنا عليك القرآن مشتملا على أصول العقائد ، وبيان الحلال والحرام ، وبيان ألوان الهداية والرحمة ، ويشارة المسلمين بالجزاء الأوفى .

والسنة المطهرة مشتملة على بيان القرآن وتوضيحه وتفسيره.

قال تعالى: وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذَّكْرِ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ . (النحل: ٤٤) .

ويلحق ببيان الرسول ﷺ ، بيان الممحابة والثابعين ، قال ﷺ : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجة "٠٠٠".

كما أوضع القرآن: وجوب اجتهاد من استكمل شروط الاجتهاد، ويذل الجهد في استنباط الأحكام، قال تعالى : وَلُو رَفُّوهُ إِلَى ٱلْرُسُولُ وَإِلَيْ أَوْلِي ٱلأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ اللَّبِينَ يُسْتَبْطُونُ مِنْهُمْ ... (انساء: ٨٣) .

وأوضح: أن إجماع المسلمين على أمر يجب اتباعه وعدم مخالفته ، ويذلك أصبح الإجماع من أصول التشريع .

قال تعالى: وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَّيْنَ لَهُ ٱلْهَدَىٰ ويَتَّبِعْ غُيْرَ سَبِلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُولُهِ مَا تَوَلَّىٰ... (النساء: ١١٥).

وأرشد القرآن إلى استخدام القياس بقوله تعالى : فَآعْبُرُواْ يَنْأُولِي ٱلأَبْعَسُر . (الحشر: ٢) .

والاعتبار هو النظر والاستدلال اللذان يحصل بهما القياس ، وهو حمل النظير على النظير ، وقياس أمر لا حكم له ، على أمر معروف الحكم ؛ لاشتراكهما في العلة ، ويهذه الطرق فتح الإسلام أبواب الاجتهاد والاستنباط ، أمام العلماء المختصين ، وأرشد الناس إلى اتباع العلماء في لجتهادهم .

قال تعالى : قَاصْتُلُوٓا أَهُلُ ٱللَّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ . (النحل: ٤٣).

كما حث القرآن على استخدام العقل والفكر والرأى ، وأوجب على المسلمين أن تكون منهم أمّة من أمل الاختصاص والنظر، تدايم أمور المسلمين ، وتجتهد في شئونهم ، ومحرفة أحكام ما يستجد من أمور وأحداث ، قال تعالى : وَمَا كَانَ ٱلْمُـؤْمِنُونَ لِنِهِرُواْ كَالَّهُ لَلُولاَ نَفَرَ مِن كُلَّ فِرْقَةِ مَنْهُمْ طَافِقَةٌ لَيْسَفَقُهُواْ فِي ٱلدَيْنِ وَلَيْدَارُواْ فَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلْهُمْ يَحَدُّرُونَ . (الديد: ١٧٧).

وبهذا فتح القرآن ينابيع الفكر والفقه والرأى ، ووضع أصول الاجتهاد ، وبين قواعد التشريع ، التى تعتمد على القرآن والسنة والاجتهاد والإجماع والقياس ، وسيطل القرآن الكريم كلّى الشريعة وأصل أصولها فهو بحق تبيان ويبان وإرشاد لكلّ شىء ؛ لأنه حث على اتباع السنّة ، وببن أصول الاجتهاد والاستنباط ، واشتمل القرآن على بيان الرحمة والتيسير ، والبشارة بالجنة للمؤمنين الطائعين ، وبالنار للمكتبين وأرشد إلى الفضائل ، ونهى عن الرذائل .

* * *

اللفر دات ،

السيمسيدان، المساولة في كل شيء بلا زيادة أو نقصان ، أو إعطاء كل ذي حق حقّه بدون إفراط أو تغريط المسيسيان ، مصدر أحسن ، يحسن ، إحسانا ، ويطلق على إتقان العمل ، ومقابلة الخير بأكثر منه ، والشرّ بالعفو عنه .

إيتاء ذى القربي، إعطاء الأقارب حقهم من الصلة والبرّ.

السف حشاء ، ما قبح من القول والقمل ، فيدهل فيه الزنا وشرب الغمر والحرص والطمع ، ونحو ذلك من الأقوال والأفعال الدنمومة ، وهمن بعض المفسرين القبحشاء : بالزنا: لأنه عدوان على الأعراض. المسهدة كل ما يلتزم به الإنسان باختياره ، والوغاء بالمهد لفظ عام لجميع ما يعقد باللسان ، ويلتزمه الإنسان من بيم أو صلة . ويدخل فيه الوعد .

نقض اليمين: الدنث فيها.

توكسيدها: توثيقها وتغليظها.

كمن الله الله المداورة يباً.

السقسوة: الأبرام والأحكام.

الأنسكسات، واحدها: نِكْن ، وهو ما ينكث قتله ويتقض بعد غزله .

السينُ قيسل: المكر والخديعة والغش.

قال الراغب الأصفهاني في غريب القرآن: الدُّمُّل: كناية عن النُساد والعدارة المستبطئة، كالدغل ، وعن الدعوة في النسب .. ومنه قيل : شجرة – مدخولة – أي: ليست من جنس الأشجار التي حولها . ا هـ.

اريسين، أي: أكثر وأوفر عددا.

تمهيده

التفسيره

تشتمل هذه الآيات على مكارم الأخلاق وفضائل الآماب ، وتنهى عن الفحشاء والمنكر ، ثم تحث على الوفاء بالعهد والسلوك القويم ، ثم ضرب الله الأمثال لمن يحنث في يمينه ، وينقض العهد بعد توثيقه.

٩ - إِنَّ اللَّه يَامُو بِالْعَدْل وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاتِي دِى ٱلْقُرْنَىٰ وَبَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشاءِ وَٱلْمُنكُر وَٱلْبُغى يَعِظُكُمْ لَفَلُكُمْ ١٥ - إِنَّ اللَّه يَامُو بِالْعَدْل وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاتِي دِى ٱلْقُرْنَىٰ وَبَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشاءِ وَٱلْمُنكُر وَٱلْبُغى يَعِظْكُمْ لَفَلُكُمْ

هذه آیة جامعة لخلال الخیر ، ناهیة عن الشر ، وخطباء المساجد یختمون بها خطبة الجمعة ، والعدل : هو المیزان بالحق بان یأخذ کل ذی حق حقه ، وهر أمر أساسی فی الحكم الذی یقوم فی الإسلام علی العدل والشوری ، واختیار الرجل المناسب ، أو حسن اختیار المسئولین المساعدین للحكم . قال تعالى : إِنَّ اللَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّواْ ٱلأَمْنَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَنْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَنْ تَحَكُمُواْ بِٱلْمَدْلِي... (النساء: ٥٥).

والعدل قاعدة أساسية في تعامل الأفراد والدول ، ويالعدل قامت السماوات والأرض ، ويالعدل يأخذ كل ذي حق حقه ، ويأمن الإنسان على نفسه ، ويلقى المعتدى جزامه حسب جريمته . كتب أبو بكر المعديق إلى عمر بن الخطاب يقول : « إن الحقُ تُقيِل واكن مآله هنىء ، وإن اللباطل خفيف ولكنُ مآله وبيء » .

وَٱلْإِحْسَانِ. يطلق على شيئين:

أ- إتقان العمل وإحسانه.

ب— مقابلة الإساءة بالعقو ، ومقابلة الخير بما هو أزيد منه ، والإحسان يكمّل العدل ، قال على بن أبي طالب : ألّعَدُلُ : الإنصاف ، ٱلإحْسَانُ : التفضل .

والعدل والإحسان لهما أثرهما في سلامة المجتمع ، واقتناع الأفراد بوصول حقهم إليهم ، ويذلك تصطف الحياة ويتماسك المجتمع ، ويعم السلام النفسي والاجتماعي بين طوائف المجتمع : وَإِسَابِي فِـّى الْفُرْيِّي ، أي : المطف على الأقارب ومساعدتهم ومعاونتهم واليز بهم ماديا ومعنويا .

وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنكُرِ .

وُ ٱلْفَحُشَاءِ : كل ما اشتد قبحه ، وخصه بعضهم بالزنا : لأن فيها عدوانا على الأعراض ، وانتهاك الحرمات ، واختلاط الأنساب ، وانتشار الأمراض الفتاكة ، مثل: الزهرى والسيلان وقمل العانة ، ومرض الإيدز الذي يجتاح بعض البلاد كالوباء : عقوبة رادعة على استباحة الحرمات .

و المُنكرِ: كل فعل تنكره الفطرة ، ومن ثم تنكره الشريعة فهي شريعة القطرة ، ويشمل المنكر جميع المحاصى والرذائل ، والدناءات على اختلاف أنواعها ، كالضرب والقتل والتطاول على الناس .

وَٱلْبَغْيِ: العدوان وتجاور الحد، وظلم الناس والتعدَّى على حقوقهم.

يَعظُكُمْ لَعَلَّكُم تَذَكُّرُونَ .

أى: يرشدكم وينبهكم إلى ثلاث ، وينهاكم عن ثلاث ؛ لعلكم تنتبهون وتحسنون التنكر لما ينفعكم، فتعطون بتلك الأوامر ، وتجتنبون النواهى ، وفى ذلك صلاح دنياكم وأخرتكم ، وقد اشتملت هذه الآية على مكارم الأخلاق

جاء في تفسير ابن كثير:

أن أكثم بن صيفى أرسل رسولين إلى النبى محمد ﷺ، يسألاه عن نسبة وعن دعوته ، فقال لهما النبى ﷺ: « أنا محمد بن عبد الله ، وأنا عبد الله ورسوله » ثم تلا عليهما هذه الآية : إِنَّ ٱللَّهُ يَأْمُرُ بِٱلْعَلْمِ وَٱلرَّاضَسُنْ ... الآية .

ثم حملا الآية إلى أكثم بن صيفى ، فقال : إنى أراه يأمر بمكارم الأخلاق ، وينهى عن ملائمها ، فكونوا في هذا الأمر رموسًا ، ولا تكونوا فيه أذنابا ،وكونوا فيه أو لا تكونوا فيه آخرا . وقال سعيد بن جبير عن قتادة في قوله : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُنُ بِٱلْمُدُلُ وَٱلْإِحْمُسُن ... الآية .

ليس من خلق كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به ، وليس من خَلق سيئ كانوا يتعايرونه بينهم ، إلا نهى عنه وقدّم فيه ، وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامّها .

فضل الآيسة

أخرج البشارى وابن جرير وابن المنذر والطبرانى والحاكم والبيهقى: عن ابن مسعود رضى عنه أنه قال: أعظم آية في كتاب الله تعالى: آللُّهُ لاَ إِلَّهُ إِلَّا هُوَ ٱلْمَّيُّ آلْقَيْرُهُ . (البترة: ٢٠٥) .

وأجمع آية هي كتاب الله للخير والشر الآية التي هي النحل: إنَّ آللَّهَ يَأْمُرُ بِالْقَطُلُو وَٱلْرِحُسُسُو... (انسطه: ١٠). وأكثر آية هي كتاب الله تفويضا: وَمَن يَقُورُ اللهُ يَهْمَنُ لَهُ مَعْرُجًا * وَيَؤْلُهُ مِنْ حَبُّ لاَ يَحْسَبِهُ. (العلاق: ٢٠٠).

وأشدُ آية في كتاب الله رجاء : قُلْ يَنْجِادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرُقُواْ عَلَىٰٓ أَلْفُسِهِمْ لاَ تَقْتَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَظْمُرُ ٱللَّذُوبَ جَمِيعًا . (الاردر: ٥٣) .

وعن عكرمة: أن النبي ﷺ قرأ على الوليد بن المغيرة هذه الآية ، فقال: يا ابن أخي، أعد على م فأعادها عليه ، فقال له الوليد : والله إن له لحلاوة ، وإن عليه الملاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق، وما هو بقول بشر.

وأخرج البيهقى في شعب الإيمان عن الحسن رضى الله عنه: أنه قرأ هذه الآية: إِنَّا اللَّهُ يَأْمُ لِالْمَعْلَمِ
وَالْإِحْسَانَ ... الآية ، ثم قال : إِن الله عزُ وجل جمع لكم الخير كلّه ، والشركله في آية واحدة ، فو الله ما ترك
العدل والإحسان من طاعة الله شيئا : إلا جمعه وأمر به ، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغى من معصية الله
شيئا الا حمعه وزحر عنه .

٩٠ - وَأُولُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَنَهُدَتُمْ وَلاَ تَقَصُّواْ ٱلأَيْسَانَ يَعْدَ تُوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَتُمُ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ كَغِيلاً إِنَّ ٱللَّهُ يَشْلَمُ مَا تَفْعَلُونَى .

تدعو هذه الآية إلى: الوغاه بالعهود ، وعدم الحنث فى الإيمان ، وهى فى جملتها داخلة فى الآية ، السابقة ، لكن القرآن أفرد الوغاه بالعهد نصًّا فى آية مستقلة ؛ لما له من أهمية فى حياة الغرد والمجتمع، فإذا حافظ الفرد والمجتمع على العهود والمواثيق ؛ أدى ذلك إلى الأمن والأمان ، ونعم الناس بالهدوء والاطمئنان .

أخرج ابن جرير في أسباب نزول الآية : أن الآية نزلت في بيعة النبي ﷺ ، كان من أسلم يبايع على الإسلام فقال تمالى : وَأُولُواْ بِعَهُدِ ٱللَّهِ إِذَا كَيْهُدُّمُ وَلاَ تَقْضُراْ ٱلاَّيُمْنَ بُشَرَّةٌ وَكِيدِهَا .

فلا تحملنكم قلة محمد وأصحابه ، وكثرة المشركين ، أن تنقضوا البيعة التي بايعتم على الإسلام ، وإن كان في المسلمين قلة وفي المشركين كثرة .

ومعنى الآية :

أوفوا بالعهد والميثاق ، الذي أوجبتموه على أنفسكم ، حتًّا لمن عاهدتموه ووالاقتموه عليه ، ويدخل في ذلك كل عهد يلتزمه الإنسان باختياره ، والوعد من العهد .

قال ميمون بن مهران :

من عاهدته وفَّ بعهده ، مسلما كان أو كافرًا ، فإنما العهد لله تمالى .

وَلاَ تَنقَعُواْ ٱلأَيْمَانَ هَدَ تَوْكِيدَهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً.

لا يليق بالرجل أن يخلف وعده أو يحنث في عهده ، وكانوا يوثقون عهدهم بالأيام ، وإشهاد الله ت- إلى ، فأمرهم الله ألا يفكوا ارتباطاتهم ، وألا يحنثوا في أيمانها ، وقد أشهدتم الله على أيمانكم ، وجملتمره راعيا وكفيلا يرعى الموفى للعهد بالخير ، والناقض له بالجزاء والعقاب .

إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ .

فهر سبحانه يشاهد عقوبكم وعهوبكم وأفعالكم ، وسيجازيكم ويكافئكم على الوغاء ، ويعاقبكم على الحنث فى الأيمان وعلى نقض العهود ، وقد أكد القرآن الكريم والسنة الصحيحة : احترام المهود والوغاء بها . قال تعالى : إِنَّ ٱللِّينِ يُتَابِعُونَكَ إِنَّمَا لِيَابِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَرْقَ ٱلْبِيهِمْ فَمَن تُكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أُولَىٰ بِمَا عَلَهُمَ عَلَيْهُ اللَّهِ فَسُرُوْتِهِ أَجُرًا عَظِيمًا . (الفتح: ١٠) .

وقال تعالى: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّحِرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي فُلْوِيهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَنْسَهُمْ قَاضًا فَرِينًا . (الفتح: ١٨) .

وقال تعالى : وَأَوْلُواْ بِٱلْمَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْتُولاً . (الإسراء: ٣٤) .

وقال سبحانه : وَأَوْمُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنْنِي لَآرْهَبُونِ . (البقرة - ٤) .

وروى الشيخان عن أبى مريرة: أن رسول الله ﷺ قال : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ارتمن خان » ، ولا تعارض بين هذه الآية وبين ما ورد فى الصحيحين من أن : « من حلف على يمين ورأى غيرها غير منها ؛ قلبات الذى هو غير وليكفر عن يمينه » "".

فالآية تتحدث عن الوفاء بوجه عام ، وتأمر بالالتزام بالأيمان والبرّ بها بين الأفراد والجماعات ، والحديث يتحدث عن إنسان يقسم على شيء ثم يرى غيره خيرا منه ، فالآية عامة في نهيها عن نقض الإيمان ، والسنة المسحيحة خصمت هذا النعيم ، وأباحت النقض إذا كان اليمين مانعا عن عمل خير ، ويؤيد هذا التخميص قوله تعالى : ولا تَجْمَلُوا اللَّهُ عُرْضَةً لا يُعْمَالُكُم أَنْ تَرُوا وَتُصَّلُوا وَتُصْلِحُوا بُنِنَ النَّاس ...

٧ ٩ - وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَفَضَتْ غَزْلُهَا مِنْ بَعْدِ أُوْةٍ أَنكَنَّا ...

قال ابن كثير:

هذه امرأة هرقاء كانت يمكة ، تجمع جواريها وتأمرهم بالغزل أول النهار إلى الظهر ، ثم تأمرهم بنقض الغزل بعد إبرامه ، فضرب الله بها المثل في من ينقض الأيمان ويحنث فيها بعد إبرامها .

والمعنى:

لا تنقضوا عهوركم ، مشههين لامرأة حمقاء ، تنقض غزلها من بعد إحكامة ، فالعاقل يستمر في عهده وفي بنائه ، ولا ينقض عهده ولا يهدم بنيانه ، وقريب من هذا المعنى قول الشاعر :

هجون زيان ثم جنت معتنزا من هجو زيان لم تهج وام تدع

يقال: نكث الرجل العهد نكثًا – من باب قتل – إذا نقضه ونبذه ومنه قوله تعالى: فَمَن نَكُثُ أَوْلُهَا يَمُكُ عَلَىٰ أَفْسِهِ. (النتج: ١٠).

أى: لا تتركوا عهودكم للميرمة منقوضة منكوثة مطولة ، فالجملة الكريمة تحقُّر فى كل جزئية من جزئياتها ، حال من ينقض العهد ، وينكث فى عهده ، ولا يفى بل يغدر وينقض .

تَعْجِلُونَ ٱلْمَلْنَكُمْ دَخَلاً يَيْنَكُمْ.

أى: تبرمون العقود لا بنية الوفاء ، بل بنية المكر والخديعة والفش ، فينقضون العهد إذا لاحت في الأفق مصلحة أوفر ، أو غنيمة أكثر ، أو قبيلة أوفر عددًا من القبيلة التى تعاقدوا معها ، فبين الله لهم: أن الوفاء نور أبلج ، وأن التزام أمر الله بالوفاء أولى من اتباع المصلحة ، والسير وراء النزوات العارضة ، وقد نزلت هذه الآية في العرب ، الذين كانت القبيلة منهم إذا حالفت أخرى ، ثم جاءت إحداهما قبيلة أخرى كبيرة قوية فداخلتها ، غدرت الأولى ونقضت عهدها ، ورجعت إلى هذه الكبرى ، فأدبهم القرآن بأدبه ؛ حتى لا ينقضوا العهود ، من أجل أن طائفة أكثر من طائفة أخرى ، أو أكثر أموالا .

وقال ابن كثير:

كانوا يحالفون الحلفاء ، فيجحدون أكثر منهم وأعزً ؛ فينقضون حلف هؤلاء ، ويحالفون أولئك ، الذين هم أكثر وأعزً ، فنهوا عن ذلك .

إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِ .

إنما يختبركم الله بظهور قوم أكثر أو أعز أمامكم : ليظهر مدى إيمانكم وتمسككم بالعهود ، وطاعتكم لأمر الله ؟ هل توفون بالعهود امتثالا لأمر الله أم تنقضون طلبًا لمقنم دنيوى ؟

وَلَيْسَيَّنَ لَكُمْ يَرْمَ ٱلْقِيْنَمَةِ مَا كُسُمُ فِيهِ تِغَطِّلُونَ . فيجازى أهل الحق بالثواب ، ويجازى أهل الباطل بالعقاب .

٩٣ - وَلُوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِلَةً وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَلَتَسْتَلُنْ عَمَّا تُعتُم تَعْمَلُونَ .

شاء الله أن يجعل الإنسان خليفة في الأرض ، وميَّره بالعقل والفكر والإرادة والاختيار ، قال تعالى: إِنَّا هَنَيْنَكُ ٱلسَّبِلِيَّ إِمَّا شَاكِرًا رُإِمَّا كُفُورًا . (الإنسان: ٣) . ولو شاء الله لجعل الناس جميعا نسخا مكررة ، مثل جماعات النمل والنحل ، ولو شاء ليجل حياة الزوج مع زرجته أشبه بحياة الملائكة ، لكن الله أراد أن يتفاوت الناس في الكسب والاختيار والاستعداد، وأن يكون الجزاء مرتبا على العمل .

قال تعالى : وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ آثَاسَ أَمَّهُ وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتِلِفِينَ ه إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِمُذَلِكَ خَلَقَهُمْ . (هود: ١١٥، ١٩١).

وَلَنكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ.

فهو سبحانه عرض على الناس الهدى والشرائع والرسالات ، وأرسل لهم الرسل وأنزل عليهم الكتب ، فمن المتار الضلالة وأعرض عن هدايات السماء : تركه الله ضالا متحيّرا ، ولا يُضلُ إلا من المتار الضلالة على الهدى ، ومن رغب في الحق ، وسارع إلى الإيمان ، واهتار طريق الهداية : يسر الله له طريق الهدى وشرح على المهدى ، وهذاه إلى الصراط المستقيم ، ويهذا نجمع بين الأيات القرآنية التي وردت في الموضوع ، فالمهد له إرادة والمتيار ، والله تعالى له نواميس عامة ، لهذا الكون ، ومن هذه النواميس : أنه لا يهدى إلا من المتار الهدى ، ولا يُصُلُ إلا من المتار الضلالة ، فهدايات السماء غالية عالية، والله لا يلزم الناس بالحق، وإنما يعرضه عليهم ، وقد خلق فيهم العقل والإدراك ، والكسب والاعتيار ، ويهذا يستحق كل إنسان جزاء كسبه وسميه ، قال تعالى ، قالمُ مَن أَعْطَى وَاللَّمِن وَ وَصَدُقَ بِالْحَسْنَى - فَسَيْسُوهُ لِلْسُرَى وَ وَأَمَا مَنْ أَبْعِلَ } .

وقال سبحانه : فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ فَرَّة خَيْرًا يَرَةُ هِ وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ . (الزلزلة: ٧٠ ٨) .

وَ لَتُسْتَلُنَّ عَمًّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .

أى: إن الله تعالى سيسال جميع الناس سؤال محاسبة ومجازاة لا سؤال استفهام ، وسيترتب على هذا السؤال أن يكون الجزاء الحق من جنس العمل ، وعن أبي ذر رضى الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ " يا أبا ذر المقلم العمل ؛ فإن الناقد بصير ، وخفف ظهرك : فإن العقبة كثود ، واستكثر الزاد : فإن السفر بعيد والذى نفس محمد بيده ، لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن على ما تعملون، ولتجزين بالإحسان إحسانا ، ويالسوء سوماً ، وإنها لجنة أبداً أو لنار أبداً أبداً أو النار أبداً إحسانا . (...).

﴿ وَلَانَنَّخِذَوَا أَيْمَنَكُمْ دَخَلا بَيْنَكُمْ فَنَزِلَ قَدَمُ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَدُوقُواْ اَلسَّوَءَ هِمَا صَدَدَتُّمْ عَن سَكِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ وَلَانَشْ ثَوْا بِمَهْدِ اللَّهِ ثَمَنَا قَلِيلاً ۚ إِنّمَا عِندَاللَّهِ هُوَغَيْرُ اللَّهِ وَمَنَاقِيلاً اللَّهِ هُوَغَيْرُ لَكُرُ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُون ۞ مَاعِندُ لَلَهِ بَاللَّهُ عَلَيْهُ مَا اللَّهُ عَلَيْ وَكُن مُرْوَا أَجْرَهُم فِأَحْسِنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُون ۞ مَنْ عَمِلَ صَلِيحًا مِن ذَكِرٍ أَوْ أَنْنَى وَهُو مُؤْمِنٌ فَلَنُ غِيلَةُ مُنوَا فَوْ مَنْ عَبِلَ صَلْحَالُهُ اللَّهُ مَنْ فَاللَّهُ عَلَيْهُ مُنْ اللَّهُ عَلَيْهُ مُنْ عَبِلَ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْهُ مَنْ عَبِلَ اللَّهُ عَلَيْهُ مَنْ عَبِلَ اللَّهُ عَلَيْهُ فَيْ اللَّهُ عَلَيْهُ فَيْ اللَّهُ عَلَيْهُ مُنْ عَبِلَ اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَنْهُ وَيُعْمَلُون ﴾ واللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ فَيْ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ وَلَنَهُ وَيُعْمَلُون اللَّهُ عَلَيْهُ فَلَا عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَيْهُ وَلَا اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَى عَلِيلًا عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَالْوَالْمُعُلُونَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْعَلَى اللَّهُ عَلَى اللْعَلَالَةُ عَلَيْكُونَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُولُولُولُوا اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْكُولُوا اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْكُولُولُولُولُوا اللَّهُ عَلَيْكُولُولُوا اللَّهُ عَلَيْكُولُولُوا اللَّهُ عَلَيْكُولُوا اللَّهُ عَلَيْكُولُولُوا اللَّهُ عَلَيْكُولُوا اللَّهُ عَلَا عَلَيْكُوا اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَاهُ اللَّهُ عَلَا اللَّهُ الْمُعُولُولُولُوا اللَّهُ الْعُلِ

المفردات:

فترل قدم بعد شبوتها: مثل يقال لمن وقع في محنة بعد نعمة ، ويلاء بعد عافية .

وتستوقسوا السسوء العذاب الدنيوي.

والكنم عنداب عنظيم؛ في الأخرة.

ولاتشتروابهدالله ثمنا قليلا، لا تعتاضوا عن الإيمان بالله عرض الدنيا وزينتها ؛؛ فإن متاع الدنيا قليل مهما كان .

ماعند كم ينقد وما عند الله باق: ما عندكم يفني وينقضى ، وما عند الله في الآخرة باق لا يزول .

شلنحييشه حياة طبيعة ، أي: حياة طبية في الدنيا ، ويشمل ذلك: القناعة ، والرضا ، والبركة في العمر، وقيل: حياة طبية في الجنة ونعيمها ، وأكثر المفسرين على أن الحياة الطبية: في الدنيا .

تمهيده

تحذر الآیات السابقة من نقض العهود والآیمان علی الإطلاق، وتحذر هذه الآیات من نقض أیمان مخصوصة ، أقدموا علیها ، وهی نقض عهد رسول الله ﷺ علی الایمان به ، واتباع شرائعه جریا وراه خیرات الدنیا وزخارفها، کما بینت: أن متاح الدنیا زائل وما عند الله باق لا ینفد ، وعند الله الجزاء الأوفی.

التفسير

٩٤ - وَلاَ تَتَخِدُواْ أَيْمَنَكُمْ دَخَلاَ يَنْتُكُمْ فَقِرِلْ قَنَمْ بَعَدَ ثَبُوتِهَا وَتَدُوقُواْ آلَدُّرَةَ بِمَا صَدَدَّتُمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَلَابٌ عَظِيمٌ.

تأتى هذه الآية ؛ لتأكيد ما سبق ، ولتثبيت الناس على الإيمان بالنبي محمد ﷺ .

جاء في تفسير الكشاف للزمخشرى:

كان قوما ممن أسلم بمكة زين لهم الشيطان أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله 義؛ لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش ، واستضعافهم المسلمين ، وإيذائهم لهم ، ا هـ .

وقال الفخر الرازى: قال المفسرون :

المراد من هذه الآية: نهى الذين بايعوا رسول الله ﷺ، عن نقض عهده؛ لأن هذا الوعيد وهو قوله: فَوْلُ قَدَمُ بَعْدَ تُولِهَا . لا يليق بنقض عهد قبله ، وإنما يليق بنقض عهد رسول الله ﷺ، على الإيمان به ويشرائعه .

فَتُولَ فَلَهُمْ يُهَدُ يُتُوتِهَا . مثل يذكر لكل من قوع في بلاء بعد عافية ، ومحنة بعد نعمة ، فإن من نقض عهد الإسلام : فقد سقط عن الدرجات العالمية ، ووقع في مثل هذه الضلالة .

وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوءَ . أي : العداب .

بِمَا صَدَدتُمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ .

فالرجوع عن الإسلام إلى الكفر، يوقعهم في محظورات ثلاثة:

١ – البعد عن محجة الحق والهدى ، بعد أن رسخت أقدامهم فيها .

٢- إنهم يصبحون قدوة لغيرهم في ترك الحق ، والانضمام إلى الباطل ، وفي هذا صد عن سبيل ، ومنع
 للناس عن الإيمان .

٣- إنهم أهل للعذاب العظيم في الآخرة .

ه ٩ - وَلاَ تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ لَمَنَّا قَلِيلاً ...

إن العهد والوعد يباركهما الصدق والوقاء ، وقد أمر الله بالوقاء بالعهود ، والصدق في الوعود ، وقد تعرض في هذه الحياة مصالح وقتية أو منافح آنية ، أو إغراء بمال أو منفعة مقابل نقض العهود ، فحذر القرآن من نقض العهود ، وبيَّن : أن العائد من المال فان ، مهما كان كثيرا ، لا يساوي عند الله جناح بعوضة.

إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ .

إن ما يدخره الله في الآخرة ، من الجزاء ونعيم الجنة ، هو خير لكم من ذلك العرض القليل في الدنوا، إن كنتم من ذوى العقول الراجحة ، والأفكار الثاقبة ، التي تزن الأمور بميزان الفائدة الحقة ، وتقدّر الفرق بين العوضين .

٩ ٩ - مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَّا عِندَ ٱللَّهِ بَاقِ ...

فالحياة الدنيا فانية ، والآخرة باقية ، والدنيا كلها إلى زوال وفناء ، وإن حال الأمد وجل العدد ، وما في خزائن الله باق لا نفاد له .

وفي الحديث الشريف:

« يقول ابن ءادم: مالى مالى ، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأبقدت »(١٠٠١).

وفي الحديث النبوي الشريف:

« إن الصدقة توضع في يد الله قبل أن توضع في يد السائل : فينميها كما ينمّي أحدكم فصيله $n^{(1)}$

ولَنجْزِينَ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَالُواْ يَعْمَلُونَ .

ولنكافئن الذين صدروا على طاعتنا ، واجتنبوا محصيتنا ، ويغوا بمهودنا ، بجزاه أفضل وأكرم ، مما كانوا يعملونه في الدنيا ، من خيرات وطاعات ، وفي الآية عدة جميلة ، ياغتفار ما عسى أن يكون قد فُرط منهم ، أثناء ذلك من جزع يعتريهم بحسب الطبيعة البشرية .

وقد رغب القرآن والسنة في التزام الوفاء بالعهد ، وصمار ذلك من ركائز الإسلام ودعائمه ، وبخلت في الإسلام جماعات وبشعوب ، بسبب ما رأوه من وفاء المسلمين بعهدهم ، ومن صدقهم في وعدهم ومن إخلاصهم في معاملاتهم .

روى: أنه كان بين معاوية بن أبى سفيان وملك الروم أمد ، فسار إليهم فى آخر الأمد ، حتى إذا انقضى وهو قريب من بلادهم أغار عليهم وهم غارُون لا يشعرون : فقال له عمر بن عتبة : الله أكبر يا معاوية ، وفاء لا غدر ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من كان بينه ويين قوم أجل فلا يحلن عقدة حتى ينقضى أمدها »^(١٠) ، فرجع معاوية بالجيش ، والروايات عن حفظ العهود متواترة مشهورة .

٩٧ - مَنْ عَمِلُ صَالِحًا مِّن ذَكُو أَوْ أَنْنَىٰ وَهُو مُؤْمِنٌ فَلَنَحْيِنَهُ حَوْةً فَلِيَّةً وَلَنَحْوِيْتُهُم أَجَرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ .

تضع هذه الآية أصلاً عاما ، وقاعدة أصيلة ، فالذى يعمل العمل الصالح ، ويؤدى واجبه نحو ربه ، ونحو نفسه وأسرته وقرابته وأمته ، ذكرًا كان أم أنثى ؛ فإن الله تعالى يكافئه أحسن مكافأة ، حيث يحيا حياة طيبة ، فى رضى وقناعة وسعادة وعزٌ فى الدنيا وجزاء كريم فى الآخرة ، مع الفضل العظيم من الله الذى يجازى الحسنة بعشر أمثالها ، ويضاعف سبحانه لمن يشاء وهو ذو الفضل العظيم .

جاء في ظلال القرآن :

وإن العمل الصالح مع الإيمان ؛ جزاؤه حياة طيبة في هذه الأرض ، لا يهم أن تكون ناعمة رغدة
ثرية بالمال ، فقد تكون به ، وقد لا يكون معها ، وفي الصياة أشياء كليرة غير المال الكثير ، تطيب بها
الحياة في حدود الكفاية ، فيها الاتصال بالله ، والثقة به ، والاطبئتان إلى رعايته وستره ورضاه ، وفيها
المصحة والبدوه والرضى والبركة ، وسكن البيوت ، ومودات القلوب ، وفيها القرح بالعمل الصالح ، وآثاره
في الضمير وأثناره في الحياة ، وليس المال إلا عنصرا واحدًا ، يكفي منه القليل ، حين يتصل القاب بما هو
أعظم وأزكى وأبقى عند الله ، وإن الحياة الطيبة لا تنقص من الأجر الحسن في الأهرة ، وأن هذا الأجر يكون
على أحسن ما عمل المؤمنون العاملون في الدنيا ، ويتضمن هذا تجاوز الله لهم عن السيئات ، فما أكرمه
من جزاء ا (۱۰۰۰)

من هدى السنة

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يدعو فيقول : « اللهم ، قنعني بما رزاتتني، وبارك لى فيه ، واخلف على كل غائبة لى بخير "٠٠٠).

وأخرج الترمذي والنسائي من حديث فضالة بن عبيد: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « قد أفلح من هُدِي إلى الإسلام ، وكان عيشه كفافا ، وقنع به "٠٠٠،

وعن عبد الله بن عمر: أن رسول الله ﷺ قال : « قد أظلح من أسلم ، ورُزق كفافًا ، وقتُحه الله بما أتاه» ٠٠٠.

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرُّوْنَ فَاسْتَعِدُ إِنَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطِينِ ٱلرَّحِيمِ ۞ إِنَّهُ لَسَ لَهُ سُلْطَنُ عَلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ۞ إِنَّمَا سُلْطَنُنُهُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَٱلَّذِينَ هُم مِدِهُ مُشْرِكُونَ ۞ ﴾

المطردات

قرأت المقرآن؛ أي: إذا أردت قراءة القرآن؛ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم، قبل البدء في القراءة.

السرجسيسم: المرجوم ، المبعد من رحمة الله .

السطبان، التسلط والاستيلاء.

يستبولونه : بالطاعة ، يقال : توليته إذا أطعته ، وتوليت عنه أي : أعرضت .

بعه مشركون ، أي : بسبب الشيطان وإغوائه مشركون مع الله آلهة أخرى .

تمهيده

يرشد القرآن المؤمنين ، إلى العمل الذي يجعل أعمالهم خالصة ، من وساوس الشيطان .

التفسيره

٩٨ - فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِدْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلسَّيْطَيْنِ ٱلرَّحِيمِ.

القرآن الكريم أعظم هاد ، وهو أساس التشريع ، وياب الهداية والإيمان ، والشيطان داع إلى الشر والعصيان ، فالمؤمن يلجأ ويتحصن ، ويستديذ بقدرة الله وقوته وعونه ، من إغواء الشيطان ووسوسته، ونلك بأن يقول : أهوذ بالله من الشيطان الرجيم .

والأمر بالاستمادة للندب عند الجمهور ، وعند الثورى: أنها واجبة ، والجمهور يقولون : صرفها عن الوجوب ما ويقولون : مسؤها عن الوجوب ما ويد من أنه ﷺ وأيضا فقد روى: أن المجوب ما ويد من أنه ﷺ كان يتركها ، وعموما فإن الآية تغيد: أن من آداب الإسلام : أن المسلم إذا أواد قرامة القرآن ، فينبغي أن يبدأ القرامة بقوله : أعوذ بالأ من الشيطان الرجيم .

والأكمل أن يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمان الرحيم.

وإذا أمر النبي صلى الله عصمته من الشيطان ، فمن باب أولى سائر أمته .

٩٩- إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَئِنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامْتُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكُّلُونَ .

الناس أمام الشيطان قسمان: قسم آمن بالله واعتمد عليه، فهو ممادق اليقين، واثق أن الهدى بيد الله والمعونة منه، وأنه سبحانه إذا أراد للإنسان بخير فلا راد لفضله وهذا المؤمن قوى الإيمان، صادق اليقين ، عقيدته سليمة ، وإيمانه راسخ ، ويقينه بالله قوى متين ، ومثل هذا المؤمن لا سلطان للشيطان عليه، ولا تأثير له فيه ، وحتى إذا استجاب المؤمن للشيطان ، فسرعان ما يتوب إلى الله ، ويثوب إلى رشده، قال تعالى : إنَّ اللّذِينَ اتَّقَوْدُ إِذَّا مَسْهُمْ طَلِّيْفٌ مَنْ الشَّيْطُانَ مُنْكُورُ الْإِذَا هُم مُّهُمُورُ لَنَّ (الأعراف، ٢٠١).

والتوكل على الله يعنى: صدق اليقين مع الإيمان والعمل ، والتوكل غير التواكل ، فالتوكل معناه: الأخذ بالأسباب ، ثم الاعتماد على الله ، رأى عمر رضى الله عنه قوما من أهل اليمن ، فسألهم: من أنتم ؟ قالوا: نحن متوكّلُون ، فقال عمر رضى الله عنه : أنتم متواكلون ؛ المتوكّل هو الذي يبنر البذرة ، وينتظر من الله إنضاج الثمرة .

١٠ - إِنَّمَا سُلْطَئِنُهُ عَلَى ٱللَّذِينَ يَتُولُونَهُ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ .

إن الشيطان له تأثير وتوجيه وإغراء ، لمن وقع في حبه ، واستهواه طريقه ، فاتخذ الشيطان وليا ومرشدا وإماماً ، وصار تابعا له ، يأتمر بأمره ، ويعمل بترجيهه ، ويقع في محيط تأثيره ، فيصده الشيطان عن طريق الترحيد ، وصدق العقيدة ، ويدفعه إلى الشرك والعياذ بالله ، فأولياء الشيطان ، الذين الشيطان عن طريق الترويا على الأحرة ، وغرتهم الشهوات ، واقترفوا السيئات ، وأثروا العاجلة ، وابتعدوا عن الأخرة ، فهولاء هم حزب الشيطان ويطانته ، وأهله وأولياؤه . وقريب من هذه الآيات قوله تعالى: إنَّ الأَخرة ، لا يُرتب من هذه الآيات قوله تعالى: إنَّ عَبَادِيهُ مُلْفَصِّ إلاَّ مَن آتُحَكُ مِنَ الْلَاقِينَ . (الحجن ٤٤).

وقال تعالى : إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً . (الإسراء: ٦٥) .

وفي الحديث : « المؤمن ينضي شيطانه كما ينضى أحدكم بعيره في سفره «^{٢٠١}١.

يعنى: أن المؤمن يتعب الشيطان ويزجره . ويقلل أمميته بسبب طاعته شه ، واستمرار هذه الطاعة ، فيزداد المؤمن يقينا ، ويزداد الشيطان بؤسا ويأسا ، وفي الأثر: « تلاقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر، فإذا شيطان المؤمن: هزيل ضعيف، أشعث أغير ، وإذا شيطان الكافر : بدين سمين، نظيف قوى ، فقال شيطان الكافر الشيطان المؤمن: مالك ضعيف هزيل ؟ قال: أمّا مع رجل إذا أكل : سمّى الله : فأظل جرعامًا، وإذا شرب : سمّى الله : فأظل عطشانا ، وإذا اكتسى : سمّى الله : فأظل عريانًا ، وإذا اغتسل : سمّى الله ؛ فأظل أشعثا أغيرا، فقال شيطان الكافر : أنا مع رجل لا يذكر اسم الله : فأنا أكيله وشريبه وضجيعه وشريكه ! . وفي الحديث الشريف: يقول النبي ﷺ: « كل إنسان معه شيطان » ، قالوا : وأنت يا رسول الله ؛ قال: « نعم ، إلاّ أن الله أعانني عليه فأسلم ؛ فلا يأمر إلا بخير «٣٠٠) .

وقريب من هذا المعنى قوله ﷺ: « ما سلك عمر فجًا إلا وسلك الشيطان فجًا آخر » ، فعمر لقوة إيمانه وصدق يقينه : يهرب منه الشيطان ، ويترك الطريق الذي يمر منه ، فسلطان الشيطان إنما يكون على قوم يرغبون في المحاصمي وتخريهم الشهوات ، ويسيطر عليهم الهوى .

+++

﴿ وَإِذَا اَبْذَانَا َ اَيْدَ مَكَانَ اَلَهُ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُرَّكُ فَا لُوَا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْعَ بِلَا أَكْرُهُ لِكَ مَا عُرَفِكَ بِالْحَقِيلَ الْمُسْلِمِينَ فَي وَلَقَدُ مَعْلَمُ اللّهُ مَلِكُونِ اللّهُ اللّهُ مَا لَقُدُ مِنْ رَبِكَ بِالْحَقِيلَ اللّهُ وَلَهُمْ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَهُمْ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَهُمْ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَلَهُمْ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ ال

المقردات ،

وإذا بدلنا أيدة التبديل رفع شيء ووضع غيره مكانه ، وتبديل الآية: نسخها بآية أخرى ، والنسخ: رفع الشارع حكما شرعيا سابقا بحكم شرعي لاحق .

ووع التقدمى ، جبريل عليه السلام ، سمى بذلك ؛ لأنه ينزل بالقدس ، أى : بما يطهُر النفوس من القرآن والحكمة والنيش الإلهى .

بسالسجسق: أي: بالحكمة المقتضية له.

الإنستهساد؛ الميل، يقال: لحد، وألحد، إذا مال عن القصد، ومنه سمى العادل عن الحقَّا. تسسسيان، أي: كلام. سجسمسى؛ الأعجمي، والأعجم: الذي في لسانه عجمة، من العجم كان أو من العرب، ومن ذلك زياد الأعجم كان عربيا في لسانه لكنة.

تمهيده

تستمر الآيات في ذكر مثالب المشركين ، وتذكر منها أمرين :

الأول: أنه قد تنزل آية من القرآن تنسخ آية أخرى ، مثل: تحويل القبلة ، وجعل الميراث على النسب، لا على الأخوة في الدين، حيث قال تعالى: وَأَلُوا ٱلأَرْحَام بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْض فِي كِتَابِ ٱللَّهِ، والأمر بالصبر على أذي المشركين ، ثم الأمر بردُ العدوان ، إذا تمَّ هذا النسخ لحكمة إلهية ، ومقصد شرعي ، ادعى الكفار: أن محمدًا يفتري هذا القرآن من عند نفسه .

الْثَالِي: ادعوا: أن محمدًا يتعلم من حداد رومي ، قردُّ القرآن هذه الشبهة ، حيث بين أن هذا الحداد أعجمي ، والقرآن في غاية الإيضاح والبيان العربي .

التفسيره

١٠١ - وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةٌ مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعَلَمُ بِمَا يُنزَّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَر بَلْ أَكْثُرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ .

أنزل الله القرآن هداية ونورًا ، مشتملا على قواعد الإيمان ، وأسباب الصلاح ، والأداب والأخلاق، والشرائم التي تفيد الأمم ، والله هو الذي خلق وهو العليم بما يصلحهم ومن حكمته أن يبدِّل آية قرآنية بآية أخرى، تكون أكثر مناسبة للناس في مرحلة تالية ، كالطبيب الذي يعالج المريض ، ثم يطور العلاج أو يغيره بما يناسب تطور المرض ، لكن المشركين كانوا يظنُّون ، أن محمدًا يفتري القرآن من عند نفسه، ويأتي بالآيات الجديدة لتنسخ الآيات السابقة ، من بنات أفكاره واختراعه ، فرد عليهم القرآن في هذه الآية، وأشار إلى أن الحق سبحانه وتعالى ، عندما يبدل آية مكان آية ، فهو أعلم بما ينزُّل ، وأدرى بما يصلح حال العباد، ودعواهم: أن محمدًا يفتري القرآن ، دعري كاذبة ؛ لأنهم لا يعلمون سرّ هذا النسخ ، ولا يعرفون أهداف هذا التعس

والنسخ في اللغة: الإزالة ، تقول: نسخت الشمس لون الثوب أي : أزالته ، وفي الشرع : رفع الشارع حكمًا شرعيًّا سابقًا ، بحكم شرعي لاحق ، مثل : تحويل القبلة ، وتشريم الجهاد بعد الأمر بالصبر والاحتمال .

بَلْ أَكْثَرُ هُمْ لا يَعْلَمُونَ .

أي: إن أكثر المعترضين جهالاء أغبياء ، لا يعلمون الحكمة ولا يفقهون سرَّ النسخ ، وقلة منهم تعرف وتعلم ، ولكنها تنكر هذه المعرفة وهذا العلم ؛ عنادًا وجحودًا وحسدًا للرسول ﷺ .

١٠٢ - قُلْ نَزَّلُهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبُكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثِّتَ ٱللَّذِينَ وَامْتُواْ وَهُدَّى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ .

روح القدس هو : جبريل عليه السلام ، والإضافة فيه إضافة الموصوف إلى الصفة، أم: الروح القدس. ووصف بالقدس ؛ لطهارته ويركته ، وسمى روحاٍ لمشابهته للروح ، فالروح فيها حياة البشر، وما يحمله جبريل من الوحى فيه حياة الأمم .

والمعنى:

قل أيها الرسول الكريم لهولاء المشركين: إن القرآن نزل من عند الله تحالى ، وقد نزل به جبريل الأمين متلبسًا بالحق والصدق من عند الله ، لهدف ومقصد هو تثبيت المؤمنين على الإيمان ، كما أن فى القرآن هداية من الضلال ، ويشارة للطائمين بالجنة ، وفيه هداية لمن أمن به من الزيغ والضلالات ، إذ فيه ما يهذب النفوس ويكيح جماح الطفيان ، ويرد الظالم عن ظلمه ، ويدفع عدوان الناس بعضهم على بعض، وقد سمع القرآن أحد المشركين فقال : إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وما يقول هذا بشر . وصدق الله العظيم: وَأَوْ كَانَ مَنْ عِمْلِ خُيْرٍ اللَّهِ لَوَجَعُدوًا فَهِهَ أَعْطِلْكًا كَيْرًا ، (النساء: ٨٤).

٩ . ١ - وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ .

ذكر بعض المفسرين: اسم هذا الرجل ، فقيل: اسمه بلعام ، وقيل: اسم هذا الرجل: يعيش ، وقيل غير ذلك. و المعنى :

إنا لنعلم أن مرّلاء المشركين يقولون جهلاً: إن محمدًا يتعلم هذا القرآن على يد رجل حداد ، وريما كان النبى ﷺ يجلس إليه ، ويكلّمه بعض الشيء .

لَّسَانُ ٱلَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ .

أى: كذبتم أيها المشركين كذبًا شنيمًا ؛ فالإنسان الذي تشيرين إليه عبدً حداد ، لسانه أعمى ، يعيش بين المطرقة والسنديان ، ويما كان الرسول ﷺ يعلَّمه وينير معارفه ، بدليل أن أهل مكة سألوا هذا الحداد : هل تُعلَّم محدًا ؟ فقال لهم : بل هو يعلَّمنر . .

وَهَلْلَا لِسَانٌ عَرَبِي مُّبِينٌ .

والقرآن عربي في أعلا درجات البلاغة والفصاحة ، فقد أعجزكم بفصاحته ويلاغته ، وتحدّاكم وأنتم أهل اللسان والبيان ، أن تأتوا بمثله ، أو بعشر سور منه ، أو بسورة واحدة ، فمجزتم عن ذلك مع شدة الرغية منكم، واستمرار التحدى ، ونشوب الحرب والقتال ، ووجود الدواعي والرغبة منكم في إيجاد ما يشهه القرآن، ولما جاءوا بسورة كانت ناقصة مبتورة ، وكانت أدل على فشلهم وعجزهم فأتًى لبشر أن يأتي بقرآن مثل هذا ، فضلا عن أن يكرن معلمًا لمحمد ، وهذا المغمر من قريش ، ربما كان منها على سبيل السخرية ، لا على سبيل الجد ، فما حواه القرآن من العلوم والمعارف ، والأداب والتشريع ، ليس في مقدور بيثر أن يأتي به .

وفى مؤتمر المستشرقين عام ١٩٥٤م ، كانت دعواهم: أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون من عمل فرد. واحد ، – هو محمد – بل من عمل جماعة كبيرة ، وأنه لا يمكن أن يكون قد كتب فى الجزيرة العربية ، بل إن بعض أجزائه كتب خارجها .

دعاهم عظمة هذا الكتاب أن يستكثروه على موهبة رجل واحد ، وعلى علم أمة واحدة ، ولم يقولوا ما يرجى به المنطق الطبيعى المستقيم : إنه من وحى رب العالمين .

٤ - ١ - إِنَّ ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بَنَايَاتِ ٱللَّهِ لاَ يَهْدِيَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ ٱليمَّ .

إن هؤلاء الكافرين قد مَنلُوا عن الحق والهدى ، وصدُّراً عن الإيمان ، وتكبروا عن داعى الرحمان ، هؤلاء ليسرا أملاً لهداية السماء . فقد حجب الله عنهم الهدى ، وطبع على قلويهم .

قال تعالى : بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ . (المطنفين: ١٤) .

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . في الآخرة جزاء كفرهم وصدهم عن سبيل الله .

ه ١٠ - إِنَّمَا يَفْتُرِي ٱلْكَلْدِبُ ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِثَايَثْتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَـنَّفِكَ هُمُ ٱلْكَلْدِبُونَ .

إن الكذب جريمة كبرى لا يقدر على اهتلاقه إلا الكافرون ، الذين لا يؤمنون بالقرآن ، ولا يصدّقون بمحمد ﷺ ، هؤلاء وحدهم هم الكاذبون ، هؤلاء مقصورون على الكذب ، أما محمد ﷺ فهو الممادق الأمين، وهو رسول من عند الله ، وهو صادق في تبليغه عن الله ، وجبريل أمين على وحي السماء ، ومحمد أمين في هذا الملاخ.

جاء في تفسير القاسمي :

ولا يخفى ما فى الحصر بعد القصر ، من العناية بمقامه – صلوات الله عليه – وقد كان أصدق الناس وأبرُهم .. بحيث كانرا يلقبونه بالصادق الأمين ، ولهذا لما سأل هرقل ملك الروم ، أبا سفيان نقال له – من بين ما قال : هل كنتم تتهمونه بالكتب قبل أن يقول ما قال ؟ قال : لا ، فقال هرقل : ما كان ليدع الكتب على الناس ، ويكذب على الله تعالى . وفي هذه الآية دلالة على أن الكذب من أكبر الكبائر، وأفحش الفواحش، والدليل عليه أن كلمة إِنَّها للحصر، وروى: أن النبي ﷺ قبل له : هل يكذب المؤمن؟ قال: لا ، ثم قرأ هذه الآية . ا هـ .

﴿ مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَنِهِ ۗ إِلّا مَنْ أُكْرِهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَيِنَ بَالْإِيمَنِ
وَلَكِن مَن شَحَ بِالْكُفْرِصَدْ لَافَعَلَتِهِ مِعْضَبُّ مِنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابُ عَظِيمٌ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابُ عَظِيمٌ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابُ عَظِيمٌ اللّهِ وَلَيْهُمْ مَا اللّهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ الْصَدِيمَ وَأَلْتِهِكَ هُمُ الْفَدَ فِلُوبَ فَلَى اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَنْصَدِهِمْ وَاللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَالسَمِعِيمِ اللّهُ عَلَى الْمُعْمِدُ اللّهُ عَلَى الْمُسْتَعِمُ اللّهُ عَلَى الْمُعْمِلُولِ اللّهُ عَلَى الْمُنْ اللّهِ عَلَى الْمُعْمِدُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الْمُنْ اللّهُ عَلَى الْمُعْمِلِيلَ الْمُعْمِدُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلَى الْمُعْمِلِيلَا عَلَيْمِ اللّهُ عَلَى الْمُعْمِلُولُ اللّهُ عَلَيْنَا اللّهُ عَلَى الْمُعْلَى الْمُعْمِلُولُ اللّهُ عَلَى الْعَلَمُ عَلَى الْمُعْمِلُولُ اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَيْنَا عَلَمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْنَا عَلَمُ اللّهُ عَلَيْنَا عَلَيْنِهُ عَلَيْلِمُ اللّهُ عَلَيْنَا عَلَيْلِمُ الللّهُ عَلَيْنَالِمُ عَلَى اللّهُ عَلَيْنَا عَلَمُ عَلَيْلِمُ اللّهُ عَلَيْنَا عَلَيْنِ اللّهُ عَلَيْلُولُولُ اللّهُ عَلَيْلُولُولُ اللّهُ عَل

المفردات ،

مسطسه مستن تابت متهذن ، والاطمئنان سكون النفس بعد انزعاجها ، والمراد : الثبات على ما كان عليه ، بعد إزعاج الكفر.

شرح بالكشر صدراء اعتقده وطاب به نفسا.

استحيرا الحياة النظياعلي الأخرة، أي : أثروها وقدموها .

لاجـــرم: أي:حقا.

تمهيده

الحقيدة الصادقة لها تكاليف وتضحيات ، والمسلمون الأولون تعرضوا لكثير من الاضطهاد والآلام، فصبر كثير منهم ، ويعضهم تحمل الموت في سبيل الله ، مؤثرا الآخرة على الدنيا . روى: أن قريشا أكرهوا عمارًا وأبويه: ياسرا وسمية ، على الارتداد فأبوا ، فربطوا سمية بين بعيرين ، ووجئت بحرية في موضع عقتها، وقالوا: إنما أسلمت من أجل الرجال ، فقتلوها ، وقتلوا ياسرًا ، وهما أول قتيلين في الإسلام ، وأما عمارً فأعطاهم بلسانه ما أكرهوه عليه ، فقيل: يا رسول الله، إن عمارًا كفر ، فقال رسول الله 養 : « كلا إن عمارًا ملئ إيمانًا من قرنه إلى قدمه ، واختلط الإيمان بحلمه ودمه ، فأتي عمار رسول الله 養 ، وهو يبكي، هجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه ، وقال له: « مالك ؟ إن عادوا فعد لهم بما قلت » وفي رواية: أنه قال له : وكيف تجد قلبك ؟» قال : مطمئن بالإيمان ، قال ﷺ : وإن عادوا فعد» ، فنزلت هذه الآية"".

والآيات توضع مغفرة الله للمُكَّرِه ، وتبين: أن العقاب الأليم لمن رجع عن الإسلام ، وآثر الكفر ؛ فإنه يستحق غضب الله ، والعذاب العظيم ، وهو قد اشترى الدنيا والكفر ، وياع الأحرة والإيمان ، فحرمه الله الهدى ووصمه بالكفر ، هؤلاء قد ختم الله على قلوبهم وسمعهم وأيصارهم ، فصاروا غافلين عن الحق ، سادرين في الباطل ، حقا إنهم في الأخرة من الخاسرين ، فقد حرموا الجنة وصاروا من أهل النار .

التفسيره

٩٠٩ - مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنْ يَعْدِ بِيمَندِهِ إِلاَّ مَنْ أَكْرِهَ وَقَلْلُهُ مُطْمِينٌ بِالإِيمَدْنِ وَلَلكِن مَّن هَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَصَتْ مَنْ آلله وَلَهُمْ عَدَابَ عَظِيمٌ

الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب ، وذاقت حلاوته النفوس ، لا يجوز أن يتركه الإنسان ويرجع إلى الكفر بالله .

والآية تتحدث عن عقوية الكافر الذي عرف الإيمان ، ثم عدل عنه إلى الكفر – وتستثنى من هذه العقوبة، بمن أمان العقوبة التعقيم من المحته العقوبة، من أكره على الكفر ، فكفر بلساته ، وقلبه ثابت مطمئن على الإيمان ، فهو في مغفرة الأه ورحمته – أما من الطبئن قلبه للكفر ، وعاد إليه متيقنا به ، مؤثرًا له على الإيمان ، فعليه غضب الله ولعنته ، وله عذاب على هذا بعد في جهنم .

وقد تعرض المسلمون في تاريخهم الطويل ، لألوان من العناب والإغراء : ليتركوا الإيمان ويعودوا إلى الكفر ، أو ليقولوا كلمة يذمّون بها الإسلام ويمدحون الكفر ، فمنهم من رضى بالموت فداء لعقيدته ، واشترى الكفرة وياع الدنيا ، وتحمل صنوف العناب والإغراء ، ومن هؤلاء ياسر ، وزوجته سمية ، ويلال بن رياح، ومنهم من نطق بكلمة الكفر تقيى يخف عنه العناب ، ومن هؤلاء عمار بن ياسر ، وقد أفره النبي على على ما فعل ، وفي الحديث: أن النبي على قال له : « كيف تجد قلبك » ، قال : مطمئن بالإيمان ، فقال له : «إن عادوا فعد » .

قال ابن كثير في تفسيره:

اتفق العلماء على: أن المكرّه على الكفر ، يجوز له أن يوالى إيقاء لمهجته ، ويجوز له أن يأبى ، كما كان بلال رضى الله عنه يأبى عليهم ذلك ، وهم يفعلون به الأفاعيل ، حتى إنهم ليضعوا الصخرة العظيمة على صدره فى شدة الحرّ ، ويأمرونه بالشرك بالله ، فيأبى عليهم وهو يقول : أحد أحد ، ويقول: والله لو أعلم كلمة هى أغيظ لكم منها لقلتها » . اهـ . وقريب من صنع بلال بن رباح ، ما فطه حبيب بن زيد الأنصاري لما قال له مسيلمة الكذاب : أتشهر أن محمدًا رسول الله ، قال: نحم ، فيقول له مسيلمة : أتشهد أن مسيلمة رسول الله ؟ قال حبيب : لا أسمع , قلم يزل يقطعه إربا إربا ، وهو ثابت على ذلك .

وذكر الحافظ ابن عساكر ، في ترجمة عبد الله بن حذيفة السهمى – أحد الصحابة رضوان الله عليهم—
أنه أُسْرَتُهُ الروم فجاءوا به إلى ملكهم ، فقال له : تنصرُ وإنا أشركك في ملكى ، وأزوجك ابنتى ، فقال له : الو أعطيتنى جميع ما تملك ، وجميع ما تملك العرب ، على أن أرجع عن دين محمد ﷺ ، طرفة عين ما فعلت ، فقال: أنت وذاك ، وفي رواية: أنه سجنه ومنع عنه الطعام والشراب أياماً، ثم أرسل إليه يخمر ولحم خنزير ، فلم يقريه ، ثم استدعاه فقال: ما منعك أن تأكل ؟ فقال: أما إنه قد حل لى ، ولكن لم أكن لأشتمك في ، فقال له الملك : فقبل رأسي وأنا أطلقك ، فقال: تطلق معي جميع أسارى المسلمين ، قال: نعم ، فقبل رأسه ، فأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده ، فلما رجع قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذيفة، وأنا أيضا ، فقام وقبل رأسه رضى الله عنهما الاسلامية على على مسلم أن يقبل رأسه رضى الله عنهما الاسلامية .

٧ . ١ - ذَا لِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا ٱلْحَيْوَةَ ٱلدُّنيَا عَلَى ٱلآخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَلْفِرِينَ .

أى: ذلك الجزاء العادل والعقاب الأليم ، بأن عليهم غضبًا من الله ولهم عذاب عظيم ، سببه أنَّهم الروا الحياة الدنيا وزينتها ، وباعوا الآخرة والإيمان بالله ، ومن عدالة الله أنه لا يوفق للإيمان من يجحد آبات الله يهمرً على إنكارها .

١٠٨ - أُوْلَنْتِكَ ٱلَّذِينَ طَيْعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَلْرِهِمْ وَأُولَنَّتِكَ هُمُ ٱلْعَلْفِلُونَ .

هوّلاء الكفار قد اشتد إعراضهم عن الحق ، وآثروا الدنيا والهوى ، وأعرضوا عن الهدى : فختم الله على قلويهم بحجاب من الغفلة ، وعلى أسماعهم فلا تستمع إلى الهدى ، استماع راغب مستفيد مما فيه ، ولا تبصر الحق ولا تنظر في أدلته .

وَأُوْلَـٰكِكَ هُمُ ٱلْفَـٰفِلُونَ . السادرون في لهوهم ، الساهون عما أعد لهم ولأمثالهم ، من عقوية وجزاء.

٩ • ١ - لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلآخِرَةِ هُمُ ٱلْخَلْسِرُونَ .

أى: حقا إنهم في الآخرة مم المغبونون : لأنهم اشتروا عرضا قليلا ، وياعوا نعيما أبديًا سرمديا : فخسرت تجارتهم وعاد ذلك عليهم بالويال والنكال في جهنم وينس القرار .

والله در من قال:

وقد حكم الله على هؤلاء الكافرين بسبعة أشياء:

١ - إنهم استوجبوا غضب الله .

٧- إنهم استحقوا عذابه العظيم.

٣- إنهم استحبوا الحياة الدنيا .

٤-- إنهم حرموا من الهداية .

٥- إنه طبع على قلويهم وسمعهم وأبصارهم.

٦- إنهم غفلوا عن الحق .

٧- إنهم خاسرون في الآخرة.

قال محاهد:

أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ وأبو يكر ، وخياب ، وصعيب ، ويلال ، وعمار ، وسعية ، أما الرسول ؛ فحماه أبو طالب ، وأما أبو يكر ؛ فحماه قومه ، وأحد الآخرون وألبسوا دروع الحديد ، ثم أجلسوا في الشمس ، فبلغ منهم الجهد يحرّ الحديد والشمس ، وأتاهم أبو جهل يشتمهم ويريكهم ، ويشتم سمية ، ثم طعنها يحرية في ملمس العفة ، وقال الآخرون : ما نااوا به منهم ، إلا بلالا ، فإنهم جعلوا يعذبونه فيقول : أحدّ أحد ؛ حتى منّوا ؛ فكتّفره وجعلوا في عنقه حبلا من لهف ، ودفعه إلى صبيانهم يلجبون به ؛ حتى ملّوه فتركوه ، وقال عمار : كلّنا تكلم بالذي أرادوا ، غير بلال ؛ فإن نفسه هانت عليه فتركوه ، وقال عمار : كلّنا تكلم بالذي أرادوا ، غير بلال ؛ فإن نفسه هانت عليه فتركوه ، وقال عمار : كلّنا الإله ودك (دهن) ظهري .

* * *

﴿ ثُمَّ إِنَ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَافْتِـنُوا ثُمَّ جَنَهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ ۞ يَوْمَ تَأْقِ كُلُّ نَفْسِ تُجَدِدُ مَى نَفْسِهَا وَتُوفَّى كُلُّ نَفْسِ مَاعَمِلَتْ وَهُمْ الْأَيْظُ لَمُونَ ۞ ﴾

المفردات:

من بصدما هنتفوا: عذبوا وأوذوا ، وأصل الفُدّن : إبخال الذهب في الذار ؛ لتظهر جودته من ردامته ، ثم استعمل في المحنة والإبتلاء يعميب الإنسان .

___وهـ___ى، تعطى.

تمهيد

تتحدث الآيتان عن فنة من المسلمين كانوا مستضعفين بمكة ، مهانين فى قومهم ، فوافقوا المشركين ظاهرا ، على الرجوع إلى دين آبائهم وأجدادهم ، ثم فُروا وتركوا بلادهم وأهلهم : ابتغاء رضوان الله وطلب غفراقه ، وانتظموا فى سلك المسلمين ، وجاهدوا معهم الكافرين ، فحكم الله بقبول تربتهم ودخولهم فى زمرة الصالحين ، وتمتعهم بجنات النعيم .

لخرج ابن أبى حاتم عن قتادة: أن عياشًا رضى الله عنه. - وكان أَخا أَبَى جهل من الرضاعة - وأبا جندل بن سهل، وسلمة بن هشام، وعبد الله بن سلمة الثقفى، فتنهم المشركون وعذبوهم، فأعطوهم ما أرادوا: ليسلموا من شرهم، ثم إنهم بعد ذلك هاجروا وجاهدوا فنزلت فيهم الأية.

التفسيره

. ١٩- قُمَّ إِنَّ رَبُّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنْ يَعْدِ مَا فَعِنُواْ قُمْ جَسْهَدُواْ وَصَبَرُواْ إِنَّ رَبُّكَ مِن بَعْدِهَا لَفَقُورٌ رُحِيمٌ .

تتحدث الآية عن مؤمنين كانرا مستضعفين بمكة ، فلما اشتد عليهم العذاب ؛ والوا قومهم ، وتكلموا في الظاهر بما يرضى المشركين ، ثم هاجروا بعد ذلك إلى المدينة ، وحسن إسلامهم وبلاؤهم .

والمعنى: ثم إن ربك يا محمد ، لهؤلاء المهاجرين الذين امتحنوا بمكة ، ثم هاجروا إلى المدينة ، وجاهدوا مع المؤمنين ، وصبروا وصابروا ، ودفعوا ضريبة الإيمان ، من التضحية والفداء : إن ربك يا محمد من بعد هذه المواقف لَقُفُورٌ رُحِمٌ . يغفر لهم موالاة الكافرين بمكة ، ويرحم ضعفهم ، ويجزل مثوبتهم ، فقد أتبعوا السيئة بالحسنة ، وعوصوا ما فاتهم ، وقاموا بجهد مهارك مع المسلمين .

رأی آخسر

قال الآلوسي:

وقرأ ابن عامر: من بعد ما قُتورا ، بالبناء للفاعل ، وهو ضمير المشركين عند غير واحد ، أي : عنبوا المؤمنين كالحضرمي ، أكره موالاه «جبراً» حتى ارتد، ثم أسلما وهاجرا ..

والمعنى: إن مغفرة لله تكون للمشرك الذى فتن المؤمنين ، ثم هاجر وجاهد وصبر؛ فإن الإسلام يجبّ ما قبله ، وإن مغفرة والله ورحمته لكلّ من طرق بابه ، وقد كان خالد بن الوليد من أبطال المشركين ، وقد نال من المؤمنين في معركة أحد ، حيث شاهد الرماة قد تركى أماكنهم في ظهر المعركة ، فأخذ جماعة من رجال المشركين ، وانقض على المسلمين من الخلف ، وأعمل السيف في مؤخرة الجيش ، فاحتل نظام الجيش، وصار المسلمون يقتل بعضهم بعضا ، ولما أسلم خالد بن الوليد ، قال للنبي ﷺ : ادع الله أن يغفر لى تلك المشاهد للتي شهدتها عليك ، فقال ﷺ : و أما علمت أن الإسلام يجب ما قبله » .

١ ١ - يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ ثُعِدَادِلُ عَن لَفْسِهَا وَتُولِّي كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ .

يُوْمَ منصوب على الطرفية بقوله : رُحِيمٌ ، أو منصوب على المفعولية بفعل محذوف تقديره: اذكر ، واليوم هنا: يوم القيامة ، وقد صرَّرت الآية أموال هذا اليوم وشدّته وفزعه ، وقد ورد في بعض الآثار : « إن جهنم لتزفر زفرة ، لا يبقى ملك مقرب ، ولا نبى مرسل ، إلاَّ جِثنا على ركبتيه ، يقول: ربَّ نفسى نفسى ، حتى إن إبراهيم الطفيل ليفعل ذلك » .

والمعنى: اذكر يوم القيامة ، حيث يأتى كل إنسان يدافع عن نفسه ، قد شغله الهول عن أى إنسان أهر، وفي ذلك اليوم لا يفيد الكلام ولا الدفاع ؛ لأن الدنيا عمل ولا حساب ، والآخرة حساب ولا عمل ، بل يوفى كل إنسان جزاء عمله ، ويلقى المُحسن جزاء إحسانه ، والمسىء جزاء إساءته : وَهُمْ لاَ يُظْلُمُونَ ؛ لأنهم أمام الله العادل القائل:

وَنَصَعُ الْمُوادِينَ الْقِيسُطَ لِيُومِ الْقَيْسُمَةِ لَلاَ تَظْلُمُ نَفْسٌ هَيْنَا وَإِن كَانَ مِقْفَالَ حُبُهِ مِنْ خَرَدَلِ أَلَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسْسِينَ . (الانبيد: ٤٧).

وقال سيحانه : يَكَأَلِّهَا آلنَّاسُ أَتَّهُواْ رَاكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ آلسَّاعَةِ شَيَّةً عَظِيمٌ ﴿ يَوْمَ تَرَوْلَهَا تَلْهُلُ كُلُّ مُرْضِعَةً عَمَّا أَرْضَمَتُ وَلَسَيْمٌ كُلُّ ذَاتٍ حَمْلٍ حَمْلُهَا وَتَرَى آثَاسَ سُكُنْرِكَا وَمَا هُم بِسُكْنُوكَا وَلَلْكِنْ - هـ حد حد

﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةَ كَانَتَ ، امِنَةَ مُطْمَيِنَةً يَأْتِيهَا رِذْفُهَا رَغَدًا مِن كُلِّ مَكَانِ فَكَ فَرَتَ فَرَيَةً كَانَتُ ، امِن كُلِّ مَكَانِ فَكَ فَرَتْ يَأْتَفُوا اللهِ فَأَذَفَهُمَ اللهُ لِيَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَاكَانُوا يَصَّنَعُونَ ۞ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ طَلْلِمُونَ ۞ ﴿

تمهيد:

في هاتين الآيتين تعديد ووعيد لأهل مكة ، وتذكير لهم بما أصاب القرى التي كنبت أنبياءها ، فأرسل الله عليهم صاعقة ، أو أمطرهم بالحجارة ، أو أغرقهم بالماء ، أو خسف يهم الأرض ، جزاء كغرهم وعنادهم.

لتفسير

٩٩٧ - وَمَرَبُ ٱللهُ مَثَلاً فَرَيَّةُ كَانَتُ ءَامِنَهُ مُطْمَئِنةً يَأْتِهَا رَفْهَا رَفْهَا مِن كُلَّ مَكَان فَكَفَرت بِأَنْهِمِ ٱللهِ فَأَذَاقِهَا اللهُ لِاسَ ٱلجُوعِ وَٱلْمَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَمِنْمُونَ .

ضرب الله الأمثال لأهل مكة : حتى يضع أمامهم صورة عملية لقرية -- أيُّ قرية -- من قرى المكتبين، مثل قرية نوح ، أو هود ، أو ممالح ، أو موسى ، أو محمد عليهم الممالاة والسلام ، فقد كان هؤلاء الكفار آمنون في قراهم ، يأتيهم الرزق والعافية والنعمة ، ثم أرسل الله إليهم رسولا ليؤمنوا به ، فكنبوه وجحدوا نبوّته ، فأرسل الله عليهم العقوية ، فقد أغرق الطوفان قوم نوح ، وأهلك العذاب مدين وثمود .

قال تعالى : أَلاَ بُعْدًا لَّمَدْيَنَ كُمَا يَعِدَتُ ثَمُودٌ . (هود: ٩٥) ، وأغرق الله فرعون في ماء النيل .

قال تمالى : وَقَدْرُونَ وَفِرْعُونَ وَهَلَمْنَ وَلَقَد جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيَّنَتِ فَاسْتَكْبُرُواْ فِي ٱلأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَنْجِينَ * فَكُلاَّ أَخَلْنَا بِلَدْمِهِ فَمِنْهُم مِّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ خاصِبًا وَمِنْهُم مِّنْ أَخَلَهُ ٱلصَّبْحَةُ وَمِنْهُم مِّنْ أَخَلَهُ وَمَنْهُم مِّنْ أَخَلُهُ وَمِنْهُم مُنْ أَغَرُفُنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمُهُمْ وَلَئِكِنَ كَانُواْ أَلْهُسُهُمْ يُظْلِمُونَ . (المنكبوت. ٢٠١٥ . في أَمْ

وقال عن شأنه : كُذُّبتَ ثَمُودُ بِطُغُواهَا ﴿ إِذْ النَّبَثَ أَشْقَافَا ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولٌ ٱللَّهِ نَافَةَ اللَّهِ وَسُفِّينَهَا ﴿ فَكُذُّبُوهُ لَعَقُرُوهَا فَمُمْتَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِلَنْبِهِمْ فَسُواهَا ﴿ لَا يَعَافُى عُقْبُنَهَا . (الشمن ١١-١٠) .

ومن المفسرين من ذهب إلى أن المراد بهذه القرية: قرية غير معينة ، وإنما هي مثل لكل قوم قابلوا
نعم الله بالجحود والكفران ، ، فأصابهم العذاب والنكال ، وهذا ينطبق على قوم نوح ، وقوم هود ، وقوم
صالح ، وقوم زكريا ، وقوم موسى ، وعيسى ، ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، ومن المفسرين من ذهب إلى
أن المراد بالقرية أهل مكة ، كانت أنعم الله تترى عليهم ، وتأتيهم الخيرات من كل مكان ، وكانرا يتمتعون
بالأمن والأمان ، وتسير تجارتهم آمنة في رحلة الشتاء والصيف ، فلا يغير عليها أحد من الأعراب ؛ لأنهم
أهل حرم الله وسدنة الكعبة، ثم أرسل الله إليهم رسولا يعرفون نسبه وحسبه ، وصدقة وأمانته ، وجاء بكتاب
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فكفروا بالكتاب ، وكذبوا الرسول ، فدعا الرسول ﷺ عليهم ،
وقال : « اللهم ، اشدد وطأتك على مضر ، اللهم لجعلها عليهم سنين كسني يوسف » (١٠) .

فأصاب أهل مكة الجوع ، وأذاقهم الله لباس الخوف ، أي : ذاقوا مرارة الخوف والحرب والجوع ، حتى إذا نظروا إلى للسماء : شاهدوا ما يشبه الدخان ، من الجوع الذي أصابهم ، عقوية لكفرهم .

وعند التأمل نجد أن الآية يمكن أن تشمل قرى المكذبين السابقين للرسل ، وتنطبق في نفس الوقت على أهل مكة . وقريب من معنى الآية قوله تعالى: أَوَلَمْ نُمُكُن لَهُمْ حَرَهَا وَامِنَا يُجَنِّيَ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلُّ شَيْءٍ رَزَّقًا مَن لَلْنَا. وَلَكَنَّ أَكْتَرَهُمْ لاَ يَقَلَمُونَ . (القمس: ٧٥).

وقوله سبحانه : لإيكَنف قُرْيَش و إِيلاً فِهِمْ رِخَلَةَ الشَّمَّاءِ وَالصَّفِّ فَلَيْتَبُدُواْ رَبُّ هَلْمَا ٱلَّبِّبَ • ٱلَّذِيّ أَطْعَمُهُم مِّن جُوع وَمَامَتُهُمِ مِّنْ خَوْفِي . (قريق: ١-٤) .

وقوله تعالى : وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُرَّةٌ مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتُكَ أَهْلَكُنَاهُمْ فَلاَ نَاصِر لَهُمْ . (معد: ١٣) .

وفى حتام القول: تظل هذه الآية نمونجًا ومثالا ، لكل من قابل النعمة بالكفر والطغيان ، فتقال له والأمثاله ، بل يمكن أن يذكر الإنسان نفسه عندما يدعوه الهوى أو الشيطان إلى ارتكاب أى فاحشة أو معصية فيقول لنفسه ؛ وَضَرَبُ ٱللهُ مَفَلاً فَرَيَّةً كَانَتَ ءَامِئةً مُطْمِّتَةً يَأْتِهَا رِزْقَهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتُ بِأَلْمَ ٱللَّهِ فَأَذْلَهَا آللَّهُ إِنْ الْجُرِع وَآلْمَوْفِهِ بِمَا كَانُواْ أَيْمَنُّونَ. (النحل: ١٧٠).

١١٣- وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مَّنْهُمْ فَكَدُّبُوهُ فَأَخَلَهُمُ ٱلْعَدَّابُ وَهُمْ ظَلِمُونَ .

أى: إن أمل هذه القرية ، قد أكمل الله عليهم النعم ، فأرسل إليهم رسولا من جنسهم ، يعرفون نسبه وصدقه ، فقابلوا دعوته إليهم بالتكذيب والجحود ، فقابل الله تكذيبهم وجحودهم بأن أرسل عليهم العذاب، حال كونهم ظالمين لأنفسهم ، وظالمين للرسول الذي أرسل إليهم .

في أعقباب التفسيس

قال الزمخشري في تفسير الكشاف:

وُصَّرُبَ ٱللَّهُ مَّلَاً قَرِّيَةً ... أى : جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم ، فأبطرتهم النعمة ، فكفروا وتولوا، فأنزل الله بهم نقمته ..

وقال الإمام ابن كثير:

هذا مثل أريد به: أهل مكة، فإنها كانت آمنة مطمئنة مستقرة ، يتخطف الناس من حولها، ومن دخلها كان آمنا ...؛ فجحدت آلاء الله عليها ، وأعظمها بعثة محمد ﷺ : فَأَذَّلُهَا ٱللَّهُ لِبَسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يُهنَّمُونَ . المضردات :

ولالقولوالهاتسف السنتكم الكذب، لا تجعلوا الكذب قولكم ، ولا تجعلوا ألسنتكم أداة الكذب.

جاء في تفسير الكشاف ما معناه:

يقولون: له وجه يصف الجمال ، وعين تصف السحر ، يريدون: أنه جميل ، وأن عينه تفتن من راّها ؛ لأنه لما كان وجهه منشأ للجمال ، وعينه منهماً للفتنة والسحر ، كان كل منهما كأنه إنسان عالم بكنههما ، محيط بحقيقتهما ، يصفهما للناس أجمل وصف، ويعرّفهما أتم تعريف ، وعلى هذا الأسلوب جاء قوله تعالى : وَلا تَقُولُواْ لِهَا تَسِهُمُ ٱلْسَتَكُمُ الْكَذِبُ ، إذ جعل الكنب كأنه حقيقة مجهولة ، وكلامهم الكنب يشرح تلك الحقيقة ويوضحها ، كأن ألسنتهم لكونها موصوفة بالكنب ، هي حقيقته ومنبعه الذي يعرف منه .

الست من العاقبة ذلك .

يستجسم السنة ، الجهالة هذا : الطيش ، وعدم التدبر في العواقب .

تمهيد،

تشتمل الآيات على ما يأتي :

١- الأكل من الحلال الطيب.

- ٣- تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير .. إلا للمضطر .
- ٣- التحليل والتحريم لا يكونان إلا بنص ، ولا يجوز أن يكونا بالهوى والتشهى .
 - ٤- ما حُرُّم على اليهود قد ذكر من قبل في سورة الأنعام.
 - ٥- قبول توبة الثائب الصادق في توبته.

التفسيره

١٩٤ - فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَىالاً طَيَّا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّه إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ .

كلوا من رزق الله ، ومن أنعمه الحلال الطيب ، واتركوا الخبائث وهى الميتة والدم ، واشكروا الله على أنعمه عليكم ، بأن تستخدموا النعمة فيما خلقت له ، وأن تردُّدوا الزكاة والصدقة ، إن كنتم تعبدون الله ، فالتزموا بأكل الحلال ، والتزموا بشكر النعمة ، وأداء حقها ، وإخراج زكاتها .

١٥ - إِنَّمَا حَرْمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْنَةَ وَاللَّهُ وَلَحْمَ ٱلْحِنوِيرِ وَمَا أَهِلَ لِغَوْرِ ٱللَّهِ بِهِ فَمَن اصْطُرُ غَيْرَ يَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهُ عَلَوْدٌ رَحِيمٌ.

التحريم والتحليل بكينان من الله ، وقد نعى القرآن على أهل الجاهلية تحريم أنواع من الحيوانات، فقال سبحانه وتعالى : مَا جَعُلَ ٱللهُ مِنْ مَحِيرَةٍ وَلاَ مَا تَبُهُ وَلاَ وَصِلْةً وَلاَ حَامٍ وَلَنكِنَ ٱللّهِ آلْكُلُبُ وَأَكْرُهُمْ لاَ يَعْطُونَ . (المائدة: ١٠٣) .

وقد تكرر هذا المعنى في سررة البقرة والمائدة والأنمام ، وقد قصر الله التحريم هنا في هذه الأربح؛ ربًّا على تحريم المشركين لبعض الحيوانات ، افتراء على الله ، من غير أن يحرمها الله تعالى .

قد آلْمَيَّةُ . ربما تحفنت أن فسدت ، فتعافها النفس من جهة ، ولأن في أكلها أضرارًا بالجسم من جهة أخرى ، ويلحق بالمهتة : المنضنقة، والموقوذة ، والمتردية ، والنطيحة ، وما أكل السبع منها : نظرا لفسادها وضررها ، ولأنها لم تنبح وتذكّى وهي حيّة .

وّ آللّهُ . رهق الدم الذازل من الحيوان في حياته أو في مماته ، ويسمى: الدم المعقوح ، أي : السائل عند ذبح الحيوان ، وقد أثبت الطب الحديث الأضرار التي تصيب الإنسان من شرب الدم .

وَلَحُمْ ٱلْجَوْرِهِ . وقد حرم الله الخنزير كلّه ، جلده ولحمه وبمنه ؛ وإنما ذكر اللحم هنا ؛ لأنه الأساس المقصود بالذبح، وتحريم الشحم والجلد تابمان لتحريم اللحم . وَمَا أَهُلِّ لِعَمْرِ اللَّهِ بِهِ , حيث كان أهل الجاهلية يذيحون لآلهتهم، ويقولون عند الذبح باسم اللات أن باسم المُزى؛ والفعل أُهلِّ مأخوذ من الإهالال بمعنى: رفع الصوت، أى : رافعين أصواتهم باسم آلهتهم؛ وفى هذا الحيوان فساد معنوى؛ لأنه ذكر عليه اسم غير الله ، وقد قال تعالى : فَكُلُّوا مِمَّا فَكِرُ آسُمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ . (الأندام: ١١٨)

والذبح عبادة لها مراصفات في كتب الفقه : منها: أن يحدّ الذابح شفرته ، ويربح ذبيحته ، ويذبح العيوان من رقبته، ويقطم أكثر الرقبة وفيها الطقوم والودجان والنضاع . وعند الذبح يقول: باسم الله . الله أكبر .

فَمَنِ ٱضْطُرٌ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ.

أى: من اضطر إلى أكل شيء من هذه المحرمات الأربع ، كمن سار في صحراء ، وضل الطريق ، واستد به الجرع: فإنه يباح له الأكل من هذه المحرمات ، بمقدار ما يسدّ الرمق ، ويستبقى الحياة .

غَيْرُ بَاغٍ ، أي : متجاوز في قصده ، بأن يترك الحلال متعمدا إلى أكل الحرام .

وُلاً هَادٍ . أي: ولا معتدِ بأكل أكثر مما يسد الرمق ، من أكل هذه المحرمات مضطر! فلا إثم عليه ، ولا ينب.

لَهِانَّ اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِمٌ. فإن الله يغفر له ويرحمه : لأنَّه عليم بالملابسات التي أحاطت به ، وهو سبحانه لم يكلفنا بما لا نطيق.

قال تعالى : لاَ يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا . (البقرة: ٢٨٦) .

وقال عز شأنه: لا يُكلُّفُ ٱللهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا عَاتَلهَا . (الطلاق: ٧) .

وهى خواتهم سوة البقرة: رَبِّمَا وَلاَ تَحَمَّلُنَا مَا لاَ ظَافَةَ لَنَا بِهِ وَآعْفُ عَنَّا وَآغْفِرْ لَنَا وَآزَحَمُنَا أَلتَ مَوْلَئنَا فَالصُرْلًا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَلْفِرِينَ . (البقرية ٢٨٦) .

والآن وبعد مرور أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان، بتحدث الطبّ الحديث عن الأضرار العديدة التي تصيب من يأكل من هذه المحرمات ، ويتضع للعيان صدق هذا القرآن ، وأنه إنما جاء من عند الله حقا ، فأتّى لمحمد الذي نشأ في بلاد العرب ، أن يصل إلى تحريم هذه الأشياء بذاتها ، من غير أن يوجهه وحي السماء ، وصدق الله لعظيم : وَمَا يُعِعِنُ عُن الْهُوَمَى الْهُ وَكُن يُوحِنُ لِ مَنْ إِلَّ وَصُن يُوحِنَ (النمدة : مَا) .

١٩٦ – وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ ٱلْسِنْتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَنْذَا خَلَالٌ وَهَنْذَا خَرَامٌ لَتَفْتُرُواْ عَلَى اللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنْ ٱللَّذِينَ فَقُنُ وَنَ عَلَى اللَّهِ ٱلْكُلْبُ لاَ يُطْلِمُونَ .

التحليل والتحريم لا يكونان إلا بنصّ ، ولا يجوز أن يجردُ إنسان على تحليل شيء أو تحريمه ، لهواه أو رأيه أو فترى بغير علم ، فيكين قد اجترأ على الله فضلٌ وأَسْلٌ .

ومعنى الآية: لا تقولوا للكنب الذي تصفه أاستتكم وتحكيه: هذا حلال ، وهذا حرام ، فهذا القول حين يقوله إنسان بلا نص هو الكذب بعينه ، الذي يفتريه على الله ، ويتقول على الله بما لم يقله ، بدون دليل ولا برهان .

قال ابن كثير:

ويدخل فى الآية من ابتدع بدعة ، ليس له فيها مستند شرعى ، أو حلل شيئا مما حرم الله ، أو حرم شيئا مما أباح الله ، بمجرد رأيه وتشبّيه ، ا هـ .

وقال الآلوسي :

لا تسمُّوا ما لم يأتكم حله ولا حرمته عن الله تعالى ورسوله: حلالا وحراما ؛ فتكونوا كاذبين على الله: لأن مدار الحل والحرمة ليس إلا حكمه سبحانه ، اهـ.

وهي معنى هذه الآية قوله تعالى: قُلُ أَزَوَتُهُم مُنَّ أَنَوْلَ ٱللَّهُ لَكُمُ مِّن رُوْقِ فَجَعَلُتُم مَنْهُ حَرَامَا وَحَلَلَا قُلْ وَٱللَّهُ أَذِنَ كَكُمْرَ أُمْ عَلَى ٱللَّهُ تَلْمُو فَى (ويند : ٥٥).

وقد أدَّعى المشركون: تحريم أشياء لم يحرمها الله سبحانه ، وفند القرآن دعواهم ، ومن ذلك قوله. تعالى: وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَلُو الأَنْعَامِ خَالِصَةً لُلْكُورَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزُواجِنًا ... (الأنمام ١٣٦) .

لِّتَفْتَرُ وِ أَ عَلَى آللَّهِ ٱلْكَالِبَ .

أى: لتكرن عاقبة أمركم إسناد التحريم والتحليل إلى الله ، كذبا من غير أن يكون ذلك منه ، فالله تعالى لم يحرم من ذلك ما تحرمون ، ولا أحل كليرا مما تحالون .

وإجمال ذلك:

لا تسموا مالم يأتكم حله ولا حرمته عن الله ورسوله: حلالا وحراما ؛ فتكونوا كالدبين عليه ؛ لأن مدار الحل والحرمة ليس إلا حكمه تعالى .

عن أبي نُشرة قال : قرأت هذه الآية في سورة النحل فلم أزل أخاف الفتيا إلى يومي هذا .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لاَ يُقْلِحُونَ .

أي: إن الذين يختلقون الكنب ، ويخترعون الفتوى ، وينسبون ذلك إلى الله وشرعه كذبا وزورا ؛ لا يقلحون في الدنيا ولا في الأخرة ، فسرعان ما يكتشف الناس كذبهم ، فينصرفون عنهم ، ويكونون مضرب الأحقال في الهوان والصغار .

١ ١٧ - مَعَنْعُ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَلَابٌ أَلِيمٌ .

أى: متاعهم في الدنيا قليل ، بالسحت والمال الحرام ، الذي حصلوا عليه بفتاواهم الكاذبة .

وَلَهُمْ عَلَابٌ أَلِيمٌ .

وينتظرهم عذاب شديد في الآخرة : جزاء كذبهم وافتراثهم على الله .

قال تعالى : قُلْ مَمَناعُ ٱلدُّنيا قَلِيلٌ وَٱلآخِرةُ خَيْرٌ لِمَنِ ٱلَّقَى وَلاَ تُطْلَمُونَ لَتِيلاً . (النساء: ٧٧) .

وقال عز شأنه : لُمَتُّهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ لَضْطُرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ . (لقمان: ٢٤) .

١٨ - وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَعْنَا عَلَيكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَلكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ.

لقد حرم الله على اليهود أنواعا من الحيوانات ؛ عقوبة لهم وردعًا لظلمهم ، كما قال سبحانه وتعالى: فَيُظُلِّم مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حُرْمًا عَلَيْهِمْ ظُيِّكَ أُحِلَّتْ لُهُمْ . (النساء ١٦٠) .

وعند المقارنة : نجد أن الله حرم على المسلمين الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله ، وهذا التحريم رأفة بننا ، وحفاظا على أجسامنا ، ولم يكن ذلك عقوية على جريمة ارتكبناها ، أما ما حُرّم على اليهود فقد كان عقوية لهم ، وقد سبق ذكر ذلك في سورة الأنعام ، حيث قال سبحانه وتعالى : وَعَلَى ٱللّٰهِينَ هَادُوا حَرِّمَنّا كُلّ فِي ظُهُرٍ وَمِنَ ٱلْكُبِّ وَالْفَسَمِ حَرِّمَنَا عَلَيْهِمْ هُسُعُومُهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتَ ظُهُورُهُمَا أَوْ مَا آخَتُكُطْ بِعَظْمِ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَقْهِمْ وَإِنَّا لَمُمَادِقُونَ . (الأنماء ١٤٦١).

وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَنْكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ.

أى: أن الله تعالى لم يظلم اليهود. بتحريم هذه الأحتياء عليهم ، وإنما حرمها عليهم جزاء ظلمهم ، وعدوانهم في السبت ، وقرابهم: قلوينا غلف ، وتحريفهم الكلم عن مواضعه ، وإضافتهم للتوراة ما ليس منها ، وحذفهم بعض الحدود من التوراة ، مثل: الرجم المزانى المحصن عندما كثر الزنا فى أشرافهم ، فاستداوه بعقوية أخف ، ولم تتشرب قلويهم ردح التوراة ، بل اهتموا باللفظ دون المحتوى ، حيث قال تعالى : مَثَلَّ ٱلَّذِينَ حَمَّلُوا ٱلْقُورَاةُ ثُمَّ لَمْ يَعْضِلُوهَا كَمُثَلَ الْحِمَالِ يَعْضِلُ أَسَقَارًا . (الجمعة: ٥) .

١١٩ - ثُمُّ إِنَّ رَبُّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنْ بَعْدِ ذَالِكَ وَأَصْلُحُواْ إِنَّ رَبُّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَقُورٌ رَّحِيمٌ.

تتكرر المعانى التى تفصح عن رحمة الله بعباده ، وقبول تويتهم ؛ حتى لا ييئس إنسان من فضل الله ورحمته وقد فتح الله أبواب التوية لكل تائب من الههود أو من غيرهم ، وقد خصّ الآية عمل السوء بجهالة؛ لأن المذنب عادة يكون واقعا تحت جهالة الشهوة أو الشباب أو الإغراء ، وليس معناه: أن من عمل السوء بدون جهالة لا يفقر الله له ، بل الآية تعبّر عن الواقع والأكثر .

وقال مجاهد:

كل من عصى الله تعالى عمدًا أو خطأ ، فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته .

وقال ابن عطية:

الجهالة هنا بمعنى: تعنّى الطور ، وركوب الرأس ، لا عدم العلم ، ومنه ما جاء فى الخبر: « اللهم ، إنى أعود بك أنّ أجهل أن يجهل علىّ "⁰¹⁰،

ومنه قول الشاعر:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق الجهل الجاهلينا

ومعنى الآية:

ثم إن ربك لكثير الفقران والرحمة ، لأولئك الذين أسرفوا على أنفسهم ، بالذنوب أو المعاصى ، أو الشرك أو ركوب مالا يليق ، بسبب الجهالة والطيش والسفه ، ثم ندموا وتابوا توبة صادقة ، وعملوا أعمالا صالحة، فإن الله يتقبل توبقهم ، ويسجل لهم الحسنات في صحائف أعمالهم ، رأفة ورحمة بهم ، وفي هذا المعنى يقول الله تعالى : شَيْ عَبَادِينَ أَلَّهُورُ ٱلرَّحِمُ و وَأَنَّ عَلَىٰ يُمْ ٱلْمَلَابُ ٱلْأَيْمُ . (السمين ٤٩) . . ه) .

ويقول تعالى: إِلاَّ مَن لَابَ وَمَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَلِيحًا فَأُولَنَظِكَ يُبَدُّلُ ٱللَّهُ مَسَّنَاتِهِم حَسَنَتِ وَكَانَ ٱللَّهُ خَفُورًا رُحِمًا . (الفرقان: ٧٠).

ويقول تعالى: إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوابِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ . (البقرة: ٢٢٢) .

ويقول عن شانه: قُلْ يُنْجِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرُفُواْ عَلَىٰٓ أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْتَطُواْ مِن رَحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهُ يَغْفِرُ ٱللَّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ . (لارْمَو: ٣٠) .

* * *

المطردات

أمسسسسسة ، الأمة : للجماعة الكثيرة ، وسمَّى إبراهيم: أمَّة ؛ لأنَّه جمع من الفضائل مالو تَفرَّق لكني أمَّة .

قال أبو نواس يمدح هارون الرشيد :

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

أحسان الما بأمره .

حسنسيسفساء ماثلا عن الدين الباطل إلى الدين الحق.

اجست سيساه: اختاره واصطفاه.

الثمل (۱۲۰ - ۱۲۸)

و إتناه في اللغيا حسنة؛ هي محبة أهل الأديان جميعا له ، وقد بشره الله بإسحاق ثم بيعقوب ، ومن نسله كان الأنبياء ، واتخذه الله خليلا ، وهو مذكور في ختام التشهد ، ومن دعاء إبراهيم: وَ أَجْعَل لِّي لُسَانَ صِدَّق فِي ٱلآخِرِينَ . (الشعراء: A£).

إنسما جسما السبت: أي: فرض تعظيمه ، والتخلُّي فيه للعبادة ، وترك الصيد .

____ كمية ؛ المقالة المحكمة المصحوبة بالدليل الموضح للحق ، المزيل للشبهة ، أو حسن التأني للأمور ، واختيار اللفظ المناسب ، والبهان المناسب .

المومظة الحسنة ، الأدلة الظنية المقنعة للعامة ، وكل ما يناسب الناس ، ويحببهم في الدين والهدي والطاعة .

الما الجدال: الحوار والمناظرة ؛ لإقناع المعاند ، وينبغى أن يكون بالأسلوب الأمثل الهادئ الرزين.

السعب قبايه في أصل اللغة : المجازاة على أذَّى سابق ، ثم استعمل في مطلق العقاب .

تمهيده

تختم سورة النحل بذكر قصة إبراهيم رئيس الموحدين ، الذي كان المشركون يفتخرون به ، ويقرُّون به حوب الاقتداء به ؛ ليصير ذكر طريقته حاملاً لهم على الإقرار بالتوحيد ، والرجوع عن الشرك ، ثم يأمر نبيغًا محمدًا ﷺ باتباعه ، ثم يرسم القرآن طريق الدعوة إلى الله ، ويتمثل ذلك في الحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالحسني، ثم يأمره بالصبر وينهاه عن الحزن، ويبشُّره بالنصر للذين اتقوا والذين هم محسنون.

التفسيره

. ٧ ٩ ، ٧ ٩ ، ٧ ٢ - إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً فَانَتُا لَّلُه حَنِفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْركِينَ ٥ شَاكِرًا الْأَنْعِيهِ ٱجْتَبَاهُ وَهَذَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٥ وَعَاتَيْنَكُ فِي ٱللُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي ٱلآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ.

تصف الآيات الكريمة إبراهيم عليه السلام ، بأنه كان أمة ، جمع من الفضائل والمزايا ما يكفي أمة، قال ابن عباس رضي الله عنه : إنه كان عنده عليه الصلاة والسلام من الخير ما كان عند أمة . ١ هـ .

فهو رئيس الموحدين ؛ كسر الأصنام ، وجادل الكفَّار ، ونظر في النجوم ، ودرس الطبيعة الكونية ؛ ليطمئن قلبه للإسلام.

وجاء في ظلال القرآن ما يأتي :

ويحتمل أن معنى أُمُّدُ : أن إبراهيم كان إمامًا يهدى إلى الخير ، فهو قائد أمة ، وله أجره وأجر من عمل بهدايته إلى يوم القيامة ، فكأنه أمة من الناس في خيره وثوابه ، لا فرد واحد .

قَائِعًا لِّلَّهِ. طَائعًا شَاشَمًا عَابِدًا .

حَيفًا . ماثلاً عن الباطل متبعًا للحق.

وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ . فقد هجر عبادة الأصنام ، وحاربها وكسُّرها ، وساق أدلة متعددة على التوحيد، وجادل النمروذ ، وألجمه بالحجة حين قال له : فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمُشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمُفْرِبِ فَهُونَ ٱللَّذِي كُفُرَ . (البقرة: ٢٥٨) .

وقد حكى القرآن عن إبراهيم قوله تعالى: إِلَّى وَجَّهْتُ وَجَّهِيَ لِلَّذِي فَطُرَّ ٱلسَّمَاوُاتِ وَالأَرْضُ حَيفًا وَمَا أَنَّا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (الأنمام: ٧٩) .

شَاكِرًا لأَنْهُمِ . أَى: شكر نحم الله تعالى بالقول والعمل ، واستخدم النعمة فيما خلقت له ، وناقش قومه بالحوار والمنطق والعمل ، وتحمل النار في شجاعة ، وقال عنه القرآن: وَإِبْرَاهِيمُ ٱلَّذِي وَلْهِيّ . (النجم: ٣٧) ، أَي: وفي لله ما عاهده عليه ، من الطاعة والجهاد وتبليخ الدعوة .

آجَيَّتُ وَهَٰدَاهُ إِنِّي صِرَاطٍ مُسَكِّبِهِ . قريهُ الله واهتاره ، وهذاه إلى التوحيد الخالص ، والطريق القويم والملة الواضحة .

وَءَاتَيْنَهُ فِي ٱللّٰذِيا حَمَنةً. جمع الله له ما يحتاج إليه المؤمن : ليحيا حياة طيبة : فأعطاه العقل ، واللسان الفصيح ، والذرية الممالحة ، ومحبة الناس وتوقير السابقين واللاحقين ، حيث قال : وَأَجْعَل فَي لِسَانَ صِدْق فِي ٱلآخرينَ . (الشعراء 48).

وأشار القرآن إلى عطاء الله له في الدنيا حين قال: فَلَمَّا آغَتُولُهُمْ وَمَا يَقِبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمُبَّنَا لَهُ إِسْحَدْقَ وَيَشُونِ وَكُلاَّ جَمُكًا بَيُّ : (مريم: ٤٤) .

وَإِنَّهُ فِي ٱلآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّلِحِينَ .

وإن له في الآخرة منزلة عليا ، هي منزلة الصلاح ، وهي من أعلا المنازل . وقد استجاب الله دعاء إبراهيم حين قال : رَبِّ هَبُ لِي حُكُمًا وَأَلْحِشْنِي بِٱلصَّلِحِينَ . (الشعراء ٨٦). ١٢٣ - ثُمُّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَن آتَبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِن ٱلْمُشْرِكِينَ .

وكان من أشرف ما أوتى إبراهيم من الفضائل ، أن أمر الله نبيه محمدًا 義 أن يتبع إبراهيم في إخلاصه في التوحيد ، وفي أصول الدين الثابتة في كل الشرائم .

قال المفسرون:

وفيه دليل على جواز اتباع الفاضل للمفضول ، ولا ينقص ذلك من قدر الفاضل ، فالخصوصية لا تقتضى الأفضلية ، لقد كان إبراهيم أيا العلة ، وأيا الأنبياء ، مُلَّة أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّنَكُمُ ٱلْمُسْلِّمِينَ مِن فَيْلُ ... (المع: ٧٧) .

وفى هذا دليل على أن الإسلام رسالة الأنبياء جميعا ، يتحملها السابق ثم اللاحق ، فالإسلام رسالة إبراهيم ، ورسالة من جاء بعده من الرسل ، ورسالة محمد ﷺ ، الذي أمر باتباعه حال كونه : حَيِفًا ، ماثلاً عن الباطل ، متبعا للحق ، برئيا من الشرك والمشركين ، وقد تكرر هذا المعنى في القرآن الكريم : مؤكدًا أن شجرة الإسلام باسقة دعى إليها جميم الأنبياء .

قال تعالى : أُولُوْاْ عَامَنَا بِٱللَّهِ وَمَا أَنْوِلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْوِلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْوِلَ إِلْمَا وَمَا أَنْوِلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْوِلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْوِلَ وَلَاَسْبَاطِ وَمَا أُولِيَ مُوسَىٰ وَعِسَىٰ وَمَا أُولِيَ ٱللَّيُّذِنَ مِن رَبِّهِم لاَ لَقَرْقَ بَيْنَ أَحَدِ مَتَهُمْ وَنَصْنُ لَهُ مُشْلِمُونَ . (البعدة: ١٣٧٠).

وقد روى البخارى فى صحيحه: أن رسول الله ﷺ قال: « إنما مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارًا فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة ، فجعل الناس يقولون: ما أكمل هذه الدار ، وما أجملها لو وضعت هذه اللبنة ، فأنا هذه اللبنة ، وأنا هاتم الرسل ١٠٠٥٠.

٢ ٤ - إِنْمَا جُعلُ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَإِنَّ رَبُّكَ لَيَحْكُمُ يَنْتُهُمْ يَوْمَ ٱلْقَيْسُمَة فِيمَا كَاتُواْ فِيهِ يَحْتَلِفُونَ .

أى: إنما جعل وبال يوم السبت ، على الذين اختلفوا فيه من اليهود ، حيث أمرهم نبيهم موسى فيه بالانقطاع للعبادة ، وعدم صيد السمك ، فاختلفوا ، فمنهم من أطاع ، ومنهم من لحتال على صيد السمك يوم السبت ، حيث وضع الشبك يوم السبت ، وإصطاد يوم الأحد ، قلم يطيعوا أمر نبيهم ، فمسخهم الله قردة مبعدين من رحمته .

قال تعالى: إذْ تَأْتِيهِمْ حِيَّالُهُمْ يُوْمَ سَبْهِمْ هُرَّمَا وَيَوْمَ لاَ يَسْبِّونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِك نَبُلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسَقُونَ . (الاعراف: ١٦٣).

وقد عير القرآن اليهود ، بعدوانهم في السبت ، ويأكلهم السمك بالحيلة ، ويأنهم إخوان القردة .

وَإِنَّ رَبُّكَ لَيَحْكُمُ يَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ .

إن الله ليفصل بين الفريقين في الخصومة والاختلاف، ويجازي كل فريق بما يستحق من ثواب وعقاب.

ه ٢ ١ - آدْعُ إِلَىٰ صَبِيلِ رَبُّكَ بَالْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَلَدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...

تأتى هذه الآية وما بعدها في أعقاب سورة النحل المكية ، تتحدث عن أسلوب الدعوة إلى الله تعالى وتتحدث عن أسلوب في الحياة ، يهتم بالمعبر والاحتمال والإيمان بالله ، والثقة بما عنده .

إن الدعاة مطالبون بدراسة علمية عالية ، لفنون القول والفعلاب ، والإحاطة بالمعلومات وطرق الجدال ، ويبان الحجة ، أحيانا نكتفى بالبيان المناسب ، والمعلومات المفيدة ، وأحيانا نحرُك القلوب بالموعظة الحسنة ، والتذكير بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأحيانا نناقش الناس بالحجة ، ونجادلهم بالمعروف ويالكلمة الطبية ؛ لنبيّن الخطأ والصواب ، وهذا معنى قوله تعالى :

آدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبُّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَلْدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.

ٱلْحِكْمَةِ. تشمل القول المحكم الصحيح ، الموضح للحق ، المزيل للباطل ، الواقع من النفس أجمل موقع.

وَٱلْمُوْعِظَةِ ٱلْحَمْنَةِ . بيان العبر والمواعظ التي جعلها الله في القرآن الكريم ، مثل: وصف السماء، والأرض ، والجبال ، والمحار ، والأنهار ، والفضاء ، والهواء ، والليل ، والنهار ، والحياة ، والموت ، وغير ذلك مما يبيّن فضل الله على عباده ودعوتهم إلى طاعته واتباع أمره ولجتناب نهيه .

وَجَلدِلْهُم بِٱلْتِي هِيَ أَحْسَنُ .

أى: ناقش المخالفين بالهدوء والبيان ، بلا تحامل على المخالف ، ولا ترذيل له ، حتى يطمئن إلى الدعوة ، وينظر إلى الموضوع نظرة والعية عميقة ، فالجدل بالتي هي أحسن ، هو الذي يفتح نفس المخاطب، ويطمئنه إلى المودى والرشاد .

إِنَّ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُرَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ .

إن الدعاة هداة لا قضاة ، وكذلك الأنبياء والرسل ، عليهم تبليغ الدعوة والنصح والنقاش الهادئ ، أما الهداية والدخول في الإسلام الحق ، فتلك مهمة الله الخالق البارئ الهادي .

قال تعالى : لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَ لَكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ... (البقرة: ٢٧٢).

وقال سبحانه : إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَلْكِنَّ ٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ . (القصص: ٥٦) .

وقال سبحانه: فَلَكُّرْ إِنْمَا أَلتَ مُلَكِّرٌ * لسَّتَ عَلَيْهِمْ بمُصَيْطر . (الغاشية ٢١، ٢٢).

والمعنى: اسلك أنها الرسول سبل الدعوة وأساليبها المفيدة النافعة ، أما الهداية العملية ، ولنتقال الناس من الضلالة إلى الهدى، فذلك أمر بيد الله تمالى : فهو أعلم بالضالين المعاندين ، وهو أعلم بالمهتدين الطائدين ، وسيجازى كل فريق بما يستمق .

١٢٦ - وَإِنْ عَافَيْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِيْتُم بِهِ وَلَين صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّدرينَ .

تحدث المفسرون كما تحدثت كتب علوم القرآن ، عن أسباب نزول هذه الآية وما بعدها إلى آهر سورة الشحل ، فذكر جمع من المفسرين : أن هذه الآيات نزلت في أعقاب غزية أحد .

روى الحافظ البزار عن أبى هريرة : أن رسول الله ﷺ وقف على حمزة بن عبد المطلب حين استشهد، فنظر إلى منظر لم يُنظر أوجع للقلب منه ، وقد مثل المشركون به فقال رسول الله ﷺ: « لقد كنت وممولاً للرحم، فعولاً للخيرات ، والله لولا حزن من بحدك عليك : لسُّرني أن أثركك حتى يحشرك الله من بطون السباع، أما والله لأمثلُن بسبعين منهم مكانك » فنزات هذه الآية ، فكلّر رسول الله ﷺ عن يمينه (۱۰۰).

وقد ذكر ابن كثير في تفسيره:

إن هذا الرسناد السابق فيه ضعف ؛ لأن أحد رواته وهو (صالح بن بشر المرّى) ضعيف عن الأئمة ، وروى عبد الله بن الإمام أحمد في مسند أبيه عن أبي كعب ، قال : لما كان يرم أحد قتل من الأنصار ستون رجلا ، ومن المهاجرين ستة ، فقال أصحاب رسول ﷺ : لثن كان لنا يوم مثل هذا اليوم من المشركين لنمثلن بهم ، فلما كان يوم الفتح ، قال رجل : لا تُعرف قريش بعد اليوم ، فنادى مناد: أن رسول الله ﷺ : قد أمّن الأبيض والأسود ، إلا فلانا وفلانا (ناسًا سمًاهم) ، فنزلت الآيات الثلاث الأخيرة من سورة النحل ، فقال رسول الله ﷺ : تصبر ولا تعاقب . ""أ.

وقد ذكر بعض العلماء: أن هذه الآيات الثلاث الأخيرة من سورة النحل، تكرر نزولها ، فنزلت يوم أحد ونزلت عند فتح مكة ، والحكمة في تكرير نزولها ! شدة الحاجة إلى العمل بمعانيها ، عند الرغبة في التشفّي، ودعوة القرآن إلى الصبر.

وعند التأمّل نجد أن الأيمات دعوة إليهية إلى الصبير والاحتمال ، وهي دستور مفيد للإنسان وللجماعات والأمم ، وسواء كان نزولها في غزوة أحد ، أو عند فتح مكة ، أو عند حياة المسلمين بمكة قبل المحرة ، فان معانيها عامة ، وأوامرها وأنابها مطلوبة للحياة والأفراد . وهي معنى قوله تعالى : وَإِنْ عُافَيْتُمْ ... الآية . يقول سبحانه وتعالى : وَجَزَآ وُاْ سَبِّـَةُ سَبِّنَةُ مُثَلُهَا فَمَنْ عُضَا وَاصْلَمْ فَأَجُرُهُ عَلَى ٱللّٰهِ . (الشورى: -٤) .

أى: إن من حق الإنسان أن يعاقب على الإساءة إليه ، بالقصاص أن بالعقوبة المناسبة ، فإذا عفى وأصلح: فإذه ينال جزاءه عندالله في الحياة الأخرة .

وكذلك معنى الآية يفيد: أنه يحق للإنسان أن يعاقب المعتدى بمثل عقوبته ، وله أن يعقو ويصغع ، وهذا خير وأفضل ، وفي الحديث النبوى الشريف : « ثلاث أقسم عليهن : ما نقص مال عبد من صدقة ، وما تواضم أحد لله إلا رفعه ، وما زاد الله عبدًا بعقو إلا عزًا فاعفوا يعزكم الله «١٠٠١».

وقال الشيخ أحمد المراغي في تفسير المراغي:

والمحلاصة: أنكم إن رغبتم فى القصاص فاقنعوا بالمثل ولا تزيدوا عليه ؛ فإن الزيادة ظلم ، والظلم لا يحبه الله ولا برضى به ، وإن تجاوزتم عن العقوبة وصفحتم ؛ فذلك خير وأبقى ، والله هو الذي يتولى عقاب العالم ويناصر المظلوم .

١٢٧ - وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بَاللَّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْق مَّمَّا يَمْكُرُونَ .

تأتى هذه الآية لتأكيد الوصية بالصبر والاحتمال، فالصبر طريق النجاح، والصبر قد ذكر في القرآن في الكثر من سبعين موضعا، والصبر نصف الإيمان، فالإيمان نصفان، نصف صبر، ونصف شكر، قال تعالى: "

يَلَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَتُواْ ٱصْهِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِعُلُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُطْلِحُونَ . (ال عدران: ٢٠٠) .

وقال سبحانه: وَلَمَنْ صَبَرَ وَخَفَرَ إِنَّ ذَالِكَ لَمِنْ عَزْمَ ٱلأُمُورِ . (الشورى. ٤٣) .

والمعنى للآية:

وَآصَّبرُ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِٱللَّهِ .

أى : اصبر أيها الرسول على أذى قومك وفوض أمرك إلى الله، فالصابر فى عناية الله وحفظه ، ومعونته وتوفيقه ، أى : وما ثواب صبرك إلا يتوفيق الله ومعونته ، وما جزاؤك عليه إلا من عند الله ، قال تعالى : إنّما يُوفّى آلصُّيْرُ ونَ أَجْرُهُم بِكُيْر حِسَابٍ . (الزمن ١٠).

وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مَّمَّا يَمْكُرُونَ .

كان عليه الصلاة والسلام حريصا على هداية قومه ، ودعوتهم إلى الدين الإسلامي، وكانوا يزيدون في إعراضهم وعنتهم.

فقال له القرآن:

لا تحزن على استمرارهم في الكفر، ولا تكن ضيَّق الصدر بعناد قومك، وحرصهم على الكفر، ومكرهم السييء، وقرارهم من الإيمان.

وقريب من هذه الآية قوله تعالى: فَلاَ يَكُن فِي صَدُّوكَ حَرَّجٌ مَّنَّهُ. (الأعراف: ٢).

وقوله عن شأنه : فَلَعَلْكَ تَارِكُ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَصَاتِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْ لاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزُ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكُ إِنَّمَا أَلتَ لَلِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلَّ هَيْءٍ وَكِيلٌ . (هود: ١٢).

جاء في ظلال القرآن:

وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِٱللَّه ...

فهو الذي يعين على الصبر، وضبط النفس، والاتجاه إليه هو الذي يطامن من الرغبة الفطرية في رد الاعتدام بمثله ، والقصاص له بقيره . ا هي

ومجمل الآية :

لا تحزن بسبب كفر الكافرين ، وإصرارهم على ذلك ، وإعراضهم عن دعوتك ، ولا يضيق صدرك بمكرهم ؛ قإن الله تعالى ناصرك عليهم ومنجيك من شرورهم .

١ ٢٨ - إِنَّ ٱللَّهُ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱلْكُواْ وَٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ .

إن الله بمعونته وعونه ونصره ، مع دعاته المخلصين ، الذين اتقوا ربهم ، وراقبوه وأخلصوا له ، وقد أحسنوا القول والعمل ، وكانوا في حالة من تقوى الله وحسن مراقبته ؛ فكان الله معهم ، بعونه وتوفيقه ، ومن وجد الله ؛ وجد كل شيء ، ومن فقد الله ؛ فقد كل شيء .

تم تفسير الجزء الرابع عشر في مدينة بوسعيد، بجمهورية مصر العربية، ظهر يوم السبت ٢٥ من ربيع الأول: . ١٤١٧ هـ / الموافق ١٠ أغسطس ١٩٩٦م، والحمد لله حمدًا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضي ربنا ويحب، اللهم، اجعله خالصا لوجهك الكريم ، اللهم ، إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا نعلمه ، و نستغفرك لما لا نعلمه ، و صل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله و صحبه و سلم .



(١) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، لمقاتل بن سليمان ص ٥٨ .

(٢) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ١٦٩-١٧٧.

(٣) إذا اجتمع أهل النار في النار:

قال السهيطى في الدر المنتور: وأخرج ابن أبي عامم في السنة ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم والطبراني ، والحاكم ومحمد، وابن مردوية والبيهقي في البعث والنشور، وعن أبي موسى الأشعري رضمى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: أو إذا اجتمع أهل النثار في النثار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة ، قال الكفال للمسلمين : أنم تكونوا مسلمين ؟! قالوا: بلي. الخالف المنافية على النظام المنافية والمنافية المنافية المنافية في النارة ؟! قالوا: كانت لنا لنوب بأعادتنا بها : فسمه الله ماقالها ، قامر بكل من كان في النارة المنافية المنافية فاخروجا، فلما أراي ذلك من بقي من الكفار اقتالها يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خيرجوا، ثم منافية المنافية المنافية المنافية الرحمة الرحمة الرحمة إلى المنافية المنافية المنافية المنافية المنافية المنافية في الإيمان تحت حدوث وقم (٢٦٣٨) ، بقوله، وقد روى عن يود المنافية المنافية المنافية عن الإيمان تحت حدوث وقم (٢٦٣٨) ، بقوله، وقد روى عن عبد الله ، وإبن عباس ، وأبي سعود المنبور ، وأبدس بن مالكه عن المنافية المنافية المنافية عن الأيمانية عنان وصد من التابعين في تقالها : إذا أهجر أهل الشخية ، وخير واحد من التابعين في تقليدة ؛ وذا الذين كامرا أمنافية المنافية ؛ ودالذين كفروا ألو كانوا مسلمين ﴾ المالة التحديد من النادرية أهالها المنافية ، وفيد واحد من النادر وأمانوا الجنة ؛ ودالذين كفروا الركافا مسلمين ﴾ المناه ؛ إذا أهجري أهل التحديد منالنا وأسطة في المسلمين أها الناء إذا أهجرية أهل الشروعة من النادر وأسطونا الجنة ؛ ودالذين كلوا مسلمين أه الناء إذا أهدري أهل التحديث أسله في المسلمين أن النادر أنسافية المنافية المنافية المنافية على المنافية على المنافية المنافية على المنا

(٤) يهرم ابن آهم وتشب منه النتان: الحرص:

أهرجه مسلم فى الزكاة (۱۰۶۷) ، والترمذى فى الزهد (۲۳۳۹) ، وفى صفة القيامة (۲۶۵۰) ، وابن ملجة فى الزهد (۲۳۲٤)، وأحمد فى مسنده (۲۱۷۲۲) ، من حديث أنس قال: قال رسول 編 響؛ و يهرم ابن أدم وتشي مئه ائتتان: المرهى على المال، والحرص على العمر » .

(۵) مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية :

رياه الترمذي في القدر (۱۷۰). وفي صفة القيامة (۱۲۶۰) ، من حديث مطرف بن عبد الله بن الشخير ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ قال: ه مثل البن أمم وإلى جنبه تسع وتسعون منية ، إن أغطأته المنايا : وقع في الهرم حتى يموت » . قال أبر المناسبة قلل المناسبة والمناسبة والمن

(٢) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الفيب، للإمام محمد الرازي فنحر اللين، ١٤٥٥، ٢٠ هم، ١٥٩/١، دار الفكر، يو وت".

(٧) تفسير الكشاف للزمخسري ٩٢٨/٣ ، دار المصحف : شركة : مكية ومظبعة عبد الرحمن محمد ، ١٣ شارع الصنادقية بالأزهر--القاهرة .

(٨) فتح القدير ٢٢/٣، دار المعرفة - يروت - لبنان.

- (4) تفسير الفخر الرازى ، المجلد العاشر ، الجزء الأول 19 م ١٧٠ ، وفي (صفرة الفاسير) ، تأليف / محمد على الصابوني ، أن هذا الكلام من قول الفخر الرازى ، والصواب: أن الفخر الرازى تقله عن اين عهاس.
 - (۱۰) تفسير الفخر الرازي ۲۹،/۱۹ .
 - (١١) تفسير ابن عظيه المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي محمد عبد الحقّ بن عطية الأندلسي ٢٩٠/٨ .
 - (١٢) تفسير القرطبي ، المجلد العاشر ، ص ٩ .
 - (١٣) حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب :

- (14) الطر: آمال المرتضى (ح 1 ص 12 طبعة الحلبي) .
 - (۱۵) تفسير القاسمي ۱۰–۲۷۵۲ .
 - (١٦) تفسير المراغي ١٤، ١٥ بتصرف.
- (١٧) انظر : تفسير القاسمي ٥ ١-٣٧٥٣، وتفسير النسقي ٢-٢٧١.
- (١٨) في ظلال القرآن بقلم سيد قطب النجزء ؟ ١ صفحة ٢٩٣٤ .
 - (۱۹) تفسير القاسمي ۱۰ -۳۷۵۳ .
- (٠ ٧) تفسير ابن عطبة ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطبة الأندلسي ٣٠٢/٨ ، مطبعة الدوحة ١٩٨٥م .
 - (٢١) ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحيينا :

رواه الترمذي في الدعوات (٣٠٠٣) من حديث ابن عمر قال: تلما كان رسول لله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهرلاء الدعوات لأصحابه: « اللهم ، اقسم لنا من عضيتك ما يحول بيننا ربين معاصبك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن البقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا ، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظاهنا ، وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرممنا » قال أبو عوسي هذا حديث حسن غريب .

(٢٧) تيسير التفسير للقرآن الكريم ، للعلامة الفقيه/ محمد بن يوسف أطفيش ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القرمي والتفافة ٢٠٤/٦ .

(٣٣) تفسير أبي السعود ، وتفسير القاسمي ٥ ٩/٥٥ ، وانظر : التفسير الوسيط ، تفسير سورة الحجر ، د. محمد سيد طنطاوي ١٤٤٨.

(£ Y) ناركم جزء من سيعين جزءا :

رواه البخارى فى يده الفلق (٣٧٥٧) ومسلم فى الجنة (٣٨٤٧) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: « تاركم جزه من سبعين جزه من نار جهنم »، قيل . يا رسول الله ، إن كانت لكافية ، قال: « فضلت عليهن بتسعة وستين جزءا كلين مثل حرها » .

(٧٥) خلقت الملائكة من نور وخلق الجان :

رواه مسلم في الزهد (٢٩٩٦) ، من حديث عائشة قالت : قال رسول ا師 ﷺ : « خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم » .

(٢٦) تفسير ابن عظية ١/٦/٨ بعصرف.

(٢٧) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٢٠٧٤ .

(٢٨) يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة :

رواه البخارى فى الرقاق (٢٥٣٥) ، وأحد (١٠٧١) ، من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : و بخلص المؤمنين من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقص لبخضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا ، حتى إذا مذبوا ونقوا : أذن لهم فى بخول الجنة ، فوالذى نفس محمد بيده ، لأحدهم أهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله كن الجنة منه .

(29) اتقوا فراسة المؤمن :

رواه الترمذى فى للتفسير (٢٧٢٧) من حديث أبي سعيد الخدرى قال . قال رسول اش 義 : « اتقوا فراسة المؤمن : فإنه ينظر بنور الله ، ثم قرأ : ﴿ إِنْ في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ » . قال أبر عيسى : هذا حديث غريب .

(٣٠) انظر: تفسير ابن كثير، وقد ورد الحديث في رواية البخاري وغيره.

(٣١) قسمت الصلاة بيني وبين عبدي :

رواء مالك في للموطر كتاب النداء للصلاة (۱۸۹۹) ، ومسلم في الصلاة (۱۳۹) ، وأبو داود في المملاة (۱۹۹۹) ، والترمذي في التفسير (۱۳۹۳)، وابن ماجة في الأنب (۱۷۸۶) ، وأحد في مسنده (۱۲۲۹) ، من حديث أبي هريرة .

(٣٢) مثلي ومثل ما يعتبي الله كمثل رجل أتي قوما :

أخرجه البخاري في الرقاق (٦٤٨٧) ، وفي الاعتصام (٨٧٨٣) ، ومسلم في القضائل (٢٢٨٣) ، من حديث أبي موسى قال. قال رسول الشﷺ "، مثلي ومثل ما يعثني الله كمثل رجل أتى قوما ، فقال : رأيت الجيش بعيني ، وإني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء ، فأطاعته طائفة فأدلجرا على مهلهم فنجرا وكذبته طائفة فصبحهم الجيش فاجتلحهم ء .

(٣٣) انظر تفسير الكشاف للزمخشري ، والتفسير المنير أوهبة الزحيلي .

(۲۴) تفسير القاسمي ۱ /۲۰ .

(٣٥) تفسير الكشاف للزمخشري ٣٩٨/٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

(٣٦) تفسير الكشاف ، وتفسير الطيرى .

(۳۷) تقسیر این کثیر .

(٣٨) تفسير ابن عطية ٣٥٧/٨ طبع على نفقة الشيخ/ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر.

(٣٩) تفسير ابن عطية باختصار .

(٤٠) تفسير الفخر الرازي ٥ ٢/٥ ٢ بتصوف .

(٤١) انظر : تفسير الفخر الرازى • ١/ • ٢٧-٢٧ .

(٢ ٢) صل قالما ، فإن لم تستطع فقاعدا :

رواه البشارى في الجمعة ح(۱۹۱۷)، والترمذى في المدلاة ح (۲۷۹)، وأبو داود في المسلاة ح (۹۵۳)، وابن ماجة في إقامة المسلاة ح(۱۲۲۳)، والنسائي في قيام اللهل ح (۱۹۲۰، وأحد ح (۱۹۹۱)، من حديث عمران بن حصين .

(٤٣) تفسير ابن عطية ٣٦٢/٨ ، طبع على نفقة أمير دولة قطر .

(\$ \$) تفسير الفخو الرازى . ٢٧٣/١، ١٣ ٢٧، دار الفكر – لبنان ، وتيسير التفسير للعلامة/ محمد بن يوسف أطفيش ص ٥٥٥، اسلطة عمان .

(٥٤) اللام في ﴿ لتركبوها ﴾ للتعليل ، و ﴿ زينة ﴾ مقعول لأجله معطوف على محل ﴿ لتركبوها ﴾ .

(٤٦) الإبل عز لأهلها والغنم بركة :

رواه ابن ماجة في التجارات (۲۳۰۹) ، من هديت عروة البارقي يوفعه ، قال : ه الإيل عز لأهلها ، والفنم بركة ، والشهر معقود في فرامس الخيل إلى يوم القيامة » . ويشهد للشطر الأخير منه ما رواه البخاري في الجيعاد ح (۲۲۳۸) (- ۲۲۵) وفي فرض المصر ح (۲۸۸۷) وفي المناقب ح (۲۳۷۷)، ومسلم في الزكاة ح (۲۱۲۸)، وفي الإسارة ح (۲۴۷۹). (۲۴۵۰) أبو دارد في الجهاد ح (۲۵۳۷)، والترمذي في فضائل الجهاد ح (۲۵۰۰) ، والنسائي في الخيل ح (۲۵۳۰)، (۲۰۰۰) وابن ماجة في الجهاد ح (۲۷۲۷)، وأحمد ح (۲۵۳۷)، (۲۲۰۰)، وابن ماجة في الجهاد ح (۲۷۲۷)، وابن و (۲۲۲۰)، من الجهاد ح (۲۲۷)، يوم القيامة » .

(٤٧) مقتبس من (في ظلال القرآن) للمرحوم سيد قطب في تفسير الآية .

(٤٨) انظر: تفسير الآلوسي ، وتفسير المراغي ، والطسير الوسيط للدكتور/ محمد سيد طنطاوي .

(£4) في تفسير الفخر الرازي مزيد من التوضيح.

(، a) تيسير الطسير ، محمد بن يوسف أطفيش ، سلطة عمان .

(١٥) تفسير الفخر الرازى ٢٠/٢٠ ، دار الفكر العربي بيروت ، وتفسير المراغي ١٤/٢٠ .

(۲ ه) تفسير الفحر الرازى بتصرف ۱۹/۲ .

(٥٣) تفسير الفخر الرازي ١٦/٢٠ ، بتصرف وتقديم وتأخير .

(\$ 0) يجاء بالجيارين والمتكبرين رجالا في صور اللريطوهم الناس:

قال السيوطى فى الدر المنثور: وأخرج أحمد فى الزهد عن أبى هرورة رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال: « يجاه بالجبارين والمتكبرين رجالا فى صور الذر يطرّهم الناس من هوانهم على الله ، حتى يقضى بين الناس ، ثم يذهب بهم إلى نار الأنيار. قبل : يا رسول الله ، وما نار الأنيار؟ قال: « عصارة أهل النار » .

ورواه الترمذى فى صدة القيامة (٢٤٩٧)، وأحمد فى مسنده (١٦٣٩)، من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النهي∰ قال: « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صور الرجال يفشاهم الذل من كل مكان ، فيساقون إلى سجن فى جهنم يسمى بولس تعلوهم مار الأنيار ، يسقون من عصارة أهل النار طينة الشبال » . قال أبر عيسى هذا حديث حسن صحيم .

(٥٥) لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر:

رواه مسلم فى الإيمان (٩١) ، والترمذي فى البر والصلة (٩٩٩) ، من حديث عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال . و لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال نرة من كبر « ، قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ، قال : وإن الله جميل يحب الجمال : الكبر : بمار الحق وفعط الناس » ورواه أبو داود فى اللباس ٤٠٩ ، من حديث أبى هريرة .

(٥٦) قصة إسلام أبي ذر:

رواه البخاري في المناقب (٣٨٦٢، ٣٨٦١)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٧٤) من حديث أبي جمرة قال: قال لنا ابن عباس: ألا أخبركم بإسلام أبي نر قال. قلنا: بلي قال: قال أبو نر: كنت رجلا من غفار فبلغنا أن رجلا قد خرج بمكة يزعم أنه نبي فقلت لأخي: انطلق إلى هذا الرجل كلمه وأتنى يخبره ، فانطلق ، فلقيه ، ثم رجع فقلت : ما عندك ، فقال : والله لقد رأيت رجلا يأمر بالخير وينهي عن الشر ، فقلت له ٠ لم تشفني من الخبر فأخذت جرابا وعصا ، ثم أقبلت إلى مكة فجعلت لا أعرفه، وأكره أن أسأل عنه وأشرب من ماء زمزم ، وأكون في المسجد ، قال : فمر بي على ، فقال : كأن الرجل غريب قال. قلت: نعم، قال . فانطلق إلى المنزل قال: فانطلقت معه لا يسألني عن شيء ولا أخبره ، فلما أصبحت غدوت إلى المسجد لأسأل عنه وليس أحد يخبرني عنه بشيء قال : فمر بي على ، فقال : أما نال للرجل يعرف منزله بعد ، قال : قلت: لا ، قال: انطلق معى ، قال: فقال: ما أمرك ، وما أقدمك هذه البلدة ، قال · قلت له : إن كتمت على أخبرتك ، قال : فإني أفعل قال : قلت له · بلغنا أنه قد خرج هـا هـنا رجل يزعم أنه نبي فأرسلت أخي ليكلمه فرجم ولم يشفني من الخبر فأريت أن ألقاه ، فقال له : أما إنك قد رشرت هذا وجهى إليه فاتبعني ، ادخل حيث أدخل ، فإن رأيت أحدا أخافه عليك ، قمت إلى الحائط كأني أصلح نعلى وامض أنت فعضى ومضيت معه حتى دخل ودخلت معه على الذبي ﷺ فقلت له : اعرض على الإسلام فعرضه ، فأسلمت مكاني ، فقال لي : « يا أبا ذر ، اكتم هذا الأمر ، وارجع إلى بلدك ، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل » ، فقات: والذي بعثك بالحق لأصرحن بها بين أظهرهم ، فجاء إلى المسجد وقريش فيه فقال: يا معشر قريش إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، فقالوا : قوموا إلى هذا الصابئ فقاموا ؛ فضريت لأموت ، فأدركني العباس ، فأكب على ، ثم أقبل عليهم فقال، ويلكم تقتلون رجلا من غفار ومتجركم وممركم على غفار ، فأقلعوا عني ، فلما أن أصبحت الغد رجعت فقلت مثل ما قلت بالأمس ، فقالوا : قوموا إلى هذا الصابئ فصنع بي مثل ما صنع بالأمس ، وأدركني المهاس ، فأكب على ، وقال مثل مقالته بالأمس ، قال : فكان هذا أول إسلام أبي ذر رحمه الله .

(٥٧) من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه :

رواه مسلم في الطم (۲۲۷۶)، وابن ملجة في المقدمة (٦٠٠)، والدارمي في المقدمة (٢٠١٥)، وأبو داود في السنة (٢٠٠٩)، وأحمد (٨٩١٥)، والترمذي في العلم (٢٣٧٤)، من حديث أبي مريرة . ورواه ابن ملجة في المقدمة (٢٠٥)، من حديث أنس إلا أنه بلفظ: «أيما داع دعا إلى ضلالة فاتبُوع: فإن له مثل أوزار من انبعه ، ولا ينقص من أوزارهم شيئا ، وأيما داع دعا إلى هدى فاتبم : فإن له مثل أجور من اتبعه ولا ينقص من أجورهم شيئا » .

(0A) التفسير المنير ، د. وهبة الزحيلي £ 1/21 ، يتصرف ، وزيادة ، ونقصان .

(٩ ه) يا أم حارثة ، إنها جنان في الجنة :

رياه البخاري في الجهاد (٢٠٠٩) ، وفي الرقاق (٢٥٦٧) ، والترمذي في التفسير (٢٧٤٤) ، من حديث أنس بن مالك: أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة أنت النبي ﷺ، فقالت: با نبي الله ، ألا تحدثني عن حارثة ، وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب ، فإن كان في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك لجتهدت عليه في البكاء قال يا أم حارثة، إنها جنان في الجنة ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأطلى .

(٩٠) تفسير الفخرالرازي ٢٤/٧٠.

(٩ ٩) إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها :

رواه مسلم في صفة القوامة (۲۸۰۸) ، وأحمد في مسنده (۱۸۵۵) من حديث أنس بن مالك قـال : قـال رسول الله ﷺ: : » إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ، ويجزى بها في الأخرة ، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها الله في الدنيا ، حتى إذا أفضى إلى الأخرة لم تكن له حسنة يجزى بها » .

(٩٢) الطبرى ١٠١/١٤.

(٩٣) التفسير الكبير ٢٥/٩٠ .

(١٤) لن يدخل أحدا عمله الجنة ، قالوا: ولا أنت ! :

رواه البخاري في المرضى (٩٧٢٣) ، ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار (٢٨٦٦) ، من حديث أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لن يدخل أحدا عمله الجنة » قالوا : رلا أنت يا رسول الله ، قال: « ولا أننا ، إلا أن يتلمدني الله يفضل ورجمة ، فسددوا وقاربوا ولا يتمنين أحدكم الموت : إما محسنا ظلمة أن يزداد غيرا ، وإما مسيئا ظلمة أن يستعتب » .

(10) (البحيرة) : الناقد) كان أهل البحاطية يتجرون أذنها ، أي : يشقونها ويجعلون ليها للطواغت ، فلا يحلها أحد من الناس ، وجعل هن أذنها عادمة لذلك ، (والسالة) ، الناقة تسبب ينذر على الرجل ، إن سلمه الله من مرض ، أو بأنه منزلة ، فلا تحبس عن رعى ولا ماء ، ولا يركها أحد ، قال تعالى: ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا ساقية . . . ﴿ (العائدة: ١٠٣ /) .

(٦٦) تفسير المراغي ١٤/١٨.

(٦٧) تفسير الفخر الرازي ٢٩/٢٠ .

(٩٨) إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا :

رواه البخاري في الرقاق (۱۵۸۳) ، ومسلم في الفضائل (۲۸۲۵) ، والترمذي في الأمثال (۲۸۷۴) وأحد في مسنده (۲۷۳۳۲) من حديث أبي دريرة : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : و إنما مثلي ومثل الناس ، كمثل رجل استرقد نارا ، فلما أشمارت ما حوله جمل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقدن فيها فجعل ينزعهن ريطابنه فيقتحمن فيها غاناً آخذ بحجزكم عن النار ، وهم يقتصمن فيها » ، ورواه مسلم فى الفضائل (۲۲۸۵) ، وأحمد فى مسنده (۱٤٤٧) ، من حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ: « مثلى ومثلكم ، كمثل رجل أوقد نارا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها وأنا آخذ بصوركم عن النار وأنتم تفلقون من يدى » .

(٩٩) يشتمني ابن آهم :

رواه البخاري في بدء الخلق ح (٣١٩٣) ، والنسائي في الجنائز ح ٢٠٧٨ ، واللفظ له ، وأحمد ح ٨٨٧٠ .

(۷ ۷) تفسیر این کثیر .

(۷ م) پريد: أنه ياع ماله ، حيث تركد للكفار ، واشترى نفسه ، قال المفسرون: وفيه نزل قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاد مرحبة الله و الله رموف بالعباد ﴾ . (البتره: ۷ م) .

(٧٢) تفسير الفخر الرازي ٢٥/٢٠.

(٧٣) المرجع السابق .

(٧٤) تقسير الفخر الرازي ٢٠١/٢٠ .

(٧٥) ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه :

رواه أبو دارد في السنة (٢٠٣٤) ، والترمذي في العام (٢٦٣٤) ، وابن حاجة في العقدة (٢) ، والدارسي في العقدة (٨٥). والمناوسية في العقدة (٨٥). والمناوسية بقال: و ألا إني أوتيت الكتاب وبثلا مه منه ألا يعتب الكتاب وبثلا مه منه ألا يرتك رجل الإني أوتيت الكتاب من حراء ضديمة أيه من حراء ضديمة أيه من حراء ضديمة أيه من حراء ضديمة وينا من حراء ضديمة وينا أن يستقفي عنها من حراء ضديمة ، ألا لا يصل كم لمم المحادا الأهلى ، ولا كل ذي ناب من السبع ، ولا لقطة معامد إلا أن يستقفي عنها صمايها ، ومن نزل بقوم فطيهم أي يلاردي قله أن يعتبهم بعدال قراء موائل الترمذي: حسن غريب ، ورواه أبو بالدين المنافذة (٣٦٠) ، والترمذي في العلم (٣٦٣٤)، وابن ماجة في المقدمة (٣١) ، وأحمد في مستده (٣٣٢٤)، من حديد أبي رائم عن النبي هي قال: «لا ألفين ألمدكم متكانا على أريكته بأنيه الأمر من أمرى مما أمرت به أن فيهت عنه في مستده (٣٣١٤)، من من مديم ، ورواه ابن ماجة في العلدمة (٢١) ، وأحمد في مستده (٢١) ، وأحمد في مستده (٣١٤) ، مؤلى من قبل مدين أبي مؤلية عن النبي هي أنه قبل أن لا أمرض ما يحدث أحدكم عني الحديث هو متكن على في مدين أبي أنها من قبل من قبل حسن النبي هي أنه قبل أن لا كانه ، فيهان انتا ما قبل من قبل حسن النبي هي أنه قبل » . فيهان انتا ما قبل من قبل من قبل حسن المنا قلته » .

(٧٦) تفسير ابن عطية ، مطبعة قطر الدوحة ١٩٨٥ م ، ١٩٥٨ .

(٧٧) كان خلقه القرآن :

رواه مسلم فى أثناء حديث طويل من كتاب مسلاة المسافرين باب جامع مسلاة الليل ، ومن نام عنه أن مرض (٢٠١٧) عن زرارة بن سعد بن هاشم بن عامر آراد أن يغزر فى سبيل الله فقدم العدينة . فأراد أن يبرع عقارا له بها . فيجعله فى السلاح والكارع ، ديجاهد الرويم حتى يعرت . فلما قدم العدينة : لقى أناسا من أهل العدينة ، فقوم عن ذلك ، وأخوريه : أن رهطا ستة آرادوا ذلك فى حياة نبى الله ﷺ . فنامم نبى الله ﷺ ، وقال : « أيس لكم فى أسورة » ، فلما حدثيه بذلك راجع امرأته، وقد كان طلقها ، وأشهد على رجمتها . فأتى ابن عباس فسأله عن وتى رسول الله ﷺ فقال ابن عباس : الا آدائك على أعلم أمل الأرض بوتر رسول الله ﷺ ؛ قال : من قالن عاشقة . فأتها فاسألها . ثم انتخى فأخبرن بردها عليله ، فتطلقت البعد فيهما الأحضيا. قال: فأقسمت عليه : فجاء ، فانطلقا إلى عائشة فاستأذنا عليها : فأنذت لذا ، فدهلنا عليها ، فقالت. أحكيم؟ (فرفق) فقال: تعم. فقالت: من معاك: قال: - حد بن هنام ، فالت: من معلم؟ قال: ابن عامر. فترحمت عليه وقالت غيرا (قال قتادة وكان أصيب يوم أحد) فقلت: يا أم المؤمنون؟ أنبئيني عن علق رسول الله ﷺ، فقت: ألست تقرأ القرآر؟ فاحت بلى ، فالت: فإن خلق نهي الله ﷺ كان القرآن قال فهمت أن أقوم .. الحديث .. وأحمد مختصرًا ح (٣٢٤٠٤). (٣٢٤٤) إلى (٢٤٤٧).

(٧٨) يسير النفسير للقرآن الكريم، للعلامة / محمد بن يوسف أطفيش، معلجة القدم: إبراهيم عبد الوهاب يوسف \$ \$ شارع القصر العيني القاهرة ، لحساب سلطنة عمان . (والتامك) السنام (والقرد) بفتح فكسر ، ما تلبد من العوف ، (والمبع) شجر يتحاد منه الأقواس، (والسَفَن) بفتحين حديدة ينحت بها ، ويطائئ على المبرد، ا ه. ويقال : تخوف مال فلان الإنفاق ، أى : تقصه .

(٧٩) تفسير سورة النحل، د. محمد طنطاوي ص ٥ ٠ ١ .

(٨٠) موصولة ميتلباً متضمتة معنى الشرط، ﴿فَمَنِ اللَّهُ خَبُرِهَا .

(٨١) تفسير صورة النحل ، للدكتور/محمد السيد طنطاوي ، ص ١٠٩ .

(٨٧) زبدة النفسير من فتح القدير للشوكاني طبع على نفقة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ، ص ٣٥٣ .

(٨٣) مختصر تفسير ابن كثير : محمد على الصابوني ، دار القرآن الكريم ٣٣٥/٢ .

(٨٤) اسقه عسلا:

رواه البخارى في الطب (٩٦٨، ٩٦٨) ، ومسلم في السلام (٣٢١٧)، والترمذي في الطب (٢٠٦٧) ، وأحد في مسنده (١٠٧٦)، من حديث أبي سعيد: أن رجلاً أني الذي ﷺ فقال: أغني بيئتكي بطنه ، فقال: « استه عسلا » ، ثم أثن الثانية . فقال: « اسقه عسلا » ، ثم أثاد الثالثة فقال: « اسقه عسلا » ثم أثاء فقال قد فعلت ، فقال: « معدق الله وكذب بطن أغيك اسقه عسلا » فسقاه فيزاً.

(۸۵) انظر : صفوة صحیح البتخاری للشیخ/ عبد الجالیل عیسی أبو النصر فی شرح حدیث البتخاری عن عسل النحل ، وتفسیر فتح البیان للشیخ/ صدیق محان ، وتفسیر صورة النحل للدکتور/ محمد مبد طنطاری ص ۱۹۳۰ .

(٨٦) صدق الله وكذب بطن أخيك :

تقدم من (۲۹۸۰).

(٨٧) الشفاء في للاثة: شربة عسل:

رواه اللبشاري في الطب (۱۹۸۰ ه (۱۹۸۹)، وابن ماجة في الطب (۱۳۵۹)، وأحمد في مستده (۱۳۲۹)، من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « الشقاء في ثلاثة: شرية عسل ، وشرطة محجم ، وكية نار ، وأنهى أمنى عن الكيء .

(٨٨) إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شربة عسل:

ر رؤه البخارى فى الطب (٣٦٨٣ ، ٧٠٠٣ ، ٤٠٥٧) ، ومعلم فى السلام (٣٢٠٥) ، وأحمد فى مسنده (١٤٢٩)، من حديث جابر بن عبد الله قال . سمعت النبى ﷺ يقول : « إن كان فى شىء من أدويتكم خير ففى شرية عسل، أو شرطة محجم، أر لذعة من ذار وما أحب أن أكثرى » . (٨٩) الإسلام والطب الحديث للأستاذ الدكتور/عبد العزيز إسماعيل باشا.

(٩ ٩) اللهم ، إني أعوذ يك من العجز والكسل والجين والهرم :

رواه البخارى فى الجهاد (٢٠٨٣)، وفى الدعوات (٢٣٠٧) ، ومسلم فى الذكر (٢٧٠٧) ، من حديث أنس بن مالك رضى الله عنهم قال: كان النبي ﷺ يقول : « اللهم ، إنى أعرذ بك من الحجز والكسل والجبن والهرم ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من عذاب القور ع . وروله البخارى فى الجنائز (٢٣٧٧)، ومسلم فى المساجد (٨٨٥)، من حديث أبى هريرة رضى الله عنهم قال: كان رسول الله ﷺ يدعو ويقول: اللهم ، إنى أعوذ بك من عذاب القبر ، ومن عذاب الغنار، ومن فتنة المسيح الدجال » .

(٩١) حبب إلى الطيب والنساء:

رياه النسائي (۱۹۵۰، ۱۳۹۳) ، وأمعد (۱۹۸۵، ۱۹۸۵، ۱۹۳۵) ، من حديث أنس بن مالك . قال : قال رسول الله ﷺ
حيب إلى من الدنيا النساء والطبب وجعل قرة عيني في المسلاة » . قال العراقي: رواه النسائي والحاكم من حديث أنس
بإسناد جيد ، وضعف العقيلي ، قال العناوي في القيض : قال العاكم : مصميح على شرط مسلم وقال السائظ العراقي:
بإسناد جيد ، وقال ابن حجر : حسن ، وأعلم أن المصنف جعل في العشابة حم ومرًا لأحمد في مستده ، فاقتضي ذلك أن
أحمد روى هذا في المستد وهو باطل ، فإنه لم يضرجه فيه وإنما خرجه في كتاب الزعد فعزوه إلى المستد سبق نعن أن المثناء
قلم. قلت وكلام أن المناوي فيه نظر فإن العديث رواه أحمد في مستده كما تقدم من حديث أنس بن مالك وذكره في الالاد

(٩٢) النساء شقائق الرجال:

رواه أبر داور في الطهار (۱۳۷۳) ، والترمذي في الطهارة (۱۹۷۳) ، وأحمد في مسنده (۲۰۱۳) ، من حديث عائشة قالت: ستل رسول الله ﷺ من الرجل بدي آنف قد اعظم ولا بعد البلائم ستل رسول الله ﷺ من الرجل بدي آنف قد اعظم ولا بعد البلائم على المنافئة المنافئة إلى المنافئة ألم سلم: أنساء شقائق الرجال » و ريواله الدارسي على المنافئة المنافئة المنافئة المنافئة المنافئة المنافئة المنافئة المنافئة المنافئة الدارسي منامها ما يدى الرجل فقالت أم سلم: تربت يعاك ينافي المنافئة المنافئة فقال النبي ﷺ منتصراً لأم سلمة ، والمأت منافئة المنافئة المناف

(٩٣) في طلال القرآن,

(٩٤) من عادي لي وليا فقد آذنته بالحرب:

رواه البخارى فى الرقاق (٢٠٠٣) ، من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : و إن الله قال : من مادى لى وليها فقد آفنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزلل عبدى يتقرب إلى بالنوافل متى أحبه ، فإذا أحبيته كنت سمعه الذى يسمع به ، ويصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطيته ، ولتن استعانتي لأعينته ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته ، قلت: تفرد په البخاري وهو من رواية خالد بن مخلد وقد قال بعضهم : لولا هيبة المسحيح لعدوه من منكرات خالد بن مخلد

(٩٥) لك العنبي حتى ترضى :

هذا اللفظ جزء من حديث : « اللهم ، إليك أشكر ضعف قرتى ، وقلة حيلتى ..» الحديث ذكره الهيثمى فى المجمع ٣٨/١، وقال : «رواه الطبراني وفيه لين إسحاق وهو مداس ثقة ، ويقية رجاله ثقات .

(٩٦) إنَّ أهل النار إذا جرَّعوا من حرها :

قال السيوطى في الدر: وأخرج ابن أبى حاتم عن السدى فى الأية: إن أمل النار إنّا جزعوا من حرها واستغاثوا بضحضاح في النار، فإذا أترى تلقاهم عقارب ، كأنون البغال الدهم ، وأضاح كأنهن البخاتي : فضرينهم ، فذلك الزيادة .

(٩٧) اقرأ على - أحب أن أسمعه من غيرى:

رواه البشاري في التفسير (۵۰٪) وفي فضائل القرآن (۵۰۰، ۵۰۰)، و مسلم في صلاة المسافرين (۲۰۰)، والترمذي في التفسير (۲۰۲۶)، وأبر داود في العلم (۳۲۲۸)، وابن ماجة في الزهد وأحمد في مسنده (٤٩٩٤)، (٤٩٥١، ٢٥٤٨، ۲۰۹۹ ۲۰۱۶)، من حديث عبد الله بن مسعود.

(٩٨) ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه :

تقدم من (۲۲۲۲).

(٩٩) فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء :

رواه أبو داويه في السنة (٢٠٧٧)، والترمذي في العام (٢٧٣٧)، وابن ماجة في المقدمة (٤٣)، والدارحي في المقدمة (٥٩)، وأحمد في مسنده (١٩٦٤)، من حديث العرباض بن سارية قال : عملي بنا رسول الله ﷺ قال ديوم ثم أقبل عليا في هنائا موهلة إليفة رفرت منها اللعيون روجلت منها القلوبي قائل الثان : يا رسول الله ، كأن هذه موهلة مودع فمانا نبعه إلينا قفال : وأرسيكم يتقوي الله ، والسمع والطاعة ، وإن عبدا حبشها، فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى لمتلافا كثيرا فعليكم يستني رستة الكلفاة المهديين الراشدين تمسكوا بهاً وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور : فإن كل محدثة بدعة بكل بدعة شكلالة »

(۹۰۹) من حلف على يمين:

رواه مسلم فى الأيمان (١٣٥/١٥)، والترمذي فى النفر والأيمان (١٣٥٠) وقال : حديث أيم هريرة حديث مسعيع ، والنسائي فى الكبرى فى الأيمان والكفارات (٢/٤٧٢٧) ، كلهم عن أيى هريرة رضى الله عنه ، وأبو داود فى الأيمان والنفرو (٢٣٧٧)، والنسائي فى الكبرى فى الأيمان والنفرو (٤٧٤٤) ، كلاهما عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه.

(٩٠١) أخلص العمل؛ فإن التاقد يصير:

لم أره هكذا إنما ذكره السيريطي في الجامع الصغير (٢٣١٩) بلفظ: إن أمامكم عقبة كثود لا يجوزها المثقلون . وعزاه للحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي الدرباء ، وقال : صحيح .

(۲ + ۲) يقول ابن آدم : مالي مالي :

رواه مسلم في الزهد (٢٩٥٨)، والقرمذي في الزهد (٢٣٤٢)، وفي التفسير (٢٣٥٤)، والنسائي في الوصايا (٢٦١٣)، وأحمد

في مسنده (۱۹۸۷)، من حديث عبد الله بن الشخير قال : أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ فر ألهاكم التكاثر ﴾ ، قال : « يقول ابن آمر: مالي مالي ، قال : هل لك يا ابن مادم من مالك إلا ما أكلت : فأفنيت ، أو ليست ؛ فأبليت ، أو تصدقت : فأمضيت » ورواه مسلم في الزهد (۲۹۵۹)، من حديث أبني هويرة أن رسول الله ﷺ قال : « يقول العبد ، مالي مالي ، إنما له من ماله ولارت : ما اكلف: فأنفي ، أو لبس : فأبلي ، أو أعلى : فاقتنى ، وما سوى ذلك فهو ذاهب ، وتاركه للناس »

(٩ - ٣) إن الصدقة توضع في يد الله :

(١ ، ١) من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عقدة :

رواه أحسد (١٩٥٧)، من حديث سليم بن عاصر قال: كان معاوية يسير بأرض الروم ، وكان بينهم وبينة أمد فأراه أن يدنو منهم، فإذا لنقضى الأمد غزاهم ، فإذا شيخ على دابة يقول : الله أكبر ، الله أكبر ، وفاء لا غدر ، إن رسول الله ﷺ قال : «من كان بين وبين قرم عهد فلا يحلن عقدة ، ولا يشدها ، حتى ينقضى أمدها ، أو ينبذ إليهم على سراء » ، فيلغ ذلك معاوية: فرجم ، وإذا الطبخ عمرو بن عبسة

(٥ . ١) في ظلال القرآن ٤ (٩٧/ ، طبعة عيسي البابي الحلبي ، الطبعة الأولى .

(٩٠٩) اللهم ، قنعني بما رزقتني :

قال السيوطي في الدر : وأهرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم ، ومسحمه البيهقي في الشعب من طرق، عن ابن عباس رضي الله عليما في قول: ﴿ فِلْصِينه حياة طِيةً ﴾ قال : القنوع ، قال : وكان رسول الله يدعو: «اللهم ، قنعتي بما رزقتني ، ويارك لي فيه ، وأعلام على كل غائبة في بخير » .

(۱،۷) طوبي ثمن هدي للإسلام:

رواه للترمذى فى الزهد ، باب ما جاء فى الكفاف والصبر عليه (٣٤٥٣)، من حديث فضالة بن عبيد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافا وقتع » .

(٨ ، ١) قد أفلح من أسلم ، ورزق كفافا وقنعه الله :

رواه مسلم فى الزكاة فى الكفاف والقناعة (١٠٥٤) ، والترمذى فى الزهد باب ما جاء فى الكفاف والصبر عليه (٢٤٥٧)، من حديث عبد الله بن عمرو: أن رسول الله ﷺ قال : « قد أظلح من أسلم ، ورزق كفافا وقنعه الله » .

(١٠٩) إنَّ المؤمن لينضي شياطيته كما ينضي أحدكم بعيرة :

رواه أحمد في مسنده (١٩٧٩)، من حديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: « إن المؤمن لينضي شياطينه ، كما ينصى أحدكم بعيره في السفر». قال المنارئ في الفيض. قال الهيثمي تبعًا لشيخه الحافظ العراقي: فيه ابن لهيمة ، وأقول: فيه أيضنا سعيد بن شرحبيل وأورده الذهبي في الضنطاء ، وعده من المجاهيل ، وفي الميزان قال أبو حاتم: مجهول وموسى ابن وردان ضعفة ابن معين ورفقه أبو دارد.

(۱۹ م) كل إنسان معه شيطان :

رواه الترمذي في الرضاع باب ما جاء في كراهية الدهول على المغيبات (١٩٧٣)، وأحد (١٩٩١)، والدارمي في الرقاق باب الشيطان بجرى مجرى الدم ، ظلف رمتاه (١٩٧٦)، عن مجاالد عن الشعوى عن جابر بلفظ لا تلجوا على العلميات ، فإن الشيطان يجرى من أسدكم مجرى الدم ، ظلف رمتاه ، قال: و بعن ، ولكن الله أعانين علوه ؛ فأسلم ، قال أبو عيسي هذا سدين غريب من هذا الرجه ، وقد تكلم بعضم في مجالد بن سعيد من قبل حفظه وسمعت على بن خشرم يقول: قال سفيان بن عيينة في تفسير قول النبي ﷺ : و ولكن الله أعانقي عليه ؛ قاسلم » يعني أسلم أنا منه ، قال سفيان والشيطان لا بسلم . يدوا في تفسير في الاعتمال ، (٢٤٧) ، وفي يعد الخلق (١٩٧٨) ويماني ومسلم في الديلام (٤٧٧٩) ، ووسلم في الديلام (٤٧٧٩) ، وأبور على بن الحسين ، ومن حديث مضية ، كان الغبي ﷺ في المسجد وعند أزراجه فرحن فقال لصفية بنت حين ؛ لا تعجلي حتى أنصرف مدك وكان ينبغها في دار أسامة فنري اللهن على مبال المبار الإعلام النبي ﷺ تم يعرى عن الشيام النبي ﷺ تم يعرى عن اللهمان و بغيري عن أجازا قبال لهما النبي ﷺ تعاليا إنها مسفية بنت حين. قالا بسجان الله يا رسول الله قال » إن الشيطان يجرى عن الإنسان مجرى الدو في السلام (١٩٧٤) ، وأبو داود في السلام المنان مجرى الدور اللهماة فياء قال: يا رسول الله الله من عيرى من الإنسان مجرى الدم » يا رسول الله من كنت أغل به طم كان أغل بك ، قال رسول الله من كنت أغل به طم كان أغل بك ، قال رسول الله من كنت أغل به طم كان عالم المنان مجرى الدم » المن كنت أغل به طم كان أغل بك ، قال رسول الله م عن كنت أغل من علم أمام كان أغل بك ، قال رسول الله من يعرى من الإنسان مجرى الدم الم

(۱۱۱) كيف تحد قليك ؟ :

قال السيوطي في الدر: وأغرج عبد الرزاق وابن سعد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردوية والحاكم وصحمه ، والبيهقي في الدلاقل من طريقاً أبي عبيدة بن محمد بن عمار من أبيه قال : فقد الشركرين عمار بن ياسر قلم يتركوه عتى سب اللغي وذكر الهتهم بخور ثم تركزي و فقال اللغي وذكر الهتهم بخور ثم تركزي و فقال المنافئة على المنافئة والمنافئة على المنافئة والمنافئة على المنافئة على المنافئة على المنافئة على المنافئة على المنافئة والمنافئة على المنافئة والمنافئة والمنافئة على المنافئة على المنافئة على المنافئة والمنافئة والمنافئة

(١١٢) ابن كثير في التفسير.

(١١٣) اللهم ، اشدد وطأتك على مضر :

رواه البخارى في الأذان ح (١٠٤٤). ومسلم في المساجد ح (١٧٥)، والتسائن في التطبيق ح (١٠٧٤)، وأبو داود في المسلاة ح (١٤٤٢)، وابن ماجة في إقامة المسلاة ح (١٢٤٤)، وأحدد ح (١٧٢٩)، والدرمي في المسلاة ح (١٩٩٥).

(١٩٤) اللهم ، أعوذ بك أن أصِلَ أو أصُلَ :

رواه أبر داود في الأدب (٩٠٤٠)، والنسائي في الاستعادة (٩٠٨٦)، وابن ماجة في الدعاء (٩٨٨٤)، وأحد في مسنده (٢٩٦٩٤)، من أم سلمة قالت: ما خرج النبي ﷺ من بيتي قط إلا رفع طرفه إلى السماء فقال: « اللهم ، أعوذ بك أن أُصِّرل أُو أُمَّدُل، أَنْ إِزْل أَنْ إِزَّرْ أَنْ أَنْظُم أَنْ أُخْبِلُ أَنْ أُجْبِلُ على ».

(٩ ٩ ٥) إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بني بيتا :

رواه البخاري في المناقب (۲۰۲۶، ۲۰۲۵)، ومسلم في الفضائل (۲۲۸۲)، من حديث أبي هريرة رضى الله عنهم: أن رسول الله ﷺ قال : « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بني بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجمل الناس يطوفون به ويمجبون له ، ويقولون: «كلا وضحت هذه اللبنة – قال : – فأنا اللبنة ، وأنا غاتم النبيين » .

(١٩٩) أما والله لأمثلن يسيعين منهم :

قال السيوملي في الدر: وأخرج ابن سعد، والبزار ، وابن المنذر ، وابن مردوية ، والحاكم ومحمه ، والهيهقي في الدلائل، عن أبي هريرية أن النبي ﷺ وقف على محرّة حين استقيد ، فنظر الى منظر لم ير شيئا قطء كان أوجع لقليه منه ، ونظر إليه قد مثل به فقال : و رحمة الله عليه من الله على عامت وسولا للرحم، فعولا للخيرات ، ولولا حزن من بعدك عليك : لسرني أن تركك مثل يحشرك الله من أرواح شتى ، أما والله لأمثان بسيمين منهم مكانك » . فنزل جديل والنبي ﷺ واقت بخواتين النجل : ﴿ وَإِنْ عَالِيْهِ فَالْقُولِ مِنْ مَا تُولِيْهِ .. . الأولا في . فكن الذبي ﷺ واقت ، وأصف عن الذي إذر وصبور .

(۱۹۷) انتظر: تفسير ابن كثير ، والبرهان في علوم القرآن للزركشى ، والإثقان في علوم القرآن للسيوطى ، ومناهل العرفان في علوم القرآن الأستاذ/ عبد العظيم الزرقاني ، ومباحث في علوم القرآن للشيخ/ سناع القطان ، وعلوم القرآن للذكتور/ عبد اله في موضوع: تعدد الأسباب والتازل واحد .

(114) ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا يعفو :

رواه مسلم في البر والصلة ح ٢٠٥٨، والترمذي في البر والصلة ٢٠٧٦، وأحمد ح ٢٧١٥، ١٨٧٨، والدارمي في الزكاق ح٢١١، من حديث أبي هريرة، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

* * *

تمت الهوامش وتخريج الأحاديث بحمد الله وبها تم الجزء (الرابع عشر)

محتويات الكتاب

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
1001	تقسير سورة الحجر	_
7007	لظرات ش ي سورة المعهر	_
7007	﴿ الـــــر تــــــــــــــــــات الـــــــــــــــ	· •
7009	﴿ريــــمـــا يـــود الــدذيـــن كــفــروا	۲
7009	﴿ ذرهم يسأك السوا ويست مست. عسوا ﴾	٣
7009	﴿ووسا أهسلسكسنسا مسن قسريسة﴾	٤
7009	﴿مـا تـــبـق مــن أمــة أجــلــهــا﴾	۰
7507	﴿ وقسالسوا يسا أيسهما السدّى نسزل عملسيسه السذكس ﴾	٦
7077	﴿لسوما تسأتسينها بسالسيلاتسكية﴾	v
7077	﴿مسا نَسنَسنَل السمسلائسكسة إلا بسائسسسق﴾	
7077	﴿إنَّا نَّ مَانُ نَصِينَ نُصِينًا الْسَنْكُ سِنِينًا	٠,
7077	﴿ واستقد أرسياسفيا من قيبك	١.
7075	﴿ووسايدات يسهم من رسدول﴾	11
7075	﴿كَنْكُ نَسِبُكَ فَي قَالِونِ النَّمَ جِيرِمِينَ ﴾	۱۲
7075	﴿لا يستُ من يسته وقد خداد ﴾	14
7077	﴿ ولو قت صنبا عليهم بابا من السماء ﴾	18
7077	﴿ القَّالُولُ إِنْ حَاسَ كَ رِنَ أَبِصَارِنَا﴾	10
AFOY	﴿ واحقد جـ مـ احتا فــ ي الســمـــاء يـــر وجــــا﴾	17
AFOY	﴿ رحفظ ناها من كل شيطان رجيم ﴾	17
AFOY	`﴿إِلا مـــــن اســـــــن اســـــــــرق الســــــــــــن	1.4
AFOY	﴿والأرض مدونساهما وألقينا فيها رواسي﴾	14
AFOY	﴿رجعابناكم قيمام عدايش﴾	۲٠
AFOY	وران مسن شيء إلا عسنسدنسا خسرائسنسه	*1
3407	﴿وأرسطستسا السريساح لسواتسح	77
401	﴿وإنسا استحسن نصيبي ونسمسيت ﴾	77
70V£	﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم﴾	7 £
3404	وان ريك هــــــويـــــــم	۲٥

رقم الصفحة	أول الآييات	رقم الآية
7077	«و <u>اقد شابة</u> نبا الإنسان مين در اصبال♦	77
7077	﴿والعبان خاخف ناه من قبل	۲۷
7077	﴿ وَإِذْ قَالَ رِيكَ لَا مِالانْكَةَ إِنِّي صَالَقَ بِشُرا﴾	44
7077	﴿ فَ إِذَا سِ وِي سَ لِهِ وَسَفَحَتْ فَسِيرِ هِ مِسْنَ رُوحِسِي ﴾	79
7077	﴿ فســجــد الــمـــلائــكــة كــلــهــم أجــمــــون ﴾	۳۰
7077	﴿إِلا إِلَيْ الْمِينَا الْمِينَا الْمِينَا الْمِينَا الْمِينَا الْمِينَا الْمِينَا الْمِينَا الْمِينَا الْمِينَ	71
7077	﴿ الله الله الله الله الله الله الله الل	77
7077	﴿قـــال لـــم أكـــن لأســجـــد اـــيشـــر﴾	**
7077	﴿قـــال قـــاك ـــاك ـــرج مـــنـــهـــا﴾	4.5
7077	ولن ع <u>اليك</u> ال <u>ا</u> عسانية	٣٥
7077	وقریبال رب فریسان درنسسی ♦	41
7077	﴿قـــال فــــإنك مـــن الــــ مــ فـــخاـــريـــن ﴾	۳٧
7077	﴿إلــــــى يـــــــوم الـــــوقت الـــــــــــــــــــوم﴾	44
7077	﴿قيال رب يسمسا أغريت نسى لأزيت ن النهسم﴾	44
7077	﴿إلا عــبــادك مــنــهــم الــمـــخــلعـــيـن	٤٠
7077	﴿قيال هند؛ مسيراط عبياني مستقيم	٤١
7077	﴿إِنْ عَــِــادِي اَسِيسَ لِكَ عَــلَــيــهــم ســلـطــان﴾	٤٢
7077	﴿وان جهدن م له وهده مده	٤٣
7077	﴿لها سيعة أبواب لكل باب منهم﴾	٤٤
YOAE	﴿إِن أَلْبِ مِنْ تَقْدِينِ فَسِي جِنْدِياتِ وَعَنِيسِ نِنْ ﴾	٤٥
YOAE	﴿انتخساره مامستسين	٤٦
4048	﴿ونسزعسنسا مسا فسي صدور هسم مسن غسل﴾	٤٧
YOAE	«لا <u>يـــمســـهم فــــيــهـــ</u> ا نصب♦	٤A
Y0AY	﴿نَسِيسَىٰ عَسِسَادِي أَنْسَى أَنْسَا الْسَفْسَقِينِ السِرِحِسِيسَمَ	٤٩
YOAV	وإن عــــذابــــــــــد هــــــــ الألــــيـــــــــــــــــ الألــــيـــــــــــــــــــــــــــــــ	٥٠
YOAY	﴿ونــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٥١
YOAY	«إذ دخــلــوا عــــــــه قــقـــالــــوا ســـــلامــــا﴾	٥٢
YOAY	رقـــالــــوا لا تــــ <u>وجـــ</u> ل إنـــا نــــبشـــرك♦	٥٣

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
YOAY	﴿قَالَ أَبِشُرتُ مَا وَنِي عَلِي أَنْ مَسَنِي الْكَبِرِ﴾	0 £
YOAV	﴿قالوابشرناك بالمصق	٥٥
Y04V	﴿قــال ومــن يــقــنــط مــن رحــمــة ريــه﴾	٥٦
Y0.4V	﴿قَالَ قَمَا شَطَهِكُمْ أَيْهِنَا الْمُرْسَانِينَ﴾	٥٧
Y0 A Y	﴿قــالــوا إنـا أرهـا	٥٨
YOAY	﴿إِلا ءِال أَنْ الْسَاعِينَ الْمُعَالِينَ الْمُعَالِينَ الْمُعَالِينَ الْمُعَالِينَ الْمُعَالِينَ الْمُعَالِينَ	٥٩
YOAY	﴿إِلا امــــرأتـــرأتــــه قــــدرنـــــا﴾	٦٠
YOAY	﴿ في المعمل جاء وال ليوط الممرسياون ﴾	11
YOAY	﴿قسال إنسكسم قسوم مسنسكسرون	7.7
YOAY	﴿قـــاك﴾	7.5
YOAY	﴿وأتيناك بالمصق﴾	٦٤
TOAY	﴿ فِي أُسِيسَ بِي أَهِمَاكَ بِي قَصْدِع مِينَ السَّاسِيسَلُ﴾	٦٥
YOAY	﴿ وَقَصْدِ عِنْ اللَّهِ عَلَى الْأَمْدِ رَ ﴾	77
YOAY	ورجاء أهل الصدينة يستيشرين	٦٧
4044	﴿قـــال إن هـــولاء ضـــيــفــــى﴾	٦٨
Y0.AV	﴿واتــــــــــــــــــــــــــازون﴾	19
YOAY	﴿ وَ الْ	٧٠
YOAV	﴿قـــال هــــــال هـــــــال مــــــــالـــــــــالـــــــــا	٧١
Y0AV	﴿لـعـمــرك إنــهــم لــفــى ســكــرتــهــم﴾	VY
YOAY	﴿ فَصَاعْبَ ذَاتِ هِمَ الْعَمْ عِنْ حَمَّةُ مَشْرَ الْسَيْسَ فَ	٧٣
YOAY	«فــجــعـلـنـاعـالـيــهـاسـافـلـهـا»	٧٤
YOAV	﴿إِنْ فَــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٧٥
Y0.AV	﴿وَإِنْ مِنْ الْمِسْ مِنْ الْمِسْ مِنْ الْمِسْ مِنْ الْمِنْ ال	٧٦.
Y0AY	﴿إِن نِــــــــــــــــــــــــــــــــــ	VV
YOAY	﴿ وإن كـان أمـــحاب الأيــكــة﴾	VA I
YOAY	(نان <u>ت</u> قیمنام <u>نیه</u> می)	V4
Y0.AV	﴿ولــقــد کــذب أصــدـاب الـــدــجــر﴾	۸٠
YOAY	ووات باهم وايسات نساس.	۸۱
	<u> </u>	

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
YOAY	﴿ وكانسوا يستحسنسون من السجسيسال بسيسوتسا	AY
YOAY	﴿ فَعَادُ مُنْ مُنْ مُنْ مُنْ مُنْ مُنْ مُنْ مُن	۸۳
YOAV	﴿ فَمَا أَغْمَنَى عَنْهُم مَا كَمَانُوا يَكُسَبُونَ ﴾	A£
4094	﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾	٨٥
4094	﴿إِنْ رَبِكَ هَـــو السِــهـــلاق الـــعـــلـــيـــم﴾	۸٦
7099	﴿ والله ما تعيدنا له سجعا من المستماني ﴾	۸۷
4044	﴿لا تعدن عينيك إلى ما متعنايه أزواجا منهم﴾	_ AA _
7099	﴿وقدل إنسى أنسا السنديسر السمبيين	A4
4099	﴿كـمـا أنــزاــنـا عطــى الـمـقــتـــمـيــن﴾	۹۰
7099	﴿السَّذِيسَنْ جِسِمُ السَّفِ السَّفِينَ عَضْدِيسَنْ ﴾	41
Y099	﴿ أَسِورِيكَ استسب السلام الجسم الجسم عيدن	٩٢
7099	﴿عساكسانسوايعسه اسون﴾	44
7099	﴿نـــامــــدع بـــمـــا تـــــنـــر﴾	18
7099	﴿إِنْصَا كَمَا عَمْدِ مِنْ السَّمَاتِ السَّمَاتِ السَّمَاتِ السَّمَاتِ السَّمَاتِ السَّمَاتِ السَّمَاتِ السَّ	10
7099	﴿السَّذِيسِن يسجِسِعِسَلسون مسع الله إلسهِسا آخسر﴾	17
7099	﴿ واسقد نبعام أنك يضيق صدرك ﴾	44
7099	€ du	4.4
4044	﴿واعبد ربك حستسى يسأتسيك السيسقسيسن	11
77.4	خلاصة ما اشتملت عليه سورة الحجر	-
Y3+4	تفسير سورة النحل	_
471.	دروس من سورة النحل	-
777-	﴿أَنْسَى أَمِسْ اللهُ فَسِلا تَسْتَبِعُ فِي الْمِنْ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ الله	١ ،
777.	﴿ يَكُولُ الْمُلَائِكَةُ بِالروح مِنْ أَمِرِهُ عَلَى مِنْ يِشَاءِ ﴾	۲
7777	﴿ شا ـــ ق السماوات والأرض بالمحق ﴾	٣
7777	﴿ النَّالِيْسِ انْ مِنْ نَسِطُ فَيْهِ ﴾	٤
7777	﴿والأنبعسام شليقها ليكيم فيهها دفء	
7777	(وا کم فیدا جمال حین تریسسون)	٦
7777	﴿وتِحمل أَثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه	٧

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7777	﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها ﴾	^
7777	﴿ وعلى الله قصد السبيل ومنها جائس ﴾	٩
7777	﴿ هـــو الـــذي أنـــزل مــن الســمــاء مــاء ﴾	١٠.
7777	﴿ ين بن لكم بمه السزرع والسزيسة ون ﴾	١١
7777	﴿وسفر لكم الليل والنهار والشمس والقمر﴾	17
7777	﴿ومِا ذَراً لَـكُم فَسَى الأَرض مَـضَتَـلَـفَمَا أَلَـوانِه﴾	١٣
7777	﴿وهبوالذي سفر البحر لتأكلوا منه لحما طريا	18
7777	﴿ وَأَلِــقَــى نَـــى الأَرض رواســى أَن تــمــيــد بــكــم ﴾	10
7777	﴿وعــــلامــــات ويــــااــــنــــم﴾	17
3777	﴿أَفْ مِن يَسْمُ اللَّهِ كَامِينَ لا يَسْمُ اللَّهِ ﴾	۱۷
3777	وإن تعدوا نعما الله لا تحمل وها	١٨
3757	﴿ وَاللَّهُ يَسْعِيلُمُ مِنَا تَسْرِينَ وَمِنَا تَسْعِيلُ مِنْ ﴾	19
3777	والدين يدعنون من دون الله لا يخلقون شيشا	۲٠
3757	﴿أُ السوات غــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	71
3757	﴿الصحاب الساب المساب ال	44
3777	﴿لا جسرم أن الله يسعلهم ما يسرون وما يسعلنون ﴾	77
4744	﴿وإذا قسيسل لهم مساذا أنسنل ريسكسم	3.4
7779	ولسيد مسلوا أوزارهم كاملة يسوم التقسيدامية ﴾	40
7789	﴿ قسد مسكس السانيسين مسين قسيسا سهسم ﴾	77
7779	﴿ ثم يدوم القيامة يشريهم ويقول أين شركاءي ﴾	77
7779	(الذين تـ تـ وفساهم المملائكة ظالمي أنفسهم)	YA .
4749	﴿ فَالدَّلِينَ أَسِوابِ جِسهِ فَا حَالَدِينَ فَعِيمًا ﴾	79
0377	﴿ وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ريكم ﴾	٧٠
0357	﴿جِنَاتَ عَدَنُ يَدَخُلُونَهَا تَجِرِي مِنْ تَحْتَهَا الأَنْهَارِ﴾	77
03/7	﴿الدنيسن تـــتــوانساهــم الــمـــلائــكــة طـــيــيـــن﴾	44
A3/Y	﴿ هِل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى أمر ربك	77
4357	﴿ فسأصابهم سيسلنات منا عنملوا ﴾	37
4700	﴿ وقال الذين أشركوا لو شاه الله ما عبدنا من دونه من شيء	۲۰

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
410.	﴿ واقد بعد شا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله ﴾	۳٦
770+	﴿إِنْ تَحْرِمَنِ عَلَى هَذَاهُمْ قَالَ اللَّهُ لَا يَهْدَى مِنْ يَضَلَّ﴾	۳۷
3077	﴿ وَاقْتَصَادُوا بِسَاللَهُ جِسَهَادُ أَيْسَمَانُسَهُ مِنْ الْهِ مِنْ الْمُعْلَالِ اللَّهِ مِنْ الْمُ	۳۸
3077	﴿ليبين لسهم الذي يختلفون فيه﴾	۳۹
3077	﴿إِنْ مِنْ قَدُ سُوابِ نَسِمًا لَشَسِيءَ إِذَا أَرِدَنِ سَاهُ﴾	٤٠
Y077	﴿ والدنيس هاجروا في الله من يعد ما ظلموا﴾	٤١
Y70V	﴿ الدذيدن صديدوا وعداسي ريسهدم يستسوك المون	73
4704	﴿وَمِنَا أَرْسَلْنَا مِنْ أَسَيِلُكُ إِلَّا رَجِبًالًا نُنْ وَحِنَى إِلَيْهُمْ﴾	٤٣
4104	﴿بِالْجِيدِيدِياتِ والرَّبِيرِ وأَسْرَلُهُ بِاللَّهِ الدَّكِيرِ﴾	٤٤
. P077	﴿أَفَأَمَنَ الذِّينَ مَكَرُوا السيئاتُ أَنْ يَخْسَفُ اللهُ بِهِمَ الأَرْضَ﴾	٤٥
7709	﴿أُو يِسَأَخُسِدُهُم فِسِي تُسَقِّبِ الْبِيهِمِ﴾	٤٦
7709	﴿أَنْ يَسْأَحُنْ نَفْهُمُ عَالَى تَسْفُرِينَ إِنَّ عَلَيْ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ عَلَيْ اللَّه	٤٧
7709	﴿ أُولِم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتقيوا ظلاله ﴾	٤٨
7709	﴿ ولله يستجدد منا فنى السنصناوات ومننا فنى الأرض﴾	٤٩
7709	﴿ مسلما المساول والسهدم مسدن المساول المساول	٥٠
4770	﴿وقسال الله لا تستنفذوا إلى بين السندن﴾	٥١
0777	﴿ والله منا في السماوات والأرض والله الدين واصبها	70
7770	﴿وها بكم من نعمة نعمن الله﴾	٥٣
7770	﴿ المسلم إذا كشف المسلم عند كسم﴾	٥٤
0777	﴿العِيكَسِفُ روا بِسِمِا وَالْسِينَاهِ مِنْ الْهِ	00
4779	﴿ ويدجعلون لما لا يعلمون نصيبا	۵٦
7774	وريد جسم المون شه السيد ات سيدانه	٥٧
7779	﴿ وإذا بشر أصدهم بالأسلى ظل وجمهم مسودا ﴾	۸۵
7779	السندواري من السقوم من سيوء منا يشريه	٥٩
7779	﴿لَـلَـدْيِسْ لَا يَسْوُمُـنْسُونَ بِالْأَهْسِرَةَ مَسْسُلُ السَّوَّةِ﴾	٦٠
77.77	﴿ واسويسوا عسد الله السنساس يستلسلسمسهسم ﴾	7.1
77.77	المام ال	7.7
77.78	﴿تَـاللهُ لَسَقَـد أَرسَـلَـنَـا إلَـى أمـم مـن قـبِـله﴾	78"

رقم الایة (قم الایة (قم الایة) (قم الایة) (قم الایة) (قر التبین لهم) (قرائ أنسا علیك الكتاب إلا لتبین لهم) (قرائ أنسان الصماء عاء فأحیا به الارف) (قرائ كم فصى الأنصام لسعبرة) (قرائ حسان له المناف الكتاب الارف) (قرائ خما كلى عن كسل السغبرات) (قرائة فضل بعضكم على بعض فى السزرق) (قرائة في عن لكم من أنشهم كم إلى الملاب الله منالا يعلى الملاب الله منالا يعلى الله الله الله بعلى الكم من بعلى أمهاتكم لا تعلمن شيئا) (قرائة أخريكم من بعلى أمهاتكم لا تعلمن شيئا) (قرائة بعلى لكم من بعلى أمهاتكم لا تعلمن شيئا) (قرائة بعلى لكم من بيوتكم مكنا) (قرائة بعلى لكم من بيوتكم مكنا) (قرائة بعلى لكم من بيوتكم مكنا) (قرائة بعلى لكم من المون أمهاتكم لا تعلمن شيئا) (قرائة بعلى لكم من المدن في الله) (قرائة بعلى المناف على المناف المناف) (قرائة بعالى المناف على المناف) (قرائة بعالى السني الشبوب المناف) (قرائة بعالى المناف على المناف) (قرائة بعالى المناف) (قرائة بعالى المناف) (قرائة بعالى السني الشبوب المناف) (قرائة بعالى المناف)			- 544
	رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
۲۲ وران ال كـم فـــ الآنــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	7777	﴿وما أَسْرَاسِنَا عِلْمِكَ الْكِتَابِ إِلَّا لَتَبِينَ لَهُم﴾	7.5
۲۲۷۲ (ورحسن درات السنف الوالأعناب) ۲۷۷۲ (وارحسن ربه السن السنف حسان) ۲۹ (والف شخسان المحتمد الت) ۲۹ (والف شخسان المحتمد الت) ۲۹ (والف شخسان المحتمد الت) ۷۰ (والف شخسان المحتمد الت) ۲۲۸۲ ۲۲۸۲ ۲۲۸۲ ۲۲۸۲ ۷۰ (والف جمع ال المحتمد عملی المحتمد الت الرباجات) ۷۲ (والف جمع ال المحتمد الله الأحد المحتمد الله) ۷۲ (والف جمع الله) ۷۲ (والف المحتمد الله) ۷۸ (والف المحتمد المحتمد المحتمد الله) ۷۲ (والف المحتمد الله) ۷۲ (والف المحتمد المحتمد المحتمد الله) ۸۲ (والف المحتمد	7777	﴿ وَاللَّهُ أَنْسَرُلُ مِنْ السَّمِاء مِنَاء فَنَاحِينَا بِنَهُ الأَرْضَ ﴾	٦٥
۲۲۷۲ ﴿ وارحسی ریك إلــــی الـــــــــــــــــــــــــــــــ	7777	﴿ وإن اللَّكِيم فَسَنَى الأَنْسِفِيامِ لَسِفِيدِنَ﴾	77
۲۲۷۲ والله خداسی مین کسل السفی سرات ۷۰ والله خداسی استخداس استخداسی استروق ۷۲ والله خداسی استخداسی استخداسی استروق ۷۲ والله جدیل السخی مین استخداسی است	7777	ومسن السمسرات السنسسيسل والأعسباب	VF.
	7777	﴿وأوحــــى ربك إلــــى الـــــــــــــــــــــــــــــــ	A.F
	7777	﴿ وَسُم كَسُلْسَى مَسِنْ كَسِيلَ الْسَفْسِمِينَ ﴾	11
۲۲۸۲ ﴿ والله جـــــــــــــــــــــــــــــــــــ	77.67	﴿والله خساسة سكسم السم يساتسو فسساك عم﴾	v•
	77.67	﴿وَاللَّهُ فَصْلِ بِمِعْسِكِم عَلْنِي يَعْضَ فَنِي الْسَرْرِقَ﴾	٧١
	77.87	﴿والله جــ عـــل لـــكـــم مـــن أتــخســكــم أزواجـــا﴾	٧٢
	4744	﴿ ويسعبدون مسن دون الله مسالا يسعسك لسهم رزقسا ﴾	٧٣
	۲ ٦٨٨	﴿ فَ لَا تَضَالَ﴾	¥٤
	YNAA	﴿ هَمرِبِ اللهِ مشلا عهدا مصلوكا لا يقدر على شيء﴾	٧٥
	4744	﴿وضــــرب الله مـــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٧٦
	7741	﴿ولله غــــــيب الســــمـــاوات والأرض﴾	٧٧
۸۰	7741	﴿واللهُ أَشْرِجِكُم مِنْ يَطُونُ أُمْهَاتُكُمْ لا تَعَلَّمُونَ شَيْنًا﴾	VA.
A1 ﴿والله جمعال لكم مصاخاق طالا) A7 ﴿والله جمعال لك البلاغ المبين ﴾ A7 ﴿والله جمعال الله الله الله الله الله الله الله ا	7791	﴿ السم يسروا إلى البطيس مستشرات فنى جنو السمناء ﴾	V9
AY (المسلم المسلم ال	4740	﴿والله جسعل لكم من بيوتكم سكنا	۸۰
	4740	﴿ والله جسمال لكم مسما خلى قاللا ﴾	۸۱
	7790	﴿ فَإِنْ تَدَوالِ وَ فَإِنْ مَا عَلَيْكَ الْجَارُ خُ الْعَجَبَيْنَ ﴾	AY
	7790	ويسعد فدون شعمة الله شم يستسكسرونها	۸۳
۸۲ ﴿ وَإِذَا رِوَا السَّذِيسِينَ أَشْسِرِكَسُوا شَسِرِكَسُوم مِنْ ۸۷ ۸۷ ﴿ وَأَلْسَقِيسِ اللَّهِ اللَّهِ اللهِ	779.6	﴿ويسوم نسبسعت مسن كسل أمسة شسهسيدا﴾	A£
	YZZA	﴿وإذا روا السنديسن ظسلسمسوا السعسناب	٨٥
	APFY	وإذا روا السذيسين أشبركسوا شسركساءهسم	7.4
۸۹ ﴿ وَهِ حَمْ نَصِعَتْ فَسَى كَالِ أَمَالَةَ شَلَهِ عِلَا اللَّهِ اللَّهِ عَلَى كَالْ أَمَالَةُ شَلَهُ عِلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَّى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَّا عَلَى اللّهُ عَلَ	4794	﴿ وألسقسوا إلى الله يسومستسد السسلسم ﴾	AV
٩٠ ﴿إِنْ الله يِسَاِّمَ سِرِيسَالَ عِسَالُ وَالْإِحْسَانُ﴾	APFY	﴿السنيسن كسفسروا وصدوا عسن سبيسل الله	۸۸
	APFY.	﴿ويــوم نسبــعث فــى كــل أمــة شــهــيــدا﴾	A٩
٩١ ﴿ وَأُولُولُ سِوا بِسِعِيدِ اللهُ إِذَا عِلَمُ دَتَّامٍ ﴾ 3٠٧٧	3.47	﴿إِن الله يسأمسر بسالسعسدل والإحسسان﴾	4.
I 1	YV-E	﴿ وأواف والسعيد الله إذا عاهد تسم	41

		رقم الآية
44.5	﴿ ولا تسكسونسوا كسالستسي نسقضت غسزلسهسا	44
3.74	﴿ واسس شاء الله لبجما عمامكم أمسة واحدة ﴾	44
7717	﴿ ولا تستخدنوا أيسمسانكم دخسالا بسيستكم ﴾	48
7717	﴿ولا تشتسروا بسعيهدالله شمسنسا قسلسلا	90
7717	﴿ مسا عسند الله بساق ﴾	47
7717	﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن﴾	47
7717	﴿ فَــَإِذَا قَــرأَتِ الــقَــرآنِ فَــاســقــعـــذ بِــالله﴾	9.4
7717	﴿إنه ليس له سلطان على الدين المدنوا ﴾	19
7717	﴿إنسا سلطانه على الذين يستولونه	1
4414	﴿وإذا بسداسنا ءايسة مسكسان ءايسة	1.1
YYYX	﴿ السنة برح السنة عندس مسن ريك	1.4
4714	﴿ والقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر	1.4
4414	﴿إِن السنيسن لا يسوّمسنسون بسآيسات الله	1.5
YYYA	﴿إنما يغترى الكذب الذين لا يؤمنون بأيات الله﴾	1.0
7777	﴿ من كفر بسالله مسن بسعد إيسمسانسه ﴾	1.7
7777	﴿ذَلُكُ بِـأَنْهِم استَحبِينَ الصياة الدنيا على الأَخْرة﴾	1.4
7777	﴿ أُوالِدُكُ البنيسَ طبيعِ الله عبلسي قبلي يسهم ﴾	1.4
7777	﴿لا جــــــرم أنــــهـــم نـــــــى الأهــــرة﴾	1.4
7770	وثم إن ربك للذين هاجروا من يعدما فتنوا	11.
7770	ويسوم تسائس كسل نسفس تسجسان عن نسفسها	111
7777	﴿ وضرب الله مستسلا قسريسة كسانت وامسنسة	111
7777	ورات د جاءه سم رسول منهم شکندیسوه	115
777.	﴿ فَكِلُوا مِمَا رِزْفَكِمِ اللهِ صِلالا وليبِا﴾	118
444.	﴿إنْ مَا هدرم علي كم المسيدة والعدم﴾	110
777.	﴿ ولا تعقدوا والعاتصف ألسنتكم الكذب ﴾	117
777-	﴿ مستاع قصا يسل واسهم عسذاب ألسيم	111
YV Y •	﴿وعلى الدين هادوا حسرمنا ما قصصنا﴾	114
444.	﴿ ثم إن ربك المنين عملوا السوء يمهالة ﴾	119

رقم الصفحة	أول الآيـات	رقم الآية
7777	﴿إِنْ إِسِرَاهِ بِيمَ كِنَانَ أُمِنَّةَ قَنَانِتَنَا للْمُ مَنْ يَفَا﴾	14.
7777	﴿شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه	171
7777	﴿ وماتسيسنساه فسى السدنسيسا حسسنسة ﴾	177
7777	وثم أوسينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا	177
7777	﴿إنما جعل السبت على الذين الفقل فيه﴾	١٧٤
7777	وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة	170
7777	﴿ وَإِنْ عَاقَيِتُمْ فَعَاقَبُوا بَمَثُلُ مِنَا عَقُوبِتُمْ بِهُ ﴾	177
7777	﴿واصبير ومسا مسيسرك إلا بسائة﴾	177
444.1	﴿إِنْ الله مــــع الــــــذيـــــن اتــــــقـــــــا﴾	١٢٨
4450	تخريج أحاديث وهوامش	_
7709	فه رس موشوهات	_

تم بحمد الله تفسير الجزء (الرابع عشر) ويليه تفسير الجزء (الخامس عشر) إن شاء الله تعالى

